



في مخطوطات

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

تأليف

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي

راجعه وضبطه ووضع فهارسه

مركز تراث كربلاء

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

(٢)





علوم القرآن الكريم

في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

تأليف

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي

راجعه وضبطه ووضع فهارسه

مركز تراث كربلاء

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية



Web : www.alkafeel.net
E-Mail:turath.karbala@gmail.com

الكاظمي، عماد، جامع
علوم القرآن الكريم : في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني / تأليف
الشيخ الدكتور عماد الكاظمي ؛ مراجعة وتدقيق وتقديم مركز تراث كربلاء قسم شؤون
المعارف الإسلامية والانسانية.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم
شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية : مركز تراث كربلاء، 1439 هـ. = 2017.
552 صفحة : صور طبق الأصل ؛ 24 سم
يضم ملاحق.
يضم نبذة عن حياة المؤلف.
يضم كشافات.
المصادر : صفحة 449-484.
1. هبة الدين الشهرستاني، محمد علي بن حسين بن محسن، 1301-1386هجري--المؤلفات.
2. القرآن، علوم. 3. القرآن--الناسخ والمنسوخ. الف.العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون
المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث كربلاء. ب. العنوان.
BP80.S55 .K3 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

اسم الكتاب: علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني(١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

المؤلف: الشيخ الدكتور عماد الكاظمي.

راجعهُ وضبطهُ ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.

الطبعة: الأولى.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م.

عدد النسخ: ٥٠٠

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد: (١٧٧٥) لسنة ٢٠١٧م.



﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلمُسْلِمِينَ﴾

(سورة النحل: الآية ٨٩)

الإهداء:

- إلى أستاذي العلّامة المرحوم السيد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ..
- إلى من تعلمت منه العزيمة والتفاني في خدمة العلم والتراث ..
- أهدي هذا الجهد المتواضع راجيًا من الله تعالى أنْ يتقبله بقبولٍ حسنٍ..

مُقدّمةُ مَرْكَزِ تُرَاثِ كَرْبَلَاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله المنعمِ على عبادِه، المبدعِ في خلقِه الّذي عَلا بحولِه، تجلَّت في السمواتِ والأرضِ قدرتُه، وهو القاهرُ فوقَ كلِّ شيء، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِه المبلِّغِ رسالاتِه، والدليلِ على صِراطِه شفيعِنا الأمجدِ أبي القاسمِ محمَّد، وعلى آلهِ مصابيح الهدى في الليلِ المظلم، منقذي الأمم، تتمة النعم... أمَّا بعد فقد أَلَّف جمعٌ من علماء المسلمين كتبًا في علومِ القرآنِ الكريمِ، منها كتابُ البرهان في علوم القرآن، والإتقان في علومِ القرآن، والمناهج التفسيرية في علومِ القرآن، والتمهيد في علومِ القرآن، ومناهل العرفان في علومِ القرآن، ومباحث علوم القرآن، ونصوص في علوم القرآن، وغيرها من الكتب التي أُلِّفت في هذا الشأن، و أمَّا عدد العلوم التي بُحِثت فيها فقد وصلت إلى ثمانينَ علمًا من علومِ القرآن، تناولت هذهِ العلومُ نزولَ القرآن ، والمكيَّ والمدنيَّ من سورِهِ ، وجمعَ القرآن، وقراءاتِ القرآن، والتفسيرَ والمفسرين، والأمثالَ، وأسبابَ النزول، وغريبَ القرآن، والناسخَ والمنسوخ، والمحكمَ والمتشابِه، وإعجازَ القرآن، وبلاغةَ القرآن، وغيرَ ذلكَ من العلومِ الّتي تحاولُ سبرَ أغوارِهِ وكشفَ أسرارِهِ وخباياه.

واستجابةً مع ذلكَ المفهومِ سعى السيّدُ هبةُ الدّين الشهرستانيّ من خلالِ أطروحاتِه الفكريَّةِ إلى استيعابِ علومِ القرآن وِفقَ رُؤيةٍ عُلَمائِيَّةٍ مُمَنهَجَةٍ حفظت للقرآنِ الكريمِ قدسيَّتَه، وذلك من خلالِ تبيانِ مواردِ الناسخِ والمنسوخِ أو المحكمِ والمتشابِه، علاوةً على توضيحِ ماهيَّة الإعجازِ القرآني من خلالِ شرح وتوضيح علوم (المعاني والبديع والبيان) التي جاءت بمجملِها لتمثِّلَ المصداقَ الحيّ لذلك الإعجاز.

كما شكَّلَت جهودُ الدكتور الشيخ عماد الكاظمي الأساسَ والمرتكزَ في إخراجِ هذا الكتاب بشكلِه الحالي، إذ عمل على استقصاءِ ما أمكَنَه من اللّمَساتِ القرآنيَّةِ للسيّدِ هبةِ الدين الشهرستانيّ وفي أكثر من نسخةٍ مخطوطةٍ محفوظةٍ في (مركز إحياء تراثِ السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ) فجزاه الله خيرًا على هذا الجهد المبارك.

ومن الجديرِ بالذّكرِ أنَّ كلَّ ما سبق ذكرُه قد تلاقى مع طموحِ ومسعى مركزِ تراثِ كربلاء في الاهتمامِ بالدّراساتِ القرآنيَّةِ لعلماءِ مدينةِ كربلاء المقدَّسة وجهودِهم المبذولةِ فيها وبالأخص المخطوطات المحقَّقة التي تُعطي أهميَّةً مُضافةً لحقلِ الدّراساتِ القرآنيَّةِ والّتي خصَّصَ لها المركزُ (سلسلة تراثيات قرآنية) مكمِّلةً لمجموعةٍ من السلاسلِ التي تبنَّى المركزُ إصدارَها لتُضافَ إلى إصداراتِه المنوّعةِ والمتعدِّدةِ الّتي وقفت على أغلبِ مفاصلِ التّراثِ الفكريّ لمدينةِ كربلاء المقدَّسةِ، وفي هذا المقامِ نشكرُ اللهَ تعالى الذي وفَّقَنا لتحقيقِ ذلك، ثمَّ نشكرُ سماحةَ المتولّي الشرعيّ للعَتبةِ العبّاسيَّةِ المقدَّسةِ السيّد أحمد الصافي -دامَ عزُّه- لدعمِه المتواصلِ لجميعِ نشاطاتِ المركزِ، كما نشكرُ سماحةَ الشيخ عمَّار الهلاليّ رئيس قسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميَّةِ والإنسانيَّةِ في العَتبةِ العبّاسيَّةِ المقدَّسةِ على متابعتِه وإشرافِه المباشرِ لجميعِ إصداراتِ ونشاطاتِ المركزِ سائلينَ اللهَ تباركَ وتعالى أنْ يُسدِّدَ خطانا لما فيه خدمةِ مذهبِ أهل البيت ﵍، وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

د. إحْسَان عَلِي الغُرَيْفِيّ
مُدِيْرُ مَرْكَزِ تُرَاثِ كَرْبَلَاء
٣ صفر الخير ١٤٣٩هـ
٢٤/ ١٠/ ٢٠١٧م

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الذي عَلَّمَ بالقَلَم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَم، والصلاةُ على نبيِّهِ المُصْطَفى الأَكْرَم، وعلى آلِهِ المعصومينَ سادَةِ الأُمَم.

إنَّ القرآنَ الكريمِ هو المعجزةُ الخالدةُ، ومصدرُ التشريعِ الإسلاميِّ، والنظامُ الأكملُ لصلاحِ البشريةِ وسعادتِها، لو أَنَّها تَمَسَّكَتْ به، وعَمِلَتْ بما تَضَمَّنَهُ من تعاليمَ إلهيةٍ، معصومةٍ من الزلَلِ؛ للحفاظِ على فطرتِها الإنسانيةِ، والوصولِ إلى كمالِها، كما قالَ تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[1]، ولأجلِ ذلكَ فقد اعتنى المسلمونَ به اعتناءً كبيرًا، تلاوةً وحفظًا، ودراسةً وتدريسًا، وتأليفًا وتفسيرًا؛ لما فيه من علومٍ متعددةٍ لها أثرٌ كبيرٌ في المعارفِ الإنسانيةِ بصورةٍ عامةٍ، والإسلاميةِ خاصةً، وتَكْمُنُ أهميةُ هذا الاعتناءِ لأنهُ مصدرُ المعرفَةِ الإسلاميِّةِ الأولِ من الناحيتينِ العقائديةِ والفقهيةِ وغيرِهما، لذلك نرى تلكَ الأحاديثَ المتعددةَ في فضلِ القرآنِ وتَعَلُّمِهِ وتعليمِهِ، فقد روي عن النبيِّ الأكرمِ ﷺ أَنَّهُ قالَ: ((**فَعَلَيْكُمْ بالقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ، ومَنْ جَعَلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجنةِ، ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلى النارِ، وهو الدليلُ يَدُلُّ على خيرِ سبيلٍ، وهو كتابٌ فيهِ تفصيلٌ،**

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

وبيانٌ، وتحصيلٌ، فيهِ مصابيحُ الهُدى، ومنارُ الحكمةِ، ودليلٌ على المعرفةِ)).[١]

لقد كانَ المسلمونَ يَتَعَرَّفونَ على تعاليمِ القرآنِ وما يتعلقُ بتشريعاتهِ وأحكامهِ عندَ نزولهِ عن طريقِ رسولِ اللهِﷺ وأصحابهِ، فكانت هذه البذرةُ الأولى لتعلُّمِ علومِ القرآنِ الكريمِ، ثم توالتْ حلقاتُ التعليمِ وانتشرتْ، فتَمَّ بعدَ ذلكَ الكتابةُ في عددٍ من موضوعاتهِ، فأُلّفت المؤلفاتُ التي تناولَتْ علومَ القرآنِ في مجالاتهِ المتعددةِ، إيجازًا وتفصيلاً.

والسيدُ هبة الدين الحسيني الشهرستاني أحَدُ روادِ التأليفِ المتأخرينَ في علومِ القرآنِ الكريمِ، ولكن مما يؤسَفُ لَهُ أنَّ أغلبَ مؤلفاتِهِ هي مخطوطةٌ ومتناثرةٌ في طَيّاتِ آلافِ الصفحاتِ، التي مضى على كتابتِها عقودٌ متعددةٌ، فآثَرْتُ في هذا الكتاب جمعَ كُلِّ ما كَتَبَهُ في علومِ القرآنِ، ودراستَهُ، وتحقيقَهُ؛ لنحييَ آثارَ علمائِنا الأعلامِ، ونرفدَ المكتبةَ الإسلاميةَ بعلومِهِم، فضلاً عن خدمةِ كتابِ الله تعالى، وجعلَ ذلكَ بين أيدي الباحثينَ والدارسينَ في علومِ القرآنِ الكريمِ، وإحياءَها من غياهِبِ الخُزاناتِ القديمةِ، حفاظًا عليها من الضياعِ والاندراسِ، كما كانَ حالُ كثيرٍ من تراثِنا الإسلاميِّ العظيمِ الذي تعرَّضَ لعادياتِ الزمانِ تارةً، وصولاتِ الحاقدينَ تارة أخرى، وقد تناولَ الكتاب موضوعاتٍ مهمةٍ أربعةٍ، فشملت (صيانة القرآن من التحريف، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والإعجاز البلاغي للقرآن)، وكانت موضوعات الإعجاز البلاغي أكثر مادة من غيرها، فحاولت التركيز عليها في باب الدراسة بما

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ) ٢/ ٩٥ كتاب (فضل القرآن) الحديث ٢.

يلائم ما سيتم تحقيقه في الباب الثاني، وجاءَتْ هذهِ الموضوعاتُ بعدَ أنْ وَفَّقَنا اللهُ تعالى لدراسةِ آثارِ السيدِ الشهرستاني في القراءاتِ القرآنيةِ دراسةً وتحقيقًا، فإنَّ كُلَّ ما سيتم توثيقَهُ هُنا هو ما استقصيناهُ لمخطوطاتِهِ كُلِّها كلمةً كلمةً؛ لاختيارِ ما لَهُ علاقةٌ بعلومِ القرآنِ، وقد امتازتْ موضوعاتُها بالمادةِ العلميةِ الغزيرةِ علمًا واستدلالاً، فضلاً عن مناقشةِ الآراءِ المتقدمةِ للعلماءِ، وتقديمِ أفكارٍ ورؤىً متعددةٍ لفهمِ النصِّ القرآنيِّ، من خلالِ النصِّ نفسِهِ من جهةٍ، أو من خلالِ علومٍ أخرى يُسْتَعانُ بها لفهمِهِ من جهةٍ أخرى، والوصولِ إلى نتائجَ مهمةٍ تليقُ بالقرآنِ الكريمِ وقدسيتِهِ.

وإنَّ جميع المخطوطات التي اعتمدتها في التحقيق هي من مؤلفات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني المحفوظة في خزانات (مركز إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني) في (مكتبة الجوادين العامة) في الصحن الكاظمي الشريف، والموثقة على وفق الفهارس المُعَدَّة لها.

وقد اقتضَت خطّة الكتاب تقسيمَه على بابَيْنِ، تناولَ الأولُ الدراسَةَ، والثاني التحقيقَ؛ ليتمَّ توثيقَ المادةِ المخطوطَةِ توثيقًا علميًا ومنهجيًا.

• **في باب الدراسة تناولت:**

١. تقديم نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني، والتعريف بعلوم القرآن الكريم ونشأتها، وذلك من خلال صفحات التمهيد؛ لأنني تناولت سيرته بالتفصيل في كتابٍ سابق فاقتضى عدم التكرار.

٢. تقسيم الباب على فصول أربعة على وفق علوم القرآن التي تقدمت، وما جمعته وحققته في الكتاب؛ لما له علاقة وثيقة بها سأتناوله في باب التحقيق، وبيان ما يتعلق بكُلِّ علم إجمالاً من دون تفصيل فيه.

● **وفي باب التحقيق تناولت:**

١. نسخُ المخطوطات التي تضمنت علوم القرآن الأربعة، ومقابلة تلك النصوص مع النسخ الأخرى عند تكرارها، والإشارة إلى الاختلاف في الهامش.

٢. جمعُ الموضوعات المختصة تحت عنواناتها التي وردت في أصل المخطوط، ووضع عنوانٍ للموضوعاتِ التي لم يَرِدْ فيها عنوان.

٣. ضبطُ النص وما أُشكل من كلمات، ووضع علامات الترقيم، وزيادة بعضِ الكلماتِ التي يحتاجها النص ليكون مستقيمًا، وقد وضع ذلك بين قوسين معقوفين [ ] إشارة إلى الزيادة التي أضفناها، ووضع نقاط ثلاث بين هلالين (...) إشارة إلى سقوط كلمة أو أكثر.

٤. اقتباسُ النصوص الخاصة بالدراسة من بعض الموضوعات المخطوطة التي ليست لها علاقة مباشرة بالدراسة، ومقابلة النص مع مصادره الأساسية التي اعتمدها المؤلف، والإشارة إليه في الهامش.

٥. تصحيحُ الكلمة التي وردت خطأ في المتن مع الإشارة إليها في الهامش، وعدم تكرار ذلك في الكلمات التي ورد إملاؤها بشكلٍ مخطوءٍ كثيرًا.

٦. كتابةُ الآيات القرآنية مُشَكَّلة، وبالرسم القرآني، داخل قوسين مزهرين على شكل ﴿ ﴾، وتخريجها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٧. تخريجُ الأحاديث الشريفة من مصادرها، مع توثيق ذلك من الموسوعات الحديثية، وكذلك الأبيات الشعرية، مع الإشارة إلى المصدر في الهامش.

٨. ترجمةُ بعض الأعلام الذين بهم حاجة إلى تعريف، دون الإسهاب في تعريف كُلِّ الأعلام الذين ذكرهم السيد أثناء كلامه.

٩. ضبطُ الكلمات الغريبة وبيان معانيها بالرجوع إلى المصادر المختصة.

١٠. التعليقُ على الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى تعليق، أو توضيح وبيان، ومناقشة بعض ذلك، والاستشهاد بكلام العلماء موافقة، أو معارضة في بعض الموارد؛ لتأكيد الموضوع، وحل مشكله، وزيادة في البيان والاستدلال والتوضيح.

- **أهم المصادر التي اعتمدتها الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة لعلوم مختلفة، بحسب طبيعة البحث من المصادر اللغوية، والتفسيرية، والإعجاز البلاغي للقرآن وغيرها، فمن أهم المصادر اللغوية: كتاب العين للفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) وغيرهما.

أما ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم فمن أهمها: التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، ومجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٧م)؛ لأننا نرى أنَّ السيد الشهرستاني قد تأثَّر بهذه التفاسير في كتاباته ومناقشاته.

وفي علوم القرآن اعتمدت كتبًا من أهمها: البرهان في علوم القرآن للزركشي(ت٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وغيرهما.

وأما ما يتعلق بالعلوم الخاصة بالقرآن فقد اعتمدت مصادر متعددة لها أهمية في أبوابها مثل: الناسخ والمنسوخ للنحاس(ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م)، والناسخ

والمنسوخ لأبي منصور البغدادي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، وأسرار البلاغة للجرجاني (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، والإيضاح في علوم القرآن للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، وغيرها من المصادر العامة التي أغنت الدراسة، كمؤلفات الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، والشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م).

فهذه أهم المصادر التي اعتمدناها في هذا الكتاب فضلاً عن مصادر أخرى، وقد تَمَّ توثيق المصدر كاملاً عند ذكره أول مرة بذكر اللقب للمؤلف، فاسمه، فمعلومات الكتاب على وفق التسلسل الزمني لوفياتهم، والاكتفاء بذكر اللقب واسم الكتاب والجزء والصفحة إنْ ذكر بعد ذلك.

- **أهم المشكلات التي واجهت التَّحقيق:**

هناك مشكلات متعددة قد واجهت التَّحقيق في هذا الكتاب، كان من أهمها:

١. إنَّ المادة المتعلقة بالكتاب لم تُجمع في مخطوط مُعَيَّن؛ ليتم تحقيقه ودراسته، بل كانت متفرقة في طَيَّات صفحات مخطوطات السيد الشهرستاني، وأوراقه، مما توجَّب مراجعة جميع مخطوطاته؛ وتصويرها، لنقتبس منها ما نحتاجه، فنؤلِّف بين ذلك المتفرق في مباحث خاصة، وهذا ما لا تخفى صعوبته، فضلاً عن الوقت الذي يحتاجه.

٢. إنَّ السيد الشهرستاني كان قد فقد بصره في منتصف عمره، مما اضطرَّه إلى الاعتماد على الكَتَبَة له، وهم يختلفون في جودة الخطِّ وصحة الإملاء وعدمه، مما استدعى الخطأ في موارد متعددة، من حيث الحركة الإعرابية، أو الإملاء، أو صعوبة قراءة عدد من الكلمات.

٣. إنَّ السيد الشهرستاني لم يُكْمِلِ الموضوع، أو الباب المُعَيَّن في موارد، فقد يترك الموضوع ناقصًا، أو قد يُحيل إليه في مكان آخرٍ غير محدد مما يستدعي البحث الطويل، والدقيق؛ للوصول إلى تتمة الموضوع، وهذا ما سنراه في الكتاب، ولعله لا يتم الحصول عليه.

٤. إنَّ عددًا من المخطوطات قد تعرَّضت صفحاتها للتلف والتشويه، بسبب طريقة حفظها طيلة هذه المدة من الزمن، والتي قد يصل بعضها إلى مئة عام أو أكثر، بل إنَّ منها عبارة عن أوراق متناثرة في أكياس قد أُعِدَّت للتأليف، فضاعت أغلب تلك الصفحات المتعلقة بتفسيره خصوصًا.

٥. إنَّ أغلب الأحاديث والنصوص التي يذكرها لم توثَّق من مصادرها، وعند البحث عنها قد لا يكون من اليسير معرفتها، فبعضها مجهولة المصدر، كما سنراه في بعض الموارد.

٦. إنَّ أغلب هذه المشكلات -في الواقع- ظهرت واضحة بعد تعرُّض السيد لفقده بصره التي حالت من دون الاعتماد على نفسه دائمًا في البحث والتصنيف؛ لأننا وجدنا أنَّ ما كتبه بنفسه لا توجد فيه مثل تلك المشكلات، فضلاً عن الرصانة في البحث والأسلوب، وجمع مادته في أماكن واضحة، ووضوح الخط، وتناسق العبارات وسبكها، وبلاغتها العالية.

إنَّ طبيعة الدراسة اقتضت أنْ يُقَسَّم الكتاب على مقدّمة، وتمهيد، وبابين، قُسِّمَ كُلُّ بابٍ منهما على فصول أربعة، فخاتمة ثمّ ملحق.

- **المقدمة:** تتناول بيان أهمية الموضوع، وبيان منهجيتنا في الدراسة والتحقيق، وأهم المصادر التي اعتمد عليها، والمشكلات التي واجهته.

- **التمهيد**: تناول تسليط الضوء بإيجاز على سيرة العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، وعلوم القرآن ونشأتها.

الباب الأول/ الدراسة

- **الفصل الأول**: صيانة القرآن من التحريف.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- **المبحث الثاني**: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

- **الفصل الثاني**: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ وشروطه.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين النسخ والبداء.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

- **الفصل الثالث**: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.

- **الفصل الرابع**: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول:** تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- **المبحث الثاني:** موضوعات في البلاغة القرآنية.
- **المبحث الثالث:** رأي السيد الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

الباب الثاني / التحقيق

- **الفصل الأول:** صيانة القرآن من التحريف.

وقسم على مبحثين:

- **المبحث الأول:** معنى التحريف.
- **المبحث الثاني:** أدلة صيانة القرآن من التحريف.

- **الفصل الثاني:** الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ستة:

- **الأول:** تعريف النسخ.
- **الثاني:** شروط النسخ.
- **الثالث:** الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- **الرابع:** أدلة القائلين بالنسخ.
- **الخامس:** أدلة نفي النسخ.
- **السادس:** العلاقة بين النسخ والبداء.

- **الفصل الثالث**: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث ستة:

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه وترجيح السيد الشهرستاني.
- **المبحث الثاني**: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثالث**: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- **المبحث الرابع**: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- **المبحث الخامس**: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- **المبحث السادس**: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

- **الفصل الرابع**: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وقسم على مباحث أربعة:

- **المبحث الأول**: تحدي القرآن الكريم وإعجازه.
- **المبحث الثاني**: علم المعاني.
- **المبحث الثالث**: علم البيان.
- **المبحث الرابع**: علم البديع.

- **الخاتمة**: وقد تضمنت نتائج البحث.
- **الملحق**: وصف لنماذج مختارة من المخطوطات التي اعتُمِدَتْ في الكتاب.

يرى الدكتور الكاظمي أنه من خلال التقسيم المتقدم للكتاب في بابَيْه وفصوله، يعطي صورة إجمالية لبعض موضوعات علوم القرآن من جهة، وما تضمنته

مخطوطات السيد الشهرستاني من جهة أخرى، وبذلك نكون قد شاركنا الباحثين الآخرين في الدراسات القرآنية في هذه المحاولة بخدمة كتاب الله تعالى، وبيان علومه، وآثار علمائنا وجهودهم العلمية فيه.

ختامًا أسألُهُ تعالى أنْ يتقبلَ عملي بأحسنِ قبولهِ، وأنْ يعفوَ عَنْ كُلِّ زللٍ صدرَ مِنِّي، بعفوهِ وكرمهِ وجودهِ، إنَّهُ عفوٌّ كريمٌ، وصلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ الطيبينَ الطاهرين.

تمهيد

نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني وعلوم القرآن ونشأتها

إنَّ للمسلمين أثرًا كبيرًا في الاعتناء بالقرآن الكريم منذ الساعات الأولى لنزوله، من حيث تلاوته، ومعرفة مراده، وتفسيره، فضلاً عن أحكام الشريعة المقدسة التي تضمَّنها، وقد أَلَّف العلماء في جميع معارف القرآن الكريم مؤلفات متعددة؛ لعظمة هذه المعجزة الخالدة في الشريعة الإسلامية، ونسلط الضوء بإيجاز أولاً عن سيرة عَلَمٍ من أعلام المسلمين؛ للإحاطة بشخصيته العلمية، وبيان أثرها وآثارها في علوم القرآن الكريم، ثم نبين ما يتعلق بمصطلح (علوم القرآن) تعريفًا، ونشأة، وما يتعلق بهما؛ لنكون -إنْ شاء الله تعالى- على بينة مما تضمَّنه هذا الكتاب المبارك.

أولاً: نبذة موجزة عن سيرة السيد الشهرستاني

نسلط الضوء في هذا التمهيد على سيرة العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني(قدس سره)؛ لنكون على بَيِّنة من مكانته، ومنزلته، وأهمية اختيار دراسة جهوده في علوم القرآن الكريم، وسوف نبيِّنُ ذلك بإيجاز.(١)

١- اسمه ولقبه:

محمد علي ابن الحسين العابد، ابن السيد محسن الصرَّاف، ابن السيد مرتضى الفقيه، ابن السيد محمد العالم، ابن السيد علي الكبير ...(٢)

---

(١) للتفصيل ينظر: العلوي، محمد مهدي: نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، تص: حسين هاشم، (مط الآداب، بغداد، ١٩٢٩م، د.ط)، الطهراني، محمد محسن آقا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: علي نقي منزوي، (مط الآداب، النجف، ١٩٦٨م، د.ط) ج١ ق٤ ص١٤١٣، المرعشي، محمود: المسلسلات في إجازات السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، (مط حافظ، قم، ١٤١٦هـ، د.ط) ٢/ ٣٢٩، البهادلي، محمد باقر: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، (مط شركة الحسام، بغداد، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، الحسني، عبد الستار: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٩هـ)، العاتي، إبراهيم: آفاق التجديد الإسلامي أعلام وتيارات، (دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م): ١١١، عماد موسى محمود: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق–، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن/ فرع العراق، ٢٠١٢م)، وغيرها من المؤلفات.

(٢) ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، للتفصيل في سلسلة نسبه ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الحائريات(الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٦٣، البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٢٥

ويلقب بـ هبة الـدين، ولُقِّب بـذلك إثـر رؤيـة كريمـة رآهـا السـيد عـلي الشهرسـتاني المرعشي في منامه للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ يقول لـه: إنَّ السـيد حسـين قـد رُزِق بولدٍ، فَقُلْ له فليسمه هبة الدين ، فإنه اسم لم يتسمَّ به أحـد مـن قبـل، وقـد جـاء لأبيـه ليبلغه فقال: جئت لأبلغك بالرؤيا. فقال أبوه متعجبًـا: يـا سـبحان الله! قبـل نصـف سـاعة رُزِقت بولد وأسميته محمد علي . فقال له: أردفه بـ هبـة الـدين كـما أسـماه الإمـام ﷺ فاشـتهر بهذا الاسم–هبـة الدين– فيما بعد.[1]

٢- أسرته:

والده السيد حسين العابد (ت١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) من علماء كربلاء، ذو علم وخلـق ودين، يصفه السيد الشهرستاني فيقول: ((كان والدي رحمه الله بَرًّا، تقيًّـا، ثقـةً، صـدوقًا، عدلاً، نقيًّا، ورعًا، لطيفَ العِشْـرَةِ، حَسَنَ الصُحْبَةِ، وَفِيًّا، كامِلاً، أديبًا، عارِفًا)).[2]

أمه السـيدة مـريم (ت١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) كانـت مـن أَجَـلِّ نسـاء عصـرها، ومـن الصـالحات الفاضــلات، ومـن أكملهِـنَّ علمًــا وأدبًـا، يصـفها السـيد بقولـه: ((المـرأةُ العفيفةُ، النجيبةُ، الصالحةُ، التي لم أرَ مثلَها في النساءِ زهدًا، وعبادةً، وفراسةً، وكيـاسةً، وخُلُقًا، ومنطقًا، وكُنْتُ أرى من زُهْدِها وتُقُاها وفَراسَتِها غرائِبَ وعجائِبَ)).[3]

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامـة) ٤/ ١٢٤، وقد ذكـر ذلـك السـيد عبـد السـتار الحسـني بـاختلاف بسيط مـن دون ذكـر الإمـام زيـن العابدين ﷺ اعتمادًا على مقدمة كتاب(إسلام وهيئت) ينظر: الحسـني: السـيد هبـة الـدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٢٣.

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط صدف اللآلىء في نسب آل أبي المعـالي(الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤١.

(٣) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط صدف اللآلىء: ٤٥

اشتهر السيد بالشهرستاني لمصاهرة والده الأسرة الشهرستانية، بزواجه من العلوية فاطمة ابنت السيد كاظم الشهرستاني، ثم تزوج بعد وفاتها بالسيدة مريم ابنة الشيخ صالح ابن الشيخ مهدي الحائري، وأمها من الأسرة الشهرستانية أيضًا.[١]

والشهرستانية أسرة جليلة، وبيت من أشهر بيوت كربلاء في الرياسة والعلم، ومن الأسر العراقية التي أنجبت في عصور مختلفة رجالاً علماء وأجلاء، ولها فروع في كُلٍّ من كربلاء والنجف والكاظمية، ومهنة هذه الأسرة على سبيل العموم هي تدريس العلوم الدينية.[٢]

٣- ولادته:

ولد السيد هبة الدين في سامراء ظهر الثلاثاء (٢٤ رجب ١٣٠١هـ/ ٢٠ أيار ١٨٨٤م)[٣]، وكان والده قد هاجر إليها من كربلاء؛ للإفادة من دروس السيد محمد حسن الشيرازي عندما كان يتصدى للمرجعية الدينية في سامراء،وقد رافقت ولادته أحداث تدل على منزلته وفضله وكرامته، منها اختيار اسم له من قِبَلِ الإمام زين العابدين عليه السلام كما تقدم، وغيرها من الوقائع، وقد كتبها في مذكراته الشخصية.[٤]

٤- دراساته وإجازاته العلمية:

ابتدأت دراسته على يدي والده أول أمره، ثم تلمَّذ على أساتذة آخرين في سامراء

---

(١) البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٢٨

(٢) ينظر: الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين بيوتات الكاظمية للدكتور حسين علي محفوظ، (دار التعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٧م) ٣/ ١٠١

(٣) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات ٤/ ٣١

(٤) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٠٤

وكربلاء والنجف[١]، حتى عُـدَّ عَلَـمًا مـن الأعـلام، وقـد أُجيـز مـن أسـاتذته إجـازات متعددة بعضها اجتهادية، وأخرى روائية للحديث الشريف من كبار علماء عصره، فضلاً عن إجازات الرواية التي منحها لعدد من العلماء والفضلاء في البلاد الإسلامية، وبعض هذه الإجازات قد وُثِّقَتْ بخط يده.[٢]

٥- صفاته ومنزلته:

إنَّ كُلَّ مَنْ تحدث عن السيد قد ذكر تلك الصفات العظيمة، والمنزلة الكبرى التي يتمتع بها، فضلاً عن نشاطاته الجمة التي قام بها، قال الشيخ آقا بزرك الطهراني زميله في حلقة الدراسة والبحث واصفًا إياه: ((وقد تميَّزَ منذ شبابهِ بيقظةٍ ووعيٍ، وطموحٍ وهِمَّةٍ، ونزعةٍ إصلاحيةٍ، وقد كانَ مخلصًا لدينهِ وقومهِ في كُلِّ ما قالَ وفعلَ، نقيَّ السريرةِ، يقدِّسُ الإيمانَ الصادقَ، والعقلَ النيِّرَ، ويذودُ عنهما بلسانهِ وقلمهِ، فقد عرفتُهُ يومذاكَ وزاملتُهُ في حلقاتِ دروسِ مشايخِنا رحمهم الله، فرأيتُ الإخلاصَ، والغيرةَ على الدينِ والإسلامِ، والعلمِ وأهلِهِ، دافعهُ الأولُ والأخيرُ))[٣]، وقال السيد المرعشي: ((وبالجملةِ هذا الشريفُ الجليلُ من أعيانِ العصرِ، ومفاخرِ الزمانِ في جامعيَّتِهِ للعلومِ المتنوعةِ، مع جودةِ التحريرِ، وسلامةِ التقريرِ، سيدُ فلاسفةِ الإسلامِ،

---

(١) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مهمات ٤/ ١٠، البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ٤٥، الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٦٤

(٢) ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: صدف اللآلىء: ٤٩، الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الإجازة السادسة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة)، الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٧٧

(٣) الذريعة ج١ ق٤ ص١٤١٤

وأميرُ المتكلمينَ، فخرُ الشيعةِ، وناصرُ الشريعةِ)).[١]

٦- جهاده ومشاريعه:

للسيد الشهرستاني مواقف كبيرة في الجهاد ضد مستعمري البلاد الإسلامية، ومنهم الإنكليز عند احتلالهم العراق، وفي ثورة العشرين، وغيرها من المواقف الكثيرة[٢].

ومشاريعه الكبيرة في وزارة المعارف، ومجلس التمييز الجعفري، وتأسيس الجمعيات والمجلات فهي كبيرة وعظيمة[٣]، فقد كان مشروعًا إصلاحيًّا متكاملاً في كُلِّ جوانبه، وداعيًا إليه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلم يتأثر ذلك النشاط بما أصابه من فقده لبصره، وهي داهية عظمى كما يصفها.[٤]

٧- مؤلفاته:

للسيد مؤلفات كثيرة تربو على ثلاثمئة وخمسين مؤلَّفًا، طُبِعَ بعضها في حياته، وكثير منها مخطوط، وقد أصدرت مؤسسته (مكتبة الجوادين العامة) كراسًا لمؤلفاته المخطوطة[٥]، وسوف أذكر في الملحق مؤلفاته المخطوطة

---

(١) المرعشي: المسلسلات في إجازات ٢/ ٣٣١

(٢) ينظر: العلوي: نابغة العراق: ١٢، الشهرستاني، هبة الدين: معركة الشعيبة أسرار الخيبة من فتح الشعيبة ١٩١٤-١٩١٥، تح: الأستاذ الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور إسماعيل الجابري، (الناشر: مؤسسة السيد الشهرستاني للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط): ١٩-٢٥

(٣) ينظر: البهادلي: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية: ١٨٥، الرهيمي، علاء حسين: مجلة العلم النجفية، (مط الاعتماد، قم، ط١، ٢٠٠٧م): ١٣

(٤) للتفصيل في نشاطه على مستويات متعددة على الرغم من فقده بصره ينظر: الحسني: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي: ٥١

(٥) الكاظمي، عماد: فهرس مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، (مكتبة ←

التي اعتمدتها في هذه الدراسة مع بيانات التوثيق.

٨- الدراسات الجامعية في السيد الشهرستاني:

لقد كُتِبَ عن السيد الشهرستاني في مؤلفات خاصة بسيرته وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها، وأما الرسائل الجامعية التي كُتِبَت عن جهوده العلمية فهي رسائل ماجستير أربع، في علوم مختلفة:

أ- السيد هبة الدين الشهرستاني -آثاره الفكرية ومواقفه السياسية-، محمد باقر أحمد البهادلي، معهد التأريخ العربي، بغداد، ٢٠٠٠م.

ب- هبة الدين الشهرستاني، منهجه في الإصلاح والتجديد وكتابة التأريخ -دراسة تحليلية-، إسماعيل طه الجابري، جامعة الكوفة، ٢٠٠٢م.

ت- السيد هبة الدين ودوره في الصحافة، وسام غالي، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.

ث- السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن -القراءات القرآنية دراسة وتحقيق-، عماد موسى محمود، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن فرع العراق، ٢٠١٢م.[١]

٩- عنايته بدراسة القرآن الكريم:

كانت للسيد عناية فائقة بالقرآن الكريم وعلومه، تأليفًا وتدريسًا، ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته وكلماته التي نراها ظاهرة في سيرته العلمية، ونذكر بعضًا منها في هذه الصفحات كمثال لعنايته بالمباحث القرآنية.

←

الجوادين العامة، الكاظمية، ط١، ٢٠١٠م).

(١) وما تزال جهوده الفكرية الأخرى تحتاج إلى دراسات علمية كالفقهية والعقائدية والأصولية والاجتماعية وغيرها.

فمن كلماته البليغة في أهمية دراسة القرآن الكريم، وإظهار علومه أنه قال: ((فإنِّي درستُ كتابَ الله زهاءَ أربعينَ سنةٍ، دَرْسَ تَفَقُّهٍ وتَبَصُّرٍ، ودرستُ علومَ آياتِهِ، وأسرارَ تبيانِهِ عن عقلٍ وتدبُّرٍ، بفكرٍ حُرٍّ، ومحاكمةٍ نزيهةٍ، ومنطقٍ بعيدٍ عن الجدالِ والخيالِ، وتَحَرٍّ واسعٍ في ضوءِ العلمِ المُعَزَّزِ بالدليلِ، فأسفرتْ جهودي عن نتائج منها: إنَّ القرآنَ قوةٌ قاهرةٌ لا مثيلَ لها في دفعِ الضلالِ، وإزاحةِ الجاهليةِ، حَرِيَّةٌ لأنْ تُستخدمَ في سبيلِ إصلاحِ الأممِ، وتمهيدِ السلامِ في العالَمِ)).[١]

إنَّ هذه الكلمات تؤكِّدُ حرصه على كتاب الله تعالى، ووجوب دراسته دراسة علمية، وإظهار علومه؛ لأنه المعجزة الإلهية الخالدة، وقد تجلَّت هذه الكلمات في كتاباته عما يتعلق بكتاب الله تعالى.

وقال في بيان أهمية القرآن وعلومه، وأهم العلوم التي يجب بيانها من خلال تفسير القرآن الكريم: ((ينبغي أنْ أكتبَ كتاباً في التفسيرِ بهذا الاسم تفسير حجة الإسلام لكلام الملك العلام ؛ لأنَّ القرآنَ هو أكبرُ براهينِ الدينِ، وأقوى حُجَجِ المسلمينَ، يُرَتَّبُ القرآنُ أولاً على أقسام، وفصول، وكتب، وأجزاء، مثلاً يُقَسَّمُ القرآنُ، أولاً على جزء مفردات لغات القرآن فيفرده، ثم تقسيم القرآن على جزء في تراكيب لغات القرآن فيفرده، ككتاب في علم المعاني والبيان، ثم تقسيم القرآن على جزء في قراءات القرآن، وتجويد حروفها، وقراءة آياتها عند القُرَّاء السبعة، وغير السبعة، وقراءات أهل البيت، ويفرده ككتاب في علم القراءات والتجويد...)).[٢]

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط جمهرة العلوم القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣

ومما ذكره في أهمية التدبُّر في بلاغته لفهم القرآن قوله: ((والبلاغةُ من أهمِّ نواحي القرآنِ الكريمِ، بالنظرِ إلى الصلةِ القويَّةِ بينَ البلاغةِ وبينَ التدبُّرِ في فهمِ مرامي القرآن، وقد أُمِرنا بالتدبُّرِ فيهِ، وفي مراميهِ، أمرًا بالغًا حَدَّهُ وأشُدَّهُ)).[١]

وله فيما يتعلق ببحور الشعر وموافقتها لبعض الآيات القرآنية فقال: ((توجدُ آياتٌ قرآنيةٌ تتزنُ على بحورِ الشعرِ المشهورةِ عندَ العربِ، بينما آي الذكرِ الحكيمِ لا ولن توصفَ بالشعرِ من قبلُ، ومن بعدُ))[٢]، ثم ذكر بحور الشعر ومثال عليه من الآيات القرآنية.

وقال في حكمة عدم نزول القرآن بصيغة الشعر عندما سُئِلَ عن ذلك: ((إنَّ في ذلكَ لَحِكَمًا لا تُحصى، وفوائد لا تُستقصى، والذي أنزلَهُ أعلمُ بحكمِهِ، فمنها أَنَّهُ لو كانَ شعرًا لم يكن معجزًا في أُسلوبِهِ وسبكِهِ، والآن هو معجزٌ من جميعِ جهاتِهِ، حتى من جهةِ سبكهِ، وأُسلوبِهِ، وترتيبِهِ، وتركيبِهِ...)).[٣]

ومن توجيهاته في بيان أسلوب الخطاب بين الله تعالى وأنبيائه كما في خطابه لـ موسى بن عمران عليه السلام: ((اعلم أنَّ الشخصَ الجليلَ المهذَّبَ إذا حضرَ عندَهُ حقيرٌ، لا بُدَّ أنْ تأخذَهُ هيبةُ الجليلِ، بحيث لم يتمكَّنْ من الكلامِ معهُ، لا بُدَّ وأنْ يعطفَ عليهِ، ويبتدأهُ بالسؤالِ، حتى يرفعَ الخجلَ والوجلَ... وهذا هو السرُّ في سؤالِ ربِّ العزةِ نبيَّهُ موسى عمَّا[٤] في يدهِ، مع أَنَّهُ أعلمُ بما في ضميرِهِ، فضلاً عمَّا في يدهِ، حيث قال: ﴿**وَمَا تِلْكَ**

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط السبع المثاني، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٩٨

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط القرآن إمام الكل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٧٥

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخزن الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٨

(٤) في الأصل عن ما.

بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[١] إذ كانَ ذلكَ أولَ حضورِ موسى، أولَ زمنِ نبوتِهِ حضرةَ ربِّهِ، وأولَ مكالمتِهِ مع ملكِ الملوكِ، فمقتضى العادةِ والعقلِ أنْ تأخذَ هيبةُ ربِّهِ مجامعَ قلبِهِ، خصوصًا مع ما شاهدَ من التجلياتِ والإشراقاتِ)).[٢]

وأما كلماته فيما يتعلق بعلوم القرآن فسوف يظهر ذلك من خلال الدراسة، مما يدل على عمق التفكير، والمناقشة، والاستدلال فضلاً عن الشجاعة العلمية في طرح الرأي والتفسير.

إنَّ للسيد الشهرستاني منهجًا واضحًا في جميع مؤلفاته الخاصة بعلوم القرآن وغيره، وهو المنهج القائم على التحليل ومناقشة الآخرين، والحجة والاستدلال في إثبات ما يراه موافقًا، أو منافيًا، فلا ترى في كتاباته المتابعة المحضة للأقوال التي سبقته في موضوع معيَّنٍ، بل يجتهد في الوصول إلى الحقيقة التي يؤمن بها، وهذا ما سنراه جليًّا في صفحات هذا الكتاب.

١٠- وفاته:

توفي فجر الاثنين (٢٦ شوال ١٣٨٦هـ/ ٦ شباط ١٩٦٧م) عن عمر بلغ خمسة وثمانين عامًا، ودفن في الروضة الكاظمية المقدسة وسط مؤسسته الثقافية (مكتبة الجوادين العامة).

---

(١) سورة طه: الآية ١٧

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط نتائج الحلوم، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٣٠

ثانيًا: علوم القرآن ونشأتها

إنَّ من منهجية البحث أنْ نُبيِّنَ ما يتعلق بعلوم القرآن بإيجاز في موضوعين مهمين؛ لنكون على إحاطة بموضوعات هذا الكتاب، وأول هذين الموضوعين: تعريف مصطلح علوم القرآن، وآخرهما: نشأة هذا العلم.

إنَّ علوم القرآن هي: ((العلومُ المتعلقَةُ بالمباحثِ القرآنيةِ من ناحيةِ مبدأِ نزولِهِ، ومكانِهِ، ومُدَّتِهِ، ومن ناحيةِ إعجازِهِ، وناسخِهِ ومنسوخِهِ، ومُحكمِهِ ومُتشابهِهِ، ومن ناحيةِ ترتيبِ سورِ آياتِهِ، وترتيلِهِ، إلى غيرِ ذلكَ من النواحي))[١]، فهذه العلوم كلها تتضمن ما يتعلق بمعرفة كتاب الله تعالى من خلالها، وأغلب الذين عَرَّفوا علوم القرآن قد أكَّدوا على هذه النواحي فيه[٢]، قال الزرقاني (ت١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) بعد تعريفه للعلم، والقرآن[٣]: ((الآنَ وقد انتهينا من الكلامِ على المتضايفينِ في لفظِ علوم القرآن ننتقلُ بِكَ إلى أنَّ الإضافَةَ بينهما تشيرُ إلى طوائِفِ المعارِفِ المتصلةِ بالقرآنِ، وإنَّما جُمِعَتْ هذهِ العلومُ ولم تُفْرَدْ لأنَّهُ لم يُقْصَدْ إلى علمٍ واحدٍ يتصلُ بالقرآنِ))[٤]، إذًا فكُلُّ

---

(١) محمد أبو سليمان، صابر حسن: مورد الضمآن في علوم القرآن، (الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م): ٧

(٢) للتفصيل فيما يتعلق بتعاريف العلماء ينظر: العطار، داود: موجز علوم القرآن، (مط الزهراء، بغداد، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م): ٨، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن، (مط ستاره، الناشر: مؤسسة التمهيد، قم، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م) ١/ ١٥، الحكيم، محمد باقر: علوم القرآن، (دار التعارف، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م): ٢٢ وغيرها

(٣) لم أذكر ما يتعلق بتعريف العلم لغةً واصطلاحًا، وكذلك القرآن، وما يتعلق بأسمائه؛ لإنه من المسائل الواضحة، ولا تحتاج إلى بيان في الدراسات التخصصية للباحثين.

(٤) محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، (دار ←

علمٍ له علاقة ببيان القرآن الكريم يمكن أنْ يشتمل عليه مصطلح علوم القرآن .

وهناك مَنْ يرى اشتراك تعريف علوم القرآن مع أصول التفسير، فقال في تعريفه بأنه: ((العلمُ الذي يتناولُ الأبحاثَ المتعلقةَ بالقرآنِ، من حيثُ معرفةُ أسبابِ النزولِ، وجمعِ القرآنِ وترتيبِهِ، ومعرفةِ المكيِّ والمدنيِّ، والناسخِ والمنسوخِ، والمحكمِ والمتشابهِ، إلى غيرِ ذلكَ مما له صلةٌ بالقرآنِ، وقد يُسَمَّى هذا العلمُ بأصولِ التفسيرِ))[١]، وفي هذا التعريف نرى التوسُّعَ في العلوم المتعددة لكُلِّ ما له صلة بالقرآن الكريم، أما من ناحية إطلاقه على أصول التفسير؛ لأنَّ المفسِّرِ لا بد له من معرفة تلك العلوم.

وهناك من فصَّل القول في علوم القرآن بما يشمل التوسع، مع توجيه مهم نرى فيه دِقَّةً وعُمْقًا، فقال: ((تشملُ علومُ القرآنِ بمعناها الواسعِ -لا المعنى الاصطلاحي- كُلَّ علمٍ بالقرآنِ، بأيِّ نحوٍ كانَ))[٢]، وهذا واضح من كَوْنِ التوسع يظهر في اشتماله على علوم متعددة غير التي تقدمت، لها أثر في فهم النصوص القرآنية من جوانب متعددة، ثم يقسم هذا التوسع في العلوم على تقسيمات ثلاثة فيقول: ((ويمكنُ تقسيمُ هذهِ العلومِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: ١- علوم للقرآن. ٢- علوم في القرآن. ٣- علوم حول القرآن)).[٣]

إنَّ هذا التقسيم الثلاثي مهم جدًّا وفيه التفاتة مهمة في تمييز العلوم المتعددة في

←

الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ١/ ٢٣

(١) القطَّان، منَّاع: مباحث في علوم القرآن، (الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م): ١١

(٢) الدرابي، علي الموسوي: نصوص في علوم القرآن، (مؤسسة الطباعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٢هـ) ١/ ٩

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها.

القرآن الكريم؛ ليتميَّز الخاص منها عن العام، ثم بيَّن بعد ذلك العلوم التي هي من النوع الأول كالنحو، والأدب، والبلاغة وغيرها، ومن النوع الثاني كالفقه، والأخلاق، والتفسير وغيرها، ومن النوع الثالث كعلم الطب وغيره.[1]

من خلال ما تقدم في بيان التعريف قد أصبحت الحاجة إلى معرفة هذا العلم جلية ومهمة جدًّا، فهو يساعد على فهم القرآن إجمالاً، واستنباط الأحكام الشرعية منه، كونه مصدر التشريع الإسلامي الأول، ومعرفة العقيدة الإسلامية ودحض مفتريات أعداء الإسلام، والدفاع عن القرآن الكريم أمام أعدائه، فضلاً عن الثقافة العامة، والأدب.

فهذا مجمل ما أردت بيانه حول تعريف مصطلح علوم القرآن وأهميته في هذه السطور.

أما من حيث نشأته فلا يخفى أنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعصر نزول القرآن على النبيﷺ، فكان المسلمون يتعلمون تلاوته وتفسيره من النبيﷺ، ومعرفة أحكام الشريعة المقدسة، وكُلَّ ما له علاقة بذلك، وهذه من مهمات النبي في بعثته، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[2]، فكان المسلمون يَتَلَقَّوْنَ علومَ القرآن كلها من النبيﷺ مباشرة، وعن الأئمةعليهم السلام وكذلك عن طريق الصحابة الذين تميَّزوا في معارف القرآن الكريم، والذي كان يجمعها موضوع التفسير، ثم توالت التأليفات منذ عصرهم إلى هذا اليوم، فأغنت المكتبة الإسلامية بالعلوم والمعارف القرآنية، وقد ذكر العلماء أكثر تلك المؤلفات، فذكر ابن النديم(ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) قائمة بما أُلِّف في الموضوعات المختلفة

---

(١) الدرابي: نصوص في علوم القرآن ١/ ١٠-١٥

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢

مثل: تفسير القرآن، ومعاني القرآن ومشكله، وغريب القرآن، ولغات القرآن، وقراءاته، ومتشابهه، وفضائله وغيرها إلى حين عصره[١]، وأما فيما يتعلق بالمؤلفات الأخرى إلى يومنا فهي كثيرة[٢]، وممن أحصى تلك المؤلفات بإنصاف وموضوعية العلامة الشيخ محمد هادي معرفة (ت١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، فقد ذكر مؤلفات علماء وأعلام العامة والإمامية منذ القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجريين.[٣]

ولا يخفى أثر تلك العلوم القرآنية وكثرة التأليف فيها في العلوم الأخرى وتطورها؛ لذلك كانت البيئة التي نشأت فيها هذه العلوم وانتشرت مصدر كثير من العلوم الأخرى.[٤]

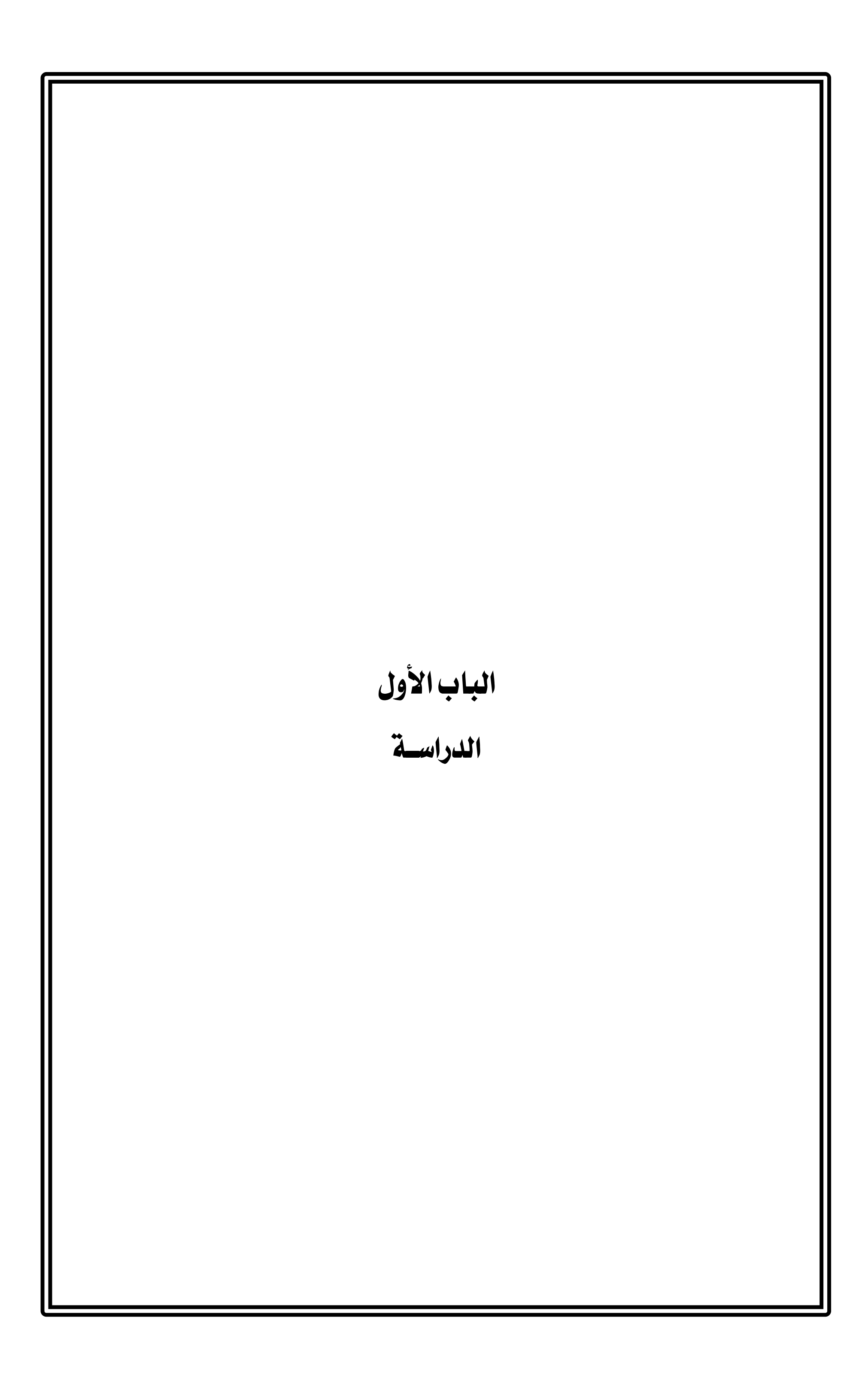
---

(١) محمد بن إسحاق: الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ١٩٧٨م، د.ط): ٥١-٥٨

(٢) للتفصيل في الاطلاع على أسماء تلك المؤلفات في علوم القرآن ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٣٣-٣٦، القطان: مباحث في علوم القرآن: ٨-١١، الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م): ١١٩-١٢٦، العطار: الموجز في علوم القرآن: ١٩-٢٤، الحمد، غانم قدوري: محاضرات في علوم القرآن، (دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م): ٨-١١

(٣) التمهيد في علوم القرآن ١/ ١٦-٣٨ (تأريخ علوم القرآن)، وقد ذكر أوَّلهم يحيى بن يعمر (ت٨٩هـ)، وآخرهم المؤلف محمد هادي معرفة (ت١٤٢٧هـ).

(٤) للتفصيل ينظر مثلاً ما ذكره الدكتور عدنان محمد زرزور في علاقة القرآن الكريم بعلوم العربية والثقافة الإسلامية المتنوعة: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م): ١٣-٤٢



الباب الأول

الدراســة

الفصل الأول

صيانة القرآن من التحريف

- **المبحث الأول**: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- **المبحث الثاني**: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

الفصل الأوّل:

صيانة القرآن الكريم من التحريف

إنَّ موضوع صيانة القرآن الكريم من التحريف من الموضوعات المهمة التي تُبحث في الدراسات القرآنية، وقد اعتنى الباحثون به اعتناءً كبيرًا؛ لأنهُ يتعلق بكلام الله تعالى، وتنزيهه عن كُلِّ ما لا يليق به من زيادةٍ، أو نقصانٍ، أو تغييرٍ أو غير ذلك، مما يؤثِّرُ على قدسيته، بوصفهِ وحيًا إلهيًّا لا يمكن لأحدٍ أنْ ينال منه، والقرآن الكريم كان وما يزال نصًّا إلهيًّا تتعاهده الأجيال منذ خمسة عشر قرنًا، تلاوةً، وحفظًا، وتفسيرًا، ودراسةً، تنهل من معينه الذي لا ينضب في علاج ما تعانيه الإنسانية من مشكلات اجتماعية، وتربوية، وتشريعية وغيرها، حتى عُدَّ مصدرًا أساسيًّا لعلوم متعددة، وموضوع صيانته من التحريف من المسائل البديهية التي يجب الاعتقاد بها، إذ تكفَّل الله به، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فحفظهُ عز وجل كما أخبر من كُلِّ محاولات التلاعب فيه، كالتي تعرَّضت له الكتب السماوية السابقة، فالقرآن الموجود اليوم هو نفسه الذي أنزل على رسول الله ﷺ بنصه الكامل، من دون أي تغييرٍ في كلماته، أو حروفه، وما نُسِبَ إليه من تحريف هو مجرَّدُ ادِّعاءاتٍ، وروايات مكذوبة، أو تأويلات مذهبية معينة، وإنَّ الذين ينسبون التحريف إلى القرآن إما أنهم يبتغون التعصَّب لرؤية معينة وإنْ كانت على أساس الإساءة لكتاب الله تعالى، وهذا ما نراه عند بعض المسلمين[2]، وإما أنهم يبتغون إلصاق التهم الباطلة للنيل من قدسية

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) وسوف يتم بيان ما يتعلق بتلك الأقوال ضمن صفحات هذا الكتاب وبطلانها.

الإسلام، وهذا ما قام به بعض المستشرقين في دراساتهم عن القرآن الكريم[١]، وكُلُّ ما كُتِبَ في ذلك فإنَّ فيه من التهافت، والضعف، والخلل بما لا يُثبت التحريف، فتكمن أهمية هذا المبحث في أنها تصبُّ ضمن دراسة تنزيه مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة، وإثبات أنَّ نسبة ذلك للقرآن إنما هي نسبة كاذبة ظالمة، وقد حاولنا في هذا الفصل من صفحات دراسته أنْ يسلط الضوء على أهمية البحث في صيانة كتاب الله تعالى من كُلِّ ما تقدَّم، وتم تقسيم الفصل على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه.
- **المبحث الثاني**: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف.

---

(١) ينظر مثلاً: الصغير، محمد حسين: المستشرقون والدراسات القرآنية، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م): ١٤-١٥

المبحث الأول: تعريف التحريف والأقوال الواردة فيه

نحاول في هذا المبحث التعرف على المراد من التحريف، وأقوال العلماء والمفسرين في بيان ذلك؛ لنكون على بينة عند دراسة الآيات والروايات التي ورد فيها مصطلح التحريف.

قال الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): ((تحريفُ الكلامِ أنْ تجعلهُ على حرفٍ من الاحتمالِ، يمكنُ حملهُ على الوجهينِ، قال عز وجل: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(١)])).[(٢)]

قال الطريحي(ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م): ((حرفُ كُلِّ شيءٍ طرفُهُ، وشفيرُهُ، وحدُّهُ، وتحريفُ الكلامِ تغييرُهُ عن مواضعِهِ، ومنه التجاوزُ على كلامِ الله تعالى ورسولِهِ فيحرفونَهُ عن المعنى المرادِ له)).[(٣)]

نرى من خلال ما تقدم اتِّضاح أمرين مهمين ينبغي بيانهما:

١- إنَّه مما لا خلاف في وضوح معناه عند العرب، فهو -إجمالاً- تبديل المعنى إلى غير مراد المتكلم، من دون تغييرِ اللفظ، وقد استشهد أغلب اللغويين بقوله تعالى في بيان صفة اليهود وتعاملهم مع كتابهم التوراة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وهذا يدل

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٥

(٢) الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م): ١١٩(حرف).

(٣) فخر الدين بن محمد علي: مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني(الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ) ١/ ٤٩٠(حرف).

على الانطباق، أو التقارب التام بين اللغة والاصطلاح، فقد قال الفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م) عند بيانه لمعنى الحرف: ((والتحريفُ في القرآنِ تغييرُ الكلمةِ عن معناها، وهي قريبةُ الشَّبه، كما كانت اليهودُ تُغَيِّرُ معاني التَّوْراةِ بالأشباهِ، فوصَفَهَمُ اللهُ بفعلِهم، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1])).[2]

٢- إنَّ الزيادة والنقصان في كلمات، وحروف، وحركات القرآن الكريم لا علاقة له بالتحريف، بعد بيان تعريفه المتقدم، وإنما ذكره العلماء من جهة التأكيد على صيانة القرآن من كُلِّ ذلك، لا من جهة أنَّ التحريف يطلق على الزيادة والنقصان[3]؛ لأنَّهما متعلقان باللفظ، وليس بالمعنى، وإنْ كانت للزيادة والنقيصة أثر واضح في تبديل المعنى وتغييره، فلو أطلقنا التحريف بأنه متعلق باللفظ من حيث الزيادة والنقيصة لاشتمل ذلك القراءات القرآنية المختلفة، وعُدَّت تحريفًا لكتاب الله تعالى، وهذا غير صحيح مطلقًا، وسوف نبينه في صفحات هذا الفصل.

ولكن بعد تتبع ما ورد من أقوال العلماء في بيان حقيقة التحريف واستقرائه، نرى أنهم على مذاهب ثلاثة:

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣

(٢) الخليل بن أحمد: العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيِّب(مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ) مادة(حرف).

(٣) وقد قال الشيخ محمد هادي معرفة: ((أما التحريف بمعنى الزيادة، أو النقصان، أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها -الذي هو معنى أصطلاحي- فلم يعهد أستعماله في القرآن حسبما عرفت)). التمهيد في علوم القرآن ٨/ ٢٤، ولكننا لا نعلم كيف تم إطلاق التحريف بالمعنى الاصطلاحي على الزيادة والنقصان، وقد رأينا كلمات الأعلام تتناول إما المعنى، أو اللفظ، أو كلاهما على أختلاف بينهم.

❋ **الأول**: إطلاقه على تحريف المعنى وتغييره، من دون تغيير اللفظ وقد تقدم.

❋ **الثاني**: إطلاقه على تحريف اللفظ دون المعنى، وهذا ما ذهب إليه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) إذ قال: ((فالتحريف هو تغييرُ اللفظِ دونَ المعنى)).[١]

❋ **الثالث**: إطلاقه على تحريف اللفظ والمعنى[٢]، وهذا ما ذكره عدد من المفسرين في تفاسيرهم، قال الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م): ((فالتحريفُ يكونُ بأمرين: بسوءِ التأويلِ، وبالتغييرِ والتبديلِ، كما قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾[٣]))[٤]، فسوء التأويل إشارة إلى تحريف المعنى عن مراد الله تعالى، والتغيير والتبديل إشارة إلى تحريف اللفظ وتبديله عما أُنزل.

وأما أهم الأقوال الواردة في التحريف فيمكن جمعها في ستة، كما فصل فيها السيد الخوئي(ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) في كتابه البيان في تفسير القرآن ، إذ يقول: ((يطلقُ لفظُ

---

(١) علي بن محمد: التعريفات، (الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ): ٢٤

(٢) لأجل هذا الإطلاق على اللفظ والمعنى نرى أنَّ الباحثين المتأخرين عند بيانهم لمعنى التحريف يقسمونه على قسمين: التحريف اللفظي والتحريف المعنوي، ثم يذكرون مصاديق كُلِّ قسم منهما. ينظر: جعفريان، رسول: أكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة، (مط سبهر، طهران، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م): ٨، الكعبي، علي موسى: سلامة القرآن من التحريف، (ستارة، قم، الناشر: مركز الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ): ٩

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٨

(٤) محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ) ٣/ ٤٧٠، وينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ٣/ ٢٩٨

التحريفِ ويرادُ منه عدةُ معانٍ على سبيلِ الاشتراك... وإليك تفصيل ذلك:

* **الأول**: نقلُ الشيءِ عن موضعهِ، وتحويلُهُ إلى غيرهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾.

* **الثاني**: النقصُ أو الزيادةُ في الحروفِ، أو في الحركاتِ مع حفظِ القرآنِ وعدمِ ضياعهِ، وإنْ لم يكنْ متميزًا في الخارجِ عن غيرهِ.

* **الثالث**: النقصُ أو الزيادةُ بكلمةٍ أو كلمتينِ، مع التحفُّظِ على نفسِ القرآنِ المنزلِ.

* **الرابع**: التحريفُ بالزيادةِ والنقيصةِ في الآيةِ والسورةِ، مع التحفُّظِ على القرآنِ المنزلِ، والتسالمِ على قراءةِ النبيِّ ﷺ إياها.

* **الخامس**: التحريفُ بالزيادةِ، بمعنى أنَّ بعضَ المصحفِ الذي بأيدينا ليسَ من الكلامِ المنزل.

* **السادس**: التحريف بالنقيصة، بمعنى أنَّ المصحفَ الذي بأيدينا لا يشتملُ على جميعِ القرآنِ الذي نزلَ من السماءِ، فقد ضاعَ بعضُهُ على الناسِ)).[1]

إنَّ هذه الموارد الستة التي ذكرها السيد الخوئي هي خلاصة جميع الأقوال الواردة في المسألة وعصارتها، وقد نفى ورود جميع ذلك في المصحف الموجود بين أيدينا بأدلة عقلية ونقلية، سوف نذكر بعضها في مبحثٍ لاحقٍ[2]، ولكننا لو تأملنا فيما ذكره لرأينا أنَّ ما ورد في الفقرة الأولى هو ما يتعلق بالتحريف من جهة المعنى فقط من دون سواه،

---

(١) البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط): ٢١٣-٢١٦، وينظر: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن ٨/ ١٩-٢٢

(٢) ينظر: المبحث الثاني

وأما الفقرات الخمسة اللاحقة فكلها تتعلق بالتحريف من جهة اللفظ.

بناءً على ما تقدم من الأقوال فإننا نرى أنَّ ما يتعلق بالقول الأول فإنَّ هذا النوع من التحريف، يشمل على حمل اللفظ على غير معناه المراد من الله تعالى، وتفسيره بما يلائمه، وقد ذكره المفسرون في تفاسيرهم، وأما ما يتعلق بالقول الثاني وعلاقته بالقراءات القرآنية واختلافها فبناءً على أنَّ التحريف يشمل تغيير اللفظ وليس المعنى، أو أنه يطلق عليهما معًا، فيمكن القول بأنَّ القراءات هي أحد أنواع التحريف؛ لأنَّ تلك القراءات غير متواترة عن النبيﷺ، وإنما هي اجتهادات القُرَّاء أنفسهم، ولا علاقة لها بالأحرف السبعة كما ادُّعي[1]، وأما ما يتعلق بالقول الثالث فإنه يشمل أيضًا القائلين بأنَّ التحريف له علاقة باللفظ، أو بهما معًا، وهذا النوع قد حصل عند المسلمين واختلافهم في نقل بعض الكلمات التي اشتبهوا بأنها من القرآن وهي ليست منه[2]؛ لذا قام عثمان بن عفان بتوجيه المسلمين كما روي على مصحف واحدٍ، وأرسله

(١) للتفصيل ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق-: ٤٤-٤٨

(٢) للتفصيل ينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، د.ط) ٢/ ٢٤-٢٦، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مط العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط) ٣/ ٧٢-٧٧، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن ٨/ ١٣٧-١٥٥، الطباطبائي: محمد حسين بن محمد: الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م) ١٤/ ١١١-١١٣، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢١٨-٢٢٣، العسكري، مرتضى بن محمد إسماعيل: القرآن الكريم وروايات المدرستين، (إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.مط) ٢/ ٩٧-١١٢، العاملي، جعفر مرتضى: ←

إلى الأمصار ليقرؤوا عليه-وهو الموجود بين أيدينا اليوم-، وقام بحرق المصاحف الأخرى التي تخالف المصحف الإمام، وأظن أنَّ هذا ما دعا ابن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ/ ٩٢٨م) إلى تأليف كتابه المصاحف[1]، وأما القول الرابع الذي يشمل التحريف باللفظ أيضًا، وقد وقع الخلاف فيه بين المسلمين في آية واحدة على الرغم من اتفاقهم على القرآن كُلِّه، وهذا الاختلاف قد حصل في البسملة، وقد فصَّل العلماء الحديث في ذلك، وأنَّ مذهب أهل البيتعليهم السلام على أنها جزء من القرآن الكريم[2]، فالاختلاف حقيقة هو فقهي، وليس قرآنيًا، وأما القول الخامس الذي يشمل التحريف باللفظ أيضًا، فإننا من خلال استقراء كلمات القائلين بالتحريف كلهم لم نَرَ أحدًا منهم يقول بزيادة أي كلمةٍ، أو حرفٍ في القرآن الموجود بين الدفتين، وأما القول السادس فهو الذي وقع الاختلاف فيه، بين قائلٍ به، ونافٍ له، وما هو إلا مزاعم، أو

→

حقائق هامة عن القرآن الكريم، (مط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، د.ت): ص٣٢٥-٣٦٧ وغيرها من المصادر التي ذكرت الروايات الواردة في ذلك في كتب الحديث والمسانيد، وما ورد تحت عنوان(نسخ التلاوة).

(١) فقد ذكر مصاحف عشرة من مصاحف الصحابة وما ورد من الاختلاف في بعض قراءاتها، وأحد عشر مصحفًا من مصاحف التابعين كذلك. للتفصيل ينظر: عبد الله بن سليمان بن الأشعث، دراسة وتحقيق: الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، (دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م) ٢/ ٢٢٩

(٢) للتفصيل ينظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء، تح: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، (مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ) ٣/ ١٥٢-١٥٣، النراقي، أحمد بن محمد مهدي: مستند الشيعة في أحكام الشريعة، تح: مؤسسة آل البيتعليهم السلام، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٥هـ) ٥/ ٨٠، الغروي، محمد: فقه السنة وفقه الشيعة، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م) ١/ ١٨٦-١٨٧

أهواء، أو سوء تفسير للروايات، وهو ما يجب علينا تنزيه الكتاب منه، من خلال الأدلة القائمة على ذلك.

إنَّ العلماء المحققين على الرغم من اختلافهم في بيان حقيقة انطباق التحريف على اللفظ، أو المعنى، أو كليهما، فقد اتفقوا على صيانة كتاب الله تعالى من تلاعب المُندسِّين وتحريفهم له، كما فعلته الأمم السالفة بكتب أنبيائهم، بل عُدَّ ذلك من وجوه الإعجاز القرآني[1]، وتلك الأقوال قد ملأت بطون الكتب منذ أكثر من قرن وليومنا هذا، إلا من شذَّ من الأمة بأقوال لا اعتبار لها سوى التشكيك بنزاهة الكتاب وقدسيته، أو الانحياز لمذهب، أو فكرة يؤمن بها فينتصر لأجلها، وإنْ كان على حساب الإساءة للقرآن، أو الرجوع إلى روايات غير صحيحة وغير ذلك، ولأهمية كتاب الله تعالى وعظمته عند المسلمين لكونه كلام الخالق ووحيه ومصدر التشريع الإسلامي ومعجزته الخالدة، نحاول بصفحات ذكر كلمات أعلام المسلمين، ومحققيهم في صيانة القرآن بإيجاز؛ لئلا يبقى عذر لأحدٍ بالقول: إنَّ المسلمين مختلفون في تنزيه كلام ربهم، ولاسيما المستشرقين منهم[2]، بعد تثبيت كلمات أعلامهم ومحققيهم.

١- قال الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/ ٩٩٠م): ((اعتقادنا في القرآنِ أنَّهُ كلامُ اللهِ،

---

(١) ينظر: القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م، د.ط) ١/ ٢٧٥

(٢) للتفصيل ينظر: الشمري، رباح صعصع عنان: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين – جون جلكريست إنموذجًا–، (جامعة الكوفة/ كلية الفقه، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٤): ١١٦، وما قال المستشرق نولدكه: ((إنه مما لا شكَّ فيه أنَّ فقراتٍ من القرآنِ ضاعتْ... إنَّ القرآنَ غيرُ كاملِ الأجزاءِ)). الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية: ٢٤ وغيرهما من المستشرقين، على الرغم من وجود بعض المنصفين منهم.

ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، وقولُهُ، وكتابُهُ، وأنَّهُ لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِهِ، وهو الذي أنزلهُ على نبيِّهِ محمدٍﷺ هو ما بين الدفَّتينِ، وهو ما في أيدي الناسِ، ليس بأكثرَ من ذلكَ، ومبلغُ سورهِ عندَ الناسِ مئةٌ وأربعَ عشرةَ سورةً، ومَنْ نسبَ إلينا أنَّا نقولُ إنه أكثرُ من ذلكَ فهو كاذبٌ)).[(١)]

٢- روي عن الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) قوله: ((إنَّ العلمَ بصحةِ نقلِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ، والحوادثِ الكبارِ، فإنَّ العنايةَ اشتدتْ، والدواعي توفرتْ على نقلهِ وحراستهِ، وبلغتْ إلى حدٍّ لم يبلغْهُ في ما ذكرناه.... حتى عرفوا كُلَّ شيءٍ اختُلِفَ فيه من إعرابِهِ، وقراءتهِ، وحروفِهِ، وآياتهِ، فكيف يجوز أنْ يكون مغيَّرًا، أو منقوصًا مع العنايةِ الصادقةِ، والضبطِ الشديدِ)).[(٢)]

٣- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م): ((إنَّ العلمَ بتفصيلِ القرآنِ وأبعاضهِ، في صحةِ نقلهِ كالعلمِ بجملتهِ، وجرى ذلك مجرى ما عُلِمَ ضرورةً من الكتبِ المصنَّفةِ، ككتابَي سيبويه والمزني[(٣)]، فإنَّ أهلَ العنايةِ بهذا الشأنِ يعلمونَ من تفصيلِها ما يعلمونهُ من جملتِها... إنَّ القرآنَ كانَ على عهدِ رسولِ اللهﷺ مجموعًا، مؤلَّفًا على ما هو عليهِ الآن)).[(٤)]

---

(١) محمد بن علي: الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ): ٨٣-٨٤

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٣

(٣) وهما كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م) في النحو، وكتاب الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي لأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المصري المزني(ت٢٦٤هـ/ ٨٧٨م).

(٤) التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣

٤- قال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م): ((وإنَّ الكتابَ الموجودَ في أيدي المسلمينَ هو الكتابُ الذي أنزلَهُ اللهُ إليهِ للإعجازِ والتحدي، ولتعليمِ الأحكامِ، وتمييزِ الحلالِ من الحرامِ، وإنَّه لا نقصٌ فيهِ، ولا تحريفٌ، ولا زيادةٌ، وعلى هذا إجماعهم... والأخبارُ الواردةُ من طرقِنا، أو طرقِهم الظاهرةُ في نقصهِ، أو تحريفهِ، ضعيفةٌ، شاذةٌ، وأخبارُ آحادٍ لا تفيدُ علمًا ولا عملاً، فإما أنْ تؤوَّلَ بنحوٍ من الاعتبارِ، أو يُضْرَبَ بها الجدارُ)).[1]

٥- قال السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م): ((المعروفُ بينَ المسلمينَ عدمُ وقوعِ التحريفِ في القرآنِ، وأنَّ الموجودَ بأيدينا هو جميعُ القرآنِ المنزلِ على النبيِّ الأعظمﷺ، وقد صَرَّحَ بذلكَ كثيرٌ من الأعلام، منهم رئيسُ المحدثينَ الصدوقُ محمدُ بن بابويه، وقد عَدَّ القولَ بعدمِ التحريفِ من معتقداتِ الإماميةِ... وجملةُ القولِ: إنَّ المشهورَ بينَ علماءِ الشيعةِ ومحققيهِم، بل المتسالمُ عليهِ بينهم، هو القولُ بعدمِ التحريفِ)).[2]

هذه مجموعة موجزة من أقوال علماء أتباع أهل البيتعليهم السلام تتعلق بصيانة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان[3]، وقد ذكر السيد هبة الدين الشهرستانيقدس سره أقوال

(١) أصل الشيعة وأصولها، تح: علاء آل جعفر، (ستاره، قم، ط١، ١٤١٥هـ): ٢٢٠

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢١٧

(٣) لقد ذكرنا أقوال خمسة من كبار علماء الطائفة ومحققيها، فكان الرأي واحدًا لا اختلاف فيه، ابتداء من القرن الرابع الهجري منذ زمن الغيبة للإمام المعصومعليه السلام إلى القرن الخامس عشر الهجري؛ لنؤكِّدَ من خلال هذا التنوع الزمني على وحدة المنهج والقول، تجاه كتاب الله تعالى من محققي الإمامية، ويكون في ذلك رَدٌّ على مَنْ يرميهم بتحريف القرآن ظلمًا وافتراءً.

←

بعض الأعلام الأصوليين المتأخرين الذين ناقشوا ذلك في بحث حجية الكتاب.[١]

وأما ما ورد من كلمات جمهور المسلمين في ذلك فنذكر منها:

١- قال الباقلاني(ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م): ((والذي نذهب إليه في ذلك، القولُ بأنَّ جميعَ القرآنِ الذي أنزلَهُ اللهُ عز وجل، وأَمرنا بإثباتِ رسمهِ، ولم ينسخْهُ ويرفَع تلاوتَهُ بعد نزولِهِ، هو هذا الذي بينَ الدفتينِ، الذي حواهُ مصحفُ عثمانَ رضي الله عنه، وأنَّهُ لم يُنقَص منهُ شيءٌ، ولا زِيدَ فيهِ)).[٢]

٢- قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): ((وهو حافظُهُ [للقرآن] في كُلِّ وقتٍ، من كُلِّ زيادةٍ، ونقصانٍ، وتحريفٍ، وتبديلٍ)).[٣]

٣- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): ((قالَ أصحابُنا: وفي هذهِ الآيةِ [**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**] دلالةٌ قويةٌ على كونِ التسميةِ آيةً من أولِ كُلِّ سورةٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد وعدَ بحفظِ القرآنِ، والحفظُ لا معنًى له إلا أنْ يبقى

→

وقد فصَّل القول الشيخ محمد هادي معرفة في ذكر علماء الطائفة الذين وثَّق التأريخ كلماتهم بصيانة القرآن من التحريف، فذكر كلمات أثنين وعشرين عالماً من أعلام الطائفة. ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٨/ ٥٥-٧٢، وينظر: الميلاني، علي الحسيني: التحقيق في نفي التحريف، (مط ظهور، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ): ١٦-٣٠ وغيرهما.

(١) ينظر: مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٧-١٤٨

(٢) الباقلاني، محمد بن الطيب: الانتصار للقرآن، تح: د. محمد عصام القضاة، (الناشر: دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ١/ ٥٩، وينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت): ١٨

(٣) جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، تح: عبد الرزاق مهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م) ٢/ ٥٣٦

مصونًا من الزيادةِ والنقصانِ)).[١]

٤- قال أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م): ((في كُلِّ وقتٍ تكفَّلَ تعالى بحفظه[القرآن]، فلا يعتريهِ زيادةٌ، ولا نقصانٌ، ولا تحريفٌ، ولا تبديلٌ)).[٢]

٥- قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ/ ١٧٩٢م): ((﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي من كُلِّ ما يقدحُ فيهِ كالتحريفِ، والزيادةِ، والنقصانِ وغيرِ ذلكَ، حتى أنَّ الشيخَ المهيبَ لو غيَّرَ نقطةً يردُّ عليهِ الصبيانُ، ويقولُ لَهُ مَنْ كانَ: الصوابُ كذا)).[٣]

إنَّ هذه الكلمات وما تقدم تدلُّ صراحة على عظمة كتاب الله تعالى من أنْ تناله أيدي التحريف، والتلاعب فيه، فصارت الأجيال تتناقله جيلاً بعد جيلٍ، بل أحصوا كلماته وحروفه، فضلاً عن سوره وآياته، وتفصيل كثيرٍ ما يتعلق به[٤]، فجميع الدراسات القرآنية تثبت هذه الحقيقة الإلهية الإعجازية في حفظ كتابه السماوي، الذي هو خاتم الرسالات من تحريفه، وذلك من خلال عنايته تعالى، ورعايته لرسوله ﷺ، وتهيئة حفظة إليه، لأننا نعتقد على وفق واقع نزول القرآن، وعناية النبي بتدوينه،

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين: التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١) ١٩/ ١٢٣

(٢) محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م) ٥/ ٤٣٥

(٣) الآلوسي، محمود شكري: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ١٤/ ١٦

(٤) للتفصيل ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧٧،السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٨٤

وترتيب آياته وسوره، والأحاديث الواردة في فضل تلاوته، وحفظه، والرجوع إليه، دلالةٌ واضحةٌ على سلامته من التحريف، وفي دراسة حديثة ورد القول: ((فالظروفُ التي أحاطتْ بنزولِ القرآنِ الكريمِ تقتضي سلامتَهُ من مزعومةِ التحريفِ؛ لأنَّ الرسولَ الأعظمَ ﷺ كان يأمرُ بتدوينِ النصِّ القرآنيِّ أوَّلاً بأوَّلٍ، وقد ٱتَّخذَ كُتَّابًا يكتبونَ الوحيَ حينَ نزولِهِ، وكانَ ﷺ يشرفُ بنفسِهِ علىٰ وضعِ كُلِّ آيةٍ في موضعِها من السورةِ، ولم يكتفِ بذلكَ، بل كانَ يأمرُ باستظهارِ القرآنِ الكريمِ وتعلُّمِهِ، لينضمَّ الاستظهارُ إلىٰ التدوينِ في حفظِ القرآنِ الكريمِ، وسلامتِهِ)).[1]

المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية في إثبات عدم تحريف القرآن

إنَّ قول محققي الإمامية وغيرهم بصيانة القرآن من التحريف ليس مجرد كلام للدفاع عن كتاب الله تعالى، مجردًا عن العقيدة الثابتة، بل المستندة إلى الأدلة التي تثبت ذلك، فقد ذكروا أدلة نقلية وعقلية متعددة تمنع التحريف للقرآن، ونحاول في هذا المبحث ذكرها إجمالاً، لتتم الحجة البالغة في الدفاع عن المعجزة الخالدة للإسلام، ويتم الرد بذلك على تلك الأقاويل والشبهات، التي حاول بعض التشبث بها، من أجل تحقيق دعواهم، وإنَّ المتتبع لكلمات الأعلام القدامى والمحدثين ليرى قوة تلك الاستدلالات النقلية والعقلية.

- **الأدلة النقلية:**

❋ **أولاً**: القرآن الكريم.

إنَّ الاستدلال بالقرآن الكريم من أهم الأدلة في إثبات صيانة كتاب الله تعالى من

(١) الكعبي: سلامة القرآن من التحريف: ٥

التحريف، ونذكر في ذلك آيتين عظيمتين من الآيات المباركة التي تدل على تعاهد الله عزوجل بحفظه.

١- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

إنَّ هذه الآية المباركة من الآيات الصريحة بأنَّ الله تعالى قد تعهد بحفظ القرآن وصيانته من أيدي التحريف، وحفظه من الزيادة والنقصان، وقد ذكر المفسرون هذا المعنى في تفاسيرهم.

قال الشيخ الطبرسي: ((ثم زادَ سبحانَهُ في البيانِ فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادةِ، والنقصانِ، والتحريفِ، والتغييرِ عن قتادةَ وابنِ عباس، ومثلُهُ ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[2]، وقيل: معناهُ متكفِّلٌ بحفظِهِ إلى آخرِ الدهرِ على ما هو عليهِ، فتنقلهُ الأمةُ وتحفظهُ عصرًا بعدَ عصرٍ إلى يومِ القيامةِ، لقيامِ الحجةِ به على الجماعةِ من كُلِّ مَنْ لزمتهُ دعوةُ النبيِّ ﷺ عن الحسن)).[3]

إنَّ كلامه يوضِّح جليًّا تواتر نقل القرآن الكريم بين المسلمين يدًا عن يد، وهذا فيه من التواتر مما لا يوجد في أي مسألة غيره.

قال الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م): ((﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردٌّ لأنكارِهم واستهزائِهم؛ ولذلكَ أكَّدَهُ من وجوهٍ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريفِ، والزيادةِ، والنقصانِ)).[4]

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ١٠٥

(٤) محمد محسن: تفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، ←

وقال السيد الطباطبائي: ((فالآيةُ تدلُّ على كونِ كتابِ الله محفوظًا من التحريفِ بجميعِ أقسامهِ، من جهةِ كونهِ ذكرًا لله سبحانَهُ، فهو ذِكْرٌ حيٌّ خالدٌ، ونظيرُ الآيةِ في الدلالةِ على كونِ الكتابِ العزيزِ محفوظًا بحفظِ اللهِ، مصونًا من التحريفِ، والتصرُّفِ بأيِّ وجهٍ كانَ)).[1]

فهذه مجمل كلمات المفسرين من أتباع أهل البيتعليهم السلام في الاستدلال بالآية المباركة على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، وكذلك قول غير المفسرين، كالفقهاء، والأصوليين، والنحويين وغيرهم[2]، وأما في تفاسير العامة فقد تقدمت كلماتهم في ذلك.

وفي الآية كذلك دلالات بلاغية تؤكد حفظ الله تعالى لكتابه المجيد، فقد ورد في ذلك: ((فأكَّد تنزيلَ القرآنِ من لدنهُ بـ(إنَّ) في أولِ الأمرِ، ثم بالضميرِ(نحن) بعد ذلك، ليقررَ أنه هو المنزِّلُ لهذا الكتابِ المبينِ، والموحي به إلى عبدهِ الأمينِ، ثم أكدَ حفظَهُ من التحريفِ والتبديلِ بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فأكَّدَ الكلام هنا بـ(إنَّ) و(اللام) ليقررَ هذا المعنى، ويؤكِّدهُ في الأذهانِ)).[3]

←

بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ١٩٨٢) ٣/ ١٠٢، إنَّ الشيخ قد ذكر ذلك في تفسير الآية المباركة، وفي مقدمة تفسيره ذكر أقوال العلماء المحققين من الأصوليين في نفي التحريف، وأقوال الأخباريين في وقوع التحريف، أو احتمال وقوعه. للتفصيل ينظر ١/ ٤٠-٥٥

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٤/ ٩٩-١٠٠

(٢) للتفصيل ينظر: مير محمدي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ١٩٨٠م، د.ط): ٣١٦، الميلاني، علي: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٣٨، السبحاني، جعفر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، (دار الولاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م): ٢١٢-٢١٥ وغيرها من المصادر.

(٣) الزيدي: كاصد ياسر و ابتهال كاصد: علوم القرآن والتفسير، (النماء، بغداد، ط١، →

٢- قال تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[(١)]

قال الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٩٢م): ((حَدَّثنا بشر، قال: حَدَّثنا يزيد، قال: حَدَّثنا سعيد، عن قتادة ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ الباطل: إبليس لا يستطيعُ أنْ ينقصَ منه حقًّا، ولا يزيدُ فيهِ باطلاً. وقالَ آخرون: معناه أنَّ الباطلَ لا يطيقُ أنْ يزيدَ فيهِ شيئًا من الحروفِ، ولا ينقصَ منهُ شيئًا منها. وحدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ قال: الباطلُ هو الشيطانُ لا يستطيعُ أنْ يزيدَ فيهِ حرفًا، ولا ينقصَ.

وأَوْلَى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أنْ يقال: معناهُ لا يستطيعُ ذو باطلٍ بكيدهِ تغييرَهُ بكيدهِ، وتبديلَ شيءٍ من معانيهِ عما هو به، وذلكَ هو الإتيانُ من بين يديه، ولا إلحاقَ ما ليسَ منه فيه، وذلك إتيانهُ من خلفهِ)).[(٢)]

إنَّ هذا القول من الطبري صريح في حفظ القرآن من قبل الله تعالى من أي تحريف يمكن أنْ يلحق به سواء من الشيطان أم من غيره، وقوله: ((ولا إلحاق ما ليس منه فيه)) كلام دقيق، وفي دلالة ظاهرة على صيانة كتاب الله تعالى.

ذكر الشيخ الطوسي في تفسير الآية أقوالاً خمسة تشابه ما ورد من الروايات التي ذكرها الطبري في صيانة القرآن من الباطل والتغيير والتبديل.[(٣)]

→

١٤٣١هـ ٢٠١٠م): ١٥

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٢) محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، تح وتع: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ٢٣/ ٤٩٦-٤٩٧

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ٣٢٠

قال الزمخشري: ((مثلٌ كأنَّ الباطلَ لا يتطرَّقُ إليهِ، ولا يجدُ إليهِ سبيلاً من جهةٍ من الجهاتِ، حتى يصلَ إليه ويتعلقَ به)).[١]

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين لهاتين الآيتين نرى بوضوح إجماع المفسرين الذين تقدَّمَت أقوالهم على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، والتغيير، والتبديل، وأنَّ الله تعالى قد تكفَّل بحفظه، وقد اقتصرنا على هاتين الآيتين لدلالتهما الصريحة على صيانة الكتاب من التحريف بإيجاز، وقد استعرض الباحثون فضلاً عن المفسرين آيات أخرى تدل على ذلك.[٢]

* **ثانيًا**: السنة الشريفة.

تناولت السنة الشريفة صيانة كتاب الله تعالى باعتناء بالغٍ، من خلال الروايات الشريفة الواردة عن النبي والأئمة، والتي تدلُّ بألفاظها، أو بمضمونها على صيانة كتاب الله تعالى من التحريف، ووجوب رجوع الأمة إليه في أحكامها وتشريعاتها، وقد اشتملت الموسوعات الحديثية على تلك الروايات المباركة، نحاول بإيجاز ذكر حديثين منها؛ لنكون على بينة من مَصْدَرَي التشريع الإسلامي في بيان ذلك.

١- روي عن النبي: **((إنِّي تاركٌ فيكُمُ الثقلينِ، كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، ما إنْ تمسَّكتُمْ بهما لن تضلوا بعديَ أبدًا)).**[٣]

---

(١) تفسير الكشاف ٤/ ٢٠٧

(٢) للتفصيل ينظر: محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٨/ ٣٩-٤٩، الميلاني: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٣٧-٣٨، الشريفي، محمود: أسطورة التحريف دراسة في مسألة التحريف عند الشيعة والسنة، إشراف: الشيخ محمد هادي معرفة، (د.مط، د.م، د.ط، د.ت): ٢٩-٤٠، الكعبي: سلامة القرآن من التحريف: ١٤-١٥

(٣) الكليني: الكافي ٢/ ٤١٥ باب (أدنى ما يكون به العبد مؤمنًا أو كافرًا أو ضالاً) ←

فالحديث ظاهر بدلالة ألفاظه على أنَّ الهداية وعدم الضلالة مشترط بأمرين، وهما: القرآن والعترة، فلو لم يكن القرآن منزَّهًا من كُلِّ تحريف بها أتى به من عند الله تعالى، لما جُعِلَ أول أسباب الهداية والفلاح، ولو قيل أنه حُرِّفَ بعد وفاته ﷺ وليس في حياته، فهذا غير معقول أنَّ يكون النبي يعلم بأنَّ أمته سوف يكون بإمكانها تحريف القرآن، والزيادة والنقيصة فيه، ويأمرهم بعد ذلك إلى التمسك به مطلقًا، وهو الحامي الأول عن الوحي المبين.[١]

وذكر السيد الخوئي في بيان ما يتعلق بذلك: والاستدلال بها [أخبار الثقلين] على عدم التحريف في الكتاب يكون من ناحتين: ((إنَّ القولَ بالتحريفِ يستلزمُ عدمَ وجوبِ التمسكِ بالكتابِ لاحتمالِ تحريفهِ، وإنَّ التحريفَ يقتضي سقوطَ الكتابِ عن الحجيةِ)).[٢]

وقال السيد الميلاني: ((وهذا يقتضي أنْ يكونَ القرآنُ الكريمُ مدوَّنًا في عهدهِ ﷺ بجميعِ آياتهِ وسورهِ حتى يصحَّ إطلاقُ اسمِ الكتابِ عليهِ، كما أنَّهُ يقتضي بقاءَ القرآنِ كما كانَ عليهِ على عهدهِ إلى يومِ القيامةِ؛ لتتمَّ به الهدايةُ الأبويةُ للأمةِ الإسلاميةِ والبشريةِ جمعاءَ، ما داموا متمسكينَ بهما)).[٣]

٢- روي عن النبي ﷺ: **((ما جاءكُمْ عنِّي يوافقُ كتابَ اللهِ فأنا قلتهُ، وما جاءَكُمْ يخالفُ**

→

الحديث٢، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت) ٣/ ١١٠

(١) للسيد هبة الدين الشهرستاني كلام حول الاستدلال بحديث الثقلين على صيانة القرآن من التحريف سوف نذكره في باب التحقيق، الفصل الأول، المبحث الثاني

(٢) للتفصيل ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٢٢٧-٢٣١

(٣) التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: ٤٣-٤٤

كتابَ اللهِ فلم أَقُلْهُ)).[١]

إنَّ هذا الحديث الشريف يؤكِّدُ وحدة المنهج وتماسكه بين القرآن والسنة، وعدم مخالفة أحدهما في الدعوة إلى الآخر، فلا يمكن أنْ تكون الأحاديث الشريفة الواردة عنهم تخالف مبدأ قرآنيًّا مطلقًا؛ لأنهما مصدرا التشريع الإسلامي إلى يوم القيامة، وهذا يدلُّ على عدم تعرضه للتحريف، ليبقى خالدًا في تشريعاته، يروى عن الإمام الصادق عليه السلام في وحدة التشريع وخلوده قوله: **((إذا وردَ عليكُمْ حديثانِ مختلفانِ، فاعرضوهُما على كتابِ اللهِ، فما وافقَ كتابَ اللهِ فخذوهُ، وما خالفَ كتابَ اللهِ فردُّوهُ)).**[٢]

قال الكعبي: ((وهذهِ القاعدةُ تتنافى تمامًا مع احتمالِ التحريفِ في كتابِ اللهِ؛ لأنَّ المعروضَ عليهِ يجب أنْ يكونَ مقطوعًا به؛ لأنَّهُ المقياسُ الفارقُ بين الحقِّ والباطلِ، فلا موضعَ للشكِّ في نفسِ المقياسِ، ولولا أنَّ سورَ القرآنِ وآياتِهِ مصونةٌ من التحريفِ، ومحفوظةٌ من النقصانِ منذُ عصرِ الرسالةِ الأولِ، وإلى الأبدِ لما كانت هذهِ القاعدةُ، ولا أمكنَ الركونُ إليها، والوثوقُ بها)).[٣]

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما يدعو إلى ذلك فهو يرسخ بين أبناء المجتمع، أنَّ هذا القرآن هو كتاب الله تعالى الذي يجب علينا الرجوع إليه وتعاهده، وأنه من الله تعالى، وليس هناك

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ٦٩ باب(الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب) الحديث ٥ وهذا الحديث قد رواه الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما خطبه بـ(منى).

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ) ٢٧/ ١١٨ باب (وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة وكيفية العمل بها) الحديث ٢٩

(٣) سلامة القرآن من التحريف: ١٦

أي شك في حفظه وتعاهده بين الأجيال منذ زمن نزوله إلى آخر الدهر، فضلاً عن الروايات المتعددة الأخرى الواردة في التأكيد على صيانة كتاب الله تعالى عن النقص[١].

● **الأدلة العقلية:**

إنَّ المتتبع لفلسفة الشريعة الإسلامية المقدسة، الخاتمة للشرائع السابقة، يرى أنَّ الاعتقاد بحفظ القرآن وصيانته من يد التلاعب والتغيير، من البديهيات التي يجب القول بها، استنادًا إلى أدلة متعددة منها:

- **أولاً**: إنَّ احتمال الشك والريب في عدم وصول القرآن إلينا كما أنزله الله تعالى سيؤدي بالأولوية إلى التشكيك في معجزات النبي عليه السلام الأخرى، التي ثبتت بالتواتر، وفي ذلك ورد عن العلامة الحلي قوله: ((الحقُّ أنَّهُ لا تبديلَ، ولا تأخيرَ، ولا تقديمَ فيه، وأنَّهُ لم يزدْ، ولم ينقصْ، ونعوذُ بالله تعالى من أنْ يُعتقدَ مثلُ ذلكَ، وأمثالَ ذلكَ، فإنَّهُ يوجبُ التطرقَ إلى معجزةِ الرسولِ صلى الله عليه وآله المنقولةِ بالتواترِ)).[٢]
- **ثانيًا**: إنَّ الشريعة الخاتمة يجب أنْ تكون خالدةً، وخلودها يستوجب خلود معجزاتها، وخلود المعجزات يستلزم أنْ تكون محفوظةً متواترة، فلما كان القرآن معجزة الإسلام الخالدة، فيجب أنْ يكون مُصانًا من كُلِّ تغييرٍ، وتبديلٍ، وتحريفٍ؛ ليبقى حجة على الخلقِ أجمعين.

---

(١) للتفصيل ينظر: الدارابي، علي الموسوي: النص الخالد لم ولن يحرف أبدًا، إشراف: العلامة محمد الواعظ زاده الخراساني، (مط العتبة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط١، ١٤٣٣هـ): ٥٣-٦٢

ويعد هذا الكتاب من الدراسات الحديثة التي تناولت نصوصًا كثيرة تدل على صيانة القرآن من كل تحريف، فضلاً عن إيراد أقوال كثير من الأعلام في ذلك.

(٢) الحسن بن يوسف: أجوبة المسائل المهناوية، (مط الخيام، قم، ١٤٠١هـ، د.ط): ١٢١

- **ثالثًا**: إنَّ لكُلِّ شريعة أحكامها الخاصة بها، وإنْ كانت تتفق مع الشرائع الأخرى في أحكامها العامة، ولما كان القرآن الكريم المصدر الأساس للأحكام الشرعية، فيجب أنْ يكون محفوظًا مُصانًا؛ ليمكن معرفة الأحكام الشرعية، واستنباطها من مداركها المقررة بالنسبة للفقهاء المسلمين، والرجوع إليه عند الاختلاف، وهذه المسألة قد أكَّدت عليها الروايات كذلك.[١]

- **رابعًا**: إنَّ القرآن الكريم أصبح أحد أهم مصادر اللغة عند العرب، واستدلالهم في آياته، ومعينًا للبلغاء والأدباء[٢]، وقد تضمن ذلك شعرهم، ونثرهم، وكتاباتهم، فلم نسمع أنَّ أحدًا استشهد بآية واحدة من آيات الله لا توجد في كتابه المجيد، أو ادَّعى على كلام أنه من القرآن بغير الموجود، على الرغم من اختلاف معتقداتهم، ومذاهبهم، وعدم إيمان بعض منهم بالإسلام، ولكن ظل النص القرآني محافظًا على وجوده كما أُنزل، وهذا يدلُّ على قدسيته، وعدم إمكان تحريفه بسهولة، سواء بزيادة، أم نقصان منه.

---

(١) وهذه مسألة بديهية ومهمة جدًّا يؤيدها العقل والنقل، قال السيد الطباطبائي: ((ويدلُّ على عدمِ وقوعِ التحريفِ الأخبارُ الكثيرةُ المرويةُ عن النبيِّ ﷺ من طُرقِ الفريقينِ، الآمرةُ بالرجوعِ إلى القرآنِ عندَ الفتنِ، وفي حلِّ عقدِ المشكلاتِ)). الميزان في تفسير القرآن ١٤/ ١٠٥

(٢) يقول الدكتور محمد حسين الصغير: ((وهكذا ظهرَ لنا التأريخُ الحضاريُّ المشتركُ بين اللغةِ العربيةِ والقرآنِ الكريمِ مما شَكَّلَ مظهرًا ٱجتماعيًّا متلازمًا، فالحفاظُ على اللغةِ يعني الحفاظَ على القرآنِ، وصيانَةُ لغةِ القرآنِ يقتضي صيانَةَ لغةِ العربِ؛ لارتباطِ وجودِها التأريخيِّ بوجودِهِ التشريعيِّ، واستمرارِ رُقِيِّها بلمحٍ من ٱستمرارِهِ)). نظرات معاصرة في القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ط، د.ت): ٦٩

إنَّ هذه الأدلة العقلية وغيرها نراها وجوهًا عقلية رصينة يمكن الاستدلال بها على مكانة، ومنزلة المعجزة الخالدة للمسلمين في سلامة القرآن، وحفظه من التلاعب والتغيير.

وأما فيما يخص الأسباب والدوافع التي أدت إلى القول بالتحريف، فسوف نترك التفصيل في ذلك؛ لكثرة ما كُتِب فيها، والردود الواردة من كبار العلماء في ذلك، فضلاً عن الابتعاد عن التكرار والإطالة.[1]

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في صيانة القرآن من التحريف

إنَّ السيد هبة الدين الشهرستاني من الأعلام الذين دافعوا عن صيانة القرآن الكريم بكُلِّ الأدلة العقلية والنقلية، وردَّ على القائلين في القرآن مما لا يصونه، من خلال تحليل الروايات التي تروى في ذلك، فقال: ((الروايات الواردة في نسبة التحريف إلى الكتاب هي ضعيفة السند، ورجالها مطعون في وثاقتهم، ومجاهيل، فضلاً عن الاضطراب في متنها)).[2]

---

(١) للتفصيل ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢٣٧-٢٥٢ تحت عنوان: (شبهات القائلين بالتحريف)، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٨/ ١٩٠، مير محمدي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ٣١٠-٣١٦ تحت عنوان: (أدلة التحريف ومناقشتها)، المرعشي النجفي، شهاب الدين: القول الفاصل في الرد على مدعي التحريف، تح: محمد رضا جديدي نزاد، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م): ٣٩-٥١ تحت عنوان: (دلائل مدعي التحريف والجواب عنها)، الحلو، محمد علي: التحريف والمحرفون، (مط برهان، قم، ط١، ١٤٢٦هـ): ٣٢-٨٠ تحت عنوان: (الأسباب والدوافع)

(٢) حلال مشكلات، (مط النجاح، بغداد، ١٣٧٣هـ، د.ط) ١/ ١٤-١٧

وإنَّ التتبع لما كتبه في هذا المجال يؤكد ذلك، ولأجل الإحاطة بالموضوع عَرَّفَ التحريف أولاً ليكون على بينة من تشخيص الأمر فقال: ((التحريفُ الذي موضِعُ الخلافِ، تغييرُ القرآنِ بالزيادةِ، أو النقصانِ))[1]، وهو في ذلك يرى أنَّ هناك تعريفات ليست هي المقصود منها في دراسة صيانة القرآن من التحريف، كما تقدم في المبحث الأول من تفصيل السيد الخوئي إليها، وهذا ظاهر من قوله في التعريف: ((التحريف الذي موضع الخلاف)).

وأما قوله الصريح في صيانة القرآن فنراه يؤكد ذلك في موارد متعددة، فيقول: ((والذي عليه إجماعُ المسلمينَ عَدَمُ زيادتِها في القرآنِ، لا زيادةَ سورةٍ، ولا زيادةَ آيةٍ))[2]، وهذا الإجماع الذي يقصده هو ما تقدم من كلمات أعلام المسلمين وغيرها كما في مصادرها، إلا مَنْ شَذَّ منهم ممن، لا يعتدُّ بقولهم بعد قول المحققين الأعلام، فضلاً عن الروايات التي لا يمكن أنْ يعتمد عليها.

ومن أهم الأدلة التي قال بها هو الدليل العقلي، فيقول: ((ودَلَّ على ذلكَ العقلُ أيضًا؛ إذ لو جازَ سقطَ الإعجازُ، وأمكنَ للبشرِ أنْ يأتيَ بأيِّ سورةٍ، وقد نَصَّ القرآنُ على امتناعِهِ))[3]، وهذا الدليل قائم بذاته، وبغيره، أما بذاته فالعقل يمنع أنْ يكون المعجز الخالد مما يمكن تحريفه؛ إذ لو جاز تحريفه وأمكن ذلك، لسقط إعجاز تحديه للآخرين بأنْ يأتوا بمثله، ولم يستطع أحدٌ القيام بذلك، وأما بغيره من حيث إنَّ العقل

(١) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط رؤوس الدروس، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٢/ ١٤٢

(٢) الشهرستاني: هبة الدين: مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٢

(٣) المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.

قد استند للقرآن الكريم، من وعده بأنهم لا يستطيعوا أنْ يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(١).

وفي استدلال عقلي مهم جدًّا، يحاول السيد بيان صيانة القرآن من أي شائبة، ويدعو إلى التأمل والتفكر فيما يذكره من أدلة وجيهة في ذلك، فيرى بوجوب تحصين القرآن من شكوك أربعة لها أثر في المسألة، وهذه الشكوك: ((أولاً الشكُّ في مصدرِ الوحيِ الإلهيِّ، ثانيًا والشكُّ في سلامَةِ التبليغِ، ثالثًا والشكُّ في تمامِ اللفظِ، رابعًا والشكُّ في تمامِ المَعنى. فإنْ تمَّتْ وسَلَمَتْ هذه الأمورُ، تَمَّ اعتبارُ القرآنِ حَجُّةً عامَّةً، وإمامًا مبينًا، وبما أنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيه، يجبُ القولُ بعصمتِهِ من جميعِ هاتيكَ النواحي الأربعِ))(٢)، وهذه مسألة مهمة تحتاج إلى تأمُّلٍ وتفكُّرٍ فيما عرضه من الشكوك وأنواعها، ثم يبيِّن السيد ما يتعلق بكُلِّ نوع من هذه الشكوك، وسوف نستعرض ذلك في باب التحقيق.

إنَّ خلاصة رأي السيد في القرآن أنه محفوظ من الله تعالى، وأنه هو هذا المحفوظ بين الدفتين، والعقل والشرع يؤيد ذلك، ويجب رَدُّ كُلِّ رواية تخالفه، وسوف يُفَصَّلُ القول في باب التحقيق من الكتاب إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٢٣-٢٤

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، ١٣-٢٣ وسيتم بيان ما يتعلق بهذه الأدلة بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الأول، المبحث الثاني

الفصل الثاني

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ وشروطه.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين النسخ والبداء.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

الفصل الثاني:

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

يُعَدُّ مبحثُ الناسخِ والمنسوخِ من أهمِّ مباحثِ علومِ القرآنِ الكريمِ؛ لأنهُ يعتني بدراسةِ الآيات القرآنية التي ورد أنها نزلت من أجل حكمٍ معيَّنٍ، في وقتٍ معينٍ، ثم نزلت أخرى بعدها فنسخت ذلك الحكم من أجل مصلحةٍ تستوجب ذلك، وقد أكَّد ذلك قول تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]، وهذه الأهمية للدراسة متأتية من كَوْنِها تصبُّ في مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة، وفي هذا المبحث نحاول بيان ما يتعلق بمصطلح (الناسخ والمنسوخ)، وبيان أهم آراء أعلام المسلمين فيها، ورأي السيد الشهرستاني في حقيقة وجودهما في كتاب الله تعالى، وسوف أُبيِّن ما تقدم باختصار ضمن مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ وشروطه.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين النسخ والبداء.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦

المبحث الأول: تعريف النسخ وشروطه

قال أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م): ((تحويلُ العبادِ من شيءٍ قد كانَ حلالاً فحُرِّمَ، أو كانَ حرامًا فيُحَلَّلُ، أو كانَ مطلقًا فيُحْظَرُ، أو كانَ محظورًا فيُطْلَقُ، أو كانَ ممنوعًا فَيُباحُ، إرادةَ الإصلاحِ للعبادِ)).[١]

قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م): ((إزالةُ الحكمِ، وإبقاءُ اللفظِ، أو إزالةُ الحكمِ واللفظِ))[٢]، أو: ((تبيينُ انقضاءِ مُدَّةِ التعبُّدِ الأولِ، وابتداءِ التعبُّدِ الثاني، مع علمِ الله -جل ذكره- لذلكَ كُلِّه قبلَ كُلِّ شيءٍ)).[٣]

وذكر مثل ما تقدم كُلُّ مَنِ استعرض ما يتعلق بهذا المصطلح في مؤلفاته، فضلاً عن التفصيل فيه، وكذلك ما ورد عن المفسرين لكتاب الله تعالى.[٤]

أما الأصوليون فقد أكَّدوا على أهمية تعريف النسخ، واختيار ما يتطابق بين اللغة والاصطلاح في الشريعة؛ لعلاقته باستنباط الحكم الشرعي، فذكروا كُلَّ ما يتعلق به، من حيث حدوده، ووقوعه وغيرهما، قال الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م): ((والدليلُ الموصوفُ بأنه ناسخٌ هو ما دلَّ على مثلِ الحكمِ

---

(١) محمد بن أحمد بن إسماعيل الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، (المكتبة العلامية، مصر، د.ط، ١٣٥٧هـ١٩٣٨م): ١٠

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، تح: الدكتور أحمد حسن فرحات، (دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ٤٨

(٣) المصدر نفسه: ١١٢، وللتفصيل ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور حلمي كامل أسعد، (دار العدوي، عمان، د.ط، د.ت): ٩

(٤) للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٢٠١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٣٨

الثابتِ بالنصِّ الأولِ، غيرِ ثابتٍ في المستقبلِ، على وجهٍ لولاهُ لكانَ ثابتًا بالنصِّ الأولِ مع تراخيهِ عنه، أما المنسوخُ فهو الدليلُ الذي تغيَّرَ حكمهُ بالدليلِ الناسخِ))[١]، وقال المحقق الحلي(ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م): ((الإعلامُ بزوالِ مثلِ الحكمِ الثابتِ بالدليلِ الشرعيِّ، بدليلٍ شرعيٍّ متراخٍ عنه، على وجهٍ لولاهُ لكانَ الحكمُ الأولُ ثابتًا)).[٢]

إنَّ جميع التعريفات التي تقدمت تشترك في معنى الإزالة والرفع للحكم عامة وتؤكده، فيكون(الناسخ) هو الحُكْمُ الرافِعُ للموضوعِ، و(المنسوخ) هو الحُكْمُ المرفوعُ، وهذه العملية من رفع الحكم يطلق عليها(النسخ).

إذاً فالنسخ: ((عبارةٌ عن رفعِ اللهِ للحكمِ السابقِ، بإعلانِ حكمٍ لاحقٍ يَخْلفُ ذلك الحكمَ المنسوخَ، على حسبِ ما تقتضيهِ مصلحةُ المُشرِّع لتلكَ الأحكامِ المؤقتةِ، ولا يكونُ إلا في الأحكامِ التكليفيةِ التعبديةِ، كالأوامرِ والنواهي)).[٣]

وقد اعتنى المسلمون اعتناءً كبيرًا بمبحث الناسخ والمنسوخ في الدراسات القرآنية؛ وذلك لعلاقته بأحكام الشريعة المقدسة من حيث استنباط الحكم الشرعي، وبيان إعجازه الخالد الذي يؤكد عدم الخلل في آياته، واضطراب معانيه ومفاهيمه، وصيانته

---

(١) علي بن الحسين: الذريعة في أصول الشيعة، (دانشكاه، طهران، ١٣٤٦ش، د.ط) ١/ ٤١٤، الطوسي، محمد بن الحسن: العدة في أصول الفقه، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (ستارة، قم، ط١، ١٤١٧هـ) ٢/ ٤٨٦

(٢) جعفر بن الحسن: معارج الأصول، تح: محمد حسين الرضوي، (مط سيد الشهداء عليه السلام، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٠٣هـ): ١٦١

(٣) السعيدي النجفي، محمد جواد: بحوث حول علوم القرآن الكريم، تق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، (مط الآداب، النجف، د.ط، د.ت): ١١٣

من العبث والتحريف والزيادة والنقيصة، إذ تؤدي معرفة الحكم الناسخ من منسوخه إلى إتقان وإحكام مقاصد الشريعة المقدسة، سواء عن طريق القرآن الكريم أم السنة الشريفة، فقد وردت روايات متعددة عن النبيﷺ والأئمةعليهم السلام والصحابة ما تؤكِّد أهمية معرفة هذا الموضوع، بل عُدَّ في بعض الروايات من أهم العلوم التي يجب معرفتها تفصيلاً، لِمَنْ يبتغي معرفة أسرار القرآن وتفسيره؛ لأنَّ القرآن يفسِّرُ بعضه بعضًا.

ومن تلك الروايات التي وردت في ذلك نذكر منها:

- عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال: ((دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يخوِّفُ الناسَ، فقال: **ما هذا**. فقالوا: رجل يذكِّرُ الناسَ. فقال: **ليسَ برجلٍ يذكِّرُ الناسَ، ولكنه يقول: أنا فلانٌ بن فلان فاعرفوني**. فأرسل إليه **أتعرفُ الناسخَ من المنسوخِ**. فقال: لا. قال: **فاخرجْ من مسجدنا ولا تذكرْ فيه**))[١].
- عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ((مَرَّ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه برجلٍ يقصُّ فقال: **أعرفتَ الناسخَ والمنسوخَ**. قال: لا. قال: **هلكتَ، وأهلكتَ**)).[٢]
- عن ابن شبرمة قال: ((ما ذكرتُ حديثًا سمعته عن جعفر بن محمدعليه السلام إلا كاد أنْ يتصدع قلبي، قال: حدثني أبي عن جدي عن رسول اللهﷺ وأُقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جده على رسول اللهﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: **مَنْ عملَ بالمقاييسِ فقد هلكَ وأهلكَ، ومَنْ أفتى الناسَ بغيرِ علمٍ وهو لا يعلمُ الناسخَ من المنسوخِ،**

---

(١) ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: مصطفى محمود الأزهري، (دار ابن القيم، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ): ٤٩

(٢) المصدر نفسه: ٥١

والمُحكم من المتشابه فقد هلكَ وأهلكَ)).[١]

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تؤكِّد أهمية الموضوع، ووجوب معرفته، ومعرفة حدوده، والآيات المباركة الناسخة والمنسوخة للوصول إلى تفسيرٍ واضحٍ لقضية معينةٍ، أو حكم شرعيٍّ معينٍ؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية هي الخاتمة للديانات السماوية ويجب أنْ تكون كاملة من جميع جوانبها؛ لذا نرى ذلك الاعتناء من النبيﷺ والأئمةعليهم السلام لكونهم يمثلون السنة الشريفة، وهي المصدر التشريعي المقارن لكتاب الله تعالى، وقد انتقل هذا الاعتناء الشديد إلى علماء المسلمين، فألَّفوا في هذا الباب مؤلفات كثيرة تناولت الموضوع من كُلِّ جوانبه، وناقشت الآراء والأحاديث التي وردت، وكذلك الآيات القرآنية التي قيل بنسخها أو عدمها.[٢]

ولكي يتحقق النسخ فلا بد من توافر شروط فيه، وقد بين العلماء أهم شروط النسخ ومنها:

١. أَنْ يكون الناسخُ منفصلاً من المنسوخ، منقطعًا منه، فإنْ كان متصلاً به غير منقطعٍ عنه، لم يكن ناسخًا لما قبله، مما هو متصل به.

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ٤٣ باب (النهي عن القول بغير العلم) الحديث ٩

(٢) للتفصيل ينظر: ابن شهاب الزهري: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ٩-١٣، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح و تع: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.مط) ٢/ ١٩٢، آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤/ ١٠-١٤، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٢/ ٢٦٤-٢٦٥، الغفاري، عبد الرسول: النسخ بين المفسرين والأصوليين، (مط الزلال كوثر، الناشر: مركز المصطفىﷺ العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ): ٩٣-١٠١ وقد أعد قائمة بالمؤلفات في الناسخ والمنسوخ منذ القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجريين.

٢. أَلَّا يكون المنسوخ متعلِّقًا بوقت معلوم، لا يُعلم انتهاء وقت فرضه إلا بنص ثانٍ، يبيِّن فرض الأول إلى الوقت الذي فُرِض فيه الثاني.

٣. أَنْ يكون الناسخ موجبًا للعلمِ والعمل كالمنسوخ، ولذا مُنِعَ نسخ القرآن بخبر الآحاد؛ لأنها توجب العمل، ولا توجب العلم، والقرآن يوجبهما جميعًا.[١]

وذكر الزرقاني أربعة شروط إذا توافرت تحقق النسخ عند العلماء، وشروطًا أخرى اختلفوا فيما يعد شرطًا من غيره.[٢]

والأصوليون قد ناقشوا النسخ بتفصيل، مع بيان كُلِّ ما يتعلق به من حيث تحققه وعدمه، مع وجود تفاوت في عدد تلك الشروط، وقد فصَّل الشيخ الطوسي قدس سره القول فيما يُعد من شروط النسخ، وما هو خارج عنها، فذكر ستةً منها، فضلاً عن مناقشته لبعض الشروط التي قيل بوجوب توافرها ليتم تحقق النسخ[٣]، وذكر أبوحامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م) شروطًا أربعةً يجب تحققها في النسخ[٤]، وذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) شروطًا خمسةً في ذلك.[٥]

---

(١) مكي بن أبي طالب: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١٠٧، البغدادي، عبد القاهر: الناسخ والمنسوخ: ٤٥

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ١٤١، إنَّ قوله: ((تلك أربعةٌ لابد منها لتحقيقِ النسخِ باتفاقِ جمهرةِ الباحثينَ)) ليس دقيقًا؛ لأننا لو اطلعنا على تلك المؤلفات في هذا الباب لرأينا الاختلاف الواضح في بيان شروط النسخ من عدمها، ولم يتحقق الاتفاق إلا في بعضها.

(٣) الطوسي: العدة في أصول الفقه ٢/ ٤٨٧-٤٩١

(٤) المستصفى في علم الأصول، تص: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ١٩٩٦م، د.ط) ١/ ٩٨

(٥) عبد الرحمن بن علي: نواسخ القرآن، تح ودراسة: د. محمد أشرف علي، (ط٢، ١٤٢٣هـ ←

ومن المتأخرين فإنَّ السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره (ت١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) قد حصر شروط النسخ بثلاثة فقط، وهي:

١- أنْ يكون النسخ في الأحكام الشرعية، فلا يقع في غيرها إلا بالعناية والمجاز.

٢- أنْ يكون النسخ بدليل شرعي، سواء كان من القرآن، أو السنة، أو الإجماع القطعي، فلا يكون من النسخ موارد ارتفاع الموضوع، أو انتفاء الشرط.

٣- أنْ يكون دليل النسخ ناظرًا إلى الحكم المنسوخ، ومعارضًا له معارضة حقيقية لا يمكن الجمع بينهما، فيكون كاشفًا عن رفع، فليس كُلُّ تنافٍ بين الدليلين أو الحكمين من النسخ، ولذا وقع الخلاف في كثير من الآيات المباركة التي ادُّعِي النسخ فيها، وهي ليست كذلك، بل من التقييد أو التخصيص.[1]

فهذه أهم الشروط التي ذُكِرت ليتحقق النسخ في الشريعة المقدسة، وقد نوقِشت بالتفصيل في الدراسات الحديثة فيما يتعلق بأصل هذه الشروط، وفيما يتعلق بموارد تطبيقها.[2]

وأما الآيات المنسوخة فإنَّ العلماء قد اختلفوا كثيرًا في تعيين تلك الآيات في القرآن الكريم، وكذلك الناسخة منها، ويمكن القول: بعدم الاتفاق مطلقًا بين اثنين من

→

٢٠٠٣م، د.مط، د.م) ١/ ١٣٥-١٣٧

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، (مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٨هـ ١٩٨٩م) ١/ ٣٨٣

(٢) محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٢/ ٢٧٢-٢٧٤، الغفاري: النسخ بين الأصوليين والمفسرين: ٣٣٤-٣٣٦، الجُدَيْع، عبد الله بن يوسف: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (الناشر: مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م): ٢٣٤-٢٥٩

العلماء على عدد معينٍ من الآيات القرآنية المنسوخة؛ وذلك يعود إلى أسباب متعددة منها: عدم الاتفاق على تعريف خاص للنسخ، وعدم التفريق بين النسخ والتقييد والتخصيص، وعدم الالتزام بشروط النسخ التي وضعوها؛ لذلك نرى آية تُعَدُّ منسوخة عند أحدهم، ولكن في الوقت نفسه هي ليست كذلك عند غيره، ولو استقرأنا المؤلفات الخاصة في هذا الباب وكذلك التفاسير القرآنية للمفسرين لرأينا حقيقة ما تقدم، وأكَّد ذلك الشيخ مكي بن أبي طالب القيسي إذ يقول في مقدمة الكتاب: ((ووجدتُ في كُتُبِ الناسخِ والمنسوخِ أَشياءَ دخلَ فيها وَهْمٌ، ونُقِلَتْ على حالِها، وأشياءَ لا يلزمُ ذِكْرُها في الناسخِ والمنسوخِ، وأشياءَ لا يجوزُ فيها النسخُ، فذكرتُ جميعَ ذلكَ من قولِهم، وبَيَّنْتُ الصوابَ من ذلكَ حسبَ مقدرتي، وما بلَغني من العلمِ)).[1]

فعلى أساس ذلك نرى الاختلافات واضحة عند العلماء في مناقشة بعض الآيات المباركة التي قيل بنسخها، ما بين متفقٍ عليها في موردٍ، ومختلفٍ في مواردَ أخرى، وما بين مختلفٍ تمامًا في جميع الموارد، حتى آل الأمر إلى القول بعدم وجود أي آية منسوخة في القرآن الكريم على وفق مصطلح النسخ.[2]

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ٤٦

(٢) فهذا هو رأي السيد الشهرستاني كما سيأتي بيانه في باب التحقيق من الكتاب، ولعل هذا ما يذهب إليه السيد الخوئي ، فيقول عند مناقشة الآيات المنسوخة: ((وقد عقدنا هذا البحثَ لنستعرضَ جملةً من تلكَ الآياتِ المدَّعى نسخها، ولنتبيَّنَ فيها أنه ليست –في واقع الأمر– واحدةٌ منها منسوخةً، فضلاً عن جميعها)). البيان في تفسير القرآن: ٢٩٣، ولكنه يقول تحت عنوان(حكمة تشريع صدقة النجوى): ((وفي نسخِ هذا الحكمِ بعد وضعِهِ ظَهَرَتْ حكمةُ التشريعِ، وانْكَشَفَتْ مِنَّةُ الله على عبادِهِ)). المصدر نفسه: ٣٩٧، ولعل ما تقدم هو الذي جعل الدكتور الغفاري ينسب إلى السيد الخوئي القول بعدم ←

إنَّ هذا الاختلاف بين العلماء في الفهم الحقيقي للنسخ كان من أهم الأسباب التي دَعَتْ إلى كثرة التأليف فيه، فضلاً عن أهميته، يقول الدكتور صبحي الصالح: ((وقد صَرَّحَ المحققونَ من العلماءِ بأنَّ كثيرًا مما ظنَّهُ المفسرونَ نسخًا ليسَ به، وإنما هو نَسْءٌ وتأخيرٌ، أو مجملٌ أُخِّرَ بيانَهُ لوقتِ الحاجةِ، أو خطابٌ قد حالَ بينهُ وبينَ أَوَّلهِ خطابٌ غيرُهُ، أو مخصوصٌ من عمومٍ، أو حكمٌ عامٌّ لخاصٍّ، أو لمداخلةِ معنًى في معنًى، وأنواعُ الخطابِ كثيرةٌ، فظنُّوا ذلكَ نسخًا وليسَ به)).(١)

وعلى أساس ما تقدم فقد قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث ورود الناسخ والمنسوخ على تقسيمات أربعة، قال الزركشي(ت٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م): ((اعلم أنَّ سورَ القرآنِ العظيمِ تنقسمُ بحسبِ ما دخلَهُ النسخُ وما لم يدخلْ إلى أقسامٍ: أحدها: ما ليسَ فيهِ ناسخٌ ولا منسوخٌ، وهي ثلاثٌ وأربعونَ سورة، وهي الفاتحة، ثم يوسف...، الثاني: ما فيهِ ناسخٌ وليسَ فيهِ منسوخٌ، وهي سِتُّ سورٍ: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلى. الثالث: ما فيهِ منسوخٌ وليسَ فيهِ ناسخٌ، وهو أربعونَ: الأنعام، والأعراف...، الرابع: ما اجتمعَ فيهِ الناسخُ والمنسوخُ، وهي إحدى وثلاثونَ سورة: البقرة، وآل عمران...)).(٢)

→

النسخ. ينظر: النسخ بين المفسرين والأصوليين: ٣٣٧

(١) مباحث في علوم القرآن، ٢٧٣

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٣ – ٢٤، وقد أجاد العلامة الشيخ محمد هادي معرفة بعمل جدولٍ للآيات المنسوخة والآيات الناسخة لها، كما ورد عند العلماء في مؤلفاتهم مع بيان ملاحظاته في كُلِّ آيات تبين الغرض الجامع بين الآيتين المدَّعى النسخ فيها، فذكر مئتين وثمانية موردًا من القرآن الكريم. ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٢/ ٣٧٧–٣٩٠

إنَّ هذا التقسيم لم يخلُ من اعتراض واختلاف بين العلماء[(١)]، وكذلك عدد الآيات المنسوخة بالنسبة للمؤيدين لوجود النسخ في القرآن الكريم[(٢)]، أو النافين له.[(٣)]

---

(١) ذهب ابن حزم الأندلسي إلى أنَّ عدد السور التي لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ ثلاث وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ فهي أربعون سورة، وعدد السور التي فيها ناسخ ومنسوخ خمس وعشرون سورة. ينظر: الناسخ والمنسوخ، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ١٠

وأما ابن العتائقي فقد ذهب إلى موافقة ابن حزم في بعض، ومخالفته في بعض آخر، فالسور التي لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ ثلاث وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ فهي ستة سور، والسور التي فيها منسوخ وليس فيها ناسخ اثنتان وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ ومنسوخ خمس وعشرون سورة. الناسخ والمنسوخ، دراسة وتح: الدكتور ثامر كاظم الخفاجي، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م): ٧٤-٧٦

(٢) عند تتبعنا لبعض المؤلفات في الناسخ والمنسوخ وجد أنَّ قتادة السدوسي يذكر ثلاثة وثلاثين آية منسوخة. ينظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م): ٣٢-٥١، وابن حزم الأندلسي يذكر مئة وسبعة وسبعين آية. ينظر: الناسخ والمنسوخ ١٩-٦٧، وأبو جعفر النحاس يذكر مئة وثمانية وثلاثين آية. ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١٤-٢٥٦، والسيوطي يذكر عشرين آية وقد جمعها في أبيات شعرية. ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٦٨، وقد ناقش الزرقاني الآيات المنسوخة التي ذكرها السيوطي فرجَّحَ سبع آيات. ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ١٩٩-٢١٢، ويقول السيد عبد الأعلى السبزواري في ذلك: ((وقد حصر بعض المفسرين جميع الآيات المنسوخة في عشرين آية، ومع ذلك فيه بحث)). مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٣٨٨

(٣) وممن ذهب إلى نفي النسخ في القرآن الكريم من القدماء أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني(ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) كما اشتهر عنه. ينظر: الفخر الرازي: التفسير ←

المبحث الثاني: العلاقة بين النسخ والبداء

نبين في هذا المبحث العلاقة القائمة بين موضوعين مهمين في الشريعة المقدسة، وهما النسخ والبداء، فنحاول أنْ نتعرف على نقاط الالتقاء والافتراق بينهما، وذلك من خلال بيان مصطلح البداء، لمعرفة علاقته بالنسخ، وأقول علماء المسلمين في مشروعيتهما.

إنَّ مصطلح النسخ قد تقدم بيانه في كلمات العلماء التي تقدمت، وأما البداء فنحاول بيانه؛ لنكون على بينةٍ من المعاني الواردة فيه.[1]

قال مكي بن أبي طالب: ((البداءُ ظهورُ رأيٍ مُحْدَثٍ لم يظهرْ قبلُ)).[2]

قال الشيخ الطوسي: ((العلمُ بالشيءِ بعد أنْ لم يكنْ حاصلاً، وكذلكَ في الظنِّ)).[3]

ومن المتأخرين يقول السيد الخوئيﷺ بعد بيانه حقيقة البداء ودليله وثمرته: ((وعلى الجملة: فإنَّ البداءَ بالمعنى الذي تقولُ بهِ الشيعةُ الإماميةُ هو من الإبداءِ الإظهار حقيقةً، وإطلاقُ لفظِ البداءِ عليهِ مبنيٌّ على التنزيلِ والإطلاقِ بعلاقةِ

الكبير٣/ ٦٣٩، الغفاري: النسخ بين المفسرين والأصوليين: ٩٣، ويظهر أنَّ هذا ما يراه أيضًا أحمد بن الجنيد(ت٣٨١هـ/ ٩٩١) كما ورد في بيان مؤلفاته عنوان كتاب الفسخ على مَنْ أجاز النسخ. الغفاري: النسخ بين المفسرين والأصوليين: ٩٣

(١) إنَّ ذِكر هذا المطلب عند الحديث عن النسخ تكمن أهميته في أَنَّ السيد هبة الدين قد استعرض العلاقة بين النسخ والبداء في مخطوطاته التي سنذكرها في باب التحقيق؛ لذا يُعَدُّ الحديث عن البداء في هذه الدراسة الموجزة مقدمة لتلك المباحث، فضلاً عن بحثه مع النسخ في مباحث علوم القرآن عند بعض العلماء.

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢-١١٣

(٣) العدة في أصول الفقه ٢/ ٤٩٥

المشاكلةِ، وقد أُطْلِقَ بهذا المعنى في بعضِ الرواياتِ من طرقِ أهلِ السنةِ)).[١]

فعلى أساس ما تقدم يمكن القول: إنَّ البداء هو ظهورُ أمرٍ أو حكمٍ من الله تعالى للناس بعد خفائه عليهم، وليس ظهور أمرٍ لله تعالى كان خافيًا عليه فاستلزم تغييره بأمر جديدٍ، فلا يقول بذلك أحد من المسلمين؛ لأنه يستلزم جهله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، أو أنْ نعبِّر عنه بقولٍ آخرَ وهو: إظهارٌ بعد إخفاءٍ، أي أظهر الله تعالى أمره بعد أنْ أخفاه عن عباده.

ومن خلال ما ورد من تعريفات النسخ والبداء تظهر للباحثين العلاقة بين المصطلحين، وهو اشتراكهما في تبديل الحكم الإلهي على وفق ما تقتضيه الحكمة الإلهية، فالتبديل والتغيير هو العامل المشترك بينهما؛ لأجل ذلك نرى أنَّ عددًا من الأعلام قد بحثوا في مؤلفاتهم مسألة البداء بعد الناسخ والمنسوخ أو معهما، ومن هؤلاء النحّاس فقد عَدَّ لذلك بابًا عنوانه الفرق بين النسخ والبداء[٢]، ومكي بن أبي طالب فإنه بعد أنْ فصَّل القول في الناسخ والمنسوخ، وشروط النسخ، وما له علاقة بالنسخ، ذكر عنوان معرفة الفرق بين النسخ والبداء وجواز الأول دون الثاني، فذكر ما تقدم مما يتعلق بالبداء[٣]، والغزالي في مبحث النسخ[٤]، والشريف المرتضى[٥]، والشيخ الطوسي[٦]، ومن المتأخرين السيد الخوئي إذ يقول في بيان العلاقة بينهما:

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤١٤

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١٠

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢-١١٣

(٤) المستصفى في أصول الفقه ١/ ٨٨

(٥) الذريعة إلى أصول الفقه ١/ ٤٢١

(٦) العدة في أصول الفقه ٢/ ٤٩٥

((يجبُ أنْ نذكرَ شيئًا في توضيحِ معنى البداءِ، وإنْ لم تكنْ لَهُ صلةٌ بمدخلِ التفسيرِ؛ وذلكَ لخفاءِ معناهُ على كثيرٍ من المسلمينَ، فالبداءُ كالنسخِ في أُفُقِ التكوينِ)).[١]

إذًا فتغيير الحكم من حيث التشريع هو(نسخ)، وتغييره من حيث التكوين هو(بداء)، والمتتبع لذلك يرى وجود هذه العلاقة الوثيقة بين الموضوعين من جهة، فضلاً عن مناقشة الجواز وعدمه وعقيدة المسلمين فيهما، وإلا فإنَّ المصلحة التي أجازت النسخ هي ذاتها التي أجازت البداء.[٢]

وما يتعلق بأقوال المسلمين فيه، فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

- **أحدها**: الجواز، وهو ما عليه أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام).

- **الآخر**: عدم الجواز، وهو ما عليه العامة.

فذهب الإمامية بجوازه من خلال الاستدلال بالقرآن والسنة الشريفة، ومما قاله الشيخ الطوسي فيه: ((إذا أُضيفتْ هذه اللفظةُ [البداء] إلى اللهِ تعالى فمنهُ ما يجوزُ إطلاقُهُ عليهِ، ومنهُ ما لا يجوزُ: فأما ما يجوزُ من ذلكَ، فهو ما أفادَ النسخَ بعينِهِ، ويكونُ إطلاقُ ذلكَ عليهِ على ضربٍ من التوسُّعِ، وعلى هذا الوجهِ يُحْمَلُ جميعُ ما ورد عن الصادقين(عليهما السلام) من الأخبارِ المتضمنةِ لإضافةِ البداءِ إلى اللهِ تعالى، دونَ ما لا يجوزُ عليهِ

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٠٦

(٢) إنَّ من أعظم ثمرات الاعتقاد بالبداء هو الاعتراف الصريح بأنَّ العالم كله تحت سلطان الله، وقدرته في بقائه وحدوثه، مما يوجب انقطاع العبد إلى الله تعالى، وطلبه إجابة دعائه، وتوفيقه للطاعة وغيرها، ولولا الاعتقاد بذلك لاستلزم لغوية وعبث الدعاء، والتوسل، والتضرع، وهذا يبيِّن حقيقة قول الإمام الصادق(عليه السلام): **((ما عُظِّمَ اللهُ عز وجل بمثلِ البِداءِ))**. الكليني: الكافي ١/ ١٤٦ باب(البداء) الحديث ١

مـن حصـولِ العلـمِ بعـد أنْ لم يكـنْ، ويكـونُ وجـهُ إطـلاقِ ذلـكَ فيـهِ تعـالى، والتشـبيهُ هـو أنـهُ إذا كـانَ مـا يـدلُّ عـلى النسـخِ يظهـرُ بـهِ للمكلفـينَ مـا لم يكـنْ ظاهرًا لهم، ويحصلُ لهم العلمُ بهِ بعد أنْ لم يكنْ حاصلاً لهـم))[1]، فكلامـه قـدس سره فيه من الدقة والتحقيق ما لا يخفى على الباحث اللبيب المُنصف، المُطَّلِع على حقيقة توحيد الله تعالى وما يتعلق بأفعاله.

ومن المتأخرين الشيخ جعفر السبحاني فيقول بعد ذكره للمعنى اللغوي للبداء: ((والبداءُ بهذا المعنى لا يُطْلَقُ على اللهِ سبحانَهُ بتاتًا؛ لاستلزامِهِ حدوثَ علمِهِ بشيءٍ بعد جهلِهِ به، ولا يُظَنُّ بمسلمٍ عارفٍ بالكتابِ والسنةِ أنْ يطلقَ البداءَ بهذا المعنى على اللهِ سبحانَهُ، فالشيعةُ الإماميةُ الذين يسعونَ إلى تنزيهِهِ سبحانَهُ من كُلِّ نقصٍ وعيبٍ بحماسٍ أكبرَ من سائرِ الفرقِ الإسلاميةِ، يستحيلُ عليهم أنْ يطلقوا البداءَ على اللهِ بهذا المعنى، بل لهم في ذلكَ تفسيرٌ آخرَ)).[2]

إنَّ العامة قالوا بعدم جوازه مطلقًا، فقد أشار مكي بن أبي طالب بعد تعريفه للبداء بقوله: ((وهذا [البداء] شيءٌ يلحقُ البشرَ لجهلِهم بعواقبِ الأمورِ وعلمِ الغيوبِ، واللهُ يتعالى عن ذلكَ علوًّا كبيرًا؛ لأنه يعلمُ عواقبَ الأمورِ، ولا يغيبُ عنهُ شيءٌ من علمِ الغيوبِ، فمحالٌ أنْ يبدوَ له رأيٌ لم يكنْ يبدو له قبلَ ذلكَ، هذا من صفاتِ المخلوقينَ المربوبينَ)).[3]

(١) العدة في أصول الفقه ٢/ ٢٩٥

(٢) العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات(محاضرات الشيخ جعفر السبحاني)، (مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ) ٢/ ٢٢٢

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١١٢

إنَّ هذه الأقوال تؤكِّد ما يذهب إليه العامة في مسألة البداء، وقد نوقشت في محلها نقاشًا علميًّا، قائمًا على الدليل العقلي والنقلي، ما لا يحتاج إلى السَّبِّ، والشتمِ، والاتهامِ، والابتعادِ عن خُلُقِ العلمِ والعلماءِ، فضلاً عن عدم قول الشيعة بمثل ما تقدم من قول.

أما السيد الشهرستاني قدس سره فقد ناقش ما يتعلق بالبداء وعلاقته بالنسخ، وأدلة العلماء فيه، فضلاً عن رأيه الخاص بالنسخ.(١)

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في النسخ

إنَّ السيد الشهرستاني قد ناقش موضوع النسخ من جوانبه المتعددة التي تقدمت؛ لما له أهمية كبيرة في فهم النص القرآني فهمًا تامًّا من جهة، ولما له علاقة بحجية ظواهر القرآن كما مقرر في علم الأصول من جهة ثانية، ولعلاقته باستنباط الحكم الشرعي بالنسبة للفقيه من جهة ثالثة، فحاول في كتاباته تعريف النسخ أولاً، ليتم بحثه عن الموضوع بالتفصيل بعد ذلك، فقال في تعريف النسخ أنه: ((رفعُ الحكمِ السابقِ بدليلٍ لاحقٍ، لولاهُ لثبتَ الأولُ)).(٢)

وناقش العلماء فيما يتعلق بشروط النسخ التي يجب توافرها ليتحقق النسخ، فقال في بيان شروط النسخ: ((أنْ يكونَ المنسوخُ أمرًا شرعيًّا لا من جملةِ الأمورِ الأخلاقيةِ والفنيةِ وأمثالِها، مما لا يستندُ تبديلُهُ أو تسجيلُهُ إلى الشرعِ، وأنْ يكونَ الناسخُ في ضِدَّينِ لا يجتمعانِ في زمانٍ ومكانٍ، أما إذا جازَ اجتماعَهُما فلا يُسمى نسخًا، كالمطلقِ

---

(١) سيتم بيانه بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث السادس.

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٦٣ وهذا هو تعريف الأصوليين له كما تقدم في أقوالهم. وهناك تعريفات أخرى يذكرها، سوف يتم بيانها في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الأول.

والمقيدِ، والدائمِ والمؤقتِ، والحكمِ الاختياريِّ أو الاضطراريِّ)).[١]

وأما فيما يتعلق بأصل النسخ، فإنه يذهب إلى القول بعدم وجود نسخ في القرآن الكريم، فبعد ذكره لما ورد من أقوال في تعريف النسخ، وشروطه، وبيان بعض الآيات التي قيل بنسخها، يناقش الموضوع مناقشة كبيرة، ثم يخرج بالنتيجة إلى القول بعدم النسخ في القرآن، إذ يقول: ((النسخُ في القرآنِ ممنوعٌ عندي؛ لأنَّ الشريعةَ جعلتْهُ ميزانَ الجرحِ والتعديلِ في الحديثِ المتواترِ عنهﷺ: ما وافقَ كتابَ الله فخذوهُ، وما خالفَهُ فاتركوه ، فلو كانَ في القرآنِ منسوخٌ اخْتَلَّ هذا الميزانُ، وأيضًا إنه المعجزُ الخالدُ فلا يتمُّ لو كانَ بعضهُ منسوخًا، وأيضًا إننا مكلفونَ بالتمسكِ والاهتداءِ به، فلا يجوزُ عليه نسخٌ))[٢]، وهذا القول منه يخالف فيه جملة كبيرة من علماء المسلمين الذين أكَّدوا على النسخ في القرآن الكريم، وذكروا ذلك في مؤلفات كثيرة جدًّا، ثم يذكر أحد عشر دليلاً في تأييد رأيه على امتناع وقوع النسخ في القرآن الكريم.[٣]

ولقد ناقش بعض الآيات الشريفة التي قال العلماء بنسخها، نقاشًا يراه دقيقًا في تنزيه القرآن من النسخ، ومنها(آية القبلة) فيقول: ((وأوضحُ ما استدلَّ بهِ النسخيُّونَ آيةَ القبلةِ وتحويلها عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ... ولكنَّ القرآنَ لم

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٢٢-٣٢٦ وسوف نبين ما يتعلق بشروط النسخ في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(٢) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٢/ ١٨٢

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط تنزيه التنزيل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٩٧ وسوف نذكر تلك الأدلة بالتفصيل في باب التحقيق، الفصل الثاني، المبحث الخامس.

يُشَرِّع استقبالَ بيتِ المقدسِ حتى ينسخَها بالأُخرى، وإنَّما القرآنُ شَرَّعَ استقبالَ الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ، فإذا سَمَّينا هذا ناسخًا قرآنيًّا كانَ من قسمِ الناسخِ الذي لا منسوخَ بإزائِهِ في القرآنِ)).[1]

فهذه أهم الموضوعات التي حاولنا عرضها إجمالاً في هذا المبحث؛ لنكون على بينة فيما يتعلق بهذا الباب المهم من أبواب علوم القرآن الكريم، وتكون هذه المطالب تمهيدًا لما سيتناوله السيد الشهرستاني في مخطوطاته، عند مبحث النسخ في القرآن الكريم.

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٢٢-٣٢٦، إنَّ آية القبلة ونسخها من الآيات التي يقول بها أغلب المفسرين، والعلماء في مؤلفاتهم، وممن اختلف في تحديد ناسخها النحاس حيث يذهب إلى أنَّ التوجه إلى بيت المقدس قد نُسِخَ من غير أنْ يحدِّدَ الناسخ له، إذ يقول: ((فأول ذلك [أي النسخ] السورة التي يذكر فيها البقرة، حدثنا بكر ابن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، فكان أول ما نسخ الله عز وجل من القرآن القبلة، وذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثرها اليهود أمره الله تعالى أنْ يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود بذلك، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم بضعة عشر شهرًا))، ثم يذكر روايات متعددة في بيان مدة الصلاة إلى بيت المقدس، ويقول: ((فعلى قول ابن عباس إنَّ الله عزوجل كان أَمَرَهُ بالصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخه، قال غيره بل نسخ فعله...، وقال قوم: بل نسخ قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ بالأمر بالصلاة إلى الكعبة، قال أبو جعفر: أَوَّلِي الأقوالِ بالصواب الأول[قول ابن عباس] وهو صحيح، والذي يطعن في إسناده..)). للتفصيل ينظر: ١٣-١٤ باب(السور التي يذكر فيها الناسخ والمنسوخ).

الفصل الثالث

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.

الفصل الثالث:

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

إنَّ مبحثَ المحكمِ والمتشابهِ من المباحثِ المهمة في علومِ القرآنِ الكريمِ، وقد اعتنى المسلمون به اعتناءً كبيرًا؛ لأنهُ يتعلق بفهم كلام الله تعالى الذي اشتمل على موضوعات متعددة، لها علاقة بتنظيم حياة الفرد والمجتمع، وبيان الأحكام التكليفية التي أوجبها الله تعالى على عباده، وقد ذكر الله تعالى في كتابه المجيد بأنَّ القرآن قد اشتمل على قسمين من الآيات: المحكمات والمتشابهات، وبيَّن ما يتعلق بكل قسم منهما، فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[1]، وقد ذكر المفسرون آراء متعددة لبيان ما يتعلق بهذين القسمين والآيات الشريفة التي ينطبق عليها الإحكام والتشابه، والجمع بينهما، وتكمن أهمية الدراسة –كما تقدم– في كَوْنِها تصبُّ في مصدر التشريع الأول للمسلمين، ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة؛ لذلك نرى أنَّ الروايات المباركة قد حذرت من تفسير القرآن الكريم من دون الإحاطة بما يتعلق بعلومه الخاصة، ومنها المحكم والمتشابه، ففي الحديث عن رسولﷺ: ((**مَنْ عملَ بالمقاييسِ فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ، ومَنْ أَفتى الناسَ بغيرِ علمٍ وهو لا يعلمُ الناسخَ من المنسوخِ، والمحكمَ من المتشابهِ فقد هَلَكَ وأَهْلَكَ**)).[2]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧

(٢) الكليني: الكافي ١/ ٤٣ باب(النهي عن القول بغير علم) الحديث ٩

وفي هذا الفصل نحاول بيان ما يتعلق بمصطلح المحكم والمتشابه، وبيان أهم آراء أعلام المسلمين فيه، ورأي السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في حقيقة المحكم والمتشابه في كتاب الله تعالى، ضمن مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه، وحكمة تقسيم آيات القرآن عليهما.
- **المبحث الثاني**: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه.

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه وحكمة تقسيم آيات القرآن عليها

قال الشيخ الطوسي في تعريف المحكم: ((فالمُحْكَمُ هو ما عُلِمَ المرادُ بظاهرِهِ من غيرِ قرينةٍ تقترنُ إليهِ، ولا دلالةٌ تدلُّ على المرادِ به لوضوحِهِ، نحو قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**﴾[1]، وقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾[2]؛ لأنه لا يحتاجُ في معرفةِ المرادِ به إلى دليلٍ)).[3]

وقال الراغب الأصفهاني: ((فالمُحْكَمُ ما لا يُعْرَضُ فيهِ شُبْهَةٌ من حيثِ اللفظِ، ولا من حيثِ المَعنى)).[4]

مما تقدم يمكن القول: بأنَّ الآيةَ المحكمة هي التي تُفهم بأدنى تأملٍ لكلام الله تعالى، من دون الاستعانة بقرائن حاليةٍ، أو مقاليةٍ لبيان مراده تعالى، مقابل الآيات المتشابهة التي تحتاج إلى ذلك، وسيتضح جليًّا معناه عند بيان مصطلح المتشابه.

قال الشيخ الطوسي في تعريف المتشابه: ((والمُتَشابِهُ ما لا يُعلَمُ المُرادُ بظاهِرِهِ حَتَّى يَقْتَرِنَ بِهِ ما يَدُلُّ على المُرادِ مِنْهُ، نحو قوله: ﴿**وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾[5]، فإنَّهُ يُفارِقُ قوله: ﴿**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[6]؛ لأنَّ إضلالَ السَّامِرِيِّ قبيحٌ، وإضْلالُ اللهِ بمعنى حُكْمِهِ بأنَّ العبدَ ضالٌّ ليسَ قبيحٌ، بَلْ هو حَسَنٌ)).[7]

---

(١) سورة يونس: الآية ٤٤

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠

(٣) التبيان في تفسير القرآن ١/ ٤٣

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٣٢(حكم).

(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٣

(٦) سورة طه: الآية ٨٥

(٧) التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٤

وقال الزركشي: ((وأما المُتَشابهُ فَأَصْلُهُ أَنْ يَشْتَبِهَ اللفظُ في الظاهرِ مع اختلافِ المعاني، كما قال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[١] أي مُتَّفِقُ المناظرِ، مختلفُ الطعومِ)).[٢]

إذًا فيمكن القول إجمالاً: ((إنَّ المحكماتِ هي الآياتُ التي تدلُّ على معانيها على وجهٍ واحدٍ، بلا مانعٍ يمنعُ من إرادةِ مثلِ تلكَ المعاني، ويعبَّرُ عن هذا المعنى بالظهورِ الذي يجبُ العملُ على طِبقه، وأما المتشابهاتُ فهي الآياتُ التي على خلافِ المحكماتِ، فهي إمَّا لا تدلُّ على معنًى ظاهرٍ أصلاً كفواتِحِ السورِ، وإما تدلُّ على معنًى غيرِ مرادٍ قطعًا بحكمِ العقلِ، مثلُ الآياتِ التي تُجَسِّدُ الخالقَ تعالى، وإمَّا أنْ تدلَّ على معانٍ متعددةٍ، ولا توجدُ قرينةٌ على إحداها، وقد نهى اللهُ تعالى العملَ بها، إلا بعدَ معرفةِ المرادِ الحقيقيِّ منها)).[٣]

فالمحكماتُ هي الآياتُ التي لا تحتاجُ إلى التأويلِ؛ لأنَّ المقصودَ منها واضحٌ وجليٌّ لكُلِّ عارفٍ باللغةِ العربيةِ، والمتشابهاتُ هي الآياتُ التي تحتاجُ إلى توضيحِ المقصودِ منها؛ لأنها تقبلُ وجهينِ، أو وجوهٍ متعددة، مما يجعلُ المكلفَ متردِّدًا في المعنى المرادِ من اللفظِ، فيستعينُ بالقرائنِ التي توضِّحُ المرادَ.

إنَّ هذه التعريفاتِ المتقدمة لمصطلحي المحكمِ والمتشابهِ قد ذكرتها أغلبُ المصادرِ التي تناولتها الدراساتُ القرآنيةُ، فضلاً عن المفسرينَ[٤]، وهناك آراء متعددة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٦

(٣) مير محمدي: بحوث في تأريخ القرآن وعلومه: ٢٩٢-٢٩٣

(٤) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٢٣٩، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢١٣، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٣/ ١١-١٢، الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ←

للصحابة في بيان ذلك.[١]

وإنَّ الروايات الشريفة قد أكدت على بيان معرفة المحكم والمتشابه لأهميته وهي كثيرة، منها ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (**إنَّ أُناسًا تكَلَّمُوا في القُرآنِ بغَيْرِ عِلْمٍ، وذلِكَ إنَّ اللهَ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ فَالمَنْسُوخَاتُ مِنَ المُتَشَابِهاتِ، والنَّاسِخَاتُ مِنَ المُحْكَمَاتِ**)[٢]، وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (**المُحْكَمُ ما يُعْمَلُ بِهِ، والمُتَشَابِهُ ما اشْتَبَهَ على جَاهِلِهِ**)[٣]، وقوله عليه السلام: (**إنَّ القُرْآنَ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، فأمَّا المُحْكَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ونَعْمَلُ بِهِ، ونَدينُ اللهَ بِهِ، وأَمَّا المُتَشابِهُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ولا نَعْمَلُ بِهِ، هو قول الله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، والراسخون في العلم فهم آل محمد عليهم السلام**).[٤]

→

٢٠٠١م): ٢٤٥-٢٤٦، الحكيم: علوم القرآن: ١٨٥-١٨٦

(١) ينظر: الفرطوسي، سعد وحيد عيسى: متشابه القرآن الكريم في كتاب حقائق التأويل للشريف الرضي دراسة لغوية دلالية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة/ كلية الآداب، ٢٠١٠م): ٣-٢٣ فقد ذكر ثلاثة وعشرين رأيًا، وفي كثير منها لا ينطبق مصطلح المحكم والمتشابه عليه، وإنما من باب ذكر المصاديق.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٢٧/ ١٨٢ الباب نفسه، الحديث ١٨

(٣) العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي، تص و تع: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت) ١/ ١٦٢، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٣/ ١٠

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ١٩٨ بسند آخر باب(عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام)، الحديث ٥٢، العياشي:

←

وقد اعتنى العلماء المسلمون بموضوع المحكم والمتشابه اعتناء كبيرًا، وذكروا أقوالاً متعددة وردت فيهما، لأهمية ذلك في التعامل مع النصوص القرآنية، من ناحية استنباط الأحكام الفقهية، والمسائل العقائدية وغيرهما، مما له أثر في تفسير القرآن الكريم.(١)

وفي بيان حكمة تقسيم آيات القرآن الكريم على المحكم والمتشابه فللعلماء أقوال متعددة نقتصر على ذكر بعضها، قال الشيخ الطوسي: ((فإنْ قيل: لِمَ أُنْزِلَ في القرآنِ المتشابِهُ؟ وهَلَّا أنزلَهُ كُلَّهُ محكمًا! قيل: للحَثِّ على النظرِ الذي يوجِبُ العلمَ دونَ الاتِّكالِ على الخبرِ من غيرِ نظرٍ؛ وذلكَ أَنَّهُ لو لم يعلمْ بالنظرِ أنَّ جميعَ ما يأتي به الرسولُ حَقٌّ يجوزُ أنْ يكونَ الخبرُ كذبًا، وبطلتْ دلالةُ السمعِ وفائدتُهُ، فلحاجةِ العبادِ إلى ذلكَ من الوجه الذي بَيَّناهُ أنزلَ اللهُ متشابهًا، ولولا ذلكَ لما بانَ منزلَةُ العلماءِ وفضلُهُم على غيرِهم؛ لأَنَّهُ لو كانَ كُلُّهُ محكمًا لكانَ مَنْ يتكلمُ باللغةِ العربيةِ عالمًا بهِ، ولا كان يشتبهُ على أحدٍ المرادُ بهِ، فيتساوى الناسُ في علمِ ذلكَ على أنَّ المصلحةَ معتبرةٌ في إنزالِ القرآنِ، فما أنزلُهُ متشابهًا لأنَّ المصلحةَ اقتضتْ ذلكَ، وما أنزلَهُ محكمًا فلمثلِ ذلكَ)).(٢)

→

تفسير العياشي١/ ١٦٢، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٣/ ١٠

(١) للتفصيل في أقوالهم ينظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، تح: الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء، (دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ٢، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٥، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣(شبه)، الغزالي: المستصفى في علم الأصول ١/ ٨٥، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٣٨، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م) ١/ ٣٥٠-٣٥١، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٧/ ١٨٣-١٨٤، أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط٢/ ٣٩٦-٣٩٨، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٥-٤٦

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٦

من خلال ما تقدم يُفهم أنَّ أساس التقسيم يكون على معرفة منزلة العالِمِين بحكمه، وأحكامه، وأسراره وغيرها، مما هو متعلق بالقرآن الكريم، ولكن ذلك إنما يكون في الآيات المتشابهات، وإلا فالمُحكمات لا يختلف في فهمها أحد.

وقال الزمخشري: ((فإنْ قلتَ: فَهَلَّا كانَ القرآنُ كُلُّهُ محكماً؟ قلت: لو كانَ كُلُّهُ محكمًا لتعلَّقَ الناسُ بهِ لسهولَةِ مأخذَهِ، ولأعرضُوا عَمَّا يحتاجونَ فيهِ إلى الفحصِ والتأمُّلِ من النظرِ والاستدلالِ، ولو فعلوا ذلكَ لعطَّلوا الطريقَ الذي لا يتوصَّلُ إلى معرفةِ اللهِ وتوحيدِهِ إلا بِهِ، ولما في المتشابهِ من الابتلاءِ والتمييزِ بينَ الثابتِ على الحَقِّ والمتزلزِلِ فيهِ، ولما في تقادحِ العلماءِ وإتعابِهِمُ القرائِحَ في استخراجِ معانيهِ، وردِّهِ إلى المحكمِ من الفوائدِ الجليلةِ، والعلومِ الجمَّةِ، ونيلِ الدرجاتِ عندَ اللهِ)).[1]

مما ذُكر يُفهم أنَّ الغاية من ذلك هو الدعوة إلى التفكر والتأمل في آيات الله تعالى؛ ليتميز بعدها ما بين العالم وغيره، وهو كلام الشيخ الطوسي الذي سبق نفسه.

إنَّ ما ورد من هذه الأقوال، هو مجمل أقوال المفسرين في بيان سبب اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.

ونرى أَنَّ كُلَّ ما تقدم في بيان سبب تقسيم الآيات على المحكم والمتشابه يحتاج إلى تأمُّلٍ وتدقيق في قبوله، ولا يمكن الركون والاطمئنان إليه؛ لأنَّ الله عز وجل أنزل كتابه هدى للناس وبشرى لهم، كما قال تعالى: ﴿**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[2]، وكتاب آياته بينات للهداية والفلاح، بل هو كتاب رحمة

---

(١) تفسير الكشاف ١/ ٣٣٦

(٢) سورة النمل: الآيتان ١-٢

للبشرية وهدايتها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[١]، وفضلاً عن كُلِّ ذلك فقد أُنزل القرآن الكريم بلسان قومه الذين يفهمونه، ويعرفون مقاصد الكلام، فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[٢]، وغير هذه الآيات التي تؤكد هذه المعاني، فكيف يصرِّح القرآن بأنه كتاب هداية، ورحمة، وبيان، وأنه حجة على جميع المسلمين ولا يستطيع فهمه إلا العلماء؟ لذلك نرى بأنَّ الله تعالى لم يصرِّح بأنَّ عدم فهم القرآن خاص بجميع الناس، أو أنهم يتبعون المتشابه فلا يصلون إلى الصراط المستقيم، بل خَصَّ طائفة منهم وهم(الذين في قلوبهم زيغ)، فالآيات الشريفة المحكمة والمتشابهة هي معلومة لا لبسَ فيها، وإنما تحتاج إلى معرفة اللغة والعقيدة، وعلى أساسهما تتم الهداية، أما لو جهل أحدهما فلا يمكنه الوصول إلى الهداية لُمراد الله تعالى، فضلاً عن الذين لا يريدون الهداية فيتَّبعون المتشابه منه، لأجل إضلال الآخرين.

وفي الدراسات الحديثة لعلوم القرآن الكريم ذُكِرَتْ لبيان ذلك أقوال متعددة، فيها إضافات على ما تقدم[٣]، وللدكتور محمد علي الشهرستاني رأي جديد يستحق التأمل

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٢

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢-١٩٥

(٣) للتفصيل ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢٢٣-٢٢٤، الصالح: علوم القرآن: ٢٨٦، الإبراهيم، موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، (دار عمار، عمان، ط٣، ١٤١٦هـ١٩٩٦م): ١٥٨، البغا و مستو، مصطفى ديب ومحيي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، (دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م): ١٣٤، عتر، نور الدين: علوم القرآن الكريم، (الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ ←

والتدبر فيه، فإنه يرى أنَّ في التشريع أمورًا ثابتةً، وأخرى متغيرةً، فالقانون فيه من الثوابت الأساسية التي لا يمكن تبديلها أو تغييرها، ومنها ما هو يتغير بملائمة الزمان على وفق المتغيرات والمستحدثات، وهذا من الإعجاز الإلهي للقرآن الكريم، فهو القانون الأبدي الذي يغطي الثابت والمتغير، فالآيات المحكمات لتغطية الثابت، والآيات المتشابهات لتغطية المتحرك، ولأجل تحصين المتشابه من التلاعب فيه على وفق الأهواء جعل معرفة حقيقته بعد الله تعالى إلى الراسخين في العلم.(١)

يتبيَّن مما ذكرنا أهم الأسباب التي وردت في سبب تقسيم آيات الكتاب العزيز على المحكم والمتشابه، وحكمة عدم الاقتصار على أحدهما، وتبقى جميع الأقوال والوجوه قابلة للنقاش؛ لعدم وجود نصٍّ صريح لبيان حكمة، أو علة ذلك من القرآن الكريم، أو السنة الشريفة، بل تمت الإشارة إجمالًا إلى بيان معنى المحكم والمتشابه.

المبحث الثاني: العلاقة بين الراسخين في العلم وتأويل القرآن

في هذا المبحث نحاول بيان مطلبين مهمين؛ لنكون على بينة فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه لأهميته، فضلاً عن الاختلاف الكبير بين العلماء النحويين والمفسرين وغيرهما فيه.

- **المطلب الأول**: العلاقة بين التأويل والتفسير.
- **المطلب الثاني**: هل يعلم الراسخون في العلم تأويل القرآن، ومَنْ هم الراسخون؟

لقد أشارت الآية المباركة إلى هذه العلاقة الوثيقة عند تقسيمه تعالى آيات القرآن

←

١٩٩٣م): ١٣٠، الزيدي: علوم القرآن والتفسير: ٩٨، زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: ١٧٩، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٣/ ١٩

(١) ينظر: الشهرستاني، محمد علي: مدخل إلى علم الفقه، (دار النصر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م): ٩٨

الكريم على محكمات ومتشابهات، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وهذان المطلبان قد اختلف المسلمون في بيانهما، والإحاطة بهما، فاختلفوا في تفسير ذلك بما يلائم عقائدهم، وإنْ كانت تلك العقيدة تخالف ظاهر القرآن الكريم أحيانًا؛ لأجل ذلك فقد استوجب المنهج العلمي دراسة هذين المطلبين، والبحث فيهما؛ للوصول إلى حقيقة من حقائق القرآن الكريم، كونه المعجزة الخالدة للشريعة المقدسة.

- **المطلب الأول: العلاقة بين التأويل والتفسير.**

قال الطبرسي في بيان المراد من التأويل: ((التأويلُ رَدُّ أَحَدِ المُحْتَمَلَيْنِ إلى ما يُطابِقُ الظَّاهِرَ)).[1]

وقال الزركشي: ((التأويلُ صَرْفُ الآيَةِ إلى ما تَحْتَمِلُهُ مِنَ المَعاني)).[2]

وخلاصة ما ذكر يتضحُ أَنَّ التأويل هو بيان المعنى الدقيق والعميق، للفظ الذي يحتمل معاني متعددة، وهذا يحتاج إلى تأملٍ وتَعَمُّقٍ لفهم المراد من القول، وقد أكَّدَ العلماء ذلك من خلال كلماتهم، في بيان المراد من التأويل، على الرغم من الاختلاف الوارد فيه، ولكنه يلتقي في أمرٍ مهمٍّ، يتعلق بالوجوه المحتملة للفظ، وليس للفظ الذي له وجه واحد ظاهر معناه فيه.

قال الطبرسي في بيان المراد من التفسير: ((كَشْفُ المُرادِ عَنِ اللَّفْظِ المُشْكِلِ)).[3]

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٩

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٧، وذكر السيوطي ما ورد من الأقوال في المراد من التأويل. للتفصيل ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٦٧-١٦٩

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٩

وقال الزركشي: ((كَشْفُ مَعاني القُرْآنِ وَبَيانُ المُرادِ)).[(١)]

فهذه الكلمات وغيرها من كلمات العلماء تشير إلى أمر واحد، وهو معرفة المراد من ألفاظ القرآن الكريم، والتي تمثلت بما هو بين الدفتين من كلامه تعالى، فالوصول إلى مفهوم اللفظ وبيان معناه هو التفسير إجمالاً.

إنَّ التأكيد على اللفظ المشكل أدى إلى حصر بعض العلماء التفسير فيه، من دون غير المشكل منه، إذ لا يطلق عليه تفسيرًا، ولعل هذا ما أراده الطبرسي في قوله المتقدم، بل إنَّ السيد محمد باقر الصدر(ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) رجَّحَ أنَّ التفسير إنما يشمل اللفظ المشكل فقط من دون سواه، وإنْ كان معناه اللغوي يشمل البيان، والإيضاح، والكشف وغيرها، ولكنه في الاصطلاح العلمي يتعلق باللفظ المشكل خاصة، فيقول بعد مناقشة تعريف التفسير: ((فمَنْ يسمعُ كلامًا له معنًى ظاهرٌ يتبادرُ من ذلكَ الكلامِ، فيعلنُ عن ذلكَ المعنى لا يكونَ مُفَسّرًا للكلامِ؛ لأَنَّهُ لم يكشفْ عن شيءٍ خفيٍّ، وإنما يصدقُ التفسيرُ على الجُهدِ الذي يبذلُهُ الشخصُ في سبيلِ اكتشافِ معنى الكلامِ المكتَشَفِ بشيءٍ من الغموضِ والخفاءِ، وبتعبيرٍ آخرٍ: إنَّ مَنْ أظهرَ معنى اللفظِ يكونُ قد فسّرَه، وأما حيث يكونُ المعنى ظاهرًا ومتبادرًا بطبيعتِه، فلا إظهارَ ولا تفسيرَ)).[(٢)]

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٧ لم يقيِّد الزركشي التفسير بالمشكل من اللفظ، بل بمطلق البيان لكلام الله تعالى؛ لذا ذكر تعريف التفسير قوله: ((أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكونَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ المشْكِلِ وَغَيْرِهِ، وَبِحَسَبِ المعْنَى الظَّاهِرِ وَغَيْرِهِ)).

(٢) وقد قسم السيد الصدر الظهور على نوعين: بسيطٌ ومُعَقَّدٌ، فلم يعد الظهور البسيط من التفسير لظهوره بنفسه، مقابل المعَقَّد الذي يحتاج إلى بذل جهد. للتفصيل ينظر: المدرسة القرآنية، تح: لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، (شريعت، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ): ١٩٢

وفيما يتعلق بالعلاقة بين التأويل والتفسير فلعل المطَّلع على ما تقدم من التعريفات لهما، يرى أنَّ هناك علاقة بينهما من جهة، وافتراق من جهة أخرى، أي علاقة عموم وخصوص من جهة، أما جهة العموم فتتعلق بالكشف عن كلام الله تعالى ومعرفته، وأما الخصوص فإنَّ التأويل يشمل اللفظ الذي له معانٍ ووجوه متعددة، وهو يحدد أحد تلك الوجوه، مع اشتراط عدم مخالفتها للقرآن الكريم، وأما التفسير فلا يشمل ذلك، وعند استقراء كلمات الأعلام نرى أنَّ هناك مَنْ يؤكد ما تقدم مَنْ افتراق المصطلحين في المعنى[(١)]، وهناك مَنْ يرى عدم الافتراق بينهما.[(٢)]

- **المطلب الثاني: هل يعلم الراسخون في العلم تأويل القرآن، ومَنْ هم الراسخون؟**

نسلط الضوء في هذا المطلب على مسألة مهمة جدًّا لها علاقة بفهم كتاب الله تعالى وتأويله، قد اختلف العلماء والمفسرون بها، ما بين مؤيِّدٍ بأنَّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل الكتاب أو المتشابه من آياته، ونافٍ لذلك في حصر التأويل بالله تعالى من دون سواه، وهذه –بصراحة– إشكالية تحتاج إلى بيانها ودراستها دراسة مستفيضة؛ لنكون على بينة في التعامل مع الروايات التفسيرية الشريفة لكتاب الله تعالى، فلو حصل الاطمئنان بتأييد أنَّ الراسخين بالعلم يعلمون تأويل القرآن الكريم، فيمكن الركون إليهم في تلك الروايات التفسيرية، بعد الوثوق من صحة صدورها عنهم، وإلا فلا يمكن ذلك، ويُسلَّم الأمر لله تعالى.

---

(١) للتفصيل ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٧-٩٨، مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٧-٨، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥/ ٧١، الجبوري، محمد عباس نعمان: تأويل المتشابه عند المفسرين، (أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م): ٩٢

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٠

إنَّ الرسوخ في الأمر هو الثبات فيه كما ذكره اللغويون، قال ابن فارس: ((الراءُ والسينُ والخاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثَّباتِ، ويقال: رَسَخَ: ثَبَتَ، وكُلُّ راسخٍ ثابتٌ))[١]، وقال الراغب الأصفهاني: ((رَسَخَ: رسوخُ الشيءِ ثباتُهُ ثباتًا متمكّنًا، ورسخَ الغديرُ نَضُبَ ماؤُهُ ورسخَ تحتَ الأرضِ، والراسخُ فى العلمِ المتحقِّقُ به، الذي لا يعرضُهُ شبهةٌ، فالراسخونَ فى العلمِ هم الموصوفونَ بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾[٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ**﴾[٣])).[٤]

وإنَّ العلماء قد انقسموا على قولين رئيسين في المسألة، وهناك رأي ثالث عند بعضهم، ومنشأ ذلك هو الاختلاف في معنى حرف(الواو)، الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾، هل هو حرف عطف، أم استئناف، وسوف نذكر بعض كلمات العلماء في ذلك:

يرى الفراء(ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) أنَّ الراسخين لا يعلمون التأويل، فقال: ((ثم قال: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ**﴾، ثم استأنفَ﴿**وَالرَّاسِخُونَ**﴾، فرفعهُم بـ﴿**يَقُولُونَ**﴾، لا باتباعِهم إعرابَ الله)).[٥]

وإنَّ الطبري قد فصَّل الآراء التي وردت في الآية المباركة، وحجة كُلِّ رأي في تفسيره، فقال: ((واختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلكَ[بأنَّ الله وحده يعلم التأويل من دون غيره]، وهل﴿**الرَّاسِخُونَ**﴾ معطوفٌ على اسمِ﴿**الله**﴾، بمعنى إيجابِ العلمِ لهم

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة(رسخ).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٢

(٤) مفردات غريب القرآن: ٢٠٢(رسخ).

(٥) يحيى بن زياد: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (مط أمير، الناشر: ناصر خسرو، ط١، قم، د.ت) ١/ ١٩١

بتأويلِ المتشابهِ، أَمْ هم مستأنَفٌ ذكرُهم، بمعنى الخبرِ عنهم، أنهم يقولونَ: آمنَّا بالمتشابهِ، وصدَّقنا أنَّ علمَ ذلكَ لا يعلمُه إلا اللهُ))[١]، ثم ذكر أحاديث ستة وردت في نفي علم الراسخين بالتأويل، وذكر بعدها أحاديث خمسة تؤكد علمهم به[٢]، وإنَّه قد رجَّح القول بنفي علمهم بالتأويل، اعتمادًا على ما فهمه من الآية المباركة، فضلاً عن ورود قراءة يطمئنُّ بها تدعم هذا الرأي، وإنْ كانت هذه القراءة لم ترد في القراءات السبعة أو العشرة[٣]، فقال: ((والصوابُ عندَنا في ذلكَ أنَّهم مرفوعونَ بجملةِ خبرِهم بعدَهم وهو ﴿**يَقُولُونَ**﴾، لما قد بيَّنا قبلُ من أنَّهم لا يعلمونَ تأويلَ المتشابهِ، الذي ذكرهُ اللهُ عز وجل في هذهِ الآيةِ، وهو فيما بلغني مع ذلكَ في قراءةِ أُبيٍّ: وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ كما ذكرناهُ عن ابنِ عباسٍ أنه كانَ يقرؤه، وفي قراءة عبد الله: إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ)).[٤]

وقال النحاس بمعرفة الراسخين في العلم التأويل: ((﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ والرَّاسِخونَ**﴾ عطفٌ على الله جَلَّ وَعَزَّ، هذا أحسنُ ما قيلَ فيه؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ مَدَحَهُمْ بالرسوخِ في العلمِ، فكيفَ يمدحُهُمْ وَهُمْ جُهَّالٌ)).[٥]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٢٠١

(٢) جامع البيان عن تأويل آي من القرآن ٦/ ٢٠٢-٢٠٤

(٣) وكذلك لم يذكرها ابن جني في كتابه الشهير المختص بالقراءات الشاذة المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. ولكنها وردت في بعض التفاسير، للتفصيل ينظر: الخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م) ١/ ٤٤٥

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٢٠٤

(٥) إعراب القرآن ١/ ١٤٧

وذكر مكي بن أبي طالب القيسي بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل، إذ يقول: ((قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ عطفٌ على﴿اللهُ﴾ جل ذكره، فهم يعلمونَ المتشابهَ؛ ولذلكَ وصفَهم اللهُ تعالى بالرسوخِ في العلمِ، ولو كانوا جُهَّالًا بمعرفةِ المتشابهِ لما وُصِفوا بالرسوخِ في العلمِ، فأما ما رويَ عنِ ابنِ عباسٍ أنه قرأ ويقولُ الراسخونَ في العلمِ آمنَّا بهِ فهي قراءةٌ تُخالِفُ المصحفَ، وإنْ صَحَّتْ فتأويلُها ما يعلمُهُ إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ، ويقولونَ آمنَّا بهِ)).[١]

وقال الغزالي: ((فَإِنْ قِيلَ: (الوَاوُ) لِلْعَطْفِ، أَمْ الأَوْلَى الوَقْفُ عَلَى الله؟ قُلْنَا: كُلُّ وَاحِدٍ مُحْتَمَلٌ، فَإِنْ كَانَ المُرَادُ بِهِ وَقْتَ القِيَامَةِ فَالوَقْفُ أَوْلَى، وَإِلَّا فَالعَطْفُ، إِذِ الظَّاهِرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُخَاطِبُ العَرَبَ بِمَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ لِأَحَدٍ مِنْ الخَلْقِ)).[٢]

وذهب الزمخشري إلى أنَّ الراسخين بالعلم لهم معرفة بتأويله، فقال: ((﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجبُ أنْ يحملَ عليهِ إلا اللهُ وعبادُهُ الذينَ رسَخوا في العلمِ، أي ثبتوا فيهِ وتمكَّنُوا، وعَضُّوا فيهِ بضرسٍ قاطعٍ))[٣]، ثم ذكر بعد ذلك القول الثاني المخالف للرأي الأول، وحجة القائلين به، ولكنه صرَّح بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل، فقال: ((والأولُ هو الوجهُ)).[٤]

وقد رجَّح الرازي أنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل، وذكر القائلين بذلك، إذ يقول: ((﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ واختلف الناس في هذا الموضع، فمن مَن قال:

---

(١) مشكل إعراب القرآن، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ) ١/ ١٥٠

(٢) المستصفى في علم الأصول ١/ ٨٥

(٣) تفسير الكشاف ١/ ٣٦٦

(٤) المصدر نفسه.

تم الكلام ههنا، ثم الواو في قوله: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ واو الإبتداء، وعلى هذا القول: لا يعلم المتشابه إلا الله، وهذا قول ابن عباس وعائشة ومالك بن أنس والكسائي والفراء، ومِنَ المعتزلةِ قولُ أبي عليٍّ الجبائيِّ وهو المختارُ عندنا))[١]، ثم ذكر حججًا ست تأييدًا لقوله[٢]، ولكننا نستغرب هذا الرأي؛ لأنه ذكر صراحة بأنَّ أكثر المتكلمين قد أيَّدوا علم الراسخين بالتأويل إذ قال: ((والقول الثاني: إنَّ الكلامَ إنَّما يتمُّ عند قوله: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾، وعلى هذا القولِ يكونُ العلمُ بالمتشابهِ حاصلًا عندَ الله تعالى وعندَ الراسخينَ في العلمِ، وهذا القولُ أيضًا مرويٌّ عن ابنِ عباسَ، ومجاهدَ، والربيعِ بنِ أنسٍ وأكثرِ المتكلمينَ)).[٣]

ورجَّح العكبري (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) علم الراسخين بتأويل الكتاب إذ قال: ((﴿**الرَّاسِخُونَ**﴾ معطوفٌ على اسمِ الله، والمعنى: إنَّهم يعلمونَ تأويلَهُ أيضًا، و﴿**يَقُولُونَ**﴾ في موضعِ نصبٍ على الحالِ، وقيلَ: ﴿**الرَّاسِخُونَ**﴾ مبتدأ، و﴿**يَقُولُونَ**﴾ الخبر، والمعنى: إنَّ الراسخينَ لا يعلمونَ تأويلَهُ بل يؤمنونَ بهِ)).[٤] ولا يخفى على المتتبع أنَّ تعبيره بـ(قيل) عن الرأي الثاني يعزز ترجيحه للقول الأول بأدنى تأمل.

وقال الشيخ البلاغي (ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) عند تفسيره للآية الشريفة وبيانه للخلاف فيها: ((وهذا الخلافُ مما لا يكتفي فيهِ بالمصادراتِ، ولا لعلَّ وليتَ، بل لا بد فيه من إيراد الدلائلِ الرافعةِ لتشابهِ مواردِ الواوِ في عطفِ المفردِ، أو الجملةِ، أو

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ١٤٥

(٢) المصدر نفسه ٧/ ١٤٥-١٤٧

(٣) المصدر نفسه ٧/ ١٤٥

(٤) عبد الله بن الحسين: إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (مط أمير، الناشر: مؤسسة الصادق، ط٣، د.ت) ١/ ١٢٢

الاستئنافِ... وأما القول الثاني[وهو العلم بالتأويل] فحجتُهُ دلالةُ العقلِ، والنقلِ الصحيحِ من الفريقينِ، وسياقِ القرآنِ الكريمِ، [ولو لم يعلموا] فيكونُ القسمُ الكبيرُ من القرآنِ الكريمِ لا فائدةَ في تنزيلهِ للبشرِ مطلقًا، حتى الرسولِ الأكرمِ، إلا صدى ألفاظِهِ، وسوادِ حروفِهِ)).[1]

فهذان هما الرأيان الأساسين فيما يتعلق بعلم الراسخين بالتأويل وعدمه، وأما الرأي الثالث فهو الذي يجمع بينهما، من حيث القول بعلم الراسخين بذلك أيضًا، ولكن ليس العلم المطلق المختص بعضه بالله تعالى، مع الجزم بعلمهم بما يتعلق بكتاب الله تعالى وتأويله وتفسيره، وهذا ما ذهب إليه السيدان الشريفان الرضي(ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، والمرتضى(ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م).[2]

لقد حاولنا أنْ نؤكد أهمية ذلك من خلال ذكر ما تقدم من كلمات الأعلام، التي سلطت الضوء على مسألة مهمة جدًا لها علاقة بعلوم القرآن الكريم، فضلًا عن علاقتها بالعقيدة واختلاف الفِرَق الإسلامية على أقوال، ولكننا بعد التحقيق والتدقيق في الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، والتأمل في الغاية من إنزال الكتب السماوية،

---

(١) محمد جواد: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، (مط العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ١٩٣٣م) ١/ ٢٥٦-٢٥٧، لقد ذكر الشيخ أدلة القولين والروايات المؤيدة لكُلٍّ منهما، وبعد تأييده للثاني وبيانه للروايات، فيخلص إلى القول: ((ولو كانَ علمُ التأويلِ منحصرًا بالله، ولم يُعَلِّمْهُ رسولَهُ والراسخينَ في العلمِ، لما دعا به رسولُ اللهِ ﷺ لابنِ عباس، وما هو معنى الدعاءِ بما لا يُرْجَى وقوعُهُ)).

(٢) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل ٥/ ٧، أمالي السيد المرتضى، تص: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ، د.مط) ٢/ ٩٤

وإرسال الأنبياء والمرسلين(ع)، نرى أنه لا يمكن القول مطلقًا بأنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل الآيات المتشابهة، ومعرفة حقيقتها، وأنَّه أمرٌ مختصٌّ بالله تعالى؛ لأنَّ ذلك-بصراحة- يخالف كثيرًا من الآيات التي تدل على علمهم، ووجوب تعليمهم الناس آيات الكتاب، وإلا فكيف نفهم قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]، فالآية الكريمة واضحة وصريحة في بيان علة بعث الأنبياء(ع)، فكيف يتلو النبي(ص) عليهم آيات لا يعرف تأويل المتشابه منها؟ وكيف يعلمهم كتابًا ليست له إحاطة به –حاشاه– ؟ وإذا كان خاتم النبيين(ص) وأوصياؤه(ع) لا يعلمون ذلك، فكيف سيكونون هداة للأمة؟ وسُبُلاً إلى معرفة الله تعالى وطاعته؟

إنَّ علم الراسخين بالعلم تأويل القرآن أمر لا يمكن أن ينكره، أو يشك فيه الباحث في كتاب الله تعالى، بل كُلُّ مسلم؛ لأنَّ القرآن هو المعجزة الإسلامية الخالدة، والحجة على الخلق أجمعين، ولا بد أنْ تكون المعجزة الخالدة والحجة والبينة لله تعالى ظاهرة وواضحة، أو هناك مَنْ له القدرة على بيانها وتوضيحها ليتحقق أمرين مهمين من خلاله، الأول: إتمام الحجة على الخلق في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والثاني: معرفة حجج الله على العباد الذين ائتمنهم على شريعته، وأمر الناس بطاعتهم وولايتهم، بل حفظ بهم الأمة من الضلال والانحراف، كما تواتر عن النبي(ص) قوله: ((**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الآخَرِ، كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْض**))[2]، فكيف يُخَلِّف

(١) سورة الجمعة: الآية ٢

(٢) أحمد بن حنبل: مسند أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال، (دار صادر، بيروت، د.ط، ←

النبي في أمته كتابًا لا يمكن معرفة كُلِّ آياته من قِبل الأمة؟ ولا يستطيع كذلك الأئمة تأويل آياته، فهذا مخالفٌ للحكمةِ، ولقولِ الحكيم، وعلةِ البعث.

وبعد أنْ بيَّنا أنَّ الراسخين يعلمون بتأويل القرآن، فلا بد من معرفة مَنْ هم الراسخون، ويمكن ذلك بالرجوع إلى بعض الروايات المباركة، والتي أكدت أغلبها على أنَّ النبي والأئمة(عليهم السلام) هم الراسخون في العلم، فمن تلك الروايات:

١- عن بريد بن معاوية قالَ: ((قلتُ لأبي جعفرٍ الباقر(عليه السلام) قولَ الله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ قالَ: **يعني تأويلَ القرآنِ كُلِّهِ، إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ، فرسولُ اللهِ أفضلُ الراسخينَ، قد علَّمَهُ اللهُ جميعَ ما أُنزل عليهِ من التنزيلِ والتأويلِ، وما كانَ اللهُ منزلاً عليهِ شيئًا لم يعلمهُ تأويلَهُ، وأوصياؤهُ من بعدهِ يعلمونَهُ كُلَّهُ**)).[1]

٢- عن أبى بصيرٍ عن أبي عبدِ الله الصادق(عليه السلام) يقولُ: ((**إنَّ القرآنَ محكمٌ ومتشابهٌ... والراسخونَ في العلمِ هم آلُ محمدٍ**)).[2]

٣- عن أبي بصيرٍ عن أبي عبدِ الله الصادق(عليه السلام) قالَ: ((**نحنُ الراسخونُ في العلمِ، فنحنُ نعلمُ تأويلَهُ**)).[3]

→

د.ت) ٣/ ١٤، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٤٩

(١) الكليني: الكافي ١/ ٢١٣ باب (إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة(عليهم السلام)) الحديث ٢، وينظر: العياشي: تفسير العياشي ١/ ١٦٤، القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، تص وتع وتق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ) ١/ ٩٦ ولكن عن يزيد بن معاوية

(٢) العياشي: تفسير العياشي ١/ ١٦٣

(٣) الكليني: الكافي ١/ ٢١٣ باب(إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة(عليهم السلام)) الحديث ١، الحر ←

٤- عن عبد الرحمنِ بن كثيرٍ، عن أبي عبدِ اللهِ الصادقعليه السلام قالَ: ((**الراسخونَ في العلمِ أميرُ المؤمنينَ، والأئمةُ من بعدهِعليهم السلام**)).[1]

فهذه بعض تلك الروايات[2] التي وردت عن أئمة أهل البيتعليهم السلام، تؤكد معرفتهم بتأويل القرآن، ومعرفة حقيقته وأسراره؛ لكونهم أوصياء رسول اللهصلى الله عليه وآله، كما ثبت ذلك في علم الكلام.

وأما العامة الذين قالوا بأنَّ الراسخين يعلمون التأويل فهم يؤكدون علم بعض الصحابة بذلك، وقد وردت روايات عنهم[3]، وقد ذُكِر عن الشيخ محمد عبده(ت١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) في تفسير المنار قوله: ((ومما يحتجُّ به مَنْ قالَ الراسخونَ في العلمِ يعلمونَ التأويلَ ما ثبتَ في صحيحِ البخاري وغيره عن ابنِ عباس أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم دعا له وقال: "**اللهُمَّ فَقِّهْهُ في الدينِ، وعلِّمْهُ تأويلَهُ**" فقد دعا له

→

العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ١٧٩ باب(عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمةعليهم السلام) الحديث ٥، العياشي: تفسير العياشي ١/ ١٦٤

(١) الكليني: الكافي ١/ ٢١٣ باب(إنَّ الراسخين في العلم هم الأئمةعليهم السلام) الحديث ٣، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ١٧٩ باب(عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمةعليهم السلام) الحديث ٥

(٢) وقد ذكر الدكتور عبد الرسول الغفاري اثنين وأربعين حديثًا يستدلُّ بها على معرفة الأئمة تأويل الكتاب، وأنهم الراسخون في العلم، وفي بعض تلك الأحاديث نظر، وفي بعضها تشابه ينظر: المحكم والمتشابه، (مط زلال الكوثر، الناشر مركز المصطفىصلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ): ١٢١-١٣٣

(٣) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧

بعلمِ التأويلِ مطلقًا، وابنُ عباسٍ فسَّرَ القرآنَ كُلَّهُ، قال مجاهدُ: عرضتُ المصحفَ على ابنِ عباسٍ من أولهِ إلى آخرهِ، أقِفُهُ عندَ كُلِّ آيةٍ وأسألهُ عنها، وكانَ يقولُ: أنا من الراسخينَ في العلمِ الذينَ يعلمونَ تأويلهُ)).[١]

فالنبيُّ ﷺ والأئمة عليهم السلام هم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، ومن ثم العلماء الصادقون السائرون على منهجهم، الناهلون من معينهم، الواردون على مشاربهم، والذين جاهدوا في الله حق جهاده كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.[٢]

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في المحكم والمتشابه

نختم هذا الفصل بما يراه السيد الشهرستاني فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه، وفوائد اشتمال القرآن الكريم على الآيات المتشابهات، فيذكر في مخطوطاته ما يتعلق بالمحكم والمتشابه من حيث التعريف[٣]، وبعض الآيات المتشابهة وكيفية فهمها وتوجيهها[٤]، وما يتعلق بالراسخين في العلم.[٥]

وقد ناقش موضوع تقسيم الآيات على المحكم والمتشابه، واختلاف المذاهب في فهم المقصود من تلك الآيات نقاشًا كبيرًا، والأسباب التي أدت إلى تفرُّق المسلمين على مذاهب متعددة في الوقت الذي يدعو الإسلام إلى الهداية وتوحيد الأمة.

---

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، (دار المنار، مصر، ط٣، ١٣٦٧هـ) ٣/ ١٨٣

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

(٣) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث

(٤) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث

(٥) ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث

وفي عن سبب اشتمال القرآن على الآيات المتشابهة فله تفسيرات جليلة، نذكر بعضها في هذا المبحث، وسيتم تفصيلها في باب التحقيق، فيقول: ((يحقُّ لكم التساؤلُ عن الحكمةِ التي أدخلَتْ مثلَ هذه المتشابهاتِ في آياتِ ذكرِ الحكيمِ، بينما هدفُ القرآنِ جمعُ الكلمةِ، وجمعُ شتاتِ الأمةِ، وهدايةُ القُراءِ إلى الحقِّ الذي لا ريبَ فيهِ، وتنويرُ البصائرِ بالحقائقِ المتمحصةِ عن الشكوكِ والشبهاتِ. وجوابنا عن ذلك(أولاً) إنَّ الحكمةَ في وجودِ المتشابهاتِ لو لم تكن أجلَّ وأنفعَ من وجودِ المحكماتِ فليستْ بأقلَّ، فإنَّ القرآنَ رشفةُ هدايةٍ عامةٍ لجميعِ أجيالِ البشرِ، وينبوعُ علمٍ خالدٍ ما دامَ البشرُ الإنسان والأكوانُ ....))[1]، فالسيد يرى أنَّ اختلاف الأذهان عند الناس، وخلود القرآن إلى آخر الدهر من الأسباب الأساسية لاشتماله على المتشابهات لتكون مادة لذلك، فيقول: ((والحكمةُ في هذا **أولاً**: اختلافُ الأذواقِ والأفهامِ، وتطلُّبُ كُلٍّ ما يناسبُهُ، كاختلافِهِم في طباعِهِم في التذوُّقِ بالأطعمةِ والألبسةِ... **ثالثًا**: إنَّ وجودَ المتشابهِ هو مادةُ الخلودِ، فالكتابُ الخالدُ يجبُ أنْ يشتملَ على أسبابِ الخلودِ وهي أنواعُ المتشابهِ...)).[2]

إنَّ ما ذكره والوجوه الأخرى فيها توجيه لطيف لسبب اشتمال القرآن على المتشابهات[3]، وفيها قراءة تأملية مجردة عن تقليد أقوال القدماء في بيان أسباب ذلك،

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الفوائد الطوسية، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية): ٦

(٢) مخطوط الدلائل والمسائل ٤/ ٥٨١

(٣) لقد ذكر عددًا من الوجوه المهمة فيما يتعلق بهذا الباب من أبواب علوم القرآن الكريم، فضلاً عن بيان منزلته وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى، وهذه غاية عظيمة في حياته العلمية طالما كان يصرِّح بها، وسيتم بيانها تفصيلاً. ينظر: باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث الرابع

فضلاً عن اعتقاده بأنَّ الأئمةعليهم السلام هم الراسخون في العلم، العالمون بتأويل القرآن الكريم، وإن لم يصرح بذلك، ولكن يفاد من الوجه الثامن، وكذلك إنَّ مَنْ يتأمل أغلب هذه الوجوه يرى أنه ينطلق من قاعدة ثابتة راسخة، وهي عالمية القرآن وخلوده أبد الدهر، بل إنه يعتقد بأن اشتمال القرآن على المتشابهات، دليل على إعجاز القرآن الكريم، وليس عجزه كما يريد أن يتصوره أعداء الإسلام، أو الذين في قلوبهم زيغ.

وخلاصة القول:

إِنَّ وجود المتشابهات في القرآن الكريم فيها حكمة بالغة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، الذين يفهمون حقيقة القرآن الكريم، وإنَّ وجود تلك الآيات لا يعني عدم التأمل والتدبر في آيات الله تعالى، والتسليم لظاهر الألفاظ، دون التعمُّق في معانيها؛ لذلك نرى أنَّ السيد الشهرستاني كان يحاول من خلال تفسيره للآيات المتشابهات، أو لآيات القرآن عامة، بذل الوسع في الاستعانة بالعلوم الأخرى، من أجل الوصول إلى معنًى معيَّن يراه مناسبًا للنص القرآني، ولم يرضَ دعوات الجمود أمام بعض النصوص القرآنية، وقد صَرَّح بذلك، وانتقد مَنْ يدعو إليها بشدة، كما ورد في مخطوطاته.[1]

---

(١) ينظر مثلاً ما ورد في التجسيم لله تعالى باب التحقيق، الفصل الثالث، المبحث السادس

الفصل الرابع

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- **المبحث الثاني**: موضوعات في البلاغة القرآنية.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

الفصل الرابع:

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

إنَّ البحث عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يعد من أهم البحوث في الدراسات القرآنية؛ لعلاقته الوثيقة بالجانب الإعجازي الخالد لكتاب الله تعالى، فالقرآن قد نزل في أمة كانت في أوج البلاغة والفصاحة وذروتها، فلم يكن هناك مَنْ يستطيع أنْ يجاريهم، فكانت العرب تعقد الندوات الأدبية لبيان فضل رجالها وسبقهم في ذلك، ولقد حفظ لنا التأريخ العربي عددًا من تلك الأندية، ومنها سوق عكاظ، هذا الاجتماع الكبير والملتقى الأدبي، إذ تجتمع الشعراء لتعرض على كبارها ما تكنُّه قرائحهم من الفنون، وتفخر به.(١)

فالقرآن الكريم أتاهم عن طريق ما يُؤمنون به، ويُحسنونه، ويُبدعون فيه، وهو

---

(١) وللشعراء فيها مواقف كثيرة ومتعددة؛ لذا سُمِّي السوق بـ(عُكاظ) من أجل ذلك، عَكَظَ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، وتقع بين الطائف ومكة. الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ٤/ ١٤٢

وقد روى الرواة مواقف خالدة للشعراء فيها، فذكروا أنَّ النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فيحكم بينهم، ويصحح لهم، وله مع حسان بن ثابت، و الأعشى، و الخنساء، وغيرهم مواقف في ذلك، تدل على نبوغ البلاغة عند العرب آنذاك، فضلاً عن افتخارهم فيها. للتفصيل ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تح: أحمد محمود شاكر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت)١/ ١٦٧، العسكري، الحسن بن عبد الله: المصون في الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، (مط حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م): ٣

البلاغة العربية، وهذا المنهج الأمثل في دعوات الأنبياء﷩ وتحدِّيهم؛ إذ يُعرضون على أقوامهم من المعجزات ما تلائم العلوم التي يتفوَّقون بها؛ ليتأكَّد لهم أنَّ ما يأتي به النبي هو خير مما يأتون به وأعظم، ولا يمكن أنْ يأتوا بمثله، وهذا الأمر كان جليًّا عند كبار قريش بأنَّ ما أتى به النبي ﷺ لم يكن من كلام البشر، بل هو معجز من الله تعالى، فالقرآن قد أتى بأنواع فنون البلاغة العربية التي تستعملها العرب في مخاطباتهم بأقصر الكلمات، وأعذب المعاني وأرقاها، مما جعلهم يذعنون صاغرين لذلك، والأمثلة كثيرة جدًا في ذلك، نذكر منها ما ورد في آية واحدة من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(١)]، قال السكاكي(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): ((والنظرُ في هذهِ الآيةِ من أربعِ جهاتٍ: من جهةِ علمِ البيانِ، ومن جهةِ علمِ المعاني، وهما مرجِعا البلاغةِ، ومن جهةِ الفصاحةِ، ومن جهةِ الفصاحةِ اللفظيةِ... ولله دَرُّ شأنِ التنزيلِ، لا يتأمَّلُ العالِمُ آيةً من آياتهِ إلا أدركَ لطائفَ لا تَسَعُ الحصرَ، ولا تظننَّ الآيةَ مقصورةٌ على ما ذكرتُ، فلعلَّ ما تركتُ أكثرَ مما ذكرتُ))[(٢)]، وقال الزركشي في الآية الشريفة: ((فيها من الأنباءِ ما لو شُرِحَ ما اندرجَ في هذهِ الجملةِ من بديعِ اللفظِ، والبلاغةِ، والإيجازِ، والبيان لجفَّتِ الأقلامُ وانحسرتِ الأيدي))[(٣)]، وقال السيوطي: ((أجمعَ

---

(١) سورة هود: الآية ٤٤

(٢) وقد فصل القول فيما يتعلق بكل جهة من هذه الجهات الأربع وما فيها من أسرار اللفظ وعظمة المعنى. ينظر: يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم: تح: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م): ٤١٦-٤٢٠

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٤٥

المعاندونَ على أنَّ طَوْقَ البشرِ قاصِرٌ عن الإتيانِ بمثلِ هذهِ الآيةِ، بعدَ أنْ فَتَّشوا جميعَ كلامِ العربِ والعجمِ، فلم يجدوا مثلها في فخامةِ ألفاظِها، وحُسْنِ نظمِها، وجودةِ معانيها، في تصويرِ الحالِ مع الإيجازِ، من غيرِ إخلالٍ))(١)، وفيها فنون متعددة من البلاغة، على الرغم من أنَّ كلمات الآية سبع عشرة لفظة، وقد أفردت هذه الآية بتآليف منفردة، ففيها بلاغة عظيمة أذهلت العرب عند سماعها.(٢)

وقال السيد هبة الدين الشهرستاني: ((اشتملتِ الآيةُ على ثلاثةٍ وعشرينَ نوعًا من البديعِ، وقد أضفتُ على هذهِ الوجوهِ الوجيهةِ عدةَ وجوهٍ أُخرى لتكملةِ الثلاثينَ، ولو شئنا أنْ نضيفَ المحاسنَ البيانيةَ على البديعيةِ، وسائرِ الصنائعِ الاصطلاحيةِ، لتجاوزتِ الأربعينَ، وفاضَتْ، ثم فاضَتْ)).(٣)

وللمفسرين كلام في بلاغة الآية الشريفة(٤)، فضلاً عن البلاغيين.(٥)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٦٥

(٢) ذكر الدرويش واحدًا وعشرين من أهم فنون البلاغة التي تضمنته الآية الشريفة بما يذهل اللب. ينظر: محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ) ٣/ ٤٢٨-٤٣٧

(٣) المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط): ٣٥-٣٨

(٤) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٩٢-٤٩٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٣٧٦، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٨٢

(٥) ينظر: ٱبن الأثير، نصر الله بن محمد، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، د.ط) ١/ ١٥٢، الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م): ٢٥١-٢٥٤

إذًا فمعرفة البلاغة العربية أساس لفهم أسرار كتاب الله تعالى، وأسباب خلوده، ونصرته على معانديه بتحديه إياهم؛ لذلك كتب العلماء في البلاغة وفنونها من أجل معرفة ما يتعلق بكتاب الله تعالى وسننه، بل عُدَّت الإحاطة بعلوم العربية من مقدمات العلوم التي يجب على المفسر، أو المجتهد أنْ يكون حاصلاً عليها، قال أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): ((إنَّ أحقَّ العلومِ بالتعلُّمِ، وأولاها بالتحفُّظِ بعد المعرفةِ بالله جلَّ ثناؤه علمُ البلاغةِ، ومعرفةُ الفصاحةِ، الذي به يُعْرَفُ إعجازُ كتابِ الله تعالى، الناطقِ بالحقِّ، الهادي إلى سبيلِ الرُّشدِ، المدلولِ به على صدقِ الرسالةِ، وصحةِ النبوةِ، وقد علمنا أنَّ الإنسانَ إذا أغفلَ علمَ البلاغةِ، وأخلَّ بمعرفةِ الفصاحةِ لم يقعْ علمُهُ بإعجازِ القرآنِ من جهةِ ما خصَّهُ اللهُ به من حسنِ التأليفِ، وبراعَةِ التركيبِ، وما شحنَهُ به من الإيجازِ البديعِ، والاختصارِ اللطيفِ، وضمَّنَهُ من الحلاوةِ، وجلَّلهُ من رونقِ الطلاوةِ، مع سهولَةِ كلمِهِ وجزالتِها، وعذوبتِها وسلاستِها، إلى غيرِ ذلكَ من محاسنِهِ التي عجزَ الخلقُ عنها، وتحيَّرتْ عقولُهم فيها))[1]، وقد أُلِّفت في علوم البلاغة مؤلفات متعددة من أجل الوصول إلى معرفة حقيقة اللفظ القرآني، وجلالة بلاغته، وسر إعجازه.[2]

وقال السيوطي في بيان العلوم التي يحتاجها مفسر القرآن الكريم: ((ومنهم من

(١) الحسن بن عبد الله: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (مط محمود بك، الأستانة، ط١، ١٣٢٠هـ): ٣

(٢) ومن أمثلة ذلك ما ألَّفه يحيى بن حمزة العلوي كتاب الطراز لأجل معرفة علوم البلاغة العربية لفهم تفسير الكشاف ؛ لأنه اشتمل كثيرًا على علومها، وهذا ما ذكره في مقدمة الكتاب. ينظر: (مط المقتطف، مصر، ١٣٢٢هـ ١٩١٤م) ١/ ٧

قالَ يجوزُ تفسيرُهُ لَمِنْ كانَ جامِعًا للعلومِ التي يحتاجُ المفسّرُ إليها وهي خمسةَ عشرَ عِلمًا... الخامس والسادس والسابع المعاني والبيان والبديع؛ لأنَّهُ يُعرَفُ بالأولِ خواصُّ تركيبِ الكلامِ من جهةِ إفادتِها المعنى، وبالثاني خواصُّها من حيثُ اختلافِها بحسبِ وضوحِ الدلالةِ وخفائِها، وبالثالثِ وجوهُ تحسينِ الكلامِ، وهذه العلومُ الثلاثةُ هي علومُ البلاغةِ، وهي من أعظمِ أركانِ المفسِّرِ؛ لأنَّهُ لا بُدَّ له من مراعاةِ ما يقتضيهِ الإعجازُ، وإنما يدركُ بهذهِ العلومِ)).[١]

إنَّ في كلامه دلالة واضحة على أهمية علوم البلاغة وعظمتها للمفسر بصورة عامة، ومعرفة إعجاز القرآن بصورة خاصة؛ لذلك نرى عند دراسة تطور المباحث البلاغية والتأليف فيها أثر الاهتمام بالقرآن الكريم، وقد أشار الباحثون إلى أهمية القرآن الكريم في تطور هذه الدراسات البلاغية من أجل معرفة أسراره، وضمَّنوا ذلك في مؤلفاتهم، قال الدكتور أحمد مطلوب: ((كان للقرآنِ الكريمِ أعظمُ الأثرِ في علومِ اللغةِ العربيةِ، فقد صدرتْ عنه، واستقتْ من معينهِ، ووقفتْ تكشفُ أسرارهُ، وتُعنى بأساليبِهِ، وكانتِ البلاغةُ من تلكَ العلومِ التي نشأتْ في كَنَفِ كتابِ الله، وتفيَّأتْ بظلالهِ، منذُ أنْ بدأتْ تدرجُ في ميدانِ الحياة، كان القرآنُ الكريمُ دافعًا إلى التأليفِ في البلاغةِ، وكانتْ إحدى آياتهِ مدعاةً إلى أنْ يؤلِّفَ أبو عبيدة كتابه "مجاز القرآن")).[٢]

إنَّ معرفة أسرار كلام الله تعالى لأيِّ إنسان لا يمكن ما لم يتعرف على كلام العرب؛ لما فيه من السعة، واحتوائها على المعاني المختلفة، فالكلام أساس التفاهم مع الآخرين، وبيان مدلول المقاصد التي يحتاج إليها المتكلم، وقد اعتنى العلماء بمعرفة الكلام،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٨٦

(٢) بحوث بلاغية، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، د.ط): ١٤٨-١٥٠

وحقيقته، وأنواعه، فقالوا في ذلك كلمات مهمة متعددة.

بناءًا على ما تقدم نقول: إنَّ معرفة الإعجاز القرآني من الناحية البلاغية تحتاج دراسات تخصصية مستقلة تتناول مباحثها بالتفصيل؛ لذا سنقوم بدراسة ما نحتاج إليه من أبوابها وما له علاقة بما كتبه السيد الشهرستاني في مخطوطاته؛ ليتم التوافق بين فَصْلَيِ الدراسة والتحقيق، فضلاً عن الاحتراز من الخروج عن منهج الدراسة وخطة الكتاب، فسيتم تقسيم الفصل على مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه.
- **المبحث الثاني**: موضوعات في البلاغة القرآنية.
- **المبحث الثالث**: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني.

المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ومراحل تحديه

قال الراغب في تعريف الإعجاز: ((هو اسمٌ للقصورِ عن فعلِ الشيءِ، وهو ضِدُّ القدرةِ، قال تعالى: ﴿**أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ**﴾[(١)]، وأَعْجَزْتُ فُلانًا وَعَجَّزْتُهُ وعاجَزْتُهُ جعلتُهُ عاجِزًا، والعجوزُ سُمِّيَتْ لِعَجْزِها في كثيرٍ من الأمورِ)).[(٢)]

وقال الطريحي: ((الإعجازُ أنْ يأتيَ الإنسانُ بشيءٍ يُعْجِزُ خَصْمَهُ ويقصرُ دونَهُ، قوله تعالى: ﴿**غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ**﴾[(٣)] أي لا يفوتونَهُ وإنْ أمهلَهُمْ، قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[(٤)] أي يعاجزونَ الأنبياءَ وأولياءَ اللهِ، ويقاتلونَهُمْ ويمانعونَهُمْ؛ ليُصَيِّروهُمْ إلى العجزِ عن أمرِ اللهِ تعالى)).[(٥)]

من خلال ما تقدم من كلمات الأعلام في تعريف الإعجاز، نرى أنَّ اللفظ يدور حول القصور الموجود عند المخاطب بالمعجزة عن أنْ يأتي بما يقابله، فضلاً عن أنَّ معنى الإعجاز له علاقة مباشرة بالتحدي؛ لذلك سُمِّي ما يأتي به الأنبياء في مقام تحديهم لأقوامهم بـ(المعجز أو المعجزة).

ويشترط في المعجز في مقام التحدي أمران: **الأول**: أنْ يكون خارقًا للقوانين الطبيعية المعتادة، **وثانيًا**: عجز الآخرين.

فالأنبياء(عليهم السلام) كانت دعواهم للنبوة مقترنة بالمعجز الذي يأتونه أقوامهم؛ ليكون

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣١

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٤(عجز).

(٣) سورة التوبة: الآية ٢

(٤) سورة الحج: الآية ٥١

(٥) مجمع البحرين ٣/ ١٢٤

دليلاً على صدق دعوتهم، وهذه مسألة بديهية في بعث الأنبياء، ولقد كان لنبيِّناﷺ معجزات متعددة، وهي على قسمين: منها ما كان آنيًّا قد وقع في زمنٍ معينٍ[1]، ومنها ما كان خالدًا أبد الدهر، كالقرآن الكريم الذي هو معجزته الخالدة، ولمَّا كانت المعجزة من الله تعالى فقد نَوَّعَ المعجزة التي تؤيد نبيه في قومه، فكانت مما يلائم الصنعة التي يشتهرون بها؛ لتكون أدعى للتصديق بين أهل العلم والمعرفة بذلك، فأتاهم بكتاب يحيِّر عقول علماء العرب بالبلاغة والفصاحة، وهم يعلمون أنَّ النبي لم يكن يقول مثل ذلك قبل بعثته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2]، لذا كان الكفار لا يعترفون بعجزهم أمام النبي عنادًا واستكبارًا، قال الزمخشري: ((إنْ قلتَ: أَمَا ظهرَ وتبيَّنَ لهم العجزَ عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ حتى قالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾؟ قلت: بلى، ولكنهم كانوا لا يعترفونَ بالعجزِ، وكانوا يقولون: لو نشاءُ لقُلنا مثلَ هذا، ويقولون: افترى على الله كذبًا، فينسبونَهُ إلى الرسولِ ويزعمونَهُ قادرًا عليهِ وعلى مثلِهِ، مع علمِهم بأنَّ العربَ مع كثرةِ فصحائِها وبلغائِها إذا عجزوا عنه، كان الواحِدُ منهم أعجز)).[3]

---

(١) ومنها: شق القمر، وينبوع الماء من بين أصبعيه، وشق الشجرة نصفين ودعوتها بالإتيان، وتسبيح الحصى بين يديه وغير ذلك. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد: دلائل النبوة، تح: محمد محمد الحداد، (دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ) ١/ ٤٧، المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م) ٩١/ ٢٤٨ وغيرهما من المصادر في سيرته الشريفة.

(٢) سورة يونس: الآيتان ١٥-١٦

(٣) تفسير الكشاف ٢/ ٣١٩

وفيما يتعلق بأهم وجوهه الإعجازية، فقد ناقش العلماء في بحوث مستفيضة سبب إعجازه الذي جعله خالدًا لا يمكن لأحدٍ أنْ يجاريه، ويتحداه فيأتي بمثله، بعد أنْ دعا القرآن أعداءه إلى ذلك، فقال تعالى في إحدى دعواته: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[١]، ولكنه بقى معجزًا خالدًا يتحدى المعاندين، ويقهرهم على الإيمان به، ونحاول ذكر أهم وجوه الإعجاز القرآني التي قال بها العلماء والباحثون وناقشوها، لنكون على إحاطة بما يتعلق بهذا المعجز الخالد، ويمكن إجمالها بما يأتي:

- الفصاحة والبلاغة.
- النظم في الكلام والتأليف والترصيف.
- التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف.
- الإخبار عن الغيب.
- الإخبار عن قصص الأولين.
- جمعه لعلوم ومعارف متعددة.
- الصرفة.
- الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من العيوب.
- خروجه عن جنس كلام العرب من النظم، والنثر، والخطب، مع كون حروفه في كلامهم.
- الاستمرار في الفصاحة والبلاغة، بما لم يكن في كلام العرب.

---

(١) سورة الطور: الآية ٣٤

وغيرها من الأقوال الأخرى التي يمكن الجمع بينها، وقد فصَّل الأعلام القول في بيان سبب إعجاز القرآن الكريم وما ذهب إليه كُلُّ قوم في مؤلفاتهم، فجمعها الرُّمَّاني (ت٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) في وجوه سبعة، فقال: ((وجوهُ إعجازِ القرآنِ تظهرُ من سبعِ جهاتٍ))[١]، وذكر الخَطَّابي(ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) قسمًا من الأقوال المتقدمة وناقشها وبيَّن ما يمكن أنْ يكون معجزًا من غيره[٢]، وذكر الشيخ الطوسي أقوالاً متعددة في ذلك مع بيانها[٣]، والقاضي عَياض(ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) كذلك، وجعل كُلَّ ذلك يعود إلى وجوه أربعة[٤]، وذكر الزركشي اثني عشر قولاً، فجعل الأخير منها ما يراه مناسبًا ويؤيده إذ قال: ((الثاني عشر: وهو قولُ أهلِ التحقيقِ: إنَّ الإعجازَ وقعَ بجميعِ ما سبقَ من الأقوالِ، لا بكُلِّ واحدٍ على انفرادِهِ؛ فإنَّهُ جميعٌ كُلُّهُ، فلا معنى لنسبتِهِ إلى واحدٍ منها بمفردِهِ مع اشتمالِهِ على الجميعِ، بل وغيرُ ذلكَ مما لم يَسْبِقْ))[٥]، والأقوال التي جمعها الزركشي قد فصَّل فيها كثيرًا السيوطي وذكر منها سبعًا وعشرين قولاً[٦]، بل أَلَّفَ كتابًا خاصًّا في ذلك ذكر فيه خمسًا وثلاثين قولاً مع مناقشة

---

(١) علي بن عيسى: النُّكت في إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م): ٧٥ والسبعة هي بعض الوجوه التي تقدمت.

(٢) ينظر: بيان إعجاز القرآن، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م): ٢١-٧٠

(٣) ينظر: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط): ١٧٢-١٧٤

(٤) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢٥٨-٢٨٠ فصل(في إعجاز القرآن).

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٦١-٧١

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٦-١٦

هذه الأقوال وما يتعلق بها بالتفصيل[١]، ونقل العلامة المجلسي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) ما يمكن أنْ يُعَدَّ سببًا لخلود القرآن الكريم وإعجازه[٢]، وذكر الشيخ رحمت الله الهندي(ت١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م) اثني عشر وجهًا مفصلاً في إعجازه، عند رده على النصارى الذين يتهمون القرآن في بلاغته وفصاحته[٣]، وممن ناقش ذلك من الأعلام الشيخ محمد عبده كما في تفسير المنار[٤]، والسيد الخوئي.[٥]

وهناك مَنْ فصَّل الأقوال في إعجازه على وفق عقيدة كُلِّ قائلٍ بها، كالشيعة والمعتزلة والعامة وغيرها[٦]، فضلاً عن دراسات المتأخرين في الإعجاز القرآني، التي ذكرت أنَّ إعجازه لا يمكن أنْ ينحصر في بلاغته، على الرغم من تحدِّيه العرب وقت نزوله[٧]، وقد فصَّل الدكتور حفني محمد شرف تفصيلاً قيِّمًا

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) ١/ ١٢-٣٩٠

(٢) ينظر: بحار الأنوار ١٧/ ٢٢٤

(٣) ينظر: إظهار الحق، دراسة وتح وتع: الدكتور محمد أحمد محمد ملكاوي، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م) ١/ ٧٧٥-٨٢٨

(٤) ينظر ١/ ١٩٨

(٥) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٥٤-٨٨

(٦) للتفصيل ينظر: مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، (دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ١٩٩٦م): ٤٩-٩٥، مؤدب، رضا: إعجاز القرآن، تعريب: قاسم البيضاني، (أميران، قم، ط١، ١٤٣٠هـ): ٤١-٩٧

(٧) للتفصيل ينظر: البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٥-١٦، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١/ ٦٢-٦٥، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٤/ ٣٩-٧٢، القطَّان: مباحث في علوم القرآن: ٢٥٤-٢٥٥

لآراء الأعلام في الإعجاز القرآني، ومناقشتها.[1]

نرى أنَّه لا يمكن -حقيقة- معرفة الوجهة الحقيقية التامة لإعجاز القرآن الكريم؛ لأنَّ القرآن كلام الله تعالى المطلق، الحكيم، الخالق، وكُلُّ ما سواه فهو محدود، مخلوق، عاجز، محتاج إليه، ولا يمكن أنْ يصل إلى حقيقته، كما أشار تعالى إلى ذلك في كثير من آياته الكريمة، وكما أُثبتت هذه الحقيقة ضمن مباحث التوحيد في العقائد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾[4] وغيرها من الآيات التي تثبت علمه المطلق، وما يترتب على ذلك من الإعجاز في كُلِّ شيءٍ يصدرُ عنه.

كما نرى تعقيبًا على القائلين بأنَّ سِرَّ إعجاز القرآن إنما ينحصر في بلاغته وفصاحته، أنَّ القوة الكامنة في معاني الألفاظ هي سِرٌّ من أسرارِ التأثير في الآخرين، فلفظة (العدل) تدل على ما تتضمنه من معاني العدل، وما يتعلق به من الاطمئنان، والوثوق، والابتعاد عن الظلم، وكذلك (الإحسان)، و(المعروف) وغيرهما، وقد كانت العرب تعرف هذه الألفاظ وما تتضمنه من معانٍ سامية لتربية النفس، ورأينا أنَّ شِعرهم ونثرهم قد وردت فيه هذه الألفاظ بمعانيها، ولكننا لم نرَ في كلامهم جمعًا لهذه المفردات في دعوة واحدة بما فيها من معاني السمو والتكامل، وعلى نسق بلاغي عالٍ، وفي دعوة صادقة لها أعظم وأكمل المصاديق في الواقع، فإنَّ هذه القوة تقهر النفس على

---

(١) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، د.مط، د.م، د.ط): ٦-١٣

(٢) سورة فاطر: الآية ١٥

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٦

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥

الإيمان بها، والإذعان إلى التصديق بمن يدعو إليها، وهذا هو الذي جعل أولئك المعاندين، وأصحاب القلوب القاسية، وأصحاب المال والجاه والسيادة أنْ يقتلوا أنفسهم، لئلا يَرَوْا الناس تؤمن بالله تعالى، وتتركهم وأصنامهم، أو أنْ يَتَّهموا القرآن والنبيﷺ، مع يقينهم بصدق دعوته وإعجازها، بما تحويه تلك الألفاظ من قوة روحية كامنة تؤثر في نفوسهم، فلم يتأثَّر الوليد بن المغيرة وهو من سادات العرب بالألفاظ القرآنية من حيث اللفظ، أو المعنى فقط، فقد كان على بلاغة عالية، وقد سمع بكُلِّ تلك الألفاظ، ولكن أنْ تجمع بهذا التركيب البنائي الفريد، وما فيها من قوة إلهية تكمن فيها، فهذا الذي جعله يقول كلمته المشهورة في وصف القرآن: ((وإنَّهُ لَيُحَطِّمُ ما تَحْتَهُ، وإنَّهُ لَيَعْلو ولا يُعْلى))[1]، فهو لا يحطم ما تحته بمجرَّد ألفاظه من دون تلك القوة الإلهية الكامنة، فمثلاً لو استمع الإنسان بفطرته السليمة الخالية من التأثيرات الخارجية على العقيدة الفطرية لرأى حقيقة ذلك، وتيقَّن به، ولا سيما إذا كان الواقع مطابقًا للدعوة، كما رأينا الإنموذج المتكامل في سيرة النبيﷺ، والمخلصين من أصحابه، وأهل بيته، والصالحين من أمته، فأيُّ قلبٍ لا يُأسر ويذوب في بحر الفضيلة والتكامل والعشق للمبادىء الإنسانية[2]، وهو يستمع إلى قوله تعالى من لسان محمد الفضيلة والكمال والصدق، من خلال آيات سورة واحدة، فيقول في الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق، والمبادىء الإنسانية: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ**

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ٤٨٩، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٦٥١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ١٩٠

(٢) إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد تضمنت تعاليمها كلها الدعوة الكاملة لسعادة الإنسان في الدارين، وتجسيد المثُلِ الإنسانية للفرد والمجتمع.

ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(١)]، ويقول في بيان جانب من جوانب حقوق الإنسان فضلاً عن جنسه: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[(٢)]، وغيرهما من الآيات الشريفة المتعددة.

وفي ذلك فإننا نرى تلك الحقيقة في كلمات بعض الأعلام عند حديثهم عن سِرِّ إعجازه الذي يبهر العقول، وهذا ما رأيناه في قولِ أبي سليمان الخطَّابي إذ يقول: ((قلتُ فى إعجازِ القرآنِ وجهًا آخرَ ذهبَ عنه الناسُ، فلا يكادُ يعرفُهُ إلا الشاذُّ من آحادِهِم، وهو صنيعُهُ بالقلوبِ، وتأثيرُهُ في النفوسِ، فإنَّكَ لا تسمعُ كلامًا غيرَ القرآنِ منظومًا ولا منثورًا، إذا قرعَ السمعَ خلصَ له إلى القلبِ من اللذةِ والحلاوةِ في حالٍ، ومن الروعةِ

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠

فأيُّ دعوةٍ بأسلوبٍ عظيمٍ تدعو في آنٍ واحدٍ، بألفاظٍ قصيرةٍ متعددةٍ، تتضمن معانٍ كثيرةٍ مطلقةٍ للعمل بالعدل، والإحسان، والمعروف للقربى، والابتعاد عن مطلق الفحشاء، وكُلِّ ما تنكره المبادىء الإنسانية، والاعتداء على الآخرين بكُلِّ صوره.

(٢) سورة النحل: ٩٧

وفي الآية نرى التكامل الإنساني المطلق في احترام الإنسان وتعظيمه على أساس العمل الصالح الذي ينفعه، وينتفع به الآخرون، فالرجل والمرأة لهما تلك المكانة والنظرة والمنزلة الواحدة، فهذه دعوات إنسانية متكاملة في مجتمعات يسودها الظلم والقهر والبغي آنذاك، وحتى في يومنا، فالمرأة إنسانٌ عظيمٌ في دعوةِ محمدٍ الإعجازية، ولها مقامها الذي وضعها الله تعالى فيه، وليس ذاك للرجل سواها، فأيُّ دعوةٍ عظيمةٍ تكامليةٍ في مجتمعٍ كان يفعلُ بالمرأةِ ما يَفعل، من ظلمٍ وسلبٍ لحقوقها، حتى طغى عليه جهله وقسوته، بأنْ يدفنَها بيده حيةً، وهي تصرخ أبتاه .. أبتاه !!

والمهابَةِ في أخرى ما يخلصُ منه إليه، تستبشرُ به النفوسُ، وتنشرحُ لـه الصـدورُ))[١]، ثـم ذكر أثر هذا الإعجاز في الدفاع عـن النبـيﷺ مـن القتـل، عنـدما أراد المشـركون ذلـك، فخافوا من تلك الألفاظ، وما تنطوي عليه مـن المعـاني المؤثرة، فقـال: ((فكَـمْ مـن عـدوٍّ للرسولِ صلى الله عليه[وآله] وسلم من رجالِ العـربِ وفُتَّاكِهـا، أقبلـوا يريـدونَ اغتيالَـهُ وقتلَهُ، فسمِعوا آياتٍ من القرآنِ فلم يلبثوا أنْ يتحوَّلوا عن رأيِهـم الأول، وأنْ يركُنـوا إلى مسالَمَتِه، ويدخلوا في دينِهِ))[٢]، ونـرى أنَّ ما أورده الخطَّابي مهم جدًّا، ورسالته مـن أهـم الرسائل فيما يتعلق بالإعجاز القـرآني، حيـث نـاقش مؤلفهـا أهـم الأقـوال في ذلـك، فلـه الريادة في هذا الباب، وقد أُعجـب بـه العلـماء وأشـاروا إليـه، فقـال الشـيخ محمـد هـادي معرفة: ((والرسالةُ قيِّمَةٌ، فريدةٌ في بابِها، ولعلَّهُ لم يُعْهَدْ مِثْلُها فيما غـبرَ وحضرَ، ومـن ثَـمَّ اخترناها أُولى رسالَةٍ عالجَتِ الموضوعَ بشكلِهِ الفنيِّ، ولله دَرُّ مؤلِّفِها)).[٣]

لقد اتضح لي من بيان أغلب الوجوه التي هي سبب إعجاز القرآن الكريـم، أو مـن أسبابه، أنَّ هناك مسألة مهمة يجب الالتفات إليها، وهي ما يتعلق برسول اللهﷺ الذي بلَّغ أمته هذا الكتاب، ومـا فيـه مـن تلـك الوجـوه الإعجازيـة، مـن بلاغـة، وفصـاحة، وإعلام بالغيب، وقصص الماضين، وتعاليمه التربوية الإنسانية وغيرهـا، وهـو لم يكـن

(١) بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٠

(٢) المصدر والصفحة نفسهما. وقد ذكر أمثلة للذين أرادوا قتل رسـول اللهﷺ والقضـاء عـلى دعوته، ولكنهم خافوا ذلك عند ٱستماعهم في إحدى صولاتهم إلى آيات القرآن الكـريم، وما فيه من وعيد وتهديـد، فـذكر مـنهم: عمـر بـن الخطـاب ، وعتبـة بـن ربيعـة ومـا كانـا يريدان القيام به من قتل النبيﷺ أينما يجدونه، ولكنهما لم يفلحا في ذلك.

(٣) التمهيد في علوم القرآن ٤/ ٤١ وقد ضـمَّن العلـماء في مؤلفـاتهم أقـوال الخطـابي لأهميتهـا مع التركيز عليه، ومنهم الزركشي والسيوطي وغيرهما.

يقرأ، أو يكتب، ولم يسجِّل التأريخ أنه تعلَّم ذلك عند أحد قبل بعثته، أو شارك بلغاء العرب في أنديتهم ومجالسهم، ولكنه في ساعة من ساعات التأريخ أتى بكتاب فيه من الكلام أفصحه وأبلغه، تعجز الفحول من العرب أنْ تجاريه، وهذا ما ذكره العلماء المحققون، قال السيد الطباطبائي: ((وقد تحدَّى بالنبيِّ الأميِّ الذي جاءَ بالقرآنِ المعجِزِ في لفظِهِ ومعناهُ، ولم يتعلَّمْ عندَ مُعَلِّمٍ، ولم يَتَرَبَّ عندَ مُرَبٍّ... فقد كانﷺ بينهم، وهو أحدُهُم لا يتسامى في فضلٍ، ولا ينطقُ بعلمٍ، حتى لم يأتِ بشيء من شعرٍ، أو نثرٍ، نحوًا من أربعينَ سنةٍ، وهو ثُلُثا عمرِهِ، لا يحوزُ تقدُّمًا، و لا يَرِدُ عظيمةً من عظائِمِ المعالي، ثم أتى بما أتى به دفعةً، فأتى بما عجزتْ عنهُ فحولُهُمْ، وَكَلَّتْ دونَهُ ألسنَةُ بلغائِهِم، ثم بَثَّهُ في أقطارِ الأرضِ، فلم يجترِىء على معارضتِهِ مُعَارِضٌ، من عالمٍ، أو فاضِلٍ، أو ذي لُبٍّ وفطانَةٍ)).[1]

وفيما يتعلق بمراحل ذلك التحدي فإنها لم تكن دفعة واحدة، بل بالتدرُّجِ في الإتيان بمثل ما أتى به النبي، من كلام يعجز البشر عن مثله، وقد وردت في القرآن الكريم مراحل ثلاث:

* **الأولى**: الإتيان بمثل القرآن كله. قال تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**.[2]
* **الثانية**: الإتيان بعشر سور. قال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**.[3]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١/ ٦٥ لقد عقد السيد الطباطبائي في تفسيره فصلاً مهمًّا في الإعجاز القرآني وما يتعلق به من جوانبه المتعددة ومناقشتها. ينظر ١/ ٦١-٩١

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٣) سورة هود: الآية ١٣

* **الثالثة**: الإتيان بسورة واحدة. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[١]

إنَّ أسلوب التدرُّج في التحدي يؤكِّد صدق الدعوة، وصدق المُدَّعى، والاعتماد والوثوق بما يُتَحدَّى به، ولكنهم في النتيجة على رغم تصديهم للدعوة بكُلِّ أساليبهم لم يستطيعوا أنْ يتحدَّوا القرآنَ، وهذا الأمر كان جليًّا عند كبار قريش بأنَّ ما أتى به النبيﷺ لم يكن من كلام البشر، بل هو معجز من الله تعالى، فهذه الآيات وغيرها هي دعوة القرآن لِمَنْ خوطِبَ به، والواقع يشهد بعجزهم التام عن مجاراته فقد((توفَّرَتْ دواعي اللسانِ، وقوةُ البيانِ التي يوقِدُها حماسُ القبيلِ، ويؤجِّجُها أتونُ الحميَّةِ، ولو تسنَّى لهم معارضَةُ القرآنِ الكريمِ لأُثِرَ هذا عنهُمْ، وتطايَرَ خبَرُهُ في الأجيالِ)).[٢]

وهكذا سجَّل التأريخ نصر القرآن الكريم على خصومه، وعجزهم التام عن تحديه.

لقد بيَّنَ العلماء والمفسرون ما يتعلق بهذا التحدي وأثره في نصرة النبيﷺ بما أتى من معجز، قال الطبري فيما يتعلق بإقامة الحجة على المشركين وإعلان التحدي: ((وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبيهِ محمدٍ صلى الله عليه[وآله] وسلم على مشركي قومِهِ من العربِ ومنافقيهِم، وكفارِ أهلِ الكتابِ وضُلَّالِهِم[وكان الخطاب للكافرين] وإذا عَجزتُمْ عن ذلك -وأنتم أهلُ البراعةِ في الفصاحةِ والبلاغةِ-، فقد علمتُمْ أنَّ غيرَكُمْ عَمَّا عَجزتُمْ عنهُ من ذلِكَ أعْجزُ))[٣]، إنَّ هذا يؤكِّد عظمة الحجة التي أتى بها النبي قومه، وما فيها من تأييدٍ وتسديدٍ من الله تعالى في نصره على العلماء المعاندين والكافرين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣

(٢) القطَّان: مباحث في علوم القرآن: ٢٥١

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ٣٧٢

وقال الشيخ الطوسي: ((في الآيـةِ تَحَـدٍّ للخلـقِ أنْ يـأتوا بمثـلِ هـذا القـرآنِ، وأنَّهُـم يعجزونَ عن ذلكَ، ولا يقـدرونَ عـلى معارضـتِهِ، متعـاونينَ متعاضـدينَ عـلى أنْ يـأتوا بمثلِ هذا القرآنِ في فصاحتِهِ وبلاغتِهِ ونظمِهِ، على الوجهِ الذي هو عليـه، مـن كونـهِ في الطبقةِ العُليا من البلاغةِ، ولو كـانَ ﴿بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِـيرًا﴾ أي معينـاً، والمِثْلِيـةُ التـي تُحَدَّوا بالمعارضَةِ بها معتادةٌ بينهم، كمعارضَةِ علقمةَ لامرئِ القيس، ومعارضَةِ الحارثِ بـن حلـزةَ عمـرو ابـن كلثـوم، ومعارضَـةِ جريـرَ الفـرزدقَ، ومـا كـانَ ذلـكَ خافيًـا عليهِم))[١]، إنَّ الشيخ يؤكِّد على أمرين مهمـين في كلامـه، أحـدهما: إنَّ الكـلام الـذي تحدَّاهم به هو من جنس الكلام الذي يعرفونه، بل قد تفوَّقوا به على غيرهم. والآخـر: هـو الأسـلوب، فالمعارضـة هـو أمـر مـألوفٌ عنـدهم، كـما كـان يجـري بـين شـعرائهم، ويتفنَّنون فيه، ولكنهم أُخرِسوا أمام كلام الله تعالى، وهذا قمة النصر والنجاح.

بل رأينا أنَّ هناك اعترافًا من سادة العرب بإعجاز القـرآن، ولكـنهم لم يـذكروا ذلـك صراحة، حتى قـال كبـير معانـديهم الوليـد بـن المغـيرة عنـدما اسـتمع للقـرآن وهـو يريـد الإساءة إليه: ((إنَّ لقولِهِ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أسفلَهُ لمغدقٌ، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ، وإنَّهُ ليعلو ولا يُعلى))[٢]، وقال السيد الشهرستاني تعليقًـا عـلى هـذه المقولـة: ((هـذا أوَّلُ تقريظٍ نالهُ القرآنُ من خبراءِ عصرهِ ومصرهِ، ولعمري إنها شهادةٌ حافلةٌ)).[٣]

ولقد كانت نتيجة ذلك التحدِّي انهزام الكافرين أمام تلـك الـدعوات، وإثبـات أنَّ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ٦/ ٥١٧

(٢) الزمخشـري: تفسـير الكشـاف ٤/ ٦٥١، الطـبرسي: مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن ٦/ ١٩٢، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٦٩، المجلسي: بحار الأنوار ١٧/ ٢

(٣) المعجزة الخالدة: ٤٣

القرآن معجز من الله تعالى، جاء به النبيﷺ ليدعوهم إلى توحيده عز وجل فلم يقوموا بأيِّ محاولة جادةٍ للتحدي، لذلك اتخذوا القتال أسلوبًا لعنادهم وعاداتهم، بدل المواجهة لفصاحة القرآن وبلاغته، فقد((فَكَّرَتِ العربُ في بلاغةِ القرآنِ فأذعنتْ لإعجازِهِ، وعلمتْ أنها مهزومَةٌ إذا أرادتِ المعارضةَ، فصدَّقَ منها قومٌ داعيَ الحقِّ، وخضعوا لدعوةِ القرآنِ، وفازوا بشرفِ الإسلام، وركبَ آخرونَ جادَّةَ العنادِ، فاختاروا المقابلةَ بالسيوفِ على المقاومةِ بالحروفِ، وآثروا المبارزةَ بالسِّنانِ على المعارضةِ في البيانِ، فكانَ هذا العجزُ والمقاومةُ أعظمَ حجةٍ على أنَّ القرآنَ وحيٌ إلهيٌّ، خارجٌ عن طَوْقِ البشرِ)).[١]

وقد ورد أنَّ قريشًا أتت الوليد بعد أنْ عرفت أنه استمع إلى القرآن وتأثَّر به: ((قال أبو جهل: فقل فيه قولاً يُعْلِمُ قومَكَ أَنَّكَ مُنكرٌ لما قال، وأَنَّكَ كارهٌ له، قال: فما أقولُ فيه، فوالله ما منكُمْ رجلٌ أعلمُ بالأشعارِ مِنِّي، ولا أعلمُ برجزِهِ مِنِّي، ولا بقصيدِهِ، ولا بأشعارِ الجنِّ، والله ما يشبَهُ الذي يقولُ شيئًا من هذا))[٢]، وهكذا كان موقف الآخرين من عنادهم للدعوة القرآنية، بعد عجزهم عن أنْ يأتوا بسورة واحدة من سور القرآن، التي تتألف أقصرها من آيات ثلاث.

المبحث الثاني: موضوعات في البلاغة القرآنية

نحاول في هذا المبحث بيان بعض موضوعات البلاغة القرآنية التي توافق ما تطرق إليها السيد الشهرستاني في صفحات مخطوطاته؛ لنكون على بينة في باب التحقيق من

---

(١) الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٥٠

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ٤٨٨، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٧٨

ذلك، وسيتم ذكرها بإيجازٍ على وفق الحاجة إليها؛ لبيان ما انطوى عليها كتاب الله تعالى، في محاوراته وتشريعاته، وحِكَمه وقصصه وغير ذلك، مما له أثر في البيئة العربية المخاطبة – ابتداء– وقت نزول القرآن الكريم.

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم علوم البلاغة العربية التي كانت العرب تناولتها في كلماتها وخطاباتها ومحاوراتها؛ لأنه نزل بلسانهم، كما قال تعالى في وصفه: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[1]، وما سيتم بيانه في هذا المبحث سيكون على وفق المطالب الآتية:

- **المطلب الأول**: علم المعاني.
- **المطلب الثاني**: علم البيان.
- **المطلب الثالث**: علم البديع.

- **المطلب الأول: علم المعاني.**

إنَّ لهذا العلم مطالب متعددة، تتعلق بأثر التركيب في إثراء الدلالة، ووجدتُ أنَّ أكثرها تناولاً لدى السيد الشهرستاني ما يأتي:

❋ **أولاً**: الإيجاز.

إنَّ الإيجاز مبحث مهم من مباحث علم المعاني، اعتنى به القدماء اعتناءً كبيرًا، وتابعهم على ذلك المحدثون، ومنهم السيد الشهرستاني في مخطوطاته، وهو من سُبُل المحاورات العامة بين العقلاء في إيصال أفكارهم، بالاقتصار على ألفاظٍ قليلة لأداء المعنى المراد، وقد دَرَسه البلاغيون مع الإطناب، إلا أنَّ السيد قد ذكر ما يتعلق بالإيجاز

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣

ولم يورد الإطناب[١]، وسوف أبيِّن ما يتعلق به باختصار شديد.

لقد عرَّف العلماء الإيجاز بتعريفات متعددة نحاول أنْ نقتصر على ما اشتهر منها بينهم. قال ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م): ((هو أنْ يكونَ المعنى زائدًا على اللفظِ)).[٢]

وقال العلوي(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): ((هو اندراجُ المعاني المتكاثرةِ تحتَ اللفظِ القليلِ)).[٣]

فالإيجاز بناء على ما تقدم هو تقليل الألفاظ مع عظمة المعاني التي تتضمنه هذه الألفاظ، وهو عكس الإطناب، ولكُلِّ حالةٍ مزاياها البلاغية الخاصة بها، التي يحتاج إليها المتكلم، فقد ورد عن أبي هلال العسكري قوله: ((إنَّ الإيجازَ والإطنابَ يحتاجُ إليهما في جميعِ الكلامِ، ولكُلِّ واحدٍ منهما موضِعٌ، فالحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ، كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ، فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذلكَ عن جهتِهِ، واستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ، واستعملَ الإيجازَ في موضعِ الإطنابِ أخطأ))[٤]، وذكر السيوطي أنَّ هناك مَنْ قال: ((إنَّ البلاغة هي الإيجاز والإطناب)).[٥]

وكذلك فقد اعتنى العلماء فيما يتعلق بالإيجاز وما فيه من البلاغة دون الإطناب في

---

(١) لقد حصلنا على موارد الإيجاز في مخطوطات السيد الشهرستاني فقط، وأنَّ فقدانه لبصره أدى إلى ضياع كثيرٍ من تراثه التفسيري للقرآن الكريم، ولعل فيها ما يتعلق بالإطناب وغيره من الموضوعات التي لم تذكر في هذه الدراسة.

(٢) سر الفصاحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ٢٠٧

(٣) الطراز ٢/ ٨٨

(٤) كتاب الصناعتين: ١٤٢

(٥) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٦١

الكلام بصورة عامة، بل عُدَّت البلاغة هي الإيجاز، قال ابن رشيق القيرواني: ((قد قيلَ لبعضِهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد))[١]، وهذا الكلام يدل على رغبة العرب وميلهم في الغالب إلى الإيجاز في الألفاظ، مع مراعاة عظمة المعاني فيه، وهذا ما ورد في كلمات النبي والأئمةعليهم السلام، وهو دليل على الفصاحة، قال ابن معصوم المدني(ت ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م): ((وسببُ حُسْنِهِ[الإيجاز] أنَّـهُ يدلُّ على التمكينِ في الفصاحةِ؛ ولهذا قالَصلى الله عليه وآله: **أُوتيتُ جوامِعَ الكَلِمِ**[٢]، قال بعضهم: أي أُعطيتُ قوةَ إيجازٍ في اللفظِ، مع بسطٍ في المعاني، فأتيتُ بالكلماتِ اليسيرةِ والمعاني الكثيرةِ .... ومن بديعِ الإيجازِ قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[٣] إلى آخرِها فإنَّها نهايةُ التنزيهِ، وقد تضمَّنَتْ الردَّ على نحوِ أربعينَ فرقةٍ)).[٤]

نرى أنَّ البلاغة وإنْ كانت في الإيجاز أكمل، ولكنها لا يمكن أنْ تنحصر فيه، أو في الإطناب، بل حسب ما يقتضيه الحال من إيصال المراد المقصود، وبلوغ الغاية في الكلام، مع مراعاة المعاني الكثيرة، لأننا نرى في تراثنا الإسلامي والعربي من البلاغة والفصاحة في هذين النوعين، وكذلك في المساواة بينهما، والشواهد على ذلك كثيرة،

---

(١) الحسن بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تص: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (مط السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م): ١٣٠

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٥٠، وفي رواية: ((**أُعطيتُ جوامعَ الكلم**)). الصدوق: محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ط٢، د.مط، د.ت) ١/ ٢٣١

(٣) سورة الإخلاص: الآية ١

(٤) ينظر: علي صدر الدين: أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، (مط النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) ٦/ ٢٣٩-٢٤١

ومَنْ يتأمل-مثلاً- في خُطَبِ النبيﷺ، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام يرى حقيقة ذلك، على الرغم من أنَّ النفس دائمًا تميل مع الإيجاز؛ لأنه أوقع أثرًا فيها، وهذا ما أكَّده العلماء، قال السكاكي: ((وذكرتُ أيضًا للاختصارِ والتطويلِ مقاماتٌ قد أرشدتُ بها إلى مناسباتها، فما صادفَ من ذلكَ موقعهُ حُمِدَ، وإلا ذُمَّ، وسُمِّيَ إذ ذاكَ عَيًّا وتقصيرًا، والإطنابُ إكثارًا وتطويلاً))[1]، فيجب أنْ يراعي المتكلِّمُ أو الكاتب الأسلوب المناسب في إيصال مراده، وذلك من خلال ما يناسب المقام، وليس الاقتصار على أحدهما، فلعله يستعملهما معًا في مناسبة واحدة، فمن البلاغة أنْ يجعل لكلامه ميزانًا.

وإنَّ للإيجاز قسمين رئيسين: **أحدهما** إيجاز القصر، **والآخر** إيجاز الحذف، فإيجاز القصر هو تقليل اللفظ وتكثير المعاني، أما إيجاز الحذف فهو حذف كلمة أو جملة أو أكثر.[2]

* **ثانيًا**: الالتفات.

إنَّ الالتفات من الأساليب البلاغية المهمة التي يتميز بها كلام العرب، بل من الفنون التي لها أثر في تنوُّع الخطاب عند المتلقي، وقد عَدَّ العلماء هذا النوع من الأنواع البلاغية في علم المعاني، لما فيه من آثار بلاغية جميلة، وقد وُصِفَ بأنه: ((خلاصةُ علمِ البيانِ، وإليه تستندُ البلاغةُ، وهو شجاعَةُ العربيةِ))[3]، والقرآن الكريم قد تضمَّن عددًا كبيرًا من صور الالتفات بأنواعها، وفي دراسة خاصة بهذا الأسلوب، تم إحصاء

---

(١) مفتاح العلوم: ٢٧٧

(٢) للتفصيل فيما يتعلق بهذين القسمين والوجوه المتعلقة بهما ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٤٣-١٥١، الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٤٦-١٤٩، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٦٢-١٧٠

(٣) ابن الأثير: المثل السائر ٢/ ٢

أكثر من سبعمئة وتسعين موضعًا ورد فيه الالتفات[١]، ونبين ما يتعلق به بإيجاز.

فلقد ذكر العلماء تعريف الالتفات في مؤلفاتهم، عند بيانهم بما يتعلق بهذا الأسلوب من أساليب البلاغة العربية، نذكر من ذلك بعض الأقوال.

قال ابن المعتز(ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): ((وهو انصرافُ المتكلمِ عن المخاطبة إلى الإخبارِ، وعنِ الإخبارِ إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك))[٢].

وقال العلوي: ((هو العدولُ من أُسلوبٍ إلى آخر مخالِفٍ للأولِ)).[٣]

فهذا التعريفان يجتمعان في موضوع الالتفات مطلقًا، فكما أنَّ الالتفات في اللغة يراد به نقل الوجه، أو البدن من جهة إلى أخرى، فكذلك في الكلام، هو الانتقال من صيغة معينة في الكلام إلى أخرى، وهناك بعض التعريفات تجاوزت حد التعريف إلى بيان أقسامه.[٤]

وفيما يتعلق بالفائدة التي يلجأ على أساسها المتكلم إلى هذا الأسلوب البلاغي فقد ذُكِرت فوائد متعددة، منها: قصد تعظيم شأن المخاطب، وقصد الاهتمام به، وقصد التوبيخ.[٥]

---

(١) ينظر: طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ١٩٩٨م، د.ط): ١٧١-٢٢٨

(٢) كتاب البديع، تع: إغناطيوس كراتشقوفسكي، (دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ٥٨

(٣) الطراز ٢/ ١٣٢

(٤) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٩٧، ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ١/ ٣٦٢

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٠٤-٢٠٦

فهذه بعض الفوائد التي حاولنا ذكرها بإيجاز وقد ذكر العلماء ذلك بتفصيل في مؤلفاتهم[١]، وأشار إليها المفسرون في تفاسيرهم للآيات التي تضمنت الالتفات[٢]، وهذه الفوائد وغيرها تعد من أهم الغايات التي يستعملها المتكلم، وينتقل فيما بينها لأجل الوصول إلى أقصى غاياته، فيما يريد إيصاله دون سأمٍ وضجر عند المتلقي.

وأما أقسامه فهي متعددة ذكرها العلماء في مؤلفاتهم، وقد فصَّلوا القول في كُلِّ قسمٍ مع بيان فائدته، وأمثلة من الآيات الشريفة التي تضمنت ذلك، ومنها: الالتفات من التكلم إلى الخطاب، والالتفات من الخطاب إلى التكلم، والالتفات من التكلم إلى الغيبة، والالتفات من الغيبة إلى التكلم وغيرها.[٣]

إنَّ أغلب المصادر التي ذكرت أقسام الالتفات إنما ذكرتها ضمن موضوعات البلاغة العربية الأخرى، مع بيان بعض ما يتعلق بها إجمالاً، من حيث ذكر الآيات الشريفة، وفائدة كُلِّ قسم تارةً، وفائدة الالتفات عمومًا تارةً أخرى، ولكن في دراسة حديثة لـ حسن طبل تم تفصيل ذلك تفصيلاً دقيقًا، فيما يتعلق بأبرز مجالات الالتفات في

---

(١) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ٢/ ٥-٦، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٠٤-٢٠٧، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٥٣، حبنَّكة الميداني: عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م) ١/ ٤٨٣

(٢) ينظر مثلاً: الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٥٦، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٩/ ٤١٦

(٣) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ٢/ ٣-١٦، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٩٧-٢٠٣، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٥٣-٢٥٧، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ١/ ٤٨٤-٤٨٥

القرآن، إذ قَسَّم ذلك على مجالات ستة وهي: الصِيَغ، والعدد، والضمائر، والأدوات، والبناء النحوي، والمعجم، ومن خلال هذا التقسيم تناول الأقسام المعهودة التي تقدمت وغيرها، فضلاً عن آراء المفسرين في ذلك بالدراسة والتحليل.(١)

● **المطلب الثاني: علم البيان.**

إنَّ علم البيان من أهم علوم البلاغة، يتعلق بأثر التصوير في إثراء الدلالة، ومن أبرز مباحثه التي اعتنى بها السيد الشهرستاني ما يأتي:

* **أولاً**: التشبيه

وهو من أهم فنون البلاغة عند العرب في تراثهم الأدبي؛ لما فيه من أثرٍ على السامع له في تقريب المعنى المراد عن طريق تشبيهه بما يراه مناسبًا، ويزيده جمالاً وكمالاً، وقد امتدح العلماء هذا النوع من أساليب البلاغة العربية، واستعمل القرآن في آياته عددًا كبيرًا ومتنوعًا من التشبيه؛ لما فيه من القدرة على إبراز الصورة التي أراد تقديمها، ولا سيما في الحالات الإنسانية والصفات ورسم المشاهد وغيرها.

وقد عرَّف العلماء التشبيه في مؤلفاتهم بتعريفات متعددة، نذكر بعض ذلك لنكون على بينة منه.

قال الرمَّاني: ((هو العقدُ على أنَّ أحدَ الشيئينِ يَسُدُّ مَسَدَّ الآخرَ في حِسٍّ، أو عقلٍ)).(٢)

---

(١) ينظر: طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٥٥-١٦٧

إنَّ هذه الصفحات التي استعرض فيها المؤلف هذه الأقسام قد يمكن اختصارها في بعض الأحايين بعدد من الأمثلة أقل مما ذكره، ولكن المؤلف أراد أنْ تكون دراسته تفصيلية، تستوعب أكبر قدر من الآيات والألفاظ، لتكون دراسة شاملة في بابها.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٨٠

قال الخطيب القزويني: ((الدلالةُ على مشاركةِ أمرٍ لآخرٍ في معنًى)).[١]

فالتشبيه من خلال التعريفات التي ذكرها العلماء قائم على المشابهة في أمرٍ معينٍ بين شيئين، يمكن معرفة وجه الشبه عند المُتلقي، فالمعنى فيه يكون أكثر وضوحًا واستئناسًا للنفس في معرفة المقصود، فهو مشاركة في المعنى؛ لذا نرى ذلك الأمر جليًّا في تعريفات الأعلام، وهناك تعريفات كثيرة استعرضها الباحثون في دراساتهم الحديثة، فذكروا أقوال البلاغيين والعلماء القدامى، وتطوُّر هذا التعريف عندهم، ولكنها -حقيقة- لا تختلف كلها في المشاركة بين أمرين في صفة واحدة أو صفات.

وللتشبيه أهمية وفائدة في المحاورات وغيرها، فالبلاغيون كانت لهم كلمات مهمة في مؤلفاتهم تبيِّن عظمته، وقد فصَّل الخطيب القزويني في بيان أثر التشبيه في الكلام، وفائدته في بيان المعاني وتقريبها إلى الذهن، فقال: ((وإذا قد عرفتَ معنى التشبيهِ في الاصطلاحِ، فاعلمْ أَنَّهُ مما اتَّفقَ العقلاءُ على شرفِ قدرهِ، وفخامةِ أمرهِ في فنِّ البلاغةِ، وأنَّ تعقيبَ المعاني به يُضاعِفُ قواها في تحريكِ النفوسِ إلى المقصودِ بها، مدحًا كانت أو ذمًّا، أو افتخارًا، أو غير ذلكَ)).[٢]

ولأهمية التشبيه أَلَّف أبو عبيدة (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) كتابه مجاز القرآن فقد ورد في سبب تأليفه: ((إنه سُئِلَ في مجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[٣] وإنما يقعُ الوعدُ والإيعادُ بما قد عرفَ مثلهُ، وهذا لم يعرفْ، فقال أبو

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤

(٢) المصدر نفسه.

لقد فصَّل الخطيب القزويني بيان فائدة التشبيه وبيان المعاني العالية التي تضمنتها التشبيهات القرآنية فذكر أمثلة كثيرة.

(٣) سورة الصافات: الآية ٦٥

عبيدة: إنما كلَّمَ اللهُ تعالى العربَ على قدرِ كلامِهِم، أما سمعتَ قولَ امرىء القيس:

أَيَقْتُلُنـــي والمَشْـــرَفِيُّ مُضـــاجِعي ومَسْـــنونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيـــابِ أَغْـــوالِ؟

وهم لم يَرَوا الغولَ قط، ولكنهم لما كانَ أمرُ الغولِ يهولُهُم أُوعِدوا به)).[1]

وإضافة لكلمات البلاغيين المتقدمة فإنَّ المفسرين أيضًا ذكروا أهميته في فهم المعاني العظيمة للمثل القرآني الذي يضربه الله تعالى للناس، فتراه يقرِّب المعنى الحسي أو العقلي للمُتلقي بأدنى تأمُّلٍ، قال الزمخشري: ((ولضربِ العربِ الأمثالَ، واستحضارِ العلماءِ المثلَ والنظائرَ شأنٌ ليسَ بالخفيِّ في إبرازِ خبيَّات المعاني، ورفعِ الأستارِ عن الحقائقِ، حتى تُريكَ الْمُتَخيَّلَ في صورةِ الْمُحَقَّقِ، والمتوهَّمَ في معرضِ المتيقَّنِ، والغائبَ كأَنَّهُ مشاهَدٌ، وفيه تبكيتٌ للخصمِ الأَلَدِّ، وقمعٌ لسورةِ الجامِحِ الأبيِّ، ولأمرٍ ما أكثرَ اللهُ في كتابِهِ المبينِ وفي سائرِ كتبهِ الأمثالَ))[2]، فكلامه ظاهر في أهمية المثل في فهم كلام الله تعالى، والتدبُّر في إبراز المعاني الراقية، فضلاً عن أثره في إبطال حجة الخصم.

لأجل ما تقدم كان التشبيه أحد الأساليب القرآنية في محاوراته البليغة، وقد اعترف

---

(١) الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ط، د.ت) ١٩/ ١٥٨ ترجمة أبي عبيدة معمر بن المثنى، لاشين، عبد الفتاح: البيان في ضوء أساليب القرآن، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ١٩٨٨م): ٢٥ وغيرهما من المصادر، وقد أشار إلى ذلك الدكتور فؤاد سزكين في تعليقه على كتاب مجاز القرآن. ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تع: الدكتور محمد فؤاد سزكين، (مط دار غريب، مصر، ١٩٨٨م، د.ط) ١/ ١٦

(٢) تفسير الكشاف ١/ ١٠٩، وينظر: السبكي، عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩هـ١٩٩٩م، د.ط): ٢١١

العلماء بأنَّ التشبيهات القرآنية تعد من أعظم التشبيهات التي أُثِرت في كلام العرب، قال ابن أبي الإصبع(ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) في بيان وجوه حدود بلاغة التشبيه: ((ومنها إخراجُ ما تقع ُعليهِ الحاسَّةُ كقولهِ تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾[١] فهذا بيانُ إخراجِ ما لا تقعُ عليهِ الحاسَّةُ إلى ما تقعُ عليهِ الحاسَّةُ، وقوله: ﴿**الظَّمْآنُ**﴾ أبلَغُ من قول: (يحسبه الرائي ماء)؛ لأنَّ الضمآنَ أشَدُّ حرصًا عليهِ، وأكثرُ تَعَلُّقِ قلبٍ به، وتشبيهُ أعمالِ الكُفَّارِ بالسرابِ من أحسنِ التشبيهِ وأبلغِهِ، وقد تضمَّنَ مع ذلكَ حُسْنَ النظمِ، وعذوبَةَ الألفاظِ، وصحَّةَ الدلالةِ، وصدقَ التمثيلِ))[٢]، وفي هذا الحد من حدود بلاغة التشبيه، نرى حقيقة وعمق اللفظ القرآني، وما يحويه من معانٍ دقيقةٍ، توصل إلى المراد بأقرب الطُّرُقِ، وبأدنى تأمُّلٍ، فهذا أحد الحدود المتعددة التي أشارت إليها الأمثال القرآنية.[٣]

إنَّ هذه شهادة بليغة في حق أبلغ كلام وأفصحه قد تضمن آية واحدة من آيات القرآن الكريم، وجميع تلك الآيات كذلك، والأمثلة كثيرة، وإنَّ جميع الآيات التي تضمنت التشبيهات وأنواعها في القرآن قد بيَّنت الغاية من التشبيه، وأهميته في تقريب المعنى الحسي- والعقلي إلى المتلقي[٤]، ولأجله اعتنى العلماء القدامى بالتشبيه في مؤلفاتهم البلاغية

---

(١) سورة النور: الآية ٣٩

(٢) بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (نهضة مصر، د.ط، د.ت، د.م) ٢/ ٥٨

(٣) لقد ذكر ابن أبي الإصبع حدودًا أخرى مهمة حريٌّ بالاطلاع عليها ودراستها، منها: إخراج ما لم تَجْرِ به العادة إلى ما جرت به العادة، وإخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وإخراج ما لا قوة له بالصفة إلى ما له قوة في الصفة وغيرها. ينظر: بديع القرآن ٢/ ٥٨-٥٩

(٤) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ١/ ٣٨٣-٣٨٧، محمد هاي معرفة: التمهيد في ←

وأفردوا له مؤلَّفًا خاصًّا بتشبيهات القرآن الكريم[١]، والدراسات الحديثة أيضًا.[٢]

وللتشبيه أركان أربعة: المشبَّه، والمشبَّه به، وحروف التشبيه، ووجه الشبه، والعلماء كتبوا بتفصيل فيما يتعلق بطرفي التشبيه –المشبه والمشبه به– والعلاقة بينهما؛ وذلك لأهمية العلاقة التي تربط هذين الطرفين في تقريب المعنى إلى الأذهان.

وتقسيمه من حيث المحسوس والمعقول فيهما فقد قُسِّم على أقسام أربعة، قال الزركشي: ((ينقسمُ التشبيهُ باعتبارِ طرفيهِ إلى أربعةِ أقسامٍ؛ لأنَّهما إما حِسِّيانِ، أو عقليَّانِ، أو تشبيهُ المعقولِ بالمحسوسِ، أو عكسُهُ))[٣]، وتم تفصيل هذه الأقسام الأربعة في مؤلفات العلماء مع الأمثلة لكُلِّ نوعٍ.[٤]

→

علوم القرآن ٥/ ٢٦٤-٣٠٤، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٥٤-٥٩، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م): ١٠١-١٠٨

(١) ينظر مثلاً: ابن ناقيا البغدادي، عبد الله بن محمد: الجمان في تشبيهات القرآن، تح: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، (دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، د.ط)، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب: الأمثال في القرآن الكريم، تح: إبراهيم بن محمد، (مكتبة الصحابة، طنطا، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

(٢) ينظر مثلاً: الأطرقجي، واجدة مجيد: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، (منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م، د.ط، د.مط)، السبحاني، جعفر: الأمثال في القرآن، (مط اعتماد، قم، ط١، ١٤٢٠هـ)، الزين، سميح عاطف: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، (دار الكتاب المصري، مصر، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٥٨

(٤) للتفصيل ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٣٥، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٢٩، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٤٠-٤٥، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٨٦-٨٩، قلقيلة، عبده عبد العزيز: البلاغة

←

وإنَّ للتشبيه أدوات متعددة معلومة تدل على معنى المشابهة، كالكاف، وكأنَّ، ومثل، وشبه وغيرها.[١]

* **ثانيًا**: المجاز

إنَّ المجاز من فنون البلاغة العربية التي تميَّز بها الكلام العربي، وهو ما يقابل الحقيقة في وضع اللفظ لمعناه الذي وضع له، وقد أبدعوا في استعمالاته، لما فيه من أثر بليغ في المعنى، بل هو من أهم أبوابه، قال ابن رشيق القيرواني: ((العربُ كثيرًا ما تستعملُ المجازَ، وتعدُّهُ من مفاخِرِ كلامِها؛ فإنَّهُ دليلُ الفصاحَةِ، ورأسُ البلاغَةِ، وبه بانَتْ لغتُها عن سائرِ اللغاتِ))[٢]، وسوف نبيِّن ذلك بإيجاز.

قال عبد القاهر الجرجاني في تعريفه: ((كُلُّ كلمةٍ أُريدَ بها غيرُ ما وقعتْ له في وضعِ واضعِها، لملاحظَةٍ بينَ الثاني والأول))[٣]، أو هو: ((كُلُّ لفظٍ نُقِلَ عن موضوعِهِ)).[٤]

قال السكاكي: ((هو الكلمةُ المستعملةُ في غيرِ ما هي موضوعةٌ له بالتحقيقِ استعمالاً في الغيرِ بالنسبةِ إلى نوعِ حقيقتِها، مع قرينةٍ مانعةٍ عن إرادةِ معناهُ في ذلكَ النوعِ)).[٥]

→

الاصطلاحية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م): ٣٩-٤١ وغيرها

(١) ينظر للتفصيل فيما يتعلق بورود أدوات التشبيه في القرآن: المسعودي، محمد عبد حسن درويش: مَثَل ومِثْل وكاف التشبيه في القرآن الكريم دراسة لغوية، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، ٢٠٠٥م).

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده ١/ ١٧٨

(٣) أسرار البلاغة، تح: محمد محمود شاكر، (مط المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م): ٣٩١

(٤) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: د. محمد التنجي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م): ٦٦

(٥) مفتاح العلوم: ٣٥٩

إنَّ هذه التعريفات التي وردت في المجاز إنما تؤكد مسألة مهمة وهي أنَّ اللفظ المستعمل مجازًا له في الوضع اللغوي حقيقة، وصرفه من الحقيقة إلى المجاز لمشاركة بينهما في البَيْن، وقد أطلق الجرجاني على هذه العلاقة العالقة بينهما(الملاحظة)، وأطلق عليها السكاكي(القرينة)، وهذا النقل من الحقيقة إلى المجاز قد أشار إليه من قبل ابن جني بقوله في بيان الحقيقة والمجاز: ((الحقيقةُ ما أقرَّ في الاستعمالِ على أصلِ وضعهِ في اللغةِ، والمجازُ ما كانَ بضدِّ ذلكَ)).[١]

إذًا فالعلاقة قائمة غير منفكة بين الحقيقة والمجاز، فالثاني هو فرع للأول وهو الأصل، ولا يمكن أنْ يكون اللفظ مجازًا ما لم يكن له حقيقة في الوضع والاستعمال.[٢]

وإنَّ العلماء قسموا المجاز على قسمين أساسيين وهما: المجاز المرسل، والمجاز العقلي، وذكروا لكُلِّ نوع منهما وجوهًا وعلاقات، أو أسبابًا لاستعمالهما استعمالاً مجازيًّا لا حقيقيًّا، وقد تضمَّنَ القرآن الكريم كلاهما، فالمجاز المرسل هو الذي يكون متعلقًا باللفظة المفردة، وأما العقلي فالذي علاقته قائمة على تركيب الجملة.

وأما فيما يتعلق بأسباب استعمال المجاز في الكلمة أو الكلام، أو العلاقة التي بسببها حصل المجاز فهي متعددة، وقد ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم، فقد ذكر البحراني (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) أسباباً عشرة[٣]، وذكر الزركشي ستًّا وعشرين سببًا أو علاقةً[٤]،

---

(١) الخصائص، تح: محمد علي النجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت) ٢/ ٤٤٢

(٢) ينظر: الجرجاني: أسرار البلاغة: ٢٩١

(٣) ميثم بن علي: أصول البلاغة، تح: الدكتور عبد القادر حسين، (دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.م): ٥٨-٥٩

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٦١-١٨٤

وذكر السيوطي عشرين علاقة، وذكر للعلاقة الأخيرة ثمانية عشر فرعًا[1]، وهذه الوجوه لم يفصِّلوا فيها بين ما هو مختص بالمجاز المرسل أو العقلي، وفي الدراسات الحديثة تم الفصل بين تلك الوجوه لكُلِّ نوعٍ من نَوْعَي المجاز.

وأشهر العلاقات في المجاز المفرد المرسل: الجزئية، والكلية، واعتبار ما سيكون عليه في المستقبل، وغيرها من العلاقات الأخرى[2]، أما أشهر العلاقات في المجاز العقلي: المفعولية، والفاعلية، والزمانية، وغيرها من العلاقات الأخرى.[3]

وإنَّ القرآن الكريم قد تضمن آيات متعددة لهذا الأسلوب البلاغي من المجاز، ولأهمية هذا الباب في القرآن فقد ناقش الفقهاء والأصوليون ذلك في مؤلفاتهم علاقة الألفاظ وظهورها في استنباط الحكم الشرعي من القرآن، وفصَّلوا القول في ذلك بدراسات مستفيضة[4]، وفي ذلك رَدٌّ على الذين أنكروا المجاز في القرآن الكريم، وعَدُّوه من الكذب على الله تعالى، وقد ذكر الزركشي رأي القائلين بعدم ورود المجاز في القرآن.[5]

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٢-١٢٣

(٢) للتفصيل ينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٦/ ١٠٦-١٠٨، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٤١-١٥١، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٦٧-٧١

(٣) ابن معصوم المدني: أزهار الربيع في أنواع البديع ٦/ ١٠٦-١٠٨، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٦٠-٦٣

(٤) ينظر: الشريف المرتضى: الذريعة في أصول الفقه ١/ ١٠-١٣، السرخسي: أصول السرخسي ١/ ١٧٠-١٧٣، الغزالي: المستصفى في علم الأصول: ٨٤، المحقق الحلي: معارج الأصول: ٥٠-٥٧

(٥) نُسِبَ هذا الرأي بعدم وجود المجاز في القرآن الكريم إلى داود بن علي الظاهري ←

* **ثالثًا**: الاستعارة.

إنَّ الاستعارة من أهم فنون البلاغة العربية التي اعتمدتها العرب في محاوراتهم، لأهميتها في إيصال المعنى البليغ للمتلقي، والقرآن قد استعمل هذا الفن في كثير من خطاباته، ويمكن معرفة ذلك من خلال دراسة ما يتعلق بهذا النوع من أنواع البلاغة، وتبقى استعاراته أبلغ الاستعارات، وقد تقدمت كلمات العلماء عند بيان ما يتعلق بالتشبيه، وسوف نبيِّن ما يتعلق بها إيجازًا.

قال عبد القاهر الجرجاني في تعريفها: ((أنْ تريدَ تشبيهَ الشيءِ بالشيءِ، فَتَدَعَ أنْ تفصحَ بالتشبيهِ وتُظْهِرَهُ)).[1]

وقال الجرجاني: ((ادِّعاءُ معنى الحقيقةِ في الشيءِ للمبالغةِ في التشبيهِ، مع طرحِ ذكرِ المشبَّهِ من البَيْنِ)).[2]

إنَّ التعريفات التي تذكر للاستعارة كلها، تبيِّن أنَّ الاستعارة قائمة على التشبيه بين شيئين معينين، لعلاقة المشابهة بينهما، ووجود قرينة تصرفها عن المعنى الحقيقي إلى المجازي.

→

(ت٢٧٠هـ/ ٨٨٤م)، وٱبنه محمد من الظاهرية (ت٢٩٧هـ/ ٩١٠م)، وأبي مسلم الأصفهاني (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) من المعتزلة، وٱبن القاص أحمد بن أحمد الطبري (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) من شيوخ الشافعية، و ٱبن خُوَيز منداد (ت ق٤هـ) من المالكية. البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٨-١٥٩، وينظر: الصالح: مباحث في علوم القرآن: ٣٢٩

(١) دلائل الإعجاز: ٧٦

(٢) التعريفات: ٨ وقد وردت للأعلام تعاريف متعددة، تلتقي من جهة، وتفترق من جهة أخرى، أو قد تكون موجزة، أو مجملة، وقد تتبع تعريفها في الدراسات الحديثة الدكتور محمد حسين الصغير فذكر ٱثني عشر تعريفًا للعلماء، وما يتعلق بتأثر بعضهم بالآخر. للتفصيل ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١١١-١١٦

وللاستعارة أركان ثلاثة:

١. مستعار منه وهو المشبه به.

٢. مستعار له وهو المشبه.

٣. ومستعار وهو اللفظ المنقول.[١]

إنَّ الاستعارات التي استعملها القرآن الكريم كانت من أعظم الاستعارات في كلام العرب، وهذا يدلُّ على تفوُّق كلامه على كلامهم، وتتضح فيه دلائل الإعجاز للرسالة الإسلامية في معجزتها الخالدة وهو القرآن الكريم، وقد ذكر العلماء والمفسرون ما يتعلق بذلك في مؤلفاتهم.[٢]

وإنَّ العلماء ذكروا أقسامًا متعددة للاستعارة في مؤلفاتهم، وأهمية كُلِّ نوع وبلاغته في التوسُّعِ لإيصال الكلام إلى المتلقِّي، وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قَسَّمها على قسمين فقال: ((ثم إنها تنقسمُ أولاً قسمين: أحدهما: أنْ يكونَ لنقلهِ فائدةٌ، والثاني: أنْ لا يكونَ لنقلهِ فائدةٌ))[٣]، وأما من حيث أقسامها المتعددة قال القزويني: ((ثم الاستعارةُ تنقسمُ باعتبارِ الطرفينِ، وباعتبارِ الجامعِ، وباعتبارِ الثلاثةِ، وباعتبارِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٦٧، ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ١/ ٢٤٥، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١٢١

(٢) ينظر مثلاً: الشريف الرضي، محمد بن الحسين: تلخيص البيان في مجازات القرآن، (مط المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، د.ط): ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧ وغيرها من الآيات الكثيرة التي تضمَّنها الكتاب، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/ ٦، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٣٩٩، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٦٨ – ٢٧٠، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٤-٢٢٦

(٣) أسرار البلاغة: ٣٠

اللفظِ، وباعتبارِ أمرٍ خارجٍ عن ذلكَ كُلِّهِ))[١]، ثم ذكر بعد ذلك أنواع كل قسم من أقسام الاستعارة المتعددة[٢]، وفصَّل العلماء في هذه الأقسام وغيرها وما يتعلق بكُلِّ واحد منها ومواردها.[٣]

فالاستعارة تصوِّر للمتلقي صورًا عظيمة تؤثِّر في النفس، وكأنَّ القارىء لكتاب الله تعالى يرى صورًا متعددة في صفات مختلفة لآيات الله، فيصوِّر النار وكأنه شخصٌ مغضبٌ مبالغ في الانتقام من عدوه، قال الشريف الرضي في بيان روعة هذا الفن عند قوله تعالى: ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ**﴾[٤] ((تغيَّظَتِ القِدْرُ إذا اشتدَّ غليانُها، ثم صارتِ الصفةُ به مخصوصةً بالإنسانِ المُغْضَبِ، فكأَنَّهُ سبحانَهُ وصفَ النارَ -نعوذ بالله منها- بصفةِ المُغيظِ الغضبانِ، الذي من شأنِهِ إذا بلغَ ذلكَ الحدَّ أنْ يبالغَ في الانتقامِ، ويتجاوزَ الغاياتِ في الإيقاعِ والإيلامِ))[٥]، وقد أطلق المحدثون على ذلك بـ(التشخيص) وهو((إسباغُ الحياةِ الإنسانيةِ على ما لا حياةَ له، كالأشياءِ الجامدةِ، والكائناتِ الماديةِ غيرِ الحيَّةِ))[٦]، وبذلك تتحقق الغاية من التشخيص في عقد الصلة الروحية بين النفس

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٩

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٩-٢٢٩

(٣) للتفصيل ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٧٣-٣٧٤، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٦٩-٢٧٢، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٣٥-١٤٠، لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٦١-١٨٥، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٦٢-٧٥، الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١٣٠-١٣٥، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٥/ ٣٢١-٣٣٠

(٤) سورة الملك: الآية ٨

(٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٣٩

(٦) جَبُّور، عبد النور: المعجم الأدبي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م): ٦٧

الإنسانية والموجودات المنظورة وغير المنظورة[١]، فنرى كيفية بعث الروح في الجمادات، فيكون كُلُّ شيء في الوجود حيًّا يمكننا محاكاته، والاستماع إليه، والتسلِّي به، والحذر منه، وهذه الظاهرة كانت موجودة في الكلام العربي، ولكنها تجلت بأبهى صورها في القرآن الكريم، وكذلك في كلام المعصومين(عليهم السلام)، ومنها ما ورد في كلمات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة.[٢]

* **رابعًا: الكناية**

تعد الكناية من فنون البلاغة العربية التي لها أهمية في إيصال المعاني البليغة للمتلقي، وقد جرى ذلك في القرآن الكريم؛ لأنه يخاطب أمة لها السبق والعُلا في هذه الفنون، فبذلك تستذوق هذه المعاني، وتعرف حقيقة المراد من الكلام عند الكنية إليه.

قال عبد القاهر الجرجاني في تعريفها: ((أنْ يريدَ المتكلِّمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكرهُ باللفظِ الموضوعِ له في اللغةِ، ولكن يجيء إلى معنًى هو تاليهِ وردفُهُ في الوجودِ، فيومىء به إليه، ويجعلهُ دليلاً عليهِ))[٣]، وقال السكاكي: ((هي تركُ التصريحِ بذكرِ الشيءِ، إلى ذكرِ ما هو ملزومُهُ؛ لينتقلَ من المذكورِ إلى المتروكِ)).[٤]

فالكناية تؤكِّد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي للفظ الذي يُراد الكناية به، مع

---

(١) ينظر: العكيلي، عهود عبد الواحد: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية، (دار الفكر، عمَّان، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م): ٢٠٢

(٢) للتفصيل ينظر: الفحام، عباس علي: الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، (مط الفجر، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م): ٢٣٥-٢٤١

(٣) دلائل الإعجاز: ٦٦

(٤) مفتاح العلوم: ٤٠٢

وجود ملازمة بين المعنيين تجمعهما، من غير تصريحٍ، بل عن طريق تلويحٍ للمعنى المراد، وقد تكون كناية عن صفة، أو موصوف، وللقرآن في ذلك أمثلة متعددة.[١]

وقد ذكر العلماء أسبابًا متعددة تجعل المتكلم يستعمل الكناية من دون التصريح، فمما ذكره الزركشي: ((التنبيه على عظم القدرة، فِطنة المخاطب، ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه، وأنْ يفحش ذكره في السمع فَيُكَنَّى عنه بما لا ينبو عن الطبع، وتحسين اللفظ))[٢]، فإنَّ هذه الأسباب وغيرها تدلُّ على مدى اعتناء القرآن الكريم في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمعين، بألفاظ لها أبلغ الأثر في النفس، مع الحفاظ على الأهداف المتقدمة، وهذه حقيقة يلمسها الإنسان عند تلاوته كتاب الله تعالى، بعد معرفته بأساليب فنونه التي تضمنتها آياته الشريفة.

وقد ذكر الشيخ محمد هادي معرفة عددًا من الآيات القرآنية التي تضمنت هذا النوع من البلاغة، وما يتعلق بها من كنايات متنوعة[٣]، وفي مجال بيان أثر الصورة الكنائية التي يصورها القرآن الكريم لآياته الشريفة فهي في غاية الإبداع والإتقان، والتي تعد من أهم أسباب تأثيره في نفس المتلقي عامة، فضلاً عن المختصِّين بعلوم البلاغة؛ لذا نرى تأثيره العظيم في نفوس المشركين عند دعوة النبيﷺ إياهم للإيمان، ومن الباحثين من فصَّل الكلام في الصورة الكلية والجزئية للتصوير القرآني، كالصورة التشبيهية، والاستعارية، والكنائية وغيرها.[٤]

---

(١) ينظر: حيدر هادي أحمد: البحث البلاغي في تفسير الميزان، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، ٢٠٠٧م): ١٤٣-١٥١

(٢) للتفصيل ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٧-١٩٢ وقد ذكر أسبابًا عشرة من أسباب الكناية مع أمثلتها من الآيات الشريفة وكلام العرب.

(٣) ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٥/ ٣٣١-٣٥٧

(٤) ينظر: السلامي، عمار عبد الأمير: بنائية الصورة القرآنية، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة ←

● **المطلب الثالث: علم البديع/ المحسنات المعنوية.**

إنَّ علم البديع من علوم البلاغة التي لها أثر في إثراء المعنى للفظ، ومن أبرز مباحثه التي اعتنى بها السيد الشهرستاني ما يأتي:

* **أولاً**: المقابلة.

المقابلة من المحسنات البديعية التي لها أثر في بلاغة الكلام وتحسينه، وقد اعتنى بها العرب في كلامهم؛ لما فيها من تعظيم له، وقد تضمنت كثير من آيات القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات البديعية، ومما ورد في تعريفها:

قال السكاكي: ((أنْ تجمعَ بينَ شيئينِ متوافِقَيْنِ، أو أكثر، وبين ضِدَّيهما)).[١]

قال الزركشي: ((ذكرُ الشيءِ مع ما يوازيهِ في بعضِ صفاتِهِ، ويخالفُهُ في بعضِها)).[٢]

إنَّ المقابلة قائمة على معنيين متقابلين في طرفين معينين، سواء أَتوافقا أم تخالفا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**﴾[٣] فقد جعل الضحك مقابل البكاء، والقليل مقابل الكثير، وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[٤]، فالمقابلة جلية في الآيات الشريفة مما زادتها رونقًا وحُسنًا في عَرْضِها وتَلَقِّيها كذلك، وذكر الزركشي للمقابلة أنواعًا ثلاثةً: ((نظيريٌّ، ونقيضيٌّ، وخلافيٌّ)).[٥]

←

-الرسائل الجامعية، د.ط، د.مط، د.ت): ١٦٧-١٨٨

(١) مفتاح العلوم: ٤٢٤

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٠

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٢

(٤) سورة الليل: الآيات ٥-١٠

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٨١

والمقابلة في القرآن الكريم وردت على صور متعددة فمنها مقابلة اثنين باثنين، وثلاثة بثلاثة، وأربعة بأربعة، وخمسة بخمسة، وستة بستة، وقد ذكر العلماء آيات شريفة لكُلِّ صورة من هذه الصور.[١]

* **ثانيًا**: المشاكلة.

إنَّ المشاكلة نوع من أنواع البديع الذي تستعمله العرب في خطاباتها؛ لما فيه من حُسنٍ تنغيمي يُزاد على المعنى المطلوب إيصاله، وقد تضمَّن القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات في عدد من آياته الشريفة بأسلوب بديع، وقد ورد في تعريفها عن السكاكي: ((وهي أنْ تذكرَ الشيءَ بلفظِ غيرِهِ، لوقوعِهِ في صُحْبَتِهِ)).[٢]

وقال السيوطي: ((ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِهِ في صُحْبَتِهِ، تحقيقًا وتقريرًا)).[٣]

فالمشاكلة قائمة على تشاكل اللفظين أو الألفاظ، وقد أضاف السيوطي قوله: (تحقيقًا وتقريرًا) تباعًا لـ القزويني[٤]، وفي الإضافة أكثر بيانًا للتعريف وتوضيحًا؛ لأنَّ اللفظ قد يكون مشاكلاً تحقيقًا من خلال استعمال اللفظ نفسه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[٥]، وقوله تعالى:﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ**﴾[٦]، وقال تعالى:﴿**وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾[٧] وغيرها من الآيات الشريفة،

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٤، ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ١/ ٣٠١-٣٠٤، لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٣٤-٣٥

(٢) مفتاح العلوم: ٤٢٤

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨١

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٦٣

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٦

(٦) سورة آل عمران: الآية ٥٤

(٧) سورة الجاثية: الآية ٣٤

فالمشاكلة بين الألفاظ واقعة تحقيقًا.[(١)]

فالمشاكلة فيها من الجمال في اللفظ والمعنى ما لا يخفى على المطَّلِع على فنون علوم البلاغة، بعد التأمُّل في الألفاظ المستعملة في الكلام، وما فيها من تقرير المعنى المطلوب.

* **ثالثًا**: المبالغة.

إنَّ العرب استعملت المبالغة في خطاباتها لما فيه من جمال في إيصال المعنى الدقيق، فالمبالغة لأجل إطلاق الفكر في المعنى، وليس مخالفة الواقع، وقد تضمَّن القرآن الكريم هذا النوع من المحسنات، وعرَّف العلماء المبالغة في مؤلفاتهم وما يتعلق بها.

قال القزويني: ((أنْ يُدَّعى لوصفٍ بلوغَهُ في الشدَّةِ أو الضعفِ حدًّا مستحيلاً أو مستبعدًا؛ لئلا يُظَنُّ أنَّهُ غيرُ متناهٍ في الشدةِ أو الضعفِ)).[(٢)]

قال السيوطي: ((أنْ يذكرَ المتكلِّمُ وصفًا فيزيدَ فيه، حتى يكونَ أبلغَ في المعنى الذي قصدَهُ)).[(٣)]

فالمبالغة من خلال تعريفها هي التأكيد على وصف الشيء، وبيان ما فيه من معانٍ دقيقة؛ للترغيب فيه، أو للتحذير منه، أو للإشادة فيه وغير ذلك، سواء أكانت خيرًا أم شرًّا، أو أي صفتين في ذلك، وهذا أمر طبيعي في المحاورات بين الناس.

والمبالغة ضربان كما ذكره السيوطي: ((مبالغَةٌ بالوصفِ بأنْ يخرجَ إلى حَدِّ

---

(١) للتفصيل ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨١-٢٨٢، لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٧٧-٨١، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٣٧٥-٣٧٧، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية ٢ / ٤٣٨

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٧٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٢

الاستحالَةِ، ومبالغَةٌ بالصيغَةِ، وصِيَغُ المبالغَةِ...)).[١]

وقد اختلف العلماء فيما يتعلق بهذا النوع، هل يعد من أنواع الكذب والإفراط، وعيوب الكلام أو لا؟

ولا يخفى أنَّ بعض أنواعه قد يكون كذلك، إذا كان الموصوف مما يُمتنع عليه ذلك عادة[٢]، وإلا فهو ليس كذلك، والقرآن الكريم قد استعمل ذلك، قال ابن معصوم المدني: ((وقالَ بعضُ المتأخرين: الحقُّ إنَّ فضلَ المبالغةِ لا ينكرُ؛ لوقوعِها في القرآنِ الكريمِ، ومنها جميعُ أبوابِ التشبيهِ، والاستعارةِ، والكنايةِ)).[٣]

وفيما يتعلق بالآيات الشريفة وما ورد عن الله تعالى بصيغ المبالغة، فنرى أنَّ الله تعالى لا يمكن أنْ يصف نفسه للآخرين، فهو الكمال المطلق، ولا يمكن لما هو محدود أنْ يتعرَّف على المطلق، فإطلاق صفات المبالغة عليه إنما للتأكيد على الخروج من دائرة المحدود.

- **المحسنات اللفظية.**

* **أولاً**: الجناس.

يعد الجناس من المحسنات اللفظية في علم البديع، والتي اعتُنِي بها في الكلام العربي؛ لما فيه من جمال وإبداع في إيصال المعنى إلى المتلقي؛ لذلك كان أحد أساليب القرآن الكريم في آياته الشريفة أنْ يتضمن هذا النوع من فنون البلاغة العربية، ويُسَمَّى

---

(١)الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٢.

(٢) للتفصيل ينظر: لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٦٣-٦٤، حبنَّكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ٢/ ٤٥٠

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع ٤/ ٣٨٢

بالتجنيس أيضًا، وقد ورد في بيان مقامه عن ابن الأثير قوله: ((اعلم أنَّ التجنيسَ غُـرَّةٌ شادِخَةٌ في وجهِ الكلامِ، وقد تصـرَّفَ العلماءُ من أربابِ هذهِ الصناعةِ فيهِ فغرَّبوا وشرَّقوا، لا سيما المُحْدَثينَ منهم، وصنَّفَ الناسُ فيهِ كُتُبًا كثيرةً، وجعلوهُ أبوابًا متعددةً))[1]، وقد ورد في تعريفه قال ابن الأثير: ((أنْ يكونَ اللفظُ واحدًا، والمعنى مختلفًا))[2]، وقال القزويني: ((هو التشابُهُ بينَ اللفظينِ)).[3]

فالجناس هو تشابه اللفظين مع مراعاة أنْ يكون لكُلِّ لفظٍ منهما معنىً يغاير المعنى الآخر، وإلا كان تكرارًا، والعلماء قد قسموا الجناس على قسمين: لفظي، ومعنوي، ولكُلِّ قسمٍ منهما له أقسام أخرى متعددة.[4]

ولا يخفى أنَّ هذا التشابه في اللفظين وأثرهما في تطريب السمع يؤدي غرضه في النفس ويؤثِّر بها، وقد ورد فيه قولهم في هذا الأسلوب البديعي بأنه: ((تطربُ له الآذانُ، وتهتزُّ له أوتارُ القلوبِ، والمجنِّسُ يقصدُ اختلابَ الأذهانِ، حيثُ يوهِمُ أنَّهُ يُعرِضُ على السامعِ معنًى مكررًا، فإذا هو معنًى مستحدَثٌ يغايرُ ما سبقَهُ كُلَّ المغايرةِ، فتأخذُ السامعَ الدهشةُ لتلكَ المفاجأةِ غيرِ المتوقعةِ)).[5]

إنَّ القرآن الكريم قد تضمَّن تلك الأنواع في أسلوب بديعي رفيع، له أثر بليغ في إيصال المعاني إلى سامعيه، قال تعالى في وصف ما تمرُّ على الإنسان من دهشته يوم

---

(١) المثل السائر ١/ ٢٤١

(٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٨

(٤) ينظر: قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٣٣٦-٣٥٠، لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٦٣-١٦٥

(٥) لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٧٠

القيامة بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[١]، فالساعة الأولى يوم القيامة، والساعة الثانية ساعة من الزمن في الدنيا، وهذا ما يسمى بـ(الجناس التام) ويكون بين لفظين تامين(الساعة، وساعة)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢]، وهذا ما يسمى بـ(الجناس الناقص) ويكون بين لفظين بتبديل حرف واحد (شهيد، وشديد)، وغيرها من الآيات الشريفة التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم.[٣]

* **ثانيًا**: السجع.

إنَّ السجع من فنون البلاغة العربية التي تضيف حسنًا وجمالاً للفظ وما يتبعه من تأثير على المتلقي، وقد اعتنى العرب به في كلامهم المنثور خصوصًا، وما في كلمات الوعظ والحِكَمِ والخُطَبِ، وقد تضمَّنت آيات القرآن الكريم هذا النوع من فنون البلاغة، بأنواعه المتعددة، على وفق أسلوب القرآن البديع في عرض الصورة، وإيصال المقصود، وقد عرف العلماء السجع في مؤلفاتهم، قال ابن الأثير: ((تواطُؤُ الفواصِلِ في الكلامِ المنثورِ على حرفٍ واحدٍ))[٤]، وقال القزويني: ((تواطؤُ الفاصلتينِ من النثرِ على حرفٍ واحدٍ)).[٥]

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٥

(٢) سورة العاديات: الآيتان ٧-٨

(٣) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٧٥-٢٧٧، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٧١-٢٧٣، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٨-٢٩٣

(٤) المثل السائر ١/ ١٩٥

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٦

فالسجع قائم على نهاية الفواصل وتوافقها في الحرف الأخير، وله أقسام متعددة منها: المطرَّف، والمرصَّع، والمتوازي وغيرها من التقسيمات، وقد فصَّلَ العلماء فيها مع بيان أمثلتها من القرآن الكريم وكلام العرب.[١]

وهناك خلاف بين العلماء القدامى بين تسمية هذا النوع بالسجع أو الفواصل، على ما تضمنه القرآن الكريم لهذا النوع من فنون البلاغة، فهناك مَنْ عَدَّ السجع عيبًا فنزَّهَ القرآن عنه فسمَّاه فاصلةً؛ تنزيهًا عن سجع الكهَّان، وهناك مَنْ لم يعتنِ بذلك، قال ابن الأثير: ((وقد ذمَّهُ بعضُ أصحابِنا من أربابِ هذهِ الصناعَةِ، ولا أرى ذلكَ وجهًا))[٢]، فلو كان عيبًا لما اشتمل كتاب الله تعالى، وكلام النبيﷺ عليه، وهذا ما قرره ابن الأثير في أدلته على ذلك ودافع عنه فقال: ((فلو كانَ مذمومًا لَمَا وردَ في القرآنِ الكريمِ، فإنَّهُ قد أتى منهُ بالكثيرِ، حتى إنَّهُ ليؤتي بالسورةِ جميعها مسجوعَةً، كسورةِ الرحمنِ، وسورة القمرِ وغيرِهما، وبالجملةِ فلم تخلُ منه سورةٌ من السُّوَرِ...وقد وردَ على هذا الأسلوبِ من كلامِ النبيِّ شيءٌ كثيرٌ أيضًا))[٣]، وكذلك فقد تعرَّض ابن سنان الخفاجي إلى رد النافين للسجع في القرآن ومنهم الرماني بقوله: ((السجعُ عيبٌ، والفواصلُ بلاغةٌ، وبيِّنٌ ما يتعلقُ بذلكَ من قولٍ، وأنَّ المذمومَ من السجعِ ما كانَ بتكَلُّفٍ من المتكَلِّمِ، وهذا ليس موجودًا في كتابِ اللهِ تعالى))[٤]، وعرض الدكتور إبراهيم السامرائي بعض تلك الأقوال والنزاع القائم بين

(١) للتفصيل ينظر: ابن الأثير: المثل السائر ١/ ١٩٥، الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٦-٢٩٧، قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية: ٥٠٤-٥٠٧

(٢) المثل السائر ١/ ١٩٥

(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسها.

(٤) سر الفصاحة: ١٧٢، وينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع ٦/ ٢٥٤

العلماء وناقشها، وبيَّن أهمية هذه الفواصل في السياق القرآني.[١]

فالسجع إنْ كان من فنون البلاغة العربية فلماذا هو عيب في القرآن الكريم؟ وقد أتى القرآن بكلام معجز من كلام العرب، أما إذا لم يكن من فنون بلاغتهم بل من عيوب الكلام، ففي ذلك نقاش وكلام، وهذا غير ثابت.

فهذه أهم الموضوعات المتعلقة بعلم البديع حاولنا بيانها؛ لما لها من علاقة بباب التحقيق وما ذكره السيد الشهرستاني في ذلك.

المبحث الثالث: رأي السيد هبة الدين الشهرستاني في الإعجاز القرآني

إنَّ للسيد الشهرستاني رأيًا بالإعجاز القرآني ذكره في مناسبات متعددة، فقد ذكر بعض ذلك في مؤلفاته المخطوطة التي سيتم بيانها في باب التحقيق، ومنها ما ورد في في كتابه المطبوع(المعجزة الخالدة)، فهو يذكر تلك الوجوه التي يرى أنَّها وجوهٌ تميِّزُ كتاب الله تعالى عما سواه[٢]، وما ذكره هو اعتمادًا على جهود الأعلام السابقين في الدراسات القرآنية لإعجاز القرآن الكريم، ولكنه بعد عرضه لتلك الوجوه يذكر ما اتفق عليه العلماء أنها من وجوه الإعجاز القرآني لا التمييز فقط، وهذه الوجوه الإعجازية قد أطلق عليها(النظريات السبع للعلماء في وجوه الإعجاز) فقال: ((ولَّما سبرنا مزايا القرآنِ البالغةِ نحوَ الثلاثينَ، وأخبرناها على ضوءِ هذا المحكِّ القرآنيِّ، رأينا فيها ستةً صالحةً؛ لأنْ تُعَدَّ من وجوهِ الإعجازِ، وهي: ١-صدوره من أُمي مثل محمدﷺ،

---

(١) ينظر: من وحي القرآن، (مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م): ١٠٣

(٢) ينظر: ١٨-٢٠

إنَّ السيد ذكر ثماني وعشرين مزية للقرآن تميِّزه عن غيره من الكلام.

٢- بلاغته الفائقة، ٣-غرابة أسلوبه، ٤- أنباؤه الغيبية الصادقة، ٥- جذباته الروحية، ٦- جامعيته لهذه الوجوه)).[(١)]

ثم يبيِّن القول بإيجاز لكُلِّ وجه من هذه الوجوه التي هي في الواقع ستة كما ذكرها، ولكنه يضيف إليها الصرفة اعتمادًا على القائلين بها، وقد ذكر ما يتعلق بحقيقتها بقوله: ((اشتهرَ النقلُ عن الشريفِ المرتضى من الشيعةِ، وعن النَّظَّام من المعتزلةِ أنَّهما قالا في وجهِ إعجازِ القرآنِ بالصرفَةِ والمِنعةِ، أي: إنَّهُ معجزٌ؛ لأنَّ اللهَ يصرفُ عن القدرةِ على فعلهِ مَنْ يريدونَ الإتيانَ بمثلِهِ))[(٢)]، ولكنه رد هذا الرأي بصراحة؛ إذ إنه لا يليق بالله تعالى أنْ يدعوهم للمباراة والتحدي، ومع ذلك يسلبهم القوة والقدرة، وهذا يُبعد عن القرآن صفة الإعجاز.[(٣)]

---

(١) ص ٢٦

إنَّ السيد بعد ذكره لما تقدم يقول تحت عنوان (الصرفة من النظريات السبعة): ((أفردنا القول بالصرفة عن النظريات الست، من وجوه إعجاز القرآن لتباعد بين هذي وتلك)). المصدر نفسه: ٦١

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

إنَّ هذا الرأي لـ الشريف المرتضى اشتهر عنه، وكان قد صرَّح به في مؤلفاته المتعددة، ودافع عنه بإيجاز وتفصيل، وألَّف كتابًا خاصًّا في تأييد ما يراه من صرف الله تعالى المشركين عن مجاراة وتحدي كتاب الله تعالى. للتفصيل ينظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين: الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ). وينظر: الشريف المرتضى: من رسائل الشريف المرتضى (مجموعة في فنون من علم الكلام)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (مط دار الكفيل، كربلاء، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م): ٤٩

(٣) ينظر: المعجزة الخالدة: ٦١-٦٢

←

إنَّ السيد الشهرستاني على الرغم من ذكره لتلك الوجوه وما يتعلق بها، لكنه يرى أنَّ وجه تحدِّيه يكمن في جذباته الروحية، وبلاغته الجامعة[١]، ويقول أيضًا في إحدى مخطوطاته: ((ذهبنا في سِرِّ إعجازِ القرآنِ إلى اشتمالِهِ على أنباءٍ غيبيَّةٍ، وجذباتٍ روحيَّةٍ)).[٢]

نرى أنَّ تأثُّرَ السيد بهذا الوجه من الوجوه الإعجازية قد تابع فيه الخطابي فيما سبق؛ إذ قال: ((قلتُ في إعجازِ القرآنِ وجهًا آخرَ ذهبَ عنه الناسُ، فلا يكادُ يعرفُهُ إلا الشاذُّ من آحادِهِم، وهو صنيعُهُ بالقلوبِ، وتأثيرُهُ في النفوسِ))[٣]، وهذه من حقائق القرآن الناصعة التي يلمسها الإنسان إنْ قرأ كتاب الله تعالى بتدبُّرٍ وإقبالٍ، بعيدًا عن الهوى والعصبية، والجهل بمعانيه وأسراره، فالتعبير بلفظ (الجذبة) فيه معنىً دقيق في التأثير والتأثُّر بكلمات القرآن الكريم كلها.

وفيما يتعلق بتحدي القرآن الكريم للعرب، فالسيد الشهرستاني قد ذكر رأيه من خلال تفسيره لإحدى الآيات الشريفة الواردة في مقام التحدي، وبيّن مراحل تحديه لهم.[٤]

→

إنَّ هذا هو رأي العلماء المحققين في إعجاز القرآن الكريم تجاه القائلين بالصرفة، وتم عرض بعض أقوال الشريف المرتضى وبيان حجته في الصرفة ورأي المعارضين لذلك لفقدان المعجز به أصل التحدي، ومناقشة الأعلام له في بحث مستقل. ينظر: الكاظمي، عماد: الجهود العلمية للسيد الشريف المرتضى، (المؤتمر العلمي الدولي السادس في العتبة الكاظمية المقدسة، غير منشور، ١٤٣٥هـ ٢٠١٥م): ٢٠-٢٢

(١) ينظر: المعجزة الخالدة: ٢٠

(٢)مخطوط رؤوس الأقلام، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٦٢

(٣) بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٠

(٤) سيتم بيانه في باب التحقيق، الفصل الرابع، المبحث الأول.

وأما أهم أبواب علوم البلاغة فقد ذكرها السيد من خلال تفسيره لبعض الآيات الشريفة، فضلاً عن تعليقاته على بعض الآيات من خلال بيانها، أو الإجابة على أسئلة تتعلق بمعانيها، والمراد منها.[1]

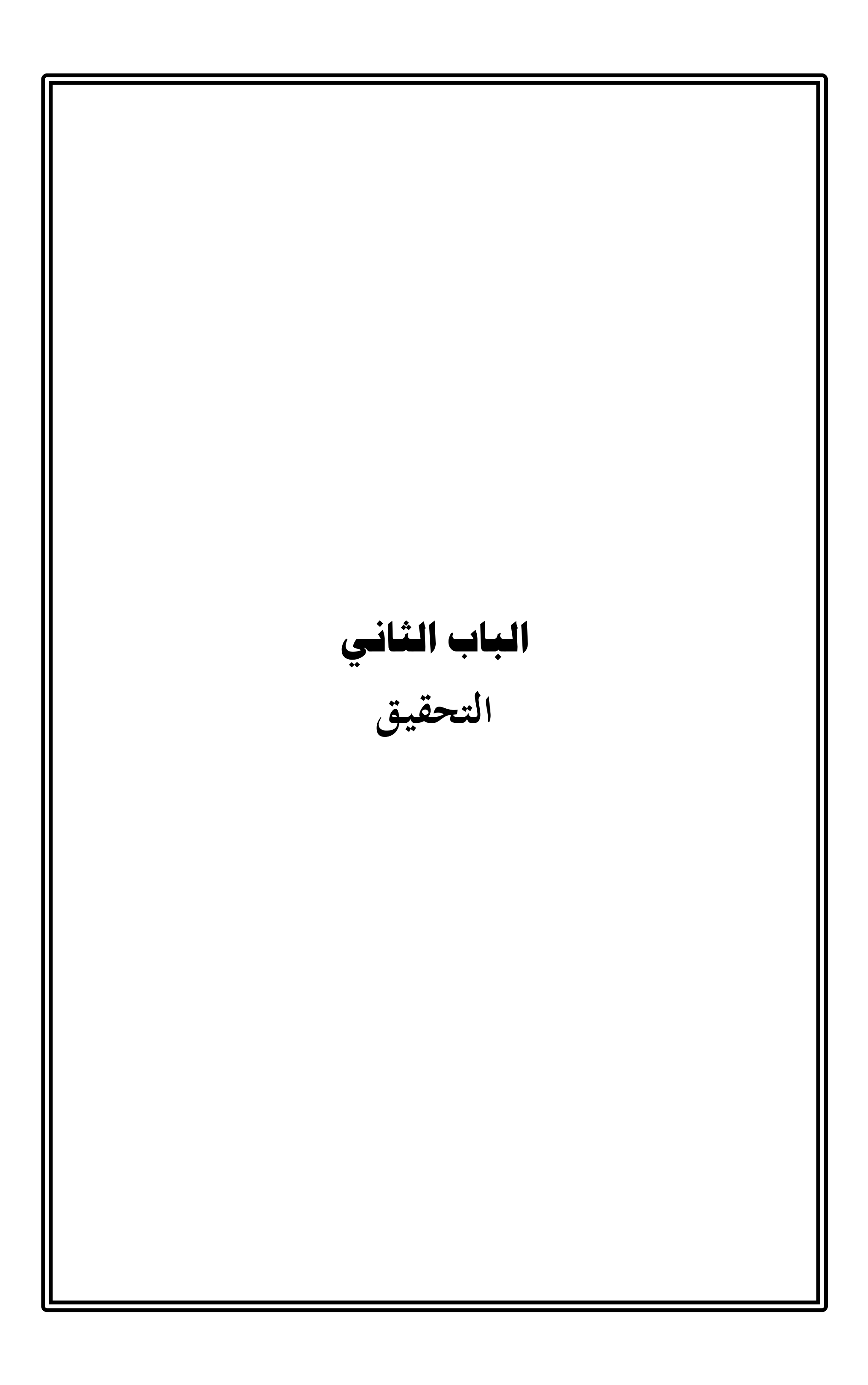
لقد اعتنى السيد الشهرستاني في بيان فنون البلاغة العربية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ليؤكِّد إعجازه، من خلال كلام يفهمون سِرَّه ومعناه وبلاغته، وفي ذلك صورة جلية للإعجاز، وخصوصًا في وقت نزوله، حيث فهم الناس لتلك الفنون، وأما اليوم فالحاجة ماسة لتوضيح وبيان ذلك لهم؛ ليتعرَّفوا على حقيقته وإعجازه، يقول(قده): ((إنَّ براعَةَ القرآنِ في تفنُّنِهِ بأساليبِ البلاغةِ مع الإيجازِ، والبالغَ حَدَّ الإعجازِ، جعلاهُ بمنزلةٍ يصعبُ على المتناولِ فهمِ كثيرٍ من معانيهِ ومراميهِ، فجعلَنا بحاجةٍ إلى تدقيقٍ واسعٍ في اللفظِ والمعنى، وأنْ نُكَلِّفَ أفهامَنا التحرِّي في وجوهِ البيانِ، واستنباطِ مقاصدِهِ من خلالِ تشبيهاتِهِ، ومجازاتِهِ، وكناياتِهِ)).[2]

وسوف نبيِّن ما يتعلق بالجوانب الأخرى المتعلقة ببلاغة القرآن الكريم في الفصل المختص بتحقيق مخطوطاته.

---

(١) سيتم بيانه في باب التحقيق، الفصل الرابع، المبحث الثاني والثالث والرابع.

(٢) مخطوط التفسير المحيط أوراق من دون ترقيم.



الباب الثاني

التحقيق

الفصل الأول

صيانة القرآن من التحريف

- **المبحث الأول**: معنى التحريف.
- **المبحث الثاني**: أدلة صيانة القرآن من التحريف.

الفصل الأول:

صيانة القرآن من التحريف

نبين في هذا الفصل ما ذكره السيد الشهرستاني فيما يتعلق بصيانة القرآن الكريم من التحريف والزيادة والنقيصة، وبيان رأيه في هذا الموضوع المتعلق بمعجزة الإسلام الخالدة، وأهمية مناقشة ذلك في علوم القرآن الكريم، وسوف نذكر ذلك من خلال بيان تعريف التحريف، ومناقشته المسألة مناقشة علمية، وإثباته صيانة الكتاب والدفاع عن قدسيته بأدلة عقلية ونقلية، واستدلاله بأقوال الأعلام المحققين، والرد على تلك الآراء التي تخالف ذلك.

وأهم الموضوعات التي ناقشها السيد سأبينها في مبحثين:

- **المبحث الأول**: معنى التحريف.
- **المبحث الثاني**: أدلة صيانة القرآن من التحريف.

المبحث الأول: معنى التحريف

لقد ذكر السيد الشهرستاني ما يتعلق بالمراد من التحريف في اللغة، ومدى انطباقه على موضوع التحريف للقرآن في الدراسات القرآنية، وهل يمكن أنْ ينطبق على القراءات عند تغيير اللفظ أو لا، وذكر ذلك في موردين.

- **المورد الأول**[١]:

قال: تغييرُ حرفٍ بحرفٍ أو تَصَرُّفٍ فيه.[٢] فعليه يشملُ حتى تبديلَ الحروفِ في الآياتِ، وحتى التَصَرُّفَ في الحركةِ والسكونِ، فضلاً عن تبديلِ سورةٍ، أو تَصَرُّفٍ في آيةٍ، ولو بتغييرِ مواضِعِها تقديمًا وتأخيرًا، كما قال تعالى: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[٣]، غير إنَّ اتفاقًا حاصلاً[٤] بين أهلِ العلمِ، أنَّ التحريفَ المقوتَ[٥] لا يشملُ اختلافَ القراءاتِ، ولا اختلافَ المصاحفِ في تقديم سورةٍ، أو آيةٍ، أو تأخيرِها، وإنَّما ينحصرُ الخلافُ في خصوصِ نقصانِ السُّوَرِ، أو الآياتِ فحسب.[٦]

---

(١) مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٢

(٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرَّم: لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ) مادة(حرف).

(٣) سورة النساء: الآية ٤٦

(٤) في الأصل: اتفاق حاصل.

(٥) في الأصل: تحريف المقوت.

إنَّ تعبير السيد بـ(التحريف الممقوت) ليس دقيقًا، فإنَّهُ يوحي إلى وجود تحريف غير ممقوت، ولكن التحريف غير موجود مطلقًا في القرآن الكريم كما تم بيانه، إلا إذا أُريد به من جهة اللغة، التي ينطبق فيها اللفظ على التغيير بصورة عامة.

(٦) أي التحريف من جهة الاصطلاح.

- **المورد الثاني**[(١)]:

المرادُ من التحريفِ الذي موضِعُ الخلافِ تغييرُ القرآنِ بالزيادةِ، أو النقصانِ[(٢)]، والذي عليه إجماعُ المسلمينَ عَدَمُ زيادتِها في القرآنِ، لا زيادةَ سورةٍ، ولا زيادةَ آيةٍ[(٣)]، ودَلَّ على ذلكَ العقلُ أيضًا[(٤)]؛ إذ لو جازَ سقطَ الإعجازُ، وأمكنَ للبشرِ أنْ يأتيَ بأيِّ سورةٍ[(٥)]، وقد نَصَّ القرآنُ على امتناعِهِ، خصوصًا آيَةَ التحدِّي في سورةِ يونسَ[(٦)]، ثم البقرةِ[(٧)]، ثم الإسراءِ.[(٨)]

المبحث الثاني: أدلة صيانة القرآن من التحريف

ذكر السيد أدلة متعددة في إثبات عدم تحريف كتاب الله تعالى، وصيانته مما لا يليق به، وأنَّه الموجود هو ما بين الدفتين، من خلال الاستدلال بأدلة نقلية وعقلية تؤكد ذلك، فضلاً عن نقله أقوال المحققين الأعلام، وقد بذل السيد جهودًا كبيرةً من أجل

---

(١) مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٢

(٢) وقد تقدم ذلك في تعريف التحريف اصطلاحًا في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول

(٣) لقد تقدمت كلمات أعلام الطائفة في ذلك في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول

(٤) لقد تقدمت بعض تلك الأدلة في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الثاني.

(٥) في الأصل: سور.

(٦) قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. الآية ٣٨

(٧) قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. الآية ٢٣

(٨) قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. الآية ٨٨

رفع أي شبهة يمكن إثارتها في هذا الباب؛ حفاظًا على قدسية القرآن وإعجازه الخالد، وسأذكر ذلك من خلال موارد خمسة.

● **المورد الأول:**

قال تحت عنوان: (العصمة المطلقة للقرآن الكريم).[(١)]

يُصَرِّحُ القرآنُ بأَنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيهِ[(٢)]، وجديرٌ بمثلِهِ أنْ يكونَ كذلكَ؛ بما أَنَّهُ حُجَّةٌ تامَّةٌ، ووسيلَةُ الهدايةِ العامةِ، والمرجِعُ الأَعْلى، والإمامُ المبينُ، فيجب أنْ يكونَ كما وصفَ نفسَهُ بنفسِهِ، لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِهِ[(٣)]، وهُدًى ونورٌ ورحمةٌ[(٤)]، وذكرى للعالمينَ[(٥)]، وكُلُّ الدلائِلِ من معقولَةٍ ومنقولَةٍ مِمَّا ذُكِرَ، ومِمَّا لم يُذْكَرْ، تعاضدتْ على تسديدِ القرآنِ من ناحيتينِ مُهِمَّتينِ فيهِ، ناحيةِ نسبتِهِ إلى الله سبحانَهُ، وناحيةِ هدايتِهِ الناسَ إلى ما فيهِ صلاحِهِم وإصلاحِهِم[(٦)]، أو بعبارةٍ أُخرى وتقريرٍ

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٣-٢٣

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾. [سورة البقرة: الآيتان ١-٢] وغيرها من الآيات المباركة التي تؤكد ذلك.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾. [سورة فصلت: الآية ٤٢] وغيرها من الآيات المباركة.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾. [سورة النحل: الآية ٦٤] وغيرها من الآيات المباركة.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾. [سورة الأنعام: الآية ٩٠] وغيرها من الآيات المباركة.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ**﴾. [سورة البقرة: الآية: ١٨٥]

آخرٍ[١]، ناحيةِ الصدورِ، وناحيةِ الظهورِ.[٢]

واتَّفَقَتْ أدلَّةُ العلمِ والدينِ على عصمةِ القرآنِ من تأثيرِ عوامل الرَّيْبِ والشكِّ، التي تهاجِمُ هذا الحصنَ المنيعَ من جهاتِهِ الأربعِ، تلكَ هِيَ طُرُقُ الريبةِ في القرآنِ، والمعاوِلُ الهَدَّامَةُ لبُنْيانِهِ، والماحيةُ لأثرِ بيانهِ وكيانهِ، وهذهِ الأربعُ هي:

[**أولاً**]: الشكُّ في مصدرِ الوحيِ الإلهيِّ.

[**ثانيًا**]: والشكُّ في سلامَةِ التبليغِ.

[**ثالثًا**]: والشكُّ في تمامِ[٣] اللفظِ.

[**رابعًا**]: والشكُّ في تمامِ المَعنى.

فإنْ تَمَّتْ وسَلَمَتْ هذه الأمورُ، تَمَّ اعتبارُ القرآنِ حَجَّةً عامَّةً، وإمامًا مبينًا، وبما أنَّهُ كتابٌ لا ريبَ فيه، يجبُ القولُ بعصمتِهِ من جميعِ هاتيكَ النواحي الأربعِ، ولكنه بعد وضعِ القضيَّةِ تحتَ الدرسِ في ضوءِ العلمِ دراسةً كافيةً.[٤]

وإذا قَرَّرْنا -ومن الواجبِ أنْ نقررَ- درسَ هذهِ النواحي الأربعَ في ضوءِ العلمِ،

---

(١) في الأصل: أخرى.

(٢) أي الوثوق من حيث الاتفاق على صدوره من قبل الله تعالى، وليس في القرآن ما ليس منه، وكذلك الوثوق من ناحية الظهور في ألفاظ القرآن، وكونه حجة.

(٣) في الأصل: تمامية.

(٤) لقد بيَّن السيد الشهرستاني هذه الوجوه الأربعة المهمة التي يجب أنْ تُدرس في البحث عن صيانة كتاب الله تعالى، ويرى الدارس بحثًا لطيفًا، واستدلالاً مهمًّا في هذا المورد، فهو يستنطق النص القرآني، ويصل إلى النتيجة بإسلوب دلالي، ويضيف بذلك رأيًا كبيرًا للمدرسة التفسيرية الإسلامية، وهذه -بصراحة- إحدى إبداعات السيد في علوم القرآن الكريم.

والقيامَ بحقِّها من التدقيقِ والتحقيقِ، دخلَتْ تَبَدُّلاتٌ جَمَّةٌ، وتطوراتٌ مهمَّةٌ على أربعِ مسائلَ متولداتٍ، كالنظرياتِ من الحقائقِ السالفَةِ، وهي المقدماتُ الأصوليَّةُ لعلومِ القرآنِ وتفسيرِهِ، أي بمسألةِ النسخِ والنسيانِ[١]، وعصمةِ القرآنِ من الزيادةِ والنقصانِ، ومسألةِ حُجِّيَّةِ ظواهرِ الكتابِ، واستقلالِها في الدلالةِ على معانيها[٢]، ثم مسألةِ المُحْكَماتِ والمُتَشابِهاتِ من الآياتِ، وحَلِّ ما تراكَمَ فيها من المُشكلاتِ[٣]، فهذه -جملة- أربعةٌ لا بُدَّ من تعدِّي أُسُسِها على ضوءِ العلمِ، ودرسِها من ناحيةِ الفنِّ والدينِ، باهتمامٍ بليغٍ غيرِ مسبوقٍ بنظيرٍ.

والأساسُ الذي نُمَهِّدُ عليهِ صَرْحَ هذهِ المسائلِ الأربعِ، أو بالأحرى عصمةَ القرآنِ من جميعِ الجهاتِ، هو قوله سبحانه: ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ**﴾[٤] فإنَّ إدخالَ لا النافيةَ للجنسِ على كلمةِ(الرَّيْبِ) يَدُلُّ بوجهِ الاستغراقِ على نفيِ الرَّيْبِ من القرآنِ على الإطلاقِ[٥]، فلا رَيْبَ في صدورِهِ، كما لا رَيْبَ في ظهورِهِ، ولا رَيْبَ في نواحي

---

(١) سيتم بيان ما يتعلق به في الفصل الثاني، المبحث الرابع.

(٢) إنَّ مسألة حجية ظواهر الكتاب من المسائل الأصولية المهمة التي تبحث في علم أصول الفقه، وقد ناقش الأصوليون ذلك بتفصيل، وقرروا بأنَّ ظواهر ألفاظ القرآن الكريم حجة في الاستدلال بها. للتفصيل ينظر: الأنصاري، مرتضى: فرائد الأصول، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأنصاري، (شريعت، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ) ١/ ١٤٤، المظفر، محمد رضا: أصول الفقه، (دار النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م) ٣/ ١٤٧ وغيرهما

(٣) سيتم بيان ما يتعلق به في الفصل الثالث، المبحث الخامس.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢

(٥) ينظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (منشورات مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ، د.ط، د.مط) ١/ ٢٣٨، وقد أكد المفسرون رفع الريب عن القرآن عن أفراده ←

التبليغِ وناقلِهِ، كما لا رَيْبَ في نواحي مصدرِ الوحيِ وقائِلِهِ، ولا رَيْبَ في نواحي لفظِهِ، كما لا رَيْبَ في نـواحي معنـاه[(١)] سـواءً أرادَ مـن الجملـةِ المنفيةِ الحكايـةَ والخبرَ، أو أرادَ الإنشـاءَ في صـورةِ الخـبرِ، وسـواءً أرادَ بالكتـابِ خصـوصَ البقـرةِ، أو أرادَ مجموعَـةَ السُّوَرِ[(٢)]، فعلى أيِّ تقديرٍ، وعلى أيِّ حالٍ، تَنُصُّ الآيةُ عـلى عصـمةِ القـرآنِ مِـنْ تَـدَخُّلِ الشكِّ فيه، وفي نواحيهِ الأربعِ.

والريْبُ هو الشكُّ[(٣)]، كما في حديثِ سيدِنا[الإمام] الحَسَـنِ عليه السلام عـن جَـدِّهِ النبـيِّ صلى الله عليه وآله: ((دَعْ مـا يُريبُـكَ إلى مـا لا يُريبُـكَ))[(٤)] حيـثُ اسـتدلَّ بـه الأصـحابُ عـلى الاسـتصـحابِ

←

بالكلية. للتفصيل ينظر: الزمخشري ١/ ٧٦

(١) إنَّه ٱستدلال مهم ودقيق أراد السيد فيه أنْ يستدلَّ على عصمة القرآن مـن الـنص القـرآني نفسه، والاستعانة بعلوم أخرى فيه كَعِلْمَي النحو والأصول.

نرى أنَّ ذلك -على أهميته- لا يكون حجة ودليلاً إلا بالنسبة للذين يؤمنون بأنَّ القـرآن لا تحريف فيه، وأما الذين يحتملون التحريف أو يقولون به، فإنَّ هـذا الاسـتدلال لا يمكـن ٱعتماده لاحتمالِ أنْ تكون الآيـة التـي يُستدلُّ بهـا أنهـا محرَّفَـةٌ، وهـذا دَوْرٌ باطـلٌ كـما ثبـت في المباحث المنطقية، وهذا ما دعى الأخباريين إلا عدم القول بحجية ظواهر القرآن.

(٢) نـرى أنَّ الريـب الـذي تنفيـه الآيـة الشـريفة يشـمل الكتـاب كلـه، ولا يمكـن أنْ يكـون لسـورة البقـرة خاصـة، وهـذا يسـتفاد مـن قولـه تعـالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فالإشـارة إلى الكتاب وهو اللفظ الذي يطلق على القرآن الكريم ومن أسمائه، وإنَّ نفـي الريـب يشـمل الكتاب المجموع بسوره وآياته وكلماته كلها، وهـذا ظـاهر مـن دلالـة الآيـة لا لـبسَ فيهـا، وقد أكَّد المفسرون ذلك أيضًـا. ينظـر: الزمخشـري: تفسـير الكشـاف ١/ ٧٤، الطـبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٨١

(٣) ابن فـارس: معجـم مقـاييس اللغـة، اعتنـى بـه: الـدكتور محمـد عـوض مرعـب والآنسـة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط) مادة(ريب)، ٱبن منظور: لسان العرب مادة(ريب).

(٤) أحمـد بـن حنبـل: مسـند أحمـد ١/ ١٩٩ في أحاديـث الإمـام الحسـن عليه السلام، ٱبـن أبي جمهـور

←

والأخذِ بالمُتيَقَّنِ عند الارتيابِ[(١)]، وبالجملةِ إنْ فتحنا أبوابَ النسخِ والنسيانِ، دخلَ[(٢)] الريبُ في حُجِّيَةِ القرآنِ[(٣)]، وإنْ فتحنا أبوابَ التحريفِ سواءً بالزيادةِ أو النقصانِ، دخلَ الريبُ في حُجِّيَةِ القرآنِ[(٤)]، وإنْ أغلقنا أبوابَ تفسيرِ القرآنِ على الإفهامِ لاحتمالِ التشابُهِ في آياتِهِ[(٥)]، والرمزِ في حروفِهِ وكلماتِهِ، وتوقَّفَ تفسيرُهُ على ورودِ النقصِ المأثورِ سقطَ الكتابُ عن كونِهِ حُجَّةً تامَّةً، ووسيلةً للهدايةِ العامةِ، وتَسَرَّبَ الريبُ في جُلِّهِ، أو كُلِّهِ، بينما القرآنُ الحكيمُ أَحْكَمَ أمرَهُ من جميعِ النواحي[(٦)]، وسَدَّ أبوابَ الخللِ على نفسهِ من جميعِ الجهاتِ، كما فَصَّلناهُ في آيةِ ﴿**لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[(٧)]، أي: إنَّ هذا القرآنَ المُنْزَلَ لهدايةِ الخلقِ من لَدُنْ خالقِهم ﴿**لا يَأْتِيهِ**﴾ احتمال

←

الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.مط) ١/ ٣٩٤

(١) إنَّ الاستصحاب من المباحث الأصولية التي بحثها الأصوليون في مباحثهم عند مزاحمة الشك لليقين، وقد فصَّلوا القول في تعريفه، وأركانه، ومقوماته وغير ذلك. للتفصيل ينظر: المحقق الحلي: معارج الأصول: ٢٠٦، المظفر: محمد رضا: أصول الفقه ٣/ ٢٧٥ وما بعدها.

(٢) في الأصل: تدخل.

(٣) إنَّ هذا هو رأي السيد في عدم اشتمال القرآن على الآيات المنسوخة في القرآن الكريم، وسيتم بيانه في الفصل الثاني، المبحث الخامس.

(٤) إنَّ هذا دليل منه على صيانة القرآن من التحريف، فضلاً عما سيذكره من أدلة أخرى.

(٥) إنَّ للسيد كلمات مهمة فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه ووجوب تفسير الآيات المتشابهة بالرجوع إلى موضوعات متعددة، وسيتم بيانه في الفصل الثالث، المبحث الثاني.

(٦) إنَّ الآيات الشريفة متعددة في بيان هذه الحقيقة القاطعة ومنها قوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾. [سورة هود: الآية ١] وغيرها من الآيات الشريفة.

(٧) سورة فصلت: الآية ٤٢

﴿**البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**﴾، وهو كنايَةٌ عن جهةِ الظهورِ مِمَّا يتعلَّقُ بألفاظِهِ أو معانيهِ، ﴿**وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ وهو كنايَةٌ عن جهةِ الصدورِ، ومصدرُ الوحيِ الذي يؤيِّدُ القرآنَ من ورائِهِ، إذ ليسَ للقرآنِ جهةٌ أماميَّةٌ محسوسَةٌ سوى استقبالِهِ الخلقَ ببيانِ ما فيهِ صلاحَهُم وإصلاحَهُم، واستقبالِ الخلقَ إيَّاهُ في الاهتداءِ به، والتوجُّهِ إلى ألفاظِهِ ومعانيهِ، فَعَبَّرَ عن ذلكَ بـ﴿**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**﴾، وأنه لا يأتيهِ احتمالُ الباطلِ من هذهِ الناحيةِ، ناحيةِ البيانِ والاهتداءِ بالمعاني والألفاظِ، كما قلناهُ في آيةِ ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[1]، كذلكَ ليستْ للقرآنِ جهةٌ خلفيَّةٌ محسوسَةٌ، فهي كنايَةٌ عن جهةِ الانتسابِ إلى الله، وتُسَمَّى جهةُ الصدورِ والتبليغِ، فلا يأتي القرآنَ احتمالُ الباطلِ والسوءِ من هذهِ الناحيةِ، أي: ناحيةُ القائلِ والناقلِ، فالقرآنُ معصومٌ من كُلِّ نواحيهِ، وقد نَصَّ القرآنُ في آيةِ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[2] على أنَّ القرآنَ ثابتُ النسبةِ إلى الله سبحانَهُ نسبةً مؤكَّدَةً، كما أنَّهُ محفوظٌ من الله بصورةٍ مؤكَّدَةٍ، ومحفوظٌ بصورةٍ مطلقةٍ، فتعهَّدَ سبحانَهُ هنا، والتعهُّدُ منه ضروريُّ الوفاءِ، سواءً تعلَّقَ هذا التعهُّدُ بجوهَرِ اللفظِ وحدَهُ فلا يَتُمُّ[حينئذٍ] النسخُ، والنسيانُ، ولا تحريفٌ بنقصانٍ، أو تعلَّقَ تعهُّدُهُ بحفظِ الثقةِ والاعتمادِ على القرآنِ، فلا يَتُمُّ[حينئذٍ] ما يَمُسُّ بحجيتِهِ وإمامتِهِ، أو تَعَلَّقَ التعهُّدُ بحفظِ الأَمْرَيْنِ معًا، فَيَتُمُّ مطلوبُنا من جميعِ الوجوهِ.[3]

---

(١) سورة هود: الآية ١

لم نحصل على ما ورد في تفسير هذه الآية ضمن مخطوطات السيد الشهرستاني.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩

(٣) إنَّ هذه التوجيهات للآية الشريفة مهمة جدًّا، وفيها عمقٌ فكريٌّ في التأمُّلِ والاستدلالِ، في بيان وتفسير القرآن الكريم، ولم يذكر مثل هذا غيره من المفسرين، وقد أطلعنا على كلام المفسرين فلم يتعدَّ عن القول بنفي وجود الباطل في القرآن الكريم، ومن أفضل ما ←

وكما أنَّ القرآنَ الحكيمَ حفظَ بنفسهِ لنفسهِ منصبَ الإمامةَ، ومَنَصَّةَ الحجيَّةَ التامَّةَ، وتقلَّدَ الهدايةَ العامةَ في آياتٍ سبقتْ، ثم حفظَ نفسَهُ بنفسِهِ من عواملِ الريبِ، ومعاولِ الشكِّ في جميعِ نواحيهِ الأربعِ، بصورةٍ جامعةٍ في آياتٍ ثلاثٍ تُلِيَتْ عليكَ.(١)

كذلكَ أكَّدَ قضيتَهُ هذهِ لشدَّةِ الاهتمامِ بها، فنَصَّ على الواحدةِ تِلْوَ الواحدَةِ نَصًّا خاصًّا صريحًا في عصمتهِ، فأثبتَ في آياتٍ لا تُحدُّ ولا تُحْصَرُ أنَّ القرآنَ كتابَ الله [قال تعالى]: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(٢)، أو ما أشبه ذلك، ثم أثبتَ القرآنُ أنَّهُ محفوظٌ من شياطينِ الجنِّ والإنسِ عندَ تنزيلِهِ، ومأمونٌ من كُلِّ ما(٣) يَمَسُّهُ بسوءٍ قبلَ التبليغِ وبعدَهُ، كما فَصَّلناهُ في آيةِ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وآيةِ ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٤)، وآيةِ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(٥)، وآيةِ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ

→

ورد في تفسير آية سورة فصلت ما ذكره الزمخشري بقوله: ((مَثَلٌ كأنَّ الباطلَ لا يتطرَّقُ إليهِ، ولا يجدُ إليهِ سبيلاً من جهةٍ من الجهاتِ حتى يصلَ إليهِ، ويتعلَّقَ بهِ. فإنْ قلتَ: أَما طعنَ فيهِ الطاعنونَ، وتأوَّلَهُ المبْطِلونَ؟ قلتُ: بلى، ولكنَّ اللهَ قد تقدَّمَ في حمايتِهِ عن تعلُّقِ الباطلِ بِهِ؛ بأنْ قَيَّضَ قَوْمًا عارضُوهُمْ بِإِبْطالِ تَأويلِهِمْ، وَإِفْسادِ أَقاويلِهِمْ، فلم يَخْلُ طَعْنُ طاعِنٍ إلا مَمْحُوقًا، ولا قَوْلُ مُبْطِلٍ إلا مُضْمَحِلاً)). تفسير الكشاف ٤/ ٢٠٧

(١) والآيات الثلاث: الأولى قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، والثانية قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، والثالثة قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(٢) سورة النمل: الآية ٦

(٣) في الأصل: كلما.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣-١٩٥

الأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾[١]، وآيةِ **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾**[٢]، وآية **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾**[٣]، إلى غير ذلك من آيات تضمنت عصمة[٤] القرآن من كُلِّ[٥] شائبةٍ، أو شائِنَةٍ تؤثِّرانِ على الثقةِ به، أو تؤثِّرانِ على إمامتهِ التامَّةِ، وهدايتِهِ العامَّةِ.

نعم في الباب من وراء هذه الدلائل القاطعة والشواهد الساطعة دلائل أخرى توهم الخلاف، ومنها تولَّدَتِ النظرياتُ الأربعَ اللاتي سبق أنْ أسميناها عوامل الريب، ومعاول الشك، وهن هكذا:

١- نظرية النسخ والنسيان.[٦]

٢- نظرية التحريف بالزيادة أو النقصان.

٣- نظرية توقيف التفسير لآيات القرآن حتى يرد فيها نص مأثور.

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٤٤-٤٥

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٧٧-٧٩

(٣) سورة النجم: الآيات ٣-٥

إنَّ جميع هذه الآيات لا يوجد تفسيرها في مخطوطات السيد الشهرستاني، ولعلها في مسوداته التي كان يكتبها ليلاً بيده وهو فاقد لبصره، لحين نقلها بخط جيد من قبل كاتبه صباحًا، ولكنها لم تُنْقَل، وهي قصاصات كثيرة جدًّا، لا يمكن قراءتها، أصبحت عرضة للضياع والتلف، حتى ضاع أغلبها، وبذلك فقدت مكتبة تفسير القرآن الكريم من التوجيهات المهمة للآيات الشريفة مع الأسف.

(٤) في الأصل: عصمته.

(٥) في الأصل: كل ما.

(٦) إنَّ هذه المسألة مما يذهب إلى نفيها السيد الشهرستاني كما هو ظاهر من تصريحاته المتعددة، وهذا ما سيتم بيانه في الفصل الثاني، المبحث الرابع.

٤- نظرية وجود المتشابهات في القرآن.[(١)]

أما نظرية النسخ والنسيان فراجع لها دفتر التفسير حول آية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[(٢)]

● **المورد الثاني:**

قال تحت عنوان: (في إثبات عصمة القرآن من النسخ والتحريف).[(٣)]

لا شَكَّ في تأثيرِ كلامِ المولى في عبدِهِ، وبعثِهِ إلى العملِ بموجبِه، بمجردِ ما يسمعُهُ[(٤)]، أو يبلغهُ، إلا إذا اقترنَ بإحدى جوالبِ[(٥)] الريبِ والشكِّ في ذلكَ الكلامِ، والتي تُسَمِّى سوالب الثقة.[(٦)]

❋ **أولها:** إذا قيلَ للعبدِ حولَ رسالةِ مولاهُ: بأنَّهُ مجنونٌ أو كذابٌ[(٧)]، وإنَّ الكلامَ

---

(١) إنَّ المسألة الثانية والثالثة والرابعة هي ما يذهب إليه الأخباريُّون من الشيعة في أسباب عدم حجية ظواهر القرآن الكريم، وقد ناقش الأصوليون المسألة بتفصيل مع بيان الشبهات وردِّها ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢٨٣-٢٨٩

(٢) سورة الحجر: الآية ٩

لم يتم الحصول على تفسير الآية الشريفة كما ورد في دفتر التفسير، فأغلب صفحات تفسيره هي صفحات فارغة، وإلى هنا حصل قطع في تتمة الكلام في المخطوط مع الأسف، وإنْ كان قد بيَّن بعض ما يتعلق بها.

(٣) مخطوط القرآن إمام الكل: ٣٤-٤٠

(٤) في الأصل: ما يسعه.

(٥) الجوالب: الآفات والشدائد. الزبيدي، محمد بن محمد: تاج العروس، تح: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م)، مادة(جلب).

(٦) أي وجود قرائن لفظية أو حالية تصرف الكلام عن مقصوده الظاهري، وهذه مسألة جارية عند الكلام.

(٧) في الأصل: إذا قيل للعبد لرسالة مولاه مجنون أو كذاب.

المنسوبَ إلى مولاهُ لم يصدرْ منه أصلاً.

* **ثانيها**: أنْ يُقَالَ للعبدِ: بأنَّ المُبَلِّغَ للكلامِ الذي بَلَغَهُ عن مولاهُ مشوبٌ[١] بالتحريفِ والتزييفِ، غيرُ سالمٍ عن الزيادةِ والنقصانِ فيهِ.

* **ثالثها**: أنْ يُقَالَ للعبدِ: بأنَّ الكلامَ الذي بَلَغَهُ عن مولاهُ منسوخٌ، وقد عَدَلَ مولاهُ عن حُكْمِهِ إلى غيرِهِ.

* **رابعها**: أنْ يقالَ للعبدِ: إنَّ اللفظَ في الكلامِ المنقولِ إليهِ مُجْمَلٌ، أو مُؤَوَّلٌ، وليسَ ألفاظُهُ الصريحَةُ مقصودَةً ولا دالَّةً على مقاصدِهِ.[٢]

فَمَعَ واحدةٍ[٣] من هذهِ الشكوكِ يَقِفُ العبدُ مُرْتَابًا في أمرِ مولاهُ، مُتَوَقِّفًا عن العملِ به، وقد نفى ربُّنا عن كتابهِ العزيزِ جميعَ هذهِ الشكوكِ؛ حتى يَتَسَنَّى لعبادهِ أنْ يعملوا بكتابهِ، دونَ أيِّما توقُّفٍ، أو حيرةٍ، وحتى يَصُحَّ منه أنْ يَتَّخِذَ كتابَهُ حُجَّةً تامَّةً بينهُ وبينَ عبادهِ عامَّةً، وأَوْفَى آيةٍ في خطابهِ دَلَّتْ على عصمةِ كتابهِ من سوالبِ الثقةِ والشكوكِ، هي قولـه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٤]، وهي في سياقِ آيةِ استهزاءِ الكافرينَ بالنبيِّ ﷺ، وأنَّهُ مجنونٌ، واستهزاءٌ بِوَحْيِهِ، دَلَّتْ بصريحها على تَعَهُّدِ الإلهِ صيانَةَ وحيِهِ من كُلِّ ما يزيلُ جوهرَ الوحي، أو يزيلُ ثقةَ الناسِ عنه[٥]؛ لأنَّ حفظَ الإلهَ

---

(١) في الأصل: متشوب.

(٢) فهذه وجوه عقلية أربعة تستدعي الشك في الخطاب من العبد لمولاه، يذكرها السيد للتمهيد على الاستدلال العقلي في صيانة كتاب الله تعالى من التحريف.

(٣) في الأصل: الوحدة.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩

(٥) قال الزمخشري في تفسير الآية الشريفة وبيان أنَّها في مقام تنزيه الرسالة: ((رَدٌّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾. [سورة الحجر: ←

أَمَّا أنْ يتعلقَ بجوهرِ الوحيِ وثقةِ العقلاءِ بمدلولاتِهِ معًا، و[أمَّا أَنْ] يتعلَّقُ بأحدهِما ولا يتعلَّقُ بالثاني، وأمَّا أنْ يتعلَّقَ بشيءٍ منهما جميعًا، وهذا الأخيرُ باطِلٌ؛ لأنَّه يستلزمُ كَذِبَ الآيةِ -والعياذ بالله- وهذا باطِلٌ، فيلزَمُ صِدْقَهُ صِدْقَ أحَدِ الصُّوَرِ الثلاثَةِ المتقدِّمَةِ، وعلى فرضِ صِدْقِها يبطلُ النسخُ والتحريفُ؛ لأنَّهُ في كُلِّ منهما إزالةُ جوهرِ اللفظِ، وإزالةُ ثقةِ الناسِ بالقرآنِ[1]، راجع تفسيرنا لآية ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ**﴾ في أول البقرة[2]، وراجع مقالتي عن عصمة القرآن[3]، ورسالة(القرآن إمام الكل).[4]

→

الآية ٦]، ولذلك قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ**﴾، فأكَّدَ عليهم أنه هو المنزلُ على القطعِ والبتاتِ، وأنَّهُ هو الذي بعثَ به جبريلُ إلى محمدٍ(صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وبين يديهِ ومن خلفهِ رصدٌ، حتى نزلَ وبلَّغَ محفوظًا من الشياطينِ، وهو حافِظُهُ في كُلِّ وقتٍ من كُلِّ زيادةٍ، ونقصانٍ، وتحريفٍ، وتبديلٍ)). تفسير الكشاف ٣/ ٥٣٦، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ١٠٥

(١) نرى عدم وجود ملازمة بين الأمرين، فإنَّ الناس إنْ آمنت بالنبيﷺ وصدَّقت برسالته، فلا أي إشكال حينئذ في النسخ مطلقًا، ولا مبرر لأنْ تشك في ثقة كتاب الله تعالى، وهي تعلم أنَّ نبيَّها مبعوث من قبل الله تعالى برسالة عظيمة، نزلت عليه تدريجيًّا خلال مدة دعوته، وقد عالجت مسائل كثيرة بالتدريج، فضلاً عن وجوب بيان أمر مهم وهو أنَّ النسخَ يختلف عن التحريف، فهو يتعلق بإتيان حكم شرعي كالمنسوخ، أو أفضل منه، وقد تم العمل بالمنسوخ سابقًا، كما قال تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾. [سورة البقرة: الآية ١٠٦]، أما قصد التحريف فهو الإساءة والتشويه للقرآن الكريم.

(٢) لم نحصل على ذلك في مخطوطاته.

(٣) إنَّ جميع مقالاته عن عصمة القرآن قد استقصيناها وجمعناها في باب التحقيق، في هذا الفصل.

(٤) لم نحصل على تفسير الآية في المخطوطات التي أشار إليها السيد الشهرستاني.

وأكثرُ المفسرينَ كالسيوطي في الإتقان[١]، وأهلِ العلمِ ذكروا بحثَ تحريفِ القرآنِ في ذيلِ بحثِ النسخ[٢]، ولعلَّ المناسبَةَ هي اشتراكُ النسخِ والتحريفِ في التأثيرِ على جوهَرِ الوحي، وبالطبعِ يؤثِّرانِ على الوثوقِ بالقرآنِ لحُجَّةٍ عامَّةٍ، فمَنْ عَلِمَ بوجودِ آياتٍ منسوخةٍ فيما يرجعُ إليهِ، يكونُ كالذي علمَ بوجودِ آياتٍ محُرَّفَةٍ فيهِ.[٣]

---

(١) في الأصل: الاتفاق.

(٢) لم يذكر السيوطي ذلك، بل عقد في كتابه موضوعًا خاصًّا وهو النوع السابع والأربعون في الناسخ والمنسوخ ، وذكر ما يتعلق بذلك، والآيات المنسوخة عنده عشرون آية، وقد نظمها في أبيات مطلعها:

قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ في المنْسُوخِ مِنْ عَدَدٍ — وَأَدْخَلُوا فيهِ آيًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ

وَهَاكَ تَحْرِيرُ آيٍ لا مَزِيدَ لَهَا — عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الحُذَّاقُ والكُبَرُ

ولم يذكر ما يتعلق بالتحريف مطلقًا. للتفصيل ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٥٩–٧٧

وكذلك غيره من العلماء، ومن المؤلفات الحديثة المعاصرة فإنَّ العلامة الشيخ محمد هادي معرفة ذكر كُلَّ ما يتعلق بالنسخ والآيات المنسوخة، ثم ذكر تحت عنوان(شبهات حول النسخ في القرآن) شبهات أربع فلم يذكر أنَّ هناك علاقة بين النسخ والتحريف. ينظر: التمهيد في علوم القرآن ٢/ ٢٩١–٢٩٥

(٣) إنَّ هذا الرأي –بصراحة– يعد رأيًا غريبًا لا يمكن القول به، وفيه من الإفراط في المسألة، فعلى أساس ذلك يمكن القول بأنَّ أعلام الطائفة، بل أعلام المسلمين الذين يقولون بالنسخ هم يقولون بتحريف القرآن الكريم أيضًا، مع أنَّ تفصيلهم في المسألتين واضحٌ تمامًا؟ وقد اطلعنا على كلماتهم في تنزيه الكتاب من أيِّ تحريفٍ لآياته، مع إيمانهم وقولهم بوجود آيات منسوخة في القرآن الكريم، ولماذا هذه الملازمة بين النسخ والتحريف؟ ولكُلٍّ منهما تعريف واضح صريح لدى المسلمين، وعلى كُلِّ حالٍ: إنَّ هذا الرأي لم يقل به أحد من العلماء حسب تتبعنا للدراسات القرآنية والتفسيرية، نعم هناك مَنْ ينفي وجود النسخ في القرآن الكريم مثل أبو مسلم الخراساني كما تقدم، وأظنُّ أنَّ السيد قد ←

وقد قَسَّمَتِ الحشويَّةُ[(١)] من السلفِ منسوخَ القرآنِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ[(٢)]: قِسْمٌ منسوخُ التلاوةِ والحُكْمِ[(٣)]، وقِسْمٌ منسوخُ التلاوةِ دونَ الحُكْمِ[(٤)]، وقِسْمٌ منسوخُ

→

تأثَّر بآرائه، إلا أنَّ الخراساني لم يضع هذه الملازمة بين التحريف والنسخ.

(١) الحشوية: هم القائلون بالجبر والتشبيه وتوصيف الله تعالى بالنفس واليد وغيرهما، ويقومون بتحشية الأحاديث التي لا أصل لها في أحاديث النبيﷺ، وروي أنَّ الغالب في الحنابلة حشوية. للتفصيل ينظر: الأشعري القمي، سعد بن عبد الله: كتاب المقالات والفِرق، تص وتع: الدكتور محمد جواد مشكور، (مط حيدري، طهران، ١٩٦٣م، د.ط): ١٣٦، السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٧هـ) ١/ ١٧٠

إنَّ الموضوع لا يختص بالحشوية فقط، بل هو قول أغلب أتباع مدرسة الخلفاء بذلك. للتفصيل ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ٨، مكي بن أبي طالب: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ٤٩، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٦٢ وغيرهم

(٢) إنَّ السيد سيذكر بعض موضوعات النسخ في هذه الصفحات، لما يذهب إليه من الملازمة بينهما كما تقدم، وقد تناولنا تحقيقها في هذا الفصل للحفاظ على الوحدة الموضوعية عند السيد الشهرستاني في الاستدلال.

(٣) أي أنْ ترفع من القرآن آية كانت ذات حكم شرعي وقد عمل المسلمون بها، ولم يبقَ لها وجود في الكتاب لا تلاوة، ولا حكمًا، مثل آية تحريم الرضاع بعشر رضعات وقد نسخت بخمس رضعات كما يروى عن عائشة ، وغيرها مما روي عن أبي بكر. الزركشي:البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٢٧، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢

(٤) أي أنْ ترفع من القرآن آية كانت موجودة في القرآن تقرأ، ولكن بقي حكمها الشرعي فقط دون تلاوتها في القرآن، مثل ما روي عن عمر بن الخطاب في (الشيخ والشيخة إذا زَنَيا) وغيرها مما يُروى عن أبي موسى الأشعري وغيره. الزركشي: البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٢٦، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢

الحُكْمِ دونَ التلاوةِ[١]، وهذا الأخيرُ هو أكثرُ الأقسامِ وجودًا[٢]، حَتَّى عَدَّ السيوطي منها عشرينَ آيةً، ستةً منها في سورةِ البقرةِ فقط.[٣]

وحُكِيَ عن ابن العربي أكثرَ من مائةٍ وعشرينَ آيةً منسوخةً، فجعلَ آياتِ قتالِ المشركينَ ناسخَةً لآياتِ مهادنتِهم ومجادلتِهم بالتي هي أحسن، وجعلَ[٤] آياتِ التخفيفِ في الأحكامِ ناسخةً لآياتِ التشديدِ فيها وبالعكسِ، كما جعلَ آياتِ التخصيصِ ناسخةً لآياتِ العمومِ.[٥]

---

(١) أي أنْ يرفع حكم شرعي كان موجودًا في التشريع مع بقاء الآية في الكتاب تُتلى في القرآن، مثل آية النجوى للنبي ووجوب التصدق قبلها وغيرها. الزركشي: البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٢٦-٢٧، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٣

(٢) إنَّ هذا القسم هو الذي تتم دراسته في مبحث الناسخ والمنسوخ في علوم القرآن الكريم، ولم يختلف المسلمون في هذا القسم، نعم إنهم قد اختلفوا في عدد الآيات ولكنهم لم يختلفوا في أصل هذ القسم من النسخ، وقد ناقش العلماء هذه الأنواع، وما يتعلق بها، وبيان أمثلتها في مؤلفاتهم، للتفصيل ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤-٢٧، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٦٢-٧٢، الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٢-٣٠٣، محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن ٢/ ٢٧٦-٢٨٥

أما القسمان الأول والثاني فلا يمكن القول به، وعلى ذلك أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وأما أتباع مدرسة الخلفاء فلهم فيه نقاش ما بين رادٍّ له ومؤيد. للتفصيل ينظر: المصادر السابقة نفسها، السرخسي: محمد بن أحمد: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م) ٢/ ٨٠، الصالح: مباحث في علوم القرآن: ٢٦٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٦٥

(٤) في الأصل: وجعلوا.

(٥) ينظر مثلاً ما ذكره عند نسخ آية القتال في قوله تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١] ←

وقد أجبنا عن شبهاتِهِم في تفسير تلك الآيات أنفسها، ولم نصحح ثبوت النسخ فيهن جميعًا[١]، وأما القسم الذي يزعمونه منسوخ الحكم والتلاوة معًا كالآية التي اعتبرت عشرة رضعات ناشرًا للتحريم[٢]، فقد كفانا القوم مؤونة أمرهم باعترافهم أنها ليست في المصحف، ولم تدوَّن بسببِ انعدامِ حُكْمِها من لوحة الوجود[٣]، كذلك القسمُ المنسوخُ تدوينه وتلاوته مع بقاءِ حُكْمِهِ كآيةِ الرجم[٤]، وهذه الآية والتي قبلها

→

محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢، د.م): ١٠٧ وما بعده من الصفحات، وينظر ما أفاده السيد الخوئي في مناقشة الآيات القرآنية التي قيل بنسخها، وعلاقة ذلك بين العام والخاص، والمطلق والمقيَّد، وإنَّ كثيرًا من الآيات في هذا الباب دون النسخ. البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤ وما بعدها.

(١) لم نعثر على تفسير هذه الآيات في خزانة مخطوطات السيد الشهرستاني، رغم تتبع وٱستقصاء مخطوطاته جميعها، ولعلها في الأوراق المسودة التي كتبها بنفسه وهو فاقد لبصره والتي لا يمكن قراءتها بسهولة.

(٢) إنَّ آية الرضاع هي الآية التي ادَّعت عائشة أنها من القرآن ثم نسخت، فقد روي عنها: ((قَالَتْ كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ[وآله] وَسَلَّمَ وَهُوَ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ)). مالك بن أنس: الموطأ، تص و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م) ٢/ ٦٠٨ كتاب (الرضاع) باب (ما جاء يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) الحديث ١٧، النيسابوري: الجامع الصحيح ٤/ ١٦٧ باب(التحريم بخمس رضعات)، ابن ماجة القزويني، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، تح و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت) ١/ ٦٢٥ باب(لا تحرم المصة ولا المصتان) الحديث ١٩٤٢

(٣) أصول السرخسي ٢/ ٧٩، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٨

(٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ١٦٨

←

-أي- آية الرضاع ترويها أم المؤمنين عائشة[١]، ولم توافِقْها عليها سائرُ أمهاتِ المؤمنين، كلا، ولا جمهور الصحابة والمسلمين[٢]، ولو أَمْعَنْتَ النظرَ في أسلوبِ آيةِ

→

إنَّ آية الرجم المقصودة في الرواية هي التي ادَّعى عمر بن الخطاب أنها من القرآن ثم نسخت، فقد روي عنه: ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِى كِتَابِ الله فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ، أَوِ اعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا البَتَّةَ، رَجَمَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه [وآله] وسلم- وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ)). مالك بن أنس: الموطأ ٢/ ٨٢٤ كتاب (الحدود) باب (ما جاء في الرجم) الحديث ١٠، النيسابوري: الجامع الصحيح ٥/ ١١٦ كتاب(الحدود) باب (من اعترف على نفسه بالزنى)، ابن ماجة القزويني: سنن ابن ماجه ٢/ ٨٥٤ كتاب (الحدود) باب (رجم اليهودي واليهودية) الحديث ٢٥٥٣

(١) إنَّ رواية آية(الرجم) لم تُرْوَ عن عائشة، بل رويت عن عمر بن الخطاب، و زيد بن ثابت، وأُبَيّ بن كعب . ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ: ٩، الجصاص، أحمد بن علي: أحكام القرآن، ضبط: عبد السلام محمد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م) ٣/ ٣٣٦، الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/ ٥٢٦، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٦٤٠، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٧٢

أما رواية آية (الرضاع) فقد رويت عن عائشة. ينظر: النحاس: الناسخ والمنسوخ: ١١، الجصاص: أحكام القرآن ٢/ ١٥٧، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، (القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.م) ٤/ ٣٠٢

(٢) لقد رَدَّ العلماءُ المحققونَ حديثَ عائشةَ بأَنَّهُ غيرُ موافقٍ للقرآنِ الكريم، قال الجصاص: ((وهذهِ الأخبارُ لا يجوزُ الاعتراضُ بها على ظاهرِ قوله تعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ [سورة النساء: الآية ٢٣] لما بيَّنا أنَّ ما لم يثبتْ خصوصَهُ من ظواهرِ القرآنِ، وكانَ ظاهرُ المعنى بَيِّنُ المرادِ لم يجزْ تخصيصهُ بأخبارِ الآحادِ، فهذهِ أحدُ الوجوهِ التي تُسقطُ الاعتراضَ بهذا الخبرِ)). أحكام القرآن ٢/ ١٥٧

وقال السرخسي: ((والدليلُ على بطلانِ هذا القولِ [قول عائشة في الرضعات] قوله

←

الرجمِ المشهورةِ وهي: ((الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتةَ بما قضيا[١] من اللذةِ نكالاً من الله)) بأساليب آي الذكر الحكيم، عرفْتَ ما فيه من التَكَلُّفِ، وعرفْتَ الخالصَ من المزيَّفِ[٢]، على أنَّ كُتَّابَ الوحي والصحابة والحاشية لم تَشُذْ منهم آيةٌ، إذ كان النبيﷺ كلما نزلت آية أقرأهم إياها، ولا سيما عَيْبَةَ[٣] علمهِ وكاتبِ وحيه عليٍّ عليه السلام الذي ادعى في الملأ: ((**ما نزلتْ [آية] في سفرٍ أو حضرٍ إلا عَلَّمنيها رسولُ اللهﷺ**))[٤]، ومثله يقول عند إجرائه الحد على شراحة الهمدانية: ((**جَلَدْتُها بِالكِتَابِ، ثُمَّ رَجَمْتُها بِالسُّنَّةِ**))[٥]،

→

تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [سورة الحجر: الآية ٩]، ومعلومٌ أنَّهُ ليسَ المرادُ الحفظَ لديه، فإنَّ اللهَ تعالى يَتعالى مِنْ أنْ يوصفَ بالنسيانِ والغفلةِ، فعرفنا أنَّ المرادَ الحفظُ لدينا، فالغفلةُ والنسيانُ متوهَّمٌ مِنَّا، وبه ينعدمُ الحفظُ إلا أنْ يحفظَهُ اللهُ عز وجل... وحديثُ عائشةَ لا يكادُ يصحُّ؛ لأنَّهُ قالَ في ذلكَ الحديثَ وكانت الصحيفةُ تحتَ السريرِ فاشتغلنا بدفنِ رسولِ الله فدخلَ داجِنٌ البيتَ فأكلَهُ، ومعلومٌ أنَّ بهذا لا ينعدمُ حفظهُ من القلوبِ، ولا يتعذَّرُ عليهم إثباتهُ في صحيفةٍ أُخرى، فعرفنا أنَّهُ لا أصلَ لهذا الحديثِ)). الأصول ٢/ ٧٩-٨٠

(١) في الأصل: قضينا.

(٢) في الأصل اضطراب في النص تم حذف بعض الكلمات، وتقويم النص على وفق الموجود في المتن.

(٣) العَيْبَةُ: أي موضعُ سِرِّ الرجلِ، والذي يُؤمَّنُ فيه على الأمر. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة(عيب)، ابن منظور: لسان العرب مادة(عيب).

(٤) الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد: المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١١هـ): ٩٠، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تح: حسين الدركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣): ٥٥

(٥) لم تذكر لها ترجمة في كتب التراجم، ونص الرواية وما ورد من نقاش بينها وبين أمير

←

فلو كانت آية الرجم من القرآن لقال: (جَلَدْتُها وَرَجَمْتُها بالكتابِ)، أضف إلى ضعف روايات النسخ والتحريف أنها أخبار آحاد لا توجب علمًا و[لا] عملاً، ولا تقوى معارضته آيات حفظ القرآن كحجة باقية مثل آية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[(١)]، وآية: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، وآية: ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[(٣)]

ولو كانت آية الرجم من كتاب [الله] لما قال أبو حفص عمر لـ أُبِيٍّ بن كعب: ((لو لا مخافَةُ أنْ أزيدَ في كتابِ الله لأثبتُّ آيةَ الرجْمِ)).[(٤)]

ولَمَا غفلَ الجمهورُ عن إثباتِها وإثباتِ[ما ادُّعي أنه] آية: ((لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ من الذهبِ لابْتَغَى[(٥)] ثالثًا، ولا يَمْلِئُ عينَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على من[(٦)]

←

المؤمنين علي بن أبي طالب: ((عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ شُرَاحَةَ الهَمْدَانِيَّةَ أَتَتْ عَلِيًّا، فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ، فَقَالَ: لَعَلَّكِ غَيْرَى؟ لَعَلَّكِ رَأَيْتِ فِي مَنَامِكِ؟ لَعَلَّكِ اسْتُكْرِهْتِ؟ وَكُلُّ ذَلِكَ تَقُولُ: لا، فَجَلَدَهَا يَوْمَ الخَمِيسِ، وَرَجَمَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَقَالَ: جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ اللهِ، وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه[وآله] وسلم)). أحمد بن حنبل: مسند أحمد ١/ ١٤٠، الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م، د.ط) ٦/ ٢٤٨

وقد استدلَّ فقهاؤنا بهذه الرواية في مؤلفاتهم في إقامة الحد الشرعي. ينظر مثلاً: النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تص وتح وتع: محمود القوجاني، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٣ش) ٤١/ ٣٢٠، ٣٥٢

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) سورة البقرة: الآية ٢

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢

(٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٧٧

(٥) في الأصل: لا تبتغي.

(٦) في الأصل: ما.

تابَ))[١]، وأمثالها من المأثورات التي هي بالأحاديث القدسية أشبه.[٢]

---

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح، (دار الفكر، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.ط، د.م) ٧/ ١٧٥ كتاب(الرقاق)، مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٣/ ١٠٠ كتاب (الزكاة) باب(تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا)، ابن حزم الأندلسي: الناسخ والمنسوخ: ٩، الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٦٤٠

(٢) وقد ذكر السيد هذه الروايات كذلك في مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٤٣- ١٤٥

إنَّ كُلَّ الروايات الواردة في ذلك مضطربة لا يمكن الاستدلال بها على القرآن الكريم، ونرى أنَّ هذه الروايات وأمثالها إنْ صحت بأنها تُروى عن الصحابة فإنَّ ذلك يثبت قولهم بتحريف القرآن عند القيام بجمعه، كما يذهب إليه من يرى أنَّ القرآن لم يكن مجموعًا على عهد رسول الله ﷺ، ولكنَّ مما يعجب له أنَّ علماء العامة مع تمسكهم بالقول بصيانة القرآن من التحريف ومع ذلك فإنَّهَم لا يَرُدُّون هذه الروايات التي وردت في كتبهم ردًّا يليق بمقام الحفاظ على كتاب الله تعالى من التشويه والإساءة إليه، ولعل من أهم الأسباب هو الخوف من الطعن في مصادر كتب الحديث عندهم كأمثال كتابَي البخاري ومسلم، أو الرد على كبار الصحابة، فيجب على المحققين منهم إنكار مقولة صحة جميع الروايات الواردة في هذين الكتابين –البخاري ومسلم–وغيرهما؛ لوجود أحاديث تمسُّ بعقيدة المسلمين، فتكون ذريعة لأعداء الإسلام للتمسك بها، وإلا فما تفسير ما رواه مسلم عن أبي الأسود عن أبيه قال: ((بعثَ أبو موسى الأشعري إلى قُرَّاءِ البصرةِ فدخلَ عليهِ ثلاثمائة رجلٍ قد قرؤوا القرآنَ، فقال: أنتم خيارُ أهلِ البصرةِ وقُرَّاؤُهُم، فاتلوهُ ولا يطولنَّ عليكُمُ الأمدُ فتقسو قلوبَكُمْ كما قستْ قلوبُ مَنْ كانَ قبلكُمْ، وإنَّا كُنَّا نقرأُ سورةً نُشَبِّهُها في الطولِ والشدَّةِ ببراءة، فأنسيتُها غير أنِّي حفظتُ منها: (لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ من مالٍ لابْتَغى واديًا ثالثًا، وما يملأُ جوفَ ٱبنِ آدمَ إلا الترابُ)، وكُنَّا نقرأُ بسورةٍ نشبهُها بإحدى المبسحاتِ فأنسيتُها، غير أنِّي حفظتُ منها: (يا أيُّها الذينَ آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلونَ فتكتبَ شهادةٌ في أعناقِكُم فَتُسألونَ عنها يومَ القيامةِ))). ٣/ ٩٩

إنَّ في ذلك ٱعترافًا صريحًا بتحريف القرآن وضياع عدد من آياته!!

←

وربما كانت هذه المأثورات المتروكة هي المنشأ لحدوث نظرية النقص في آيات القرآن، تلك النظرية التي ذهب إليها قوم من حشوية السلف من سِنِّيينَ وشِيعيينَ(١)، وخالفهم أهلُ العلمِ، وجمهورُ المسلمينَ.(٢)

قال أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان ما نصَّه: ((فأمَّا الزيادةُ فيه-أي القرآن- فمجمعٌ على بطلانِهِ، وأما النقصانُ منه فقد روي جماعةٌ من أصحابِنا وقومٌ من حشويةِ العامَّةِ أنَّ في القرآن تغييرًا ونقصانًا، والصحيحُ من مذهبِ أصحابِنا خلافُهُ، وهو الذي نصرَهُ المرتضى علم الهدى قدس الله روحه واستوفى الكلامَ فيه غايةَ الاستيفاءِ في جوابِ المسائل الطرابلسيات(٣)، وذكرَ في موضعٍ أنَّ العلمَ بصحةِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ)).(٤)

→

فإلى متى يتم الدفاع عن رجالٍ وتقديسهم دون الدفاع عن مصدر التشريع والوحي الإلهي، والمعجزة الخالدة للمسلمين، وهو القرآن الكريم بحجج واهية!! كالقول مثلاً بنسخ الحكم والتلاوة وغيرها مما ورد في تقسيمات أنواع النسخ.

(١) وأشار السيد إلى مثل هذا القول بإيجاز في مخطوط آخر. ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الرسائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة،): ٥٨

(٢) قد تم بيان كلمات الأعلام في صيانة القرآن من التحريف، وعدم الركون إلى تلك الروايات الشاذة في تحريف القرآن الكريم في باب الدراسة، الفصل الأول، المبحث الأول.

(٣) الظاهر أنَّ للسيد المرتضى رسائل ثلاث في المسائل الطرابلسية وقد طُبِعَت الثانية والثالثة ضمن رسائله المتعددة التي طبعت في مجلدات أربعة، ولكن لم يتم الحصول على المسائل الطرابلسية الأولى في هذه المجموعات، ولا في غيرها.

(٤) ١/ ٤٣

- **المورد الثالث:**

قال[١]: تجدونَ التفصيلَ الوافي عن هذهِ المسألةِ المعضلةِ في بحار المجلسي[٢]، وفي رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري في باب حجية الكتاب[٣]، وفي التعاليق المبسوطة عليه كحاشية الأشتياني الشيخ محمد حسن[٤]، وحاشية وسيلة الوسائل للسيد محمد باقر اليزدي[٥]، وبقية كتب الأصولية كـ"القوانين للميرزا القمي"[٦]، وأصول الشيخ محمد هادي الطهراني النجفي[٧]، وكتاب فصل الخطاب في تحريف الكتاب للمحدث النوري[٨]، وكتاب الارتياب في الرد عليه[٩]، وكتاب استقصاء الإفحام للسيد مير حامد حسين الهندي[١٠]، وقد ذهبَ المحققونَ من علمائِنا السلفِ إلى بطلانِ القولِ

---

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ٤٣٦ تحت عنوان: (التحريف في القرآن)، في الأصل سؤال وُجِّه للسيد الشهرستاني نصه: ((هَلْ هذا القرآنُ الذي بينَ أيدي المسلمينَ هو تمامُ ما نُزِلَ على النبيِّ ﷺ بدونِ زيادةٍ أو نقصانٍ، أو لا، وهَلِ الخلافُ المنسوبُ إلى الشيعةِ صحيحٌ؟ أو لا؟)).

(٢) ينظر: بحار الأنوار ١١٠/ ٢٥٦

(٣) ينظر: الأنصاري: فرائد الأصول ١/ ١٥٨

(٤) ينظر: الأشتياني، محمد حسن بن جعفر: بحر الفوائد في شرح الفرائد، تح: محمد حسن الموسوي، (مط سليمان زاده، قم، د.ط، د.ت) ١/ ٤٥٩-٤٧٢

(٥) ينظر: اليزدي، محمد باقر: وسيلة الوسائل في شرح الرسائل، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت): ٦٠-٦١

(٦) ينظر: القمي، أبو القاسم: قوانين الأصول، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت): ١٩٠-١٩١

(٧) لم يتم الحصول على نسخة الكتاب بعد بذل الجهد في البحث عنه.

(٨) النوري، حسين: فصل الخطاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

(٩) لم يتم الحصول على نسخة الكتاب بعد بذل الجهد في البحث عنه.

(١٠) ينظر استقصاء الإفحام واستيفاء الانتقام، (مط مجمع البحرين، ١٣٢٦هـ، د.ط، د.م)، ←

بتحريفِ القرآنِ، فقال الشيخ الطبرسي في الفن الخامس من مقدمة تفسيره مجمع البيان ما نَصُّهُ: ((فأما الزيادةُ فيهِ فَمُجْمَعٌ[1] على بطلانِه، وأما النقصانُ منه[2] فقد روى جماعةٌ جماعةٌ من أصحابِنا، وقومٌ من حشويةِ العامَّةِ، أنَّ في القرآنِ تغييرًا[3] أو نقصانًا، والصحيحُ من مذهبِ أصحابِنا خلافُهُ، وهو الذي نَصَرَهُ المرتضى قدس الله روحه، واستوفى الكلامَ فيه غايةَ الاستيفاءِ في جوابِ المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضِعَ أنَّ العلمَ بصحةِ نقلِ القرآنِ كالعلمِ بالبلدانِ، والحوادثِ الكِبارِ، والوقائعِ العظامِ، والكتبِ المشهورةِ، وأشعارِ العربِ المسطورةِ، فإنَّ العنايةَ اشتدتْ، والدواعيَ تَوَفَّرَتْ على نقلِهِ وحراستِهِ، وبلغَتْ إلى حَدٍّ لم يبلغْهُ فيما ذكرناه؛ لأنَّ القرآنَ معجزةُ النبوةِ، ومأخذُ العلومِ الشرعيةِ، والأحكامِ الدينيةِ، وعلماءُ المسلمينَ قد بَلَغُوا في حفظِهِ وحمايتِهِ الغايةَ، حَتَّى عَرِفُوا كُلَّ شيءٍ اخْتُلِفَ فيه من إعرابِهِ، وقراءتِهِ، وحروفِهِ، وآياتِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يكونَ مُغَيَّرًا، أو منقوصًا، مع العنايةِ الصادقةِ، والضبطِ الشديدِ، وقال أيضًا قدس الله روحه: إنَّ العلمَ بتفسيرِ[4] القرآنِ وأبعاضِهِ في صحةِ نقلِهِ كالعلمِ بِجُمْلَتِهِ، وجرى ذلكَ مجرى ما عُلِمَ ضرورةً من الكتبِ المصنفةِ، ككتابِ سيبويه و المزني ، فإنَّ أهلَ العنايةِ بهذا الشأنِ يعلمونَ من تفصيلِهما ما يعلمونَهُ من جملتِهما، حتى لو أنَّ مُدْخِلاً في كتابِ سيبويه بابًا في النحوِ ليسَ من الكتابِ لعُرِفَ ومُيِّزَ وعُلِمَ أنه مُلْحَقٌ،

→

١/ ٩- ٧٥. وهو كتاب مهم جدًا، وقد تناول الروايات الواردة في كتب العامة، مع بيانها والتعليق عليها.

(١) في الأصل: فالجميع.

(٢) في الأصل: فيه.

(٣) في الأصل: تغيير.

(٤) في الأصل: بتفصيل.

وليسَ من أصلِ الكتابِ، وكذلكَ القولُ في كتابِ المزني ، ومعلومٌ أنَّ العنايَةَ بنقلِ القرآنِ وضبطِهِ أصدقُ[١] من العنايةِ بضبطِ كتابِ سيبويه ودواوينِ الشعراءِ، وذكرَ أيضًا رضي الله عنه: إنَّ القرآنَ كان على عهدِ رسولِ الله ﷺ مجموعًا مؤلَّفًا على ما هو عليهِ الآنَ، واسْتُدِلَّ على ذلكَ بأنَّ القرآنَ كان يُدْرَسُ ويُحْفَظُ جَمِيعُهُ في ذلكَ الزمانِ، حَتَّى عَيَّنَ على جماعَةٍ من الصحابةِ في حفظِهِم له، وأنْ[٢] كان يُعرض على النبيِّ ﷺ ويُتلى عليه، وإنَّ جماعةً من الصحابةِ مثلُ عبد الله بن مسعود ، و أُبَيِّ بن كعب وغيرهما، خَتَمُوا القرآنَ على النبيِّ عِدَّةَ ختماتٍ، وكُلُّ ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّلٍ على أنه كانَ مجموعًا مُرَتَّبًا غيرَ مبتورٍ، ولا مبثوثٍ، وذكرَ أنَّ مَنْ خالفَ من ذلكَ من الإماميةِ والحشويةِ لا يُعْتَدُّ بخلافِهِم، فإنَّ الخلافَ في ذلكَ مضافٌ إلى قومٍ من أصحابِ الحديثِ نَقَلُوا أخبارًا ضعيفَةً ظَنُّوا[٣] صَحَّتَها، لا يرجعُ بمثلِها عن المعلومِ المقطوعِ على صَحَّتِهِ)).[٤]

انتهى ما نقله الطبرسي عن الشريف المرتضى.

أقول: ربما يستغرب[٥] الناظر في المسألة لأول وهلة، دعوى كون القرآنِ مجموعًا ومؤلَّفًا في عهدِ النبيِّ ﷺ كما ادَّعاهُ الشريف المرتضى، غير أنَّ لي على هذا القولِ شواهدَ واضحةً:

- منها: خبرُ الثقلينِ الذي تواترَ إسنادُهُ إلى الرسولِ ﷺ إذ قال: ((**إني تارك فيكم**

---

(١) في الأصل: أضبط.

(٢) في الأصل: وأنه.

(٣) في الأصل: خالفوا.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٢-٤٣

(٥) في الأصل: بمستغرب.

الثقلين كتاب الله وعترتي)). إلخ[١]. وصريح ذلك[٢] وجود كتاب الله مجموعًا متلوًّا في أيدي الناس.

- ومنها: الخبرُ الصحيحُ المستفيضُ[٣] عن عمر[بن الخطاب] عند وفاة النبيﷺ إذ قال: ((**حسبنا كتاب الله**))[٤] ومنعَ النبيَّ عن أنْ يكتبَ للأُمَّةِ كتابًا يَقِيهم من

---

(١) إنَّ حديث الثقلين قد ورد بألفاظ متعددة وبأسانيد مختلفة تؤكد عظمة التمسك بالقرآن والعترة، وللتفصيل في ألفاظ الحديث وٱختلافاته. ينظر: العسكري، نجم الدين: حديث الثقلين، (مط الآداب، النجف الأشرف، ط٤، د.ت)، الميلاني، علي: حديث الثقلين، (الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

(٢) في الأصل: وقولهﷺ: إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، وصريح ذلك.

(٣) قسَّمَ العلماء الحديث على أقسام متعددة وفقًا لسند رجاله، فمنه: الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف وغيره، والحديث المستفيض هو الحديث الذي رواته أكثر من ثلاثة في كُلِّ طبقة، أو ٱثنين، ويقال له المشهور. الشهيد الثاني، زين الدين بن ابن علي: الرعاية في علم الدراية، تح و تع: عبد الحسين محمد علي البقال، (مط بهمن، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ): ٦٩

(٤) ونص الحديث ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قوله: ((لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ صلىَ الله عليه [وآله] وسلم: **هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ**. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه[وآله] وسلم قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ الله، فاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النَّبِيُّ صلى الله علَيه [وآله] وسلم كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلاَفَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه[وآله] وسلم قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه[وآله] وسلم: **قُومُوا**. قَالَ عُبَيْدُ الله فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه[وآله] وسلم وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ مِنِ ٱخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ. البخاري: صحيح ٥/ ١٣٨ كتب (النبي صلى الله عليه[وآله] إلى كسرى ←

الضلالةِ، فلو لم يَكُنِ القرآنُ مجموعًا ومؤلَّفًا لم يتم عنه هذا الكلام.[١]

- ومنها: الخبرُ الصحيحُ عنهﷺ إذ قال: ((وما وافَقَ كتابَ الله فَخُذُوهُ، وما خالَفَ كتابَ الله فَاضْرِبُوا به عَرْضَ الحائِطِ))[٢]، وهذا لا يتمُّ إلا إذا كانَ القرآنُ مؤلَّفًا ومتداولاً بين الأمةِ في حياةِ نبيِّها.

- ومنها: المستفيضُ عنهﷺ عندما ذكرَ الفتنَ المُحْدِقَةَ بالأمةِ كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ، بعد [أَنْ] تغيبَ شمسُ النبوةِ، قالﷺ: ((**فعليكم بالقرآن**)) إلخ[٣]، فإنَّ هذهَ الخطبةَ لا تنطبقُ على الحالةِ الحاضرةِ من مخاطبيهِ إذا لم يَكُنِ القرآنُ مجموعًا ومتداولاً بينهم، هذا كُلُّهُ عَدا عن بقيةِ الأخبارِ النبويةِ الواردةِ في تلاوةِ القرآنِ والاهتداءِ به[٤]، ومضافًا إلى آية: ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾[٥]، والضميرُ عائِدٌ إلى

→

وقيصر) باب (مرض النبي صلى الله عليه[وآله] وسلم ووفاته)، مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٥/ ٧٦ كتاب (النذر) باب (الأمر بقضاء النذر)، أحمد بن حنبل: مسند أحمد ١/ ٣٢٥ (مسند عبد الله بن عباس)

(١) إنَّ هذا أمرًا عقليًّا بديهيًّا، فلو كانَ النبيﷺ يعلم أنَّ الأمة باستطاعتها تُحَرِّفُ القرآن فتزيد فيه، أو تنقص كيف يرشد الأمة إليه، في التمسك به والنجاة من الضلال، فضلاً عن الروايات في الحث على قراءته، وحفظه، وتعلمه، وتعليمه!!

(٢) الكليني: الكافي ١/ ٦٩ كتاب(كتاب فضل العلم) باب(الأخذ بالسنة وشواهد التنزيل) الحديث ١، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ١١٢ كتاب(القضاء) باب(وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة) الحديث ١٩

(٣) الكليني: الكافي ٢/ ٥٩٩ باب(فضل القرآن) الحديث ٢، الشريف الرضي: نهج البلاغة ١/ ١٩٦، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦/ ١٧١ كتاب(الصلاة) باب(استحباب التفكر في معاني القرآن) الحديث ٣

(٤) ينظر: الكليني: الكافي ٢/ ٦١١-٦١٦ باب(ثواب قراءة القرآن)

(٥) سورة هود: الآية ١٧ في الأصل: المذكورة في سورة هود في آية ٢٠ وفي سورة الأحقاف.

القرآنِ[١]، فيكونُ القرآنُ في عهدِ الرسولِ ﷺ إمامًا، كما كانَ كتابُ موسى عليه السلام إمامًا لبني إسرائيل، ولا يتم كون القرآن إمامًا في عهد النبي إلا إذا كانَ تمامًا، وعدا آية سورة البقرة [في قوله تعالى]: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، و[قوله تعالى]: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ﴾[٣]، وآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]، وآياتٌ أخرى تدلُّ على تداولِ القرآنِ كَمُؤَلَّفٍ تامٍّ في أيدي المسلمينَ في حياةِ نبيهِم الأمين.[٥]

نعم هذا الرأيُ رأيُ تماميةِ القرآنِ بدونِ زيادةٍ أو نقصانٍ هو أشهرُ الآراءِ لدى المسلمين، وإنَّ لسانَ الدينِ يشكرُ الشريف المرتضى ودفاعهُ المجيدُ عن القرآنِ، وبالأحرى عن الحقِّ والعلمِ والتأريخ[٦]، وقد سبقَ الشريف في مثل هذا الدفاعِ المجيدِ شيخه المفيد ؛ إذ قالَ في المسألةِ التاسعةِ من أجوبته لـ المسائل السرورية ما نَصُّهُ: ((لا شَكَّ أنَّ ما بينَ الدَّفَّتَيْنِ من القرآنِ كلامُ اللهِ تعالى وتنزيلُهُ، وليسَ فيه شيءٌ من كلامِ

---

(١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٦١، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٣٦٥

(٢) سورة البقرة: الآية ٢

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥

(٤) سورة الحجر: الآية ٩

(٥) إنَّ السيد قد اعتمد منهج الدليل النقلي في الاستدلال على عصمة القرآن من التحريف، من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية التي تثبت ذلك، وكذلك الأحاديث الشريفة المشهورة، وقد أيَّد المنهج النقلي بالعقلي في الاستدلال، من أجل إقامة الحجة البالغة على ما يريد إثباته، وهذه الأدلة الأربعة التي ذكرها وإنْ كان العلماء قد ذكروا بعضها إلا أنها من الأدلة المهمة في الاستدلال.

(٦) إنَّ للشريف المرتضى تأليفات متعددة في بيان عظمة القرآن، وآثاره، وتفسيره، وبيان عقائده، وما يتعلق بعلومه، واستدلاله به على العلوم الأخرى، فضلاً عن تفسيره للآيات الشريفة، فغدَت مؤلفاته موردًا للباحثين في الدراسات القرآنية بالرجوع إليها.

البشرِ، وهو جمهورُ المُنْزَلِ، والباقي مما أنزلَ اللهُ تعالى)).[١]

أقول: نعم توجد من هذا القول عشرات[٢]، إذ إنَّ التأريخَ الموثوقَ به، والحديثَ المستفيضَ يُثبتان قضايا ثلاث:

- **الأولى**: إنَّ القرآنَ نزلَ نجومًا -أي آية آية أو سورة سورة- في خلالِ بضعٍ وعشرينَ سنة، وكان الكَتَبَةُ من المسلمينَ وكُتّابُ الوحيِ يكتبونَ ذلكَ على جريدِ النخلِ، أو على دَفَّتَي الذبيحةِ في أكثرِ الأحيانِ؛ لشحَّةِ الورقِ، وعِزَّةِ أدواتِ الكتابةِ يومئذٍ في بلادِ الحجازِ، وكانَ الأكثرُ يعتمدونَ على الحفظِ والذاكرةِ، ولمَّا استَحَرَّ القتلُ في الصحابةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ[ﷺ]، وعند قتالِهم لأهلِ الرِّدَّةِ والبغاةِ[٣]، خِيفَ على ضياعِ القرآنِ من الصدورِ والسطورِ، فعمدَ كبارُ الصحابةِ إلى جمعِ القرآنِ، وهم عليٌّ، وزيدُ بن ثابت، وأُبَيُّ بن كعبٍ، وعبدُ الله بن مسعود وغيرهم، وذلكَ في عهدِ أبي بكر، والخبرُ فيهِ مشهورٌ.[٤]

---

(١) المسائل السرورية، تح: صائب عبد الحميد، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٣هـ): ٧٨

(٢) أي بعض الإشكالات التي قد تعترض على هذا الموضوع، وليس في كلام الشيخ المفيد خاصة، وهذه ألتفاتة من السيد الشهرستاني لطيفة؛ لأجل الإحاطة بالموضوع من جوانبه المتعددة، من حيث الدليل وما يعارضه، أو يُقَام عليه من إشكال؛ ليتم بيانه، ولكن في تعبيره بلفظ(عشرات) تأمُّل!!

(٣) هناك كلام حول نصوص الردة الواردة في التأريخ، وهل كانت هناك ردة من قبل بعض المسلمين، وما يتعلق بهم بعد وفاة النبيﷺ أم لا، وقد ناقش الموضوع بتفصيل دقيق المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين، وأثبت عدم وجود ذلك، وإنما هي -كما يقول- في الواقع رفض الخضوع لحاكم غير شرعي، وليس رفضًا لأحكام الإسلام، ولا ارتدادًا عن دين الله. للتفصيل ينظر: آل ياسين، محمد حسن: نصوص الردة في تاريخ الطبري نقد وتحليل، (مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

(٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٦٧، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ←

- **الثانية**: إنَّ عليًّا﴿ع﴾ بعدما دفنَ النبيَّ﴿ص﴾ اعتزلَ من قومهِ لجمعِ القرآنِ، وأقسمَ أنْ لا يرتدي رداءَهُ -أي لا يخرج من بيته- حتى يجمعَ القرآنَ[١]، وبعد بُرهَةٍ أتى به إلى أبي بكرٍ وحاشيتِهِ، فتوقَّفَ بعضُهُمْ من قبولِهِ على ما هو عليه، فاسترجعَهُ عنهم الإمامُ آسِفًا، والقضيَّةُ مشهورةٌ.[٢]

وقد روي عن جماعةٍ أَنَّهُم رَأَوُا القرآنَ الذي جمعَهُ الإمام﴿ع﴾، ومنهم ابن النديم في الفهرست.[٣]

→

١/ ١٦٥ وغيرهما من المصادر.

نرى أنَّ ما ذكره السيد الشهرستاني لا علاقة له بما تقدم من كلام الشيخ المفيد الذي عَبَّر بقوله: (نعم توجد من هذا القول عثرات)، وما ذكره هو قول العامة، وإلا فأتباع مدرسة أهل البيت يذهبون إلى القول الثابت بأنَّ القرآن كان مجموعًا في زمن النبي﴿ص﴾، وقد ناقش المحققون روايات جمع القرآن وما يتعلق بها من آراء وأقوال وإشكالات؛ لأنَّ رواة أخبار الجمع ومؤيديها قد اختلفوا كثيرًا في نسبة الجمع تارة إلى أبي بكر، وأخرى إلى عمر بن الخطاب، وثالثة إلى عثمان بن عفان. للتفصيل في مناقشة ذلك ينظر: الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٢٥٥-٢٦٨

(١) السجستاني: كتاب المصاحف ١/ ١٦٩

(٢) نرى مثل ما تقدم في القول الأول عن عدم العلاقة بين هذا الرأي وكلام الشيخ المفيد، وينبغي التأكيد على أنَّ رواية عرض الإمام علي بن أبي طالب﴿ع﴾ مصحفه على القوم وعدم قبولهم له ليس دليلاً على وقوع تحريف واختلاف في القرآن الكريم، قال السيد الطباطبائي: ((إنَّ جمعه﴿ع﴾ القرآنَ وحملَهُ إليهم، وعرضَهُ عليهم لا يدلُّ على مخالفةِ ما جمعه لما جمعوه في شيءٍ من الحقائقِ الدينيةِ الأصليةِ أو الفرعيةِ، إلا أنْ يكونَ في شيءٍ من ترتيبِ السورِ، أو الآياتِ من السورِ التي نزلتْ نجومًا، بحيث لا يرجعُ إلى مخالفةٍ في بعضِ الحقائقِ الدينيةِ، ولو كانَ كذلكَ لعارضهم بالاحتجاجِ، ودافعَ فيه، ولم يقنعْ بمجردِ إعراضِهم عما جمعه، واستغنائِهم عنه كما روي عنه﴿ع﴾ في مواردَ شتَّى، ولم ينقل عنه﴿ع﴾ فيما روي من احتجاجاتهِ أَنَّهُ قرأ في أمرِ ولايتهِ ولا غيرِها آيةً، أو سورةً تدلُّ على ذلك)). الميزان في تفسير القرآن ١٢/ ١١٤

(٣) ص ٤١

- **الثالثة**: إنَّ المصاحِفَ كَثُرَتْ في خلافةِ عمر ، وكانت مختلفَةً حتى في تعدادِ السُّوَرِ، فإنَّها في مصحفِ ابن مسعود(...)، لزيادةِ سورتي الحفد والخلع فيه[1]، وعددِ سُوَرِ مصحفِ أُبَيِّ بن كعبٍ(...)[2]، ولَمَّا رأى عثمانُ في أيامهِ اختلافَ المصاحفِ وكثرتَها، واختلافَ الناسِ في قراءتِها، رأى من الحزمِ توحيدَ الأمةِ في المنهاجِ واللهجةِ، فَجَمَعَ المصاحفَ جميعًا، واختارَ بعد الموازنَةِ بينها هذا المصحفَ الموجودَ في أيدي الناسِ

(١) لقد ادُّعي أنَّ سورتَي الحفد و الخلع من السور القرآنية التي كانت تقرأ في القنوت وتم نسخهما، قال السيوطي تحت عنوان(ذكر ما ورد في سورة الخلع والحفد) أحاديث متعددة منها: قال ابن الضريس في فضائله: أخبرنا موسى بن إسماعيل، أنبأنا حماد قال: (قرأنا في مصحف أُبَي بن كعب: اللهمَّ إنا نستعينُكَ ونستغفرُكَ ونثني عليكَ الخيرَ، ولا نكفرُكَ، ونخلعُ ونتركُ مَنْ يفجرُكَ. قال حماد: هذه الآن سورة، وأحسبُهُ قال: اللهُمَّ إياكَ نعبدُ، ولكَ نصلي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونحفدُ، نخشى عذابَكَ، ونرجو رحمتَكَ، إنَّ عذابَكَ بالكفارِ ملحقٌ. وكان عمر بن الخطاب يقرؤها في القنوت). للتفصيل ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٤٢٠-٤٢٢، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٧٥
وقد تقدم قول العلماء الأصوليين من عدم الاعتماد على هذه الرواية، ولا يمكن قبولها.

(٢) إنَّ مصاحف الصحابة قد اختلفت من حيث الترتيب والعدد، وقد ذكر العلماء ذلك في مؤلفاتهم، ذكر ابن النديم ترتيب سور القرآن على وفق مصحف عبد الله بن مسعود فكان أوله(سورة البقرة فالنساء)، ومصحف أُبَي بن كعب فكان أوله(سورة الفاتحة فالبقرة). الفهرست: ٣٩-٤٠، وللتفصيل في بيان الاختلاف الوارد في ترتيب السور القرآنية وعددها ينظر: الزنجاني، أبو عبد الله بن نصر الله: تاريخ القرآن، تق: أحمد أمين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م): ٦٩-٧٩، وينظر لمعرفة ذلك الاختلاف والزيادة بين مصحف وآخر من مصاحف الصحابة: العسكري: القرآن الكريم وروايات المدرستين ٢/ ٧٧٥-٧٨٦، الجلالي، محمد حسين: دراسة حول القرآن الكريم، تح: علي النجيدي الإحسائي، (دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م): ١٠٩-١٢٩

حتى اليوم، وأعدمَ بقيَّةَ المصاحفِ كُلِّها، فَعِيبَ عليهِ وعُدَّ ذلكَ من مثالِبِه[1]،

---

(١) إنَّ حرق عثمان للمصاحف مسألة مشهورة حصلت في عهده، وقد ذكرت المصادر ذلك وما يتعلق به، من توحيد الناس على قراءة واحدة بعد الاختلاف الكبير بين المسلمين في قراءاتهم. للتفصيل ينظر: السجستاني: كتاب المصاحف ١/ ١٩٥(جمع عثمان المصاحف)

ونرى أنَّ ما قام به عثمان من توحيدهم على قراءة مصحف واحد يعد أمرًا حسنًا ومُهِمًّا من حيث المحافظة على كتاب الله من الاختلاف في قراءاته الكثيرة آنذاك، ولو لم يقم بذلك لرأينا بعد مدة من الزمن مصاحف متعددة ومختلفة، ينسب كُلُّ واحد إلى أحد الصحابة، وله مؤيدون يتبعونه، ومعارضون يؤيدون قرآن صحابي آخر، وأنَّ سكوت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذا الفعل وعدم معارضته له يُعَدُّ تقريرًا بالصحة، وإلا لرأينا له موقفًا تجاه ذلك، ولا سيما أنَّ الأمر يتعلق بالقرآن الكريم، معجزة الله الخالدة، والإمام عليٌّ لا تأخذه في الحق لومة لائم، أما ما يتعلق بفعله من حرق آيات الله من حيث الحرمة وعدمه، والجواز وعدمه، فهذا يُناقش في محله، وهذا ما ذكره السيد الخوئي أيضًا بعد مناقشته لجميع الروايات والاحتمالات الواردة في جمع القرآن. ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٢٧٥

وإنَّ موضوع حرق عثمان للمصاحف من الموضوعات التي لا ينكرها أي باحث للتأريخ الإسلامي، ولكن مما يستغرب له ما ورد عن الزركشي من كلام في ذلك بقوله: ((وأمَّا ما تعلَّقَ الروافضُ بأنَّ عثمان أحرقَ المصاحفَ فإنَّهُ جهلٌ منهم، وعمًى... وأما قولهم: إنَّهُ أحرقَ المصاحفَ، فإنَّهُ غيرُ ثابتٍ، ولو ثبتَ لوجَبَ حملَهُ على أنَّهُ أحرقَ مصاحفَ قد أودعتْ ما لا يحلُّ قراءته)). البرهان في تفسير القرآن ١/ ١٧١، ولكنَّ -إنا لله وإنا إليه راجعون- الظاهر أنه -وهو ليس من الروافض- قد نسى ما كتبه بنفسه قبل صفحتين مما رواه عن البخاري: ((وقد روى البخاري في صحيحه ... وأرسلَ [عثمان] في كُلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمرَ بما سواهُ من القرآنِ في كُلِّ صحيفةٍ، أو مصحفٍ أنْ يحرقَ)). ١/ ١٦٩

وكانت أُمُّ المؤمنينَ عائشة تَنْعَرُ[١] عليهِ بذلكَ وتقولُ: ((اقْتُلُوا حَرَّاقَ القُرْآنِ))[٢]، والقضيةُ مُفَصَّلَةٌ في تأريخهِ وتأريخِها.[٣]

فهذا[٤] وما قَبْلَهُ أَدِلَّةٌ جليَّةٌ توضِّحُ لنا أنَّ القرآنَ المجموعَ في عهدِ المصطفىﷺ، لم يَكُنْ على الشكلِ الموجودِ في أيدينا من بعضِ الوجوهِ[٥]، كما تدلُّ على أنه يختلفُ عَمَّا جمعهُ [الإمام] عليعليه السلام، ثم إنَّهُ لا يوجدُ خلافٌ ما في أنَّ القرآنَ لم يطرأ عليهِ[تحريف] بعد أيامِ عثمانَ إلى هذا الزمان، فإنَّهُ بعدَ إعدامِهِ مصاحفَ القُرَّاءِ واختيارِهِ لهذا الموجودِ من بينِها[٦]، أمرَ بأنْ ينسخَ عليهِ أربعةَ

---

(١) أي: تصرخُ وتصيحُ. ابن منظور: لسان العرب مادة(نعر).

(٢) لم نعثر على مثل هذه الرواية واردة عن عائشة، ولكنها وردت من دون نسبة القول إليها، قال السيد الخوئي: ((ولكن الأمر الذي انتقدَ عليهِ هو إحراقُهُ لبقيةِ المصاحفِ، وأمرهُ أهالي الأمصارَ بإحراقِ ما عندهم من المصاحفِ، وقد اعترضَ على عثمانَ في ذلكَ جماعةٌ من المسلمينَ، حتى سَمَّوْهُ بـ حَرَّاق المصاحف)). البيان في تفسير القرآن: ٢٧٥

(٣) ليست مفصلة بهذا المعنى الوارد الذي يذكره السيد الشهرستاني في هذا الموضوع، وإنما كان خلاف بينهما معروف، وقد فُصِّلَ في كتب التأريخ والسيرة، وما اشتهر عن عائشة في عثمان وتشبيهها له برجل من اليهود قولها: ((اقتلوا نعثلاً فقد كفرَ)). الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، (مط الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧هـ ١٩٣٩م، د.ط) ٣/ ٤٧٧ وغيرها من المصادر التأريخية، ولاشتهارها فقد وردت كذلك في غير كتب التأريخ والسيرة ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة(نعثل).

(٤) نرى مثل ما تقدم في القول الأول والثاني عن عدم العلاقة بين هذا الرأي وكلام الشيخ المفيد المتقدم.

(٥) أي من حيث تسلسل السور القرآنية وما عليه الآن المصحف الشريف، وليس الزيادة والنقصان، أو الحذف وغيرها مما لا يليق بعصمة القرآن الكريم.

(٦) لقد وقع خلاف بين العلماء حول عثمان بن عفان في أنه هل جمع القرآن في عهده، أو أنه جمع الناس على قراءة واحدة، فهناك بَوْنٌ بين المسألتين، وقد ذهب جمع منهم إلى الرأي ←

مصاحفَ[١]، فأرسلَ واحدًا منها إلى مكةَ، والثاني إلى الشام، والثالث إلى اليمن، والرابع إلى العراق؛ لتكونَ كُلُّ نسخةٍ في كُلِّ قطرٍ من الأقطارِ الإسلاميةِ المهمةِ مصباحَ هدايةٍ، ومرجعًا لأهليهِ من المسلمينَ، ثم لم يطرأ على القرآنِ أيَّ تغييرٍ بعدَ ذاكَ العهدِ حتى اليوم، سوى اختلافِ القراءاتِ من القُرَّاءِ المشهورينَ، التي ضُبِطَتْ في أيامِهِم بالتدقيقِ والإتقانِ.[٢]

→

الثاني، وقد ذكر الزركشي ذلك: ((قال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمعِ نفسِ القرآنِ بينَ لَوْحَيْنِ، وإنَّما قصدَ جمعَهُمْ على القراءاتِ الثابتةِ المعروفةِ عن النبيِّ صلى الله عليه[وآله] وسلم، وإلغاءَ ما ليسَ كذلكَ)). البرهان في علوم القرآن ١/ ١٦٩

ونقل السيوطي عن الحارث المحاسبي قوله: ((المشهورُ عندَ الناسِ أنَّ جامعَ القرآنِ عثمانُ ، وليسَ كذلكَ، إنَّما حملَ عثمانُ الناسَ على قراءةٍ بوجهٍ واحدٍ)). الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٧١

وقال السيد الخوئي بعد نقله لروايات جمع القرآن المختلفة المضطربة ومناقشتها: ((نعم لا شَكَّ أنَّ عثمانَ قد جمعَ القرآنَ في زمانِهِ، لا بمعنى أنَّهُ جمعَ الآياتِ والسُّوَرَ في المصحفِ، بل بمعنى أنَّهُ جمعَ المسلمينَ على قراءَةِ إمامٍ واحدٍ، وأحرقَ المصاحفَ الأُخرى التي تخالفُ ذلكَ المصحفَ)). البيان في تفسير القرآن: ٢٧٤-٢٧٥

ولكن بعد التدقيق في كلمة السيد الخوئي لا نعلم ما هو مقصوده في قوله: ((على قراءة إمام واحد))، فهل المراد من الإمام أحد أئمة القراءات السبعة أو العشرة؟ فلا يخفى أنَّ هذا المصطلح أوجده ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٦م)، وحصر القُرَّاء في سبعة دون سواهم في كتابه(السبعة في القراءات)، فضلاً عن أنَّ أولئك القُرَّاء السبعة إنما وُلِدوا بعد سنين طوال من قتل عثمان ، أو يقصد أحد الصحابة القُرَّاء المشهورين آنذاك؟

(١) قيل خمسة، وقيل سبعة. ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٧٢

(٢) إنَّ موضوع تحريف القرآن وعدمه وما يتعلق به من المناقشة ينحصر في المدة الزمنية التي قبل حرق عثمان بن عفان للمصاحف، وتوحيدها في مصحف واحدٍ، فكُلُّ ما أُوردَ من

←

● **المورد الرابع:**

قال[1]: إِنَّنا سَجَّلنا في كُتُبِنا وتفاسيرِنا بطلانَ هذا القولِ، وأَنَّهُ افتراءٌ على الشيعة، وخصوصًا في حَقِّ الزيديةِ والإماميةِ من فِرَقِ الشيعةِ التي نحنُ منهم وفيهم، وهذا شيخهم[2] الطبرسي[3]، وشيخه محمد بن إدريس الحلي[4]، وشيخه شيخ الطائفة الإمامية محمد بن الحسن [الطوسي][5]، وشيخه الشريف المرتضى[6] وأخو الشريف الرضي،

→

إشكالات وأقوال فإنما يتعلق بتلك المدة السابقة، وإلا فبعد ذلك إلى اليوم لا يوجد أي ٱختلاف، أو إشكال يُذكر حول عصمة الموجود بين أيدينا، ولكن مع كُلِّ ما ذُكِرَ من ٱختلافات في كيفية جمع القرآن، ومَنْ قام بذلك، وما يتعلق بمصحف الإمام علي عليه السلام فإنَّه لا شك في أنَّ ما موجود اليوم هو الذي أتى به النبي صلى الله عليه وآله لا نقص فيه مطلقًا، وإنْ ٱختلفت الروايات الواردة في كيفية جمعه، والتقديم والتأخير في تسلسل السور في المصحف.

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٤/ ٥٧٧ تحت عنوان: ((نفي التحريف في القرآن))، في الأصل سؤال وُجِّه للسيد الشهرستاني نصه: ((رَأَيْنا علي بن حزم في الفصل و حسين هيكل باشا في حياة محمد وغيرهما ينسبون إلى الشيعة القول بنقصان القرآن، وتحريف بعض آياته، فهل هذا صحيح؟)).

(٢) إنَّ تعبير السيد بلفظ (شيخه) لكل عالم عن أستاذه، أراد أنْ يبيِّن ويؤكِّد سلسلة الاتصال في نقل الخبر، من كُلِّ واحدٍ منهم إلى مَنْ يروي عنه، وأنَّ القول بصيانة القرآن متواتر عن أعلامنا، منذ ألف سنة إلى يومنا.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٣

(٤) ينظر: موسوعة ابن إدريس الحلي/ إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، تح وتق: السيد محمد مهدي الخرسان، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م) ٢/ ١٧

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣

(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٤

وشيخهما المفيد المتوفى سنة(٤١٣هـ)[١]، كُلُّهُمْ يُصَرِّحون في كُتُبِهِم بِأَنَّ القرآنَ المتداولَ في هذا الزمانِ محفوظٌ من الزيادةِ والنقصانِ، وأَنَّ هذا المذهبَ هو مذهبُ الإماميةِ، فهل بعد هذا التصريحِ من شيوخِ الشيعةِ يبقى شَكٌّ في تنزيهِ هذهِ عن هذهِ الوصمة؟

نعم شَذَّ عن جماعَةِ الإماميةِ في عصرِنا المُحَدِّثُ النوري ، فقالَ بالنقصانِ من نقصانِ...[٢]، وألَّفَ كتابَ فصل الخطاب في تحريف الكتاب[٣]، تبعًا لبعضِ حشويةِ

(١) ينظر: المسائل السرورية: ٧٨

(٢) إنَّ هذا رَدٌّ قاسٍ منه في حق المحدث النوري على ما كان عليه –النوري– من الجلالة والعلم والتقوى، وإنْ كان قد ألَّف ذلك الكتاب الذي لم يُحْسِنْ فيه الأمر، وهو يبيِّن مدى تأثره مما قام به المحدث النوري من عمل لا يليق بعالم متتبع أنْ يقول به، وقد كتب السيد الشهرستاني في الرد عليه مقالاً جاء فيه: ((إنَّ المحدثَ النوريَّ يحدِّثُ بالأخبارِ من دونِ تمحيصٍ أو تحقيقٍ...)) للتفصيل ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: حلال مشكلات ١/ ١٤-١٧، وكذلك رَدَّ عليهِ في تقريضِه لكتابِ البرهان على عدم تحريف القرآن للميرزا مهدي البروجوردي . للتفصيل ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الدلائل والمسائل، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية) ١٣/ ٣١

(٣) في الأصل: فصل الخطاب لتحريف الكتاب.

إنَّ هذا الكتاب من الكتب التي أثارت جدلاً كبيرًا عند علماء الإمامية حول صيانة القرآن من التحريف، بعد ما تقدم من كلمات أعلامهم في عدم تحريف القرآن، ولكن الميرزا النوري ألَّف هذا الكتاب ليثبت تحريف الكتاب من خلال الاستدلال بروايات ضعيفة لا يعتمد عليها، وقد قسم كتابه على مقدمات ثلاث، وبابَيْن. ينظر: النوري، حسين: فصل الخطاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

وقد اعتذر تلميذه الشيخ أقا بزرك الطهراني عن الميرزا النوري بأنه لم يكن يقصد القول بتحريف القرآن في كتابه، فقال: ((وسمعتُ عنهُ شفاهًا يقول: إنِّي أثبتُّ في هذا الكتابِ أنَّ هذا الموجودَ المجموعَ بينَ الدفتينِ، كذلكَ باقٍ على ما كانَ عليهِ في أولِ جمعهِ ←

السَّلَفِ من الشيعيينَ والسنيينَ، الذين رووا من طُرُقِ الآحادِ والمجاهيلِ، رواياتِ النقصِ والتحريفِ.

- **المورد الخامس:**

قال في رده على ابن حزم [(١)]: إنَّ ابن حزم أظهر هنا[(٢)] طيشاً لا مبررَ[(٣)] له، إذ ادَّعَى أولاً أنه لا يختلفُ أحدٌ من كافرٍ، أو مؤمنٍ في أنَّ هذا القرآنَ هو الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ

→

كذلكَ فى عصرِ عثمانَ، ولم يطرأ عليهِ تغييرٌ وتبديلٌ كما وقعَ على سائرِ الكتبِ السماويةِ، فكانَ حريًّا بأنْ يُسمى: فصل الخطاب فى عدم تحريف الكتاب فتسميتُهُ بهذا الاسمِ الذي يحملهُ الناسُ على خلافِ مرادي، خطأٌ فى التسميةِ...)). الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦/ ٢٢٢

ونرى أنَّ هذا الاعتذار لا يوافق ما ورد في الكتاب من الأحاديث والأدلة التي ذكرها في إثبات التحريف، فضلاً عن الوضوح التام للعنوان في بيان مقصوده، وهو من العلماء الكبار ومشايخ الرواية والإجازات.

وقال السيد مرتضى العسكري بعد ذكر ما تقدم من كلام الشيخ الطهراني وبيان أبوابه: ((هكذا بوَّبَ الشيخُ النوريُّ كتابَهُ، وما ذكرَهُ يخالِفُ اعتذارَ تلميذِهِ صاحبِ الذريعةِ عنهُ)). القرآن الكريم وروايات المدرستين ٢/ ١٨

(١) مخطوط مذكرات النشريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣١ قال تحت عنوان ((افترى ابن حزم على الروافض في نقص القرآن في المحلى ج١١ ص٤١١ لا يختلف أحد لا كافر ولا مؤمن في أنَّ هذا القرآن هو الذي جاء به محمدﷺ، وذكر أنه وحي من الله تعالى، وإنْ كان قوم من الروافض ٱدَّعوا أنه نقص منه وحُرِّف إلخ)).

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد: المحلى في الفقه، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، (دار الفكر، د.ط، د.مط، د.ت) ١١/ ٤١١

(٣) في الأصل: لا مبرره.

إلخ، والحالَةُ أنَّ الكفارَ مختلفونَ في ذلكَ، ومُصَرِّحُونَ بالمخالفَةِ كما لا يخفى[(١)]، ثم ادَّعى ثانيًا أنَّ قومًا كفارًا من الروافض[(٢)] ادَّعوا أنَّ القرآنَ نُقِصَ منه إلخ، والحالَةُ أنَّ أُمَّ المؤمنينَ عائشة و أبا حفص هما أَوَّلُ مَنْ قالا بنقصِ القرآنِ، وحذفِ آيةِ الرضاعِ، وآيةِ الرجمِ منه[(٣)]، فَهَلْ هما من الكفارِ والروافِضِ[(٤)]، حاشا وكَلَّا[(٥)]، وإنَّ جمعًا من علماءِ السنِّيينَ ذَهَبُوا إلى نقصِ آياتٍ من الذكرِ الحكيمِ[(٦)]، وَرَوَوْا في جمعِ القرآنِ وتدوينِهِ أيامِ

(١) وهذا أمر بديهي، ولا نعلم كيف خُفِيَ على ابن حزم على ما عليه من مقام علمي كما يُقال عنه، وهو مجدد القرن الخامس الهجري كما قالوا عنه، وغير ذلك من الألقاب، وهل اعترف الكفار بأنَّ ما جاء به النبيﷺ من عند الله تعالى بأنَّهُ قرآن يوحى من عند الله تعالى، والقرآن بصريح آياته قد ذكر كفرهم ونكرانهم للقرآن الكريم.

(٢) يستغرب أي باحث من إطلاق هذه العبارات التي لا واقع ولا حقيقة لها، فكيف حكم على الشيعة بأنهم كفارٌ!! على الرغم من كل تلك المؤلفات التي تبيِّن عقائدهم والمنتشرة في الآفاق، وإنَّ هذه الكلمات هي التي أسست للعوام العمل على الفُرْقَةِ بين المسلمين بالقتل والاعتداء.

(٣) تقدم ما يتعلق بأقوالهما في نقص القرآن الكريم ينظر: ص١٩٧-١٩٨ وغيرهما مما ورد عنهم في ذلك.

(٤) نتمنى على ابن حزم وأمثاله أنْ يذكروا جوابًا منطقيًّا لأقوال عمر بن الخطاب و عائشة المتعددة في القول أو الإيحاء إلى نقصان القرآن، دون اللجوء والاضطرار إلى إيجاد عنوانات لا أصل لها في الشريعة المقدسة، مثل نسخ التلاوة دون الحكم وغيره.

(٥) إنَّ هذه الكلمة من السيد (قدس سره) هي كلمات علمائنا في الدفاع عن الشريعة المقدسة، وليس التعبير بالكلمات التي تؤدي إلى التفرُّق بين المسلمين، على الرغم من وجود أحاديث صريحة في نفي ذلك، ولكن لَمَّا لم يعترف بها المحققون من العلماء تم الإذعان إليهم.

(٦) لقد جمع المحقق العلامة مير حامد النقوي تلك الآيات التي قيل إنها من القرآن على وفق ←

أبي بكر، و عثمان أشياء، وأنَّهُ عَدَّ النقصَ والتحريفَ كـ"السيوطي" وغيرِهِ[١]، فَهَلْ هؤلاءِ من الكُفَّارِ الروافِضِ !! كَلا ثُمَّ كَلا، وبماذا ثبتَ كفرُ الروافِضِ عنده.[٢]

→

روايات وردت في تفاسير العامة، وأقوال كبار الصحابة في القرآن الكبير، وما ورد من اختلاف فيه، مع تفصيل دقيق، ومناقشة لها. ينظر:١/ ٩- ٧٥، وينظر: الميلاني: استخراج المرام من استقصاء الإفحام ١/ ١١٥-١٦٦، الجلالي: دراسة حول القرآن الكريم ٢١٢-٢٢٦

(١) ذكر السيوطي عن ٱبن عمر قوله: لا يقولنَّ أحدكُم قد أخذتُ القرآنَ كُلَّهُ، وما يدريكَ ما كُلَّه! قد ذهبَ منه قرآنٌ كثيرٌ، ولكن ليقل قد أخذتُ منه ما ظهرَ. وروى عن عائشة: أنَّ سورة الأحزاب كانت تقرأ في زمن النبي(صلى الله عليه [وآله] وسلم) مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن، وروى عن أُبَي أنَّ سورة الأحزاب كانت تعدلُ سورة البقرة. وغير ذلك من الروايات ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٧٢

وقد تقدم ما ورد عن الصحابة أنهم كانوا يروون أنَّ آيات وسور قد قرؤوها مع رسول الله ﷺ، ولكنها لم توجد في المصحف عند جمعه على ما يذهبون إليه، وقد أظهروا ٱعتراضهم، أو ٱستغرابهم من ذلك، فقد ذكر الزركشي عن عمر بن الخطاب قوله بعد ٱعتراضه على آية رجم الشيخ والشيخة المزعومة: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي. وقول أُبَي بن كعب: كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور فكان فيها: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما)). وقول أبي موسى الأشعري: ((إنَّا كُنَّا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني أحفظ منها، لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثًا...)). البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٤-٢٥ وغير أولئك من أقول الصحابة.

(٢) نرى أنَّ وجود مثل هذه الروايات وعدم التعليق عليها بالنفي الصريح عن الصحابة، واللجوء إلى القول بنسخ التلاوة وغيرها هو ما يدفع إلى التشكيك في نزاهة القرآن من

←

→

التحريف، فعلينا أنْ نقول بصراحة علمية إما بنقص القرآن الكريم لعدد غير معلوم من سوره وآياته وأنَّ هذه الأحاديث صحيحة رويت عن الصحابة الأجلاء الذين يُعتقد بعصمتهم لأجل صحبتهم للنبيﷺ؛ لأنه كما هو معروف عند العامة ما ينسب إلى النبي قوله: أصحابي كالنجوم بأيهم ٱقتديتم فقد ٱهتديتم، وإما أنَّ نقول: بأنَّ هذه الروايات مكذوبة قد رواها الصحابة وقد كذبوا على رسول اللهﷺ لحاجة في أنفسهم، أو القول صراحةً وعلانيةً أَّنَّ هذه روايات كلها غير صحيحة، ولم يقل بها الصحابة ولا حاجة لإيجاد أبواب علمية من أجل إيجاد المخرج لأقولهم، فالأمر يتعلق بمصدر التشريع، ولا يحتمل التأويلات والآراء، وقذف التهم على الشيعة وغيرهم، من أمثال ٱبن حزم وغيره بعدما صرَّح أساطين المذهب بصيانة القرآن من التحريف بكلام صريح.

الفصل الثاني

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف النسخ.
- **المبحث الثاني**: شروط النسخ.
- **المبحث الثالث**: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- **المبحث الرابع**: أدلة القائلين بالنسخ.
- **المبحث الخامس**: أدلة نفي النسخ.
- **المبحث السادس**: العلاقة بين النسخ والبداء.

الفصل الثاني:

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

نبين في هذا الفصل ما ذكره السيد الشهرستاني فيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ، ورأيه في مبحث مهم من مباحث علوم القرآن الكريم، وسوف نذكر هذه الموضوعات التي وردت في مخطوطاته تحت العنوان نفسه الذي هو في مصدره، أو وضع عنوان معين يلائمه إنْ لم يُذكر له عنوانٌ في الأصل، فالسيد قد ناقش الموضوع نقاشًا تامًّا في مواضعَ متعددةٍ، وغير تامٍّ في مواضعَ أخرى، ولكنِّي سأذكرها كما وردت.

والموضوعات المخطوطة التي ناقشها السيد في الناسخ والمنسوخ تتطلب تقسيمها على مباحث(ستة) كالآتي:

- **الأول**: تعريف النسخ.
- **الثاني**: شروط النسخ.
- **الثالث**: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها.
- **الرابع**: أدلة القائلين بالنسخ.
- **الخامس**: أدلة نفي النسخ.
- **السادس**: العلاقة بين النسخ والبداء.

إنَّ هذا التقسيم لمباحث الفصل يعطي صورة جلية عن رؤية السيد الشهرستاني القرآنية لمبحث مهم جدًّا من مباحث علوم القرآن، قد وقع الخلاف فيه بين العلماء في تحديد بعض جوانبه، وخصوصًا في تعيين الآيات المنسوخة وعددها، ولمَّا كان السيد لم

يذكر ما تقدم في كتاب واحدٍ متسلسل الموضوع، بل ذكره متفرقًا في مخطوطاته، فسأعمل على جمعها أولاً، ثم التأليف بينها بعد ذلك؛ لتتم الوحدة الموضوعية للبحث، ثم تحقيقها إنْ شاء الله تعالى، كما هو منهج الكتاب في باب التحقيق كلِّه.

المبحث الأول: تعريف النسخ

إنَّ السيد ذكر ما يتعلق بتعريف النسخ من حيث اللغة والاصطلاح، بما هو متعارف بين العلماء، وكما تقدم في كلماتهم، وسأذكر ما ورد في مخطوطاته قدس سره، لبيان رأيه في ذلك.

- **النسخ(لغةً):**

قال[١]: ((تَحَوُّلُ إبدالٍ لا بشرطِ الإبطالِ، كقولهم: نسختُ الكتابَ إذا نقلتُ صورتَهُ، فهناكَ ناسخٌ ومنسوخٌ بدونِ إبطالٍ، وقد يصدقُ مع إبطالِ الصورةِ السالفةِ كقولهم: نسختِ الشمسُ الظلَّ، إي حوَّلَتْهُ بتبديلٍ بوضعهِ، أو محوهِ وإبطالهِ، ومنه قولهم: تناسخُ الأرواحِ، أو تناسخُ المواريثِ)).[٢]

- **النسخ(اصطلاحًا):**

قال[٣]: ((تبديلُ حكمٍ بحكمٍ في آيةٍ أو روايةٍ[٤]، فيكونُ الأولُ منسوخًا والبدلُ

---

(١) مخطوط تنزيه التنزيل: ٩٧ تحت عنوان(النسخ في القرآن)، مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥ تحت عنوان(النسخ والدلائل ضده)، معجم الفقيه: ٣٢٦ تحت عنوان(معنى النسخ وحقيقته)

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة(نسخ).

(٣) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥ تحت عنوان(النسخ والدلائل ضده)، مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٥

(٤) إنَّ في هذا إشارة عامة إلى النسخ، وهو يشمل نسخ القرآن بالقرآن، أو نسخ الرواية ←

ناسخًا، وهذا الناسخُ والمنسوخُ بمعنى إثباتِ حكمٍ بإبدالٍ، وإبطالٍ ثابتٍ في [القرآن أو]، السنةِ النبويةِ، وأحاديثِها المرويةِ)).[١]

وقال بعد ذلك: ((ولا محذور فيه [النسخ]، لكنما القائلون بوجود آياتٍ في الذكرِ الحكيمِ منسوخةِ الحكمِ باقيةِ اللفظِ ذهبوا شططًا، وارتؤا غلطًا؛ إذ قاسوا كتابَنا السماويَّ الخالدَ على كتبٍ سماويةٍ بائدةٍ منسوخةٍ أو منسية، أي: منقرضة)).[٢]

إنَّ ما تقدم من تعريف النسخ لغةً واصطلاحًا هو ما تضمَّنته مخطوطات السيد الشهرستاني ، ولكنه في التفاتة لم يذكرها العلماء من قبل يقسم النسخ على نوعين، ويطلق عليهما (النسخ الشرعي، والنسخ الطبيعي)، ويبيِّنُ أنَّ أحدهما يمكن أنْ يطلق على النسخ المعهود بين العلماء، من دون الآخر.

فيقول[٣]: ((لا بُدَّ من توضيحِ النسخِ بحدودِهِ وقيودِهِ، وبالأقسامِ والأحكامِ، فأولُ ما نبيِّنُ تمهيدًا للمطلوبِ أنَّ النسخَ في ظاهرِ البيانِ منقسمٌ إلى شرعيٍّ وطبيعيٍّ، أما الشرعيُّ: فهو عبارةٌ عن إبطالِ حكمٍ ثابتٍ بحكمٍ آخرٍ مثلِهِ، أو خيرٍ منهُ يَحِلُّ مَحَلَّهُ، ويجعلُ الأولَ كأنْ لم يكنْ، مع استعدادِ الأولِ للبقاءِ في ظاهرِ الحالِ، كنسخِ عيسى عيدِ السبتِ المقرَّرِ في التوراةِ ، وتبديلِهِ بعيدِ الأحدِ في شريعةِ الإنجيلِ ، فهذا نسخٌ شرعيٌّ بأجلى معانيهِ.

وهناكَ قسمٌ آخرُ يحتسبُهُ الناسُ نسخًا وليسَ به، وحَرِيٌّ بأنْ يُسَمَّى نسخًا طبيعيًّا، مثلُ نسخِ تحريمِ القرابينَ في الإسلامِ في الحديثِ المُتَّفَقِ عليهِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

→

بالرواية، أو نسخ القرآن بالرواية.

(١) ينظر: المحقق الحلي: معارج الأصول: ١٦١ وغيره

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥٥

(٣) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٥ تحت عنوان(نسخان شرعي وطبيعي).

((**قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ أَلَا فَزُرُوهَا، وَكُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ الأَضَاحِي أَلَا فَأْكُلُوهَا**))[١]، وقد أورده الشيخ الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠هـ) في كتابه عدة الأصول واستدلَّ به كغيرِهِ على وقوعِ النسخِ في رواياتِ الشريعةِ[٢]، ولو تأمَّلنا فيهِ اتَّضَحَ لنا أنَّ نبيَّ الإسلامِ في بدايةِ أمرِهِ نهى، وحَقٌّ لَهُ أنْ ينهي عن زيارةِ القبورِ، وأكلِ لحومِ القرابينَ؛ لأنَّ القبورَ في بدايةِ الإسلامِ بأكثريتِها الساحقةِ كانت قبورَ الكُفَّارِ والمشركينَ ولا تجوزُ زيارتُها، كما أنَّ لحومَ القرابينَ آنذاكَ كانَتْ بأغلبيتِها الساحقةِ من أضاحي الكفارِ الفاقدةِ للشروطِ الإسلاميةِ، وكانتْ قرابينُ المشركينَ لأصنامِهم، أما بعدَ[٣] تكاثُرِ المسلمينَ، وسحقِهِم للوثنيينَ، فقد صارَتْ قبورُ المؤمنينَ كثيرةً، وشهداؤهُمْ كذلكَ، وهُمْ يستحقُّونَ الزيارةَ، ومثوباتِ الآخرةِ، وصَحَّ للنبيِّ أنْ يأمُرَ بزيارةِ القبورِ، كما صَحَّ له أنْ يأمُرَ بأكلِ لحومِ الأضاحي، وهي آنذاكَ من المسلمينَ، وجامعَةٌ لشروطِ الدينِ[٤]، فليس هذا نسخًا لحكمٍ باقٍ، ومُسْتَعِدٍّ للبقاءِ، بل هو انتساخٌ من طبيعتِهِ، وانتهاءٌ لأمَدِ مصلحتِهِ أو مفسدتِهِ، فهو كزوالِ شيءٍ بزوالِ عِلَّتِهِ، وبطلانِ حكمٍ ببطلانِ غايتِهِ؛ ولذلكَ سَمَّيناهُ نسخًا طبيعيًّا، وإنْ كانَ في الظاهرِ نسخًا

---

(١) مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ٣/ ٦٥، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٤/ ١٧٠ باب (جواز أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام) الحديث ٧

وذكر ابن حازم الهمذاني روايات أربعة استدلَّ بها على أنَّ حكم منع زيارة القبور قد نُسِخَ من النبيﷺ. ينظر: محمد بن موسى: الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار، (مط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٥٩هـ): ١٣٠-١٣١

(٢) ٢/ ٤٩٢

(٣) في الأصل: أما بعد أن.

(٤) إنَّ هذا تفسير مهم جدًّا في توجيه الحديث، يدلُّ على العمق والدقة في فهم التشريع الإسلامي وتأريخه.

شرعيًّا، وعندي أَنَّ كُلَّ الموارِدِ، أو جُلَّ الموارِدِ في النسخِ الواردِ في شرعِ الإسلامِ هو من هذا القبيلِ)).[١]

المبحث الثاني: شروط النسخ

إنَّ السيد ذكر شروطًا يجب توافرها ليتم النسخ ويتحقق، وهي خلاصة ما تقدمت من شروط ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم[٢]، ولكنه زاد إليها ما يراها مهمة وواجبة للقائلين بوجود النسخ في القرآن الكريم، فقد ذكرها في هذا المورد بعد بيانه لحقيقة النسخ، علمًا أنه قد ذكر ما يتعلق بهذه الشروط في مصدرين تختلف بعضها عن الأخرى، وسأذكرها جميعًا.

- **أولاً**: قال[٣]: ((حريٌّ بنا توضيحَ حدودِ النسخِ الشرعيِّ وقيودِهِ المعتبرةِ عند المحققينَ من الأصوليينَ والفقهاءِ، وهي بضعةُ شروطٍ منها:

١- أنْ يكونَ المنسوخُ أمرًا شرعيًّا، لا من جملةِ الأمورِ الأخلاقيةِ والفنيةِ وأمثالِهما، مما لا يستندُ تبديلَهُ أو تسجيلَهُ إلى الشرعِ.

٢- أنْ يكونَ المنسوخُ غيرَ الحاجاتِ الضروريةِ التي يضطرُّ إليها[٤] الإنسانُ غالبًا، فلا يتعلقُ النسخُ بإباحةِ السفرِ، أو التجارةِ، أو الأكلِ والشربِ بصورةٍ مطلقةٍ.

---

(١) بعد اطلاعنا على المؤلفات المتعددة للناسخ والمنسوخ لم يَرَ أحدًا من العلماء قد قسمنا النسخ مثل هذا التقسيم، ولا نعلم ما العلة التي يتوخَّاها السيد الشهرستاني من هذا التقسيم، فالنسخ الطبيعي كما ذكره إنما كان بتوجيه من المشَرِّع أيضًا كما هو ظاهر من الرواية، ولو لم يكن منه فهو اجتهاد ممن يقوم بتبديل حكم الواقعة.

(٢) وقد تم ذكرها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٣) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٥- ٣٢٦ تحت عنوان(النسخ الشرعي حدوده وقيوده).

(٤) في الأصل: إليه.

٣- أنْ يكونَ مصدرُ النسخِ هو المشرِّعُ للشريعةِ، فإذا نهى غيرهُ ولو من فقهاءِ الأمةِ المطاعينَ، فلا يُسمى نسخًا بل يُعرف بـ(الفتوى والحكم والقضاء)[1] ونحوها.

٤- أنْ يكونَ الناسخُ والمنسوخُ في ضِدَّينَ لا يجتمعانِ في زمانٍ ومكانٍ، أما إذا جازَ اجتماعهما فلا يُسمى نسخًا كالمطلقِ والمقيدِ، والدائمِ والمؤقت، والحكم الاختياري أو الاضطراري.

٥- أنْ يكونَ الناسخُ متأخرًا لزمانٍ عن المنسوخِ، لا في وقتٍ واحدٍ إذ يستلزمُ التناقضُ، ولا يكونَ الناسخُ متقدمًا على المنسوخِ ويلزمُ الخُلف.

٦- أنْ يكونَ نسخُ السابقِ ببدلٍ في اللاحقِ، فقد قرأنا أنَّ المنسوخَ لا ببدلٍ لا يكونُ نسخًا، بل انتهاءٌ لأمدِ الحكمِ.

٧- أنْ يكونَ تأريخُ النسخِ قبلَ وفاةِ النبيِّ ﷺ المشرِّعِ لهذا الدينِ، وأما إذا تحققَ النسخُ من بعد وفاتِهِ فلا يُسمع ولو كان ممن كان.

٨- أنْ يكونَ مصدرُ الناسخِ في القوةِ والوثوقِ مثلَ المنسوخِ أو أكثر منه، ولذلك قال الشافعي: أنْ لا يُنْسَخُ الكتابُ بالسنةِ[2]، ولا السنةِ المتواترةِ؛ لعدمِ التكافؤ بين المتطاردَيْنِ.[3]

---

(١) الفتوى: الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية. أو رأي الفقيه في المسائل الشرعية، الذي استنبطه من أدلته. فتح الله، أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م): ٣١٥

الحكم: هو أمر يفتي به الفقيه، ويلزم به مقلديه وغير مقلديه، وهو أعم من الفتوى. المصدر نفسه: ١٦٦، القضاء: إصدار الحكم، والفصل في القضايا. المصدر نفسه: ٣٣٦

(٢) في الأصل: وحتى ولا السنة المتواترة.

(٣) لقد نقل الغزالي هذا الرأي عن الشافعي، ولم نحصل على ذلك في مؤلفات الشافعي.
←

٩- أنْ لا يتكررَ النسخُ إلى حَدٍّ يوهِمُ التلاعبَ بالمصالحِ العامةِ في الشريعةِ، أو تزولَ ثقةُ المتشرعينَ من صاحبِ الشريعةِ.

١٠- أنْ يكونَ الناسخُ والمنسوخُ أَمْرَيْنِ حقيقينِ جِدِّيَّيْنِ، لا انتحاليينِ صوريينِ، كأمرِ إبراهيمَ بذبحِ إسماعيلَ ثم نُسِخَ ذلكَ بالفداءِ، فليسَ هذا نسخاً في الحقيقةِ، بل عدولٌ من حصولِ الغايةِ، وهذا جوابُ مَنْ أَكْثَرَ مواردَ النسخِ[١])).

● **ثانيًا**: قال[٢]: ((اتفقَ الأصوليونَ من الشيعةِ، والمعتزلةِ، والزيديةِ، والأشاعرةِ ظاهرًا على أنَّ النسخَ في اصطلاحِهِم خلافُ الأصلِ والظاهرِ[٣]، ومعناهُ رَفْعُ حُكْمِ السابقِ بدليلٍ لاحقٍ لولاهُ لثبتَ الأولُ، وشروطُ البناءِ على النسخِ عشرةٌ، لَخَّصْناها من كتاب عدة الأصول[٤] لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠هـ) شيخِ الطائفةِ الشيعيةِ الإماميةِ، ومن كتابِ إظهار الحق[٥] للمولوي رحمه الله شيخِ طوائفِ الهندِ السنيينَ:

←

ينظر: الغزالي: المستصفى في أصول الفقه ١/ ١٠٠

(١) إنَّ السيد يوجه كلامه للعلماء القائلين بالنسخ، ولا سيَّما مَنْ قال بوجود المنسوخ في القرآن كثيرًا، وإنَّ هذه هي الشروط التي يجب توافرها في النسخ، فهل تحققت في الآيات التي تقولون بنسخها؟

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٦٣

(٣) هناك نقاش بين الأصوليين في مصطلح النسخ، وأنه مطابق للأصل، أو مخالف له، قال الشيخ الطوسي: ((وذهب أبو هاشم [الجبائي وهو من المعتزلة وغيره] إلى أنَّه حقيقة في الإزالة، مجاز في النقل، قال: لأنَّ من نسخ الكتاب لم ينقل ما فيه، وإنما أثبت مثله، فلمَّا كان كذلك فيجب أنْ يكون مجازًا، والأولى أنْ يُقال: إنَّهُ حقيقة فيهما؛ لأنَّا وجدنا أهل اللغة يستعملون ذلك...)). للتفصيل ينظر: الطوسي: العدة في الأصول ٢/ ٤٨٥- ٤٨٦، المحقق الحلي: معارج الأصول: ١٦١

(٤) ينظر ٢/ ٤٨٧-٤٩١

(٥) ينظر ٣/ ٦٤٣-٦٤٥

١- أنْ لا يكونَ الحكمُ عقليًّا فلسفيًّا، أو لغويًّا[١] كأصولِ العقائدِ، وأحكامِ الأجسامِ، أو النحوِ ونحوِهِ، ولا من قبيلِ القصصِ، والتواريخِ، والمواعظِ، والأخلاقِ، فهذهِ أمورٌ لا يطرأُ عليها الناسخُ والمنسوخُ، وأنْ لا يكونَ موردٌ من المسائلِ الحسِّيَّةِ، والعوارضِ النفسيةِ، ولا الأدعيةِ.

٢- أنْ يكونَ موردُ النسخِ من الأحكامِ الشرعيةِ الفرعيةِ العمليةِ.

٣- أنْ لا يكونَ ثابِتُ الاقتضاءِ، مُتَّصِفًا بالخُلودِ والأُبودِ[٢] معنىً[٣]، أو لفظًا، فالأبديُّ معنىً كالقضاءِ العادلِ، والنهيِ عن الظلمِ والجورِ، والأبديُّ لفظًا كآية ﴿**وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا**﴾[٤] فإنَّ نسخَهُ يؤدي إلى التناقُضِ.

٤- أنْ لا يكونَ محدودَ المدى[٥] والمدةِ معنىً، أو لفظًا، أما المحدودُ المعنويُّ فكقوله [تعالى]: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾[٦]، فإنَّ هذا الحكمَ محدودٌ باليتيمِ، وينتفي بذاتِهِ عندَ الرشدِ، وأما المحدودُ لفظًا فكآيةِ ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾[٧] [فإنَّ] نكاحَ المؤمناتِ بعدَ الكفرِ فلا يُعَدُّ[٨] من بابِ النسخِ، ومن هذا القبيلِ آيةِ ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾[٩]،

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) الأبود جمع الأبد، أي: الدهر، ويجمع آباد كذلك. المعجم الوسيط(الأبد).
(٣) في الأصل: معنا.
(٤) سورة النور: الآية ٤
(٥) في الأصل: المدا.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١٥٢
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٢١
(٨) في الأصل: فلا تعد.
(٩) سورة البقرة: الآية ١٠٩

فإذا أتى أمرُ اللهِ بحربِ المنافقينَ لا يُعَدُّ ناسخًا.

٥- أنْ لا يكونَ محدودًا بالزمانِ والمكانِ، كصومِ شهرِ رمضانَ، وحرمةِ الصيدِ في الحرمِ، فإنَّ تَبَدُّلَ الحكمِ خارجِ شهرِ رمضانَ، وخارجِ الحرمِ لا يُعَدُّ نسخًا.

٦- أنْ يكونَ المُكَلَّفُ فيهِ مُتَّحِدًا، فلو جاءَ حكمٌ في المؤمنينَ، ثم جاءَ نقيضُهُ في الكافرينَ، لم يَكُنْ من بابِ النسخِ، والمقصودُ من المكلفِ متعلِّقُ الحكمِ وموضوعُهُ.

٧- ...[١]

٨- أنْ يكونَ وجهُ الحكمِ في المَقامَيْنِ[٢] مُتَّحِدًا، فإذا جاءَ أمرٌ بعنوانِ الاستحبابِ، ثم جاءَ جوازُ تركِهِ، لم يَكُنْ هذا ناسخًا بذاكَ.

٩- أنْ لا يكونَ الجمعُ بينَ هذا وذاكَ ميسورًا، فلو جازَ الجمعُ بينَهُما بحملِ العامِّ[٣] على الخاصِّ، أو المُطْلَقِ على المُقَيَّدِ، أو غيرِ ذلكَ لم يَكُنْ من بابِ النسخِ، الذي هو رَفْعُ حُكْمٍ سابقٍ بدليلٍ لاحقٍ، لولاهُ لَثَبُتَ.

١٠- أنْ يكونَ المنسوخُ عُمِلَ بِهِ ولو مَرَّةً[٤] بِهِ، وأما إذا لم يُعْمَلْ بِهِ ثم جاءَ ناسِخُهُ عُدَّ من بابِ البداءِ لا النسخِ، ولم ينطبقْ عليهِ الرفعُ، بل هو دَفْعٌ[٥]، وفي هذا نظر.[٦]

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) أي الناسخ والمنسوخ.

(٣) في الأصل: العامة.

(٤) في الأصل: مرت.

(٥) وهذا بيان مهم في التفريق بين النسخ والبداء في مجال التطبيق، وسيتم بيان ما يتعلق بالبداء في المبحث السادس.

(٦) قطع في الأصل. والنظر يشمل جميع النقاط، وليس العاشرة؛ لأنه يرجح عدم النسخ في القرآن.

المبحث الثالث: الآيات التي يُستدل بها على النسخ وتفسيرها

إنَّ السيد ذكر في مخطوطاته الآيات المباركات التي يمكن أنْ تكون محور الحديث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وهي آيات متعددة معلومة، قد ذكرها العلماء والمفسرون في مؤلفاتهم، ولكنه يرى أنَّ هذه الآيات لا يمكن أنْ تكون دليلاً على الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، وسوف نذكر هذه الآيات على وفق تسلسلها في القرآن الكريم، ثم نذكر تفسيره لبعض هذه الآيات.

قال[١]: آيات النسخ والتبديل[٢]:

١- قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[٣]

٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.[٤]

٣- قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[٥]

٤- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ

---

(١) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢- ٣٢٦ تحت عنوان(النسخ في القرآن: آيات النسخ والتبديل).

(٢) إنَّ السيد قد ذكر تحت هذا العنوان الآيات الشريفة التي ورد فيها لفظ النسخ، أو التبديل، وإنْ كان أغلبها لا علاقة له بالنسخ في القرآن الكريم، وإنما أراد حصر الآيات التي يمكن دراستها في هذا الموضوع.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٦

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٤

(٥) سورة الأنعام: الآية ١١٥

هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.[1]

٥- قال تعالى: **﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾**.[2]

٦- قال تعالى: **﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾**.[3]

٧- قال تعالى: **﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾**.[4]

٨- قال تعالى: **﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**.[5]

وأما في بيان مناقشة الآيات التي يمكن الاستدلال بها على وجود النسخ في القرآن الكريم من العلماء القائلين بالنسخ، فلم يذكر السيد في تفسيراته أنَّ المراد من الآيات المباركة هو النسخ، بل وُجِّهَت بتوجيهات يرى أنها الأوفق لفهم النص القرآني، وبما يوافق ما يراه من عدم وجود نسخ في القرآن.

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١٥- ١٦

(٢) سورة يونس: الآية ٦٤

(٣) سورة النحل: الآيات ١٠١-١٠٣

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٦٢

(٥) سورة ق: الآية ٢٩

● **أولاً**: قال[١]: ((اعلم أنَّ النسخَ بالمعنى الذي فَصَّلناهُ وشرحناهُ[٢] لا خلافَ عندَ أهلِ العلمِ في شذوذهِ، وأنَّهُ أمرٌ استثنائيٌّ غيرُ طبيعيٍّ، أو بعبارةٍ أخرى وتعبيرٍ أحرى أَنَّهُ خلافُ الأصلِ، ومخالفٌ للظاهرِ، فلا تقبله العقولُ إلا بدليلٍ جليٍّ، وشاهدٍ قويٍّ، [فـ]الأصلُ عدمُ النسخِ، غير أنَّ الآياتِ القرآنيةَ يشيرُ بعضُها إلى لفظِ النسخِ، وإنْ كانَ مغايرًا معناهُ، ويشيرُ بعضُها إلى معنى النسخِ، ولو يغايرُهُ اللفظُ، مثال الأول [قوله تعالى:] ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٣]، ومن أمثلةِ الثاني [قوله تعالى:] ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٤]، وقد ذهبَ أكثرُ العلماءِ من الظاهريينَ[٥] وغيرِهم إلى أنَ هذهِ الآياتِ ناظرةٌ إلى تحقيقِ النسخِ في أحكامِ اللهِ، حتى التي سُجِّلَتْ في كتابهِ الكريمِ.[٦]

أما نحنُ معاشرُ المُتَأَمِّلِينَ والمُتَحَقِّقِينَ[٧]، فالراجحُ عندَنا أنَّ الآيةَ الأولى لا تنصُّ

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٤٢-٤٧ فصل(مدرك النسخ وشرحه الغامض).

(٢) يقصد ما تم بيانه في تعريفه للنسخ كما تقدم في المبحث الأول.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٦

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٥) أي يقصد العلماء أو المفسرين الذين يأخذون بظاهر اللفظ مطلقًا من غير تحقيق وتدقيق في ألفاظ القرآن الكريم، وهذا تعبير غير دقيق على العلماء، فإنَّ كبار العلماء والمفسرين أشاروا إلى الآية الشريفة واختصاصها بالنسخ. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٩٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٢٠١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٤٨

(٦) أي كذلك الآيات التي هي منسوخة في رأيهم فهي مكتوبة في القرآن الكريم، مع عدم الفائدة منها على فرض نسخها.

(٧) في الأصل: متأملين المتحققين.

على ما يريدُهُ النسخيُّونَ من نسخهِم، فالآية ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[١] واقعةٌ في سياقِ آياتٍ تشيرُ إلى شؤونِ الكافرينَ، وفي سياقِ آيةِ ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾[٢]، وهذا أمرٌ يُعِينُ جدًّا على فهمِ المرادِ، وأنَّهُ لا يخلو من أحدِ وجهينِ وجيهين:

* **الوجه الأول**: إنَّ المرادَ من الآيةِ[٣] النعمةَ الربانيةَ، والحكمةَ الإلهيةَ في خلقهِ، وكثيرٌ في القرآنِ الحكيمِ ورودُ لفظِ الآيةِ بمعنى النعمةِ والرحمةِ، كقولِهِ سبحانَهُ في سورةِ الروم: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤]، ثم عَدَّ من آياتِهِ اختلافَ ألسنتِنا وألوانِنا، [قال تعالى:] ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٥] التي هي بمعنى النعمةِ، وفي موردِ الرحمةِ، بناءً على هذا تكونُ معنى الآيةِ المبحوثِ عنها: إنَّ اللهَ لا ينسخُ نعمةً من نعمٍ، إلا أنْ يأتِيَ للإنسانِ بنعمةٍ أخرى خيرٌ من الأولى[٦]، أو مثلُ الأولى، كما قالَ الشاعرُ الفارسيُّ:

---

(١) في الأصل: فالآية(ما ننسخ من آية أو ننسها الخ) هي المتممة للمائة في سورة البقرة وواقعة في سياق ...

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٥

(٣) في الأصل: إنَّ المراد من آية النعمة الربانية.

(٤) سورة الروم: الآية ٢١

(٥) سورة الروم: الآية ٤٦

(٦) في الأصل: الأول.

خـــدا گـــر زحكمـــت ببنـــدد درى زرحمـــت گشـــايد در ديگـــرى[(١)]

فأينَ هذا المعنى الوجيهُ من معنى النسخيينَ، وتأويلِهم.[(٢)]

وسياقُ الآيةِ السالفةِ يؤيِّدُ هذا التفسيرِ ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ من الآيةِ النعمةَ والرحمةَ.[(٣)]

* **الوجه الثاني**: من الوَجْهَيْنِ الوَجِيهَيْنِ عندَنا حسبَ ما تبادرَ إلى فهمِنا الخالصِ من الشوائبِ، أنْ تكونَ الآيةُ ناظرةً إلى آياتِ أحكامِ التوراةِ والإنجيلِ، وشرائعَ سالفةٍ وسابقةٍ على الإسلامِ، ويؤيِّدُ ذلكَ ورودُ هذهِ في سياقِ آياتٍ تشيرُ إلى أحوالِ أهلِ الكتابِ، فيكونُ المرادُ: إنَّ اللهَ سبحانَهُ لا ينسخُ آيةً حُكْمِيَّةً، أي: لا يُبطلُ مدلولَ آيةٍ من التوراةِ، أو الإنجيلِ في شريعةِ موسى و عيسى، إلا ويقرِّرُ بحكمتِهِ آيةً حُكْمِيَّةً أُخرى في شريعةِ محمدٍ ﷺ، تفوقُ الآيةَ المنسوخةَ في المصلحةِ، أو تكونُ مثلها في قبولِ العامةِ.[(٤)]

---

(١) ومعناه: إذا اقتضت الحكمة الإلهية أنْ يسد الله تعالى بابًا على العبد، فالرحمة الإلهية تقتضي- أنْ يفتح له بابًا أخرى. والمعنى الإجمالي المقصود: إنَّ الله لا يعمل للعبد شيئًا إلا عن صلاح.

(٢) إنَّ هذا القول لا يخالف ما يذهب إليه القائلون بالنسخ، فالحكمة هي أساس التشريع.

(٣) لم يذهب المفسرون إلى هذا المعنى وما ورد من توجيه للآية الشريفة. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٩٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٢٠١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٠٥-١٠٧، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٦٤٠-٦٤١

وقد نسب مثل هذا القول إجمالاً إلى أبي مسلم الأصفهاني كما ذكره الطبرسي في تفسيره: ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٣٩

(٤) لم يذهب إلى هذا المعنى المفسرون وما ورد من توجيه للآية الشريفة. ينظر: المصادر التفسيرية السابقة.

والفرقُ بينَ هذا الوجهِ[١] وبينَ الأولِ السابقِ عليهِ، أنَّ الأولَ يُفَسِّرُ النسخَ بالتبديلِ، ويُفَسِّرُ الآيةَ بمعناها اللغويِّ، بينما الوجهُ الثاني يوافِقُ جماعَةَ النسخيينَ في معنى الآيةِ اصطلاحًا، كما يوافقُهُم في معنى النسخِ.

* **الوجه الثالث**: وهنا وجهٌ ثالثٌ لتفسيرِ آيةِ النسخِ يخالفهُ أيضًا ما يريدهُ النسخيونَ، وهو أنَّ تفسيرَ الآيةِ بمعنى المعجزةِ، أو الحكمةِ الغريبةِ[٢]، التي يُبديها ربُّ البشرِ على أيدي رُسُلِهِ لهدايةِ الناسِ، على غِرارِ قولِهِ سبحانهُ في سورةِ الروم: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ**﴾[٣]، [وقوله تعالى:] ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾[٤]، و[قوله تعالى] في سورة الشورى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾[٥]، وتجدُ القرآنَ الكريمَ في هذهِ الآياتِ يستعملُ لفظَ الآيةِ في معنى الحكمةِ الغريبةِ، كما أنَّ القرآنَ قد استعملَ في الآياتِ

---

(١) في الأصل: والفرق بين هذا الوجه والوجه الثاني وبين الأول.

(٢) لم يذهب إلى هذا المعنى المفسرون فيما ورد من توجيه للآية الشريفة. فالآية هي العلامة، والإمارة، والعبرة وغيرها. المعجم الوسيط(الآية)، ولكن قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره بعد بيانه لمعاني لفظ(الآية) في القرآن الكريم: ((وتكون بمعنى المعجزة كما في قوله تعالى: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾ [سوة طه: الآية ٢٢] والمعنى المشترك بين كل هذه المعاني هو العلامة)). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ١/ ٢٣٨

(٣) سورة الروم: الآية ٢٥

(٤) سورة الروم: الآية ٢٠

(٥) سورة الشورى: الآية ٢٩

السوالفِ[١] لفظَ الآيةِ في غرائبِ النعمةِ، وشواهدِ الرحمةِ، وكُلُّ هذهِ الاستعمالاتِ تخالفُ[٢] ما أرادهُ النسخيونَ من تفسيرِ الآيةِ بمعنى ألفاظِ الوحيِ الدالةِ على أحكامٍ شرعيةٍ، تقبلُ التبديلَ والإبطالَ، فإذا كانت المعاني الثلاث التي جنحنا إليها في تفسيرِ الآيةِ موافقةً لنا، ومخالفَةً لجماعةِ النسخيينَ كانَتْ تفاسيرُنا أرجحَ من تفسيرِ النسخيينَ، وفي نفسِ الوقتِ نجدُ رأيَ النسخيينَ، مخالفًا لحجةِ العقلِ، ومخالفًا الحقَّ، ومخالفًا لظواهرِ القرآنِ الكريمِ؛ لذلكَ يتعيَّنُ العدولُ عن رأيِ النسخيينَ إلى رأينا المقبولِ عندَ ذوي العقولِ)).

- **ثانيًا**: قال[٣] لنا أجوبة عن هذا الاعتراض:

١- **أولاً**[٤]: احتمالُ كَوْنِ الآيةِ بمعنى المعجزةِ[٥]، كما قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾[٦]، فانقضاءُ معجزةٍ لأحدِ الرسلِ بالمحوِ والنسيانِ، يستدعي لهدايةِ الناسِ إتيانَ خيرٍ منها، أو مثلِها على الأقل.

---

(١) أي الشواهد أو الدلائل الماضية والمتقدمة، فالسَّوالِف جمع السَّالِفة أي الأمم الماضية أمام الغابرة أو المتقدمة. ابن منظور: لسان العرب مادة(سلف).

(٢) في الأصل: يخالف.

(٣) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط الدلائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٤/ ٣٢٩ وهو جواب لسؤال نصه: ((يجعل القرآن بدل المنسوخ مثله أو خيرًا منه كما قال: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ في حين أنَّ الآية التي تأتي ناسخة لا بد وأنْ تكون خيرًا من المنسوخة؛ إذ لو كانت الناسخة مثل المنسوخة لزم من ذلك العبث واللغو، وكان الأحرى أنْ لا ينسخ الله شيئًا بإيجاد مثله)).

(٤) في الأصل: يخالف.

(٥) لم يذكر المفسرون هذا المعنى للآية الشريفة كما تقدم.

(٦) سورة القمر: الآية ٢

٢- **ثانيًا**: احتمالُ كَوْنِ الآيةِ بمعنى النعمةِ، وهذا كالوجهِ الأولِ لا يستلزمُ اللغوَ.

٣- **ثالثًا**: إنَّ الآيةَ بمعنى جملةٍ من الوحيِ، تشتملُ على حُكْمٍ إلهيٍّ، ونسخُ الآيةِ بناءً على هذا قد يكونُ بسببِ انتهاءِ المُقتضي، أي: مصلحةٌ في ذلكَ الحُكْمِ، فيجدرُ الإتيانُ بمثلِهِ بدلاً عَنْهُ، وقد يكونُ نسخُها بسببِ وجودِ مانعٍ قويٍّ، فيجدرُ الإتيانُ بما هو خيرٌ منها، وأقوى.

٤- **رابعًا**: إنَّ النسخَ قد يكونُ في آيةٍ، أي: محوها، وقد يكونُ بنسيانِ الآيةِ، فيأتي اللهُ بخيرٍ منها إذا وقعَ نسخًا، ويأتي اللهُ بمثلِها إذا وقعَ نسيانًا، والنسيانُ مَحْوُ صورةٍ ذهنيَّةٍ تستدعي بدلَها، وبعبارةٍ أخرى إنَّ في الآيةِ مَوْضُوعَيْنِ وحُكْمَيْنِ: فموضوعُ النسخِ حُكْمُهُ الإتيانُ بخيرٍ منهُ، وموضوعُ النسيانِ إتيانُ مثلِهِ.

٥- **خامسًا**: ...[1]

● **ثالثًا**: قال[2]: ((لسياقِ الآيةِ تأثيرٌ عاديٌّ على دلالةِ الآيةِ أشرنا إليهِ في غيرِ موضعٍ من التفسيرِ، وإنْ عُدْتَ إلى الآيةِ السابقةِ أعني [قوله تعالى]: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾[3] عرفتَ من سياقِها أنَّ المرادَ من آيةِ ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[4] حكمٌ شرعيٌّ متعلقٌ بشرائعِ الكتابيينَ وأشباهِهم، وأنَّها تمثلُ صراعًا ونزاعًا بين الوحيِ المحمديِّ، والوحيِ العيسويِّ، أو الموسويِّ، [وقد] كان

---

(١) قطع في الأصل.

(٢) مخطوط القرآن إمام الكل: ٤٢ عنوان(تمام الكلام في آيات النسخ).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٥

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٦

الكتابيونَ لا يرضونَ أنْ ينزلَ اللهُ بـ[إثر] عهدِ العهدينِ كتابًا على النبيِّ العربيِّ، فيبدِّلَ منزلةَ وحيِهم، ومكانَةَ شرعِهم، وهذا محسوسٌ من وجوهِ القومِ حتى اليوم[١]، كما أنَّ المرادَ من الخيرِ[٢] المنزلِ في الآيتينِ هو القرآنُ وآياتُهُ، فلا يُسْتَشْعَرُ من هذهِ الآيةِ أنَّها بصددِ نسخِ آيةٍ قرآنيةٍ لآيةٍ قرآنيةٍ مثلِها[٣]، بل يُسْتِشْعَرُ نسخُ آياتِ القرآنِ لآياتٍ في سائرِ الأديانِ[٤]، كما نوضح ذلك في آية ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ**﴾[٥])).

المبحث الرابع: أدلة القائلين بالنسخ ومناقشتها

لقد ذكر السيد الشهرستاني في مخطوطاته بعض أدلة القائلين بالنسخ في القرآن الكريم، وما استدلُّوا به على النسخ في كتاب الله تعالى من آيات وروايات، ثم ناقش ذلك بما يؤيد ما يذهب إليه من نفي النسخ في القرآن الكريم.

- **أولاً**: قال[٦]: ((وأوضحَ ما استدلَّ به النسخيونَ آيةَ القبلةِ وتحويلِها عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ[٧]. نعم، ولكنَّ القرآنَ لم يشرِّعِ استقبالَ بيتِ

---

(١) تعبير لطيف منه بقوله: (حتى اليوم)، فهو يدل على تتبعه لأقوال رجال معتقدات الديانتين اليهودية والمسيحية، ومعرفة وجهة نظرهم تجاه الشرائع الأخرى.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**بِخَيْرٍ مِنْهَا**﴾.

(٣) إنَّ الفخر الرازي قد ذهب إلى هذا في تفسيره فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة، ولعل السيد قد تأثَّر به والله أعلم. ينظر: التفسير الكبير ٣/ ٦٣٨-٦٣٩

(٤) لم يذكر المفسرون ذلك كما تقدم.

(٥) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٦) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢

(٧) وهو قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ**
←

المقدسِ حتى ينسخَها بالأخرى[١]، وإنَّما القرآنُ شَرَّعَ استقبالَ الكعبةِ والمسجدِ

→

المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. [سورة البقرة: الآية ١٤٤]

وقد ذكر ذلك المفسرون وكل من أورد الآيات المنسوخة في كتبه أنَّ الآية الشريفة من الآيات الناسخة. ينظر: ابن شهاب الزهري: الناسخ والنسوخ في القرآن الكريم: ٥٦، النحاس: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١٤، الشريف المرتضى: الآيات الناسخة والمنسوخة، تح: علي جهاد الحساني، (مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م): ٥٧–٥٨ وغيرهم، قال السيد الخوئي: ((فقد صَرَّحَ القرآنُ الكريمُ بنسخِ حكمِ التوجُّهِ في الصلاةِ إلى القبلةِ الأولى، وهذا مما لا ريبَ فيه)). البيان في تفسير القرآن: ٣٠١

(١) إنه يمكن الاستدلال بأنَّ الله تعالى قد شرَّع التوجه إلى بيت المقدس وإنْ لم يذكر لفظ (بيت المقدس) من خلال التأمل في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾. [سورة البقرة: الآية١٤٢]، وسياق الآيات يؤيد ذلك، وقد وردت روايات متعددة بأنَّ النبيﷺ كان قد صلى إلى بيت المقدس مدة طويلة منها: سبعة أشهر، أو تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، أو ثلاثة عشر شهرًا، أو ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، بل ورد في الرواية عن الإمام الصادقعليه السلام قال: (**تحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى النبيﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أنَّ اليهود كانوا يعيِّرون رسول اللهﷺ ويقولون له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، فاغتمَّ رسول اللهﷺ من ذلك غَمًّا شديدًا، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالى في ذلك أمرًا، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرائيلعليه السلام فأخذ بعضديه وحَوَّله إلى الكعبة وأنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وكان صلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة**). للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٢٢٥–

←

الحرامِ، فإذا سَمَّينا هذا ناسخًا قرآنيًّا كانَ من قسمِ الناسخِ الذي لا منسوخَ بإزائِهِ في القرآنِ، وكذلكَ آيةَ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1] المزعومَ نسخُها بعدَ أيامٍ قلائِلَ، ولم يثبتْ لَهُ ناسخٌ قرآنيٌّ[2]، وقد اشترطنا في النسخِ أنْ يكونَ إبطالُ حكمٍ ببدلٍ خيرٍ منه، أو مثله[3]، فلا يدخلُ فيه [أي: النسخ] ناسخٌ بلا منسوخ، ولا منسوخٌ بلا ناسخٍ، فتأمل.

ومما نحتملُهُ في نسخٍ[4] آيةِ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ إنَّ كثيرينَ كانوا يتنافسونَ في المبادرةِ إلى النجوى مع النبيِّ؛ ليتوهَّمَ العامَّةُ بأنَّهُمْ خزانةُ أسرارِ النبيِّ ﷺ، فيؤذونَهُ بِبَخَرِ أفواهِهِمْ[5]، وعفونَةِ أسنانِهم،

→

٢٢٦، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٢٢-٤٢٣، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٤/ ٩٤-٩٦، البحراني: البرهان في تفسير القرآن، تح و تع: لجنة من العلماء والمحققين الأصوليين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٩م) ١/ ٣٤١-٣٤٤

(١) سورة المجادلة: الآية ١٢

(٢) هذه الآية من الآيات التي ذكرها كل العلماء الذين يذهبون إلى القول بالنسخ في القرآن الكريم، وقد ناقش السيد الخوئي هذه الآية نقاشًا علميًّا دقيقًا. ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٩٣-٤٠٠

(٣) تقدم بيان شروط النسخ في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٤) يقصد بالنسخ ما أطلق عليه(النسخ الطبيعي)، وليس النسخ المعهود عند العلماء؛ لأنَّ رأيه فيه واضح، وقد صرَّح به.

(٥) البَخَرُ: الرائحة المتغيرة من الفم، وأَبْخَرَهُ الشيءُ صَيَّرَهُ أَبْخَرَ، وبَخِرَ أَي نَتُنَ من بَخَرِ الفَم الخبيث. لسان العرب مادة(بخر).

ومفثَّةِ لِجَاهُمْ[(١)]، وتضييعِ وقتِهِ الثمينِ، وتشويشِ أفكارِ الحاضرينَ، فوضعَ النبيُّ[ﷺ] على هؤلاءِ ضريبةَ الصدقةِ؛ لينتهوا عن عملِهِم[(٢)]، فانتهوا وتركوا تلكَ العادةَ، فبانتهاءِ العلةِ انتهى المعلولُ، ومثله نُسَمِّيهِ في مذهبِنا العلميِّ نسخًا طبيعيًّا، أو انتساخًا بانتهاءِ المؤثِّرِ للأثرِ)).[(٣)]

- **ثانيًا:** قال[(٤)]: ((تشبَّثَ النسخيونَ بكلامِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في إحدى خطبهِ من النهجِ: **(كتابُ ربِّكُم فيكُم، مبيِّنًا حلالَهُ وحرامَهُ، وفرائِضَهُ وفضائِلَهُ، وناسِخَهُ ومنسوخَهُ)**[(٥)]))

وجوابنا عنه:

---

(١) في الأصل: ومغثة لحاهم. ولعله مفثة أي: الكثرة أو النزول. ابن منظور: لسان العرب مادة(فثث).

(٢) إنَّ كُلَّ ما تقدم من الأسباب التي ذكرها السيد في بيان أسباب رفع حكم دفع الصدقة عند المناجاة لم تكن هي الأساس في تغيير الحكم بعد تشريعه، ولم يذكرها المفسرون، بل إنَّ الرحمة والشفقة بالمسلمين هو الغالب في حكمة النسخ كما ذكروه. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٥٥٢، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٤٩٣، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٤١٩

(٣) إنَّ ما ذكره السيد لم يذكره المفسرون في تفاسيرهم، ولم يرد في روايات السنة الشريفة، ولا يمكن إطلاق العلة على ما ذكره من أسباب عبَّر عنها بالاحتمال؛ لأنَّ علل التشريع لا يعرفها إلا المشرِّع، أو مَنْ أطلعه عليها بعد بيان منه.

(٤) مخطوط معجم الفقيه: ١٢٦

(٥) في الأصل: إنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا... إلخ. ولكن بعد التتبع لا يوجد في نهج البلاغة النص الذي ذكره السيد الشهرستاني، وإنما ورد ما أثبتناه في المتن من الخطبة الأولى للنهج، والتي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم. ينظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ١/ ١٩

* **أولاً**: بأنَّ الناسخَ والمنسوخَ في رأيِ تلميذِهِ عبد الله بن عباس أنَّهما المحكمُ والمتشابهُ، كما حكى عنه محمدُ بنُ شهرآشوبٍ في أول كتابه متشابهات القرآن.[١]

* **ثانيًا**: إنَّهُ قالَ: **(إنَّ في القرآنِ ناسخًا ومنسوخًا)**، ولم يقل: من القرآنِ ناسخٌ ومنسوخٌ، ولا قال: ناسخاتٌ ومنسوخاتٌ[٢]، وذلكَ منه إشارةٌ إلى آيةٍ منسوخةٍ من توراةِ موسى ذُكِرَتْ في القرآنِ بحكمةِ الامتنانِ وهي قوله: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٣]، وقد نسخَها القرآنُ بقولِهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٤]، وشاهِدُنا على ذلكَ ما في رياض المسائل[٥] في (القولِ في الشرائطِ المعتبرةِ في القصاصِ)[٦]

---

(١) متشابه القرآن ومختلفه، تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط أمير، قم، ط٣، ١٤١٩هـ) ١/ ٢ وطبع الكتاب كذلك بعنوان(متشابهات القرآن ومختلفه).

(٢) إنَّ هذا غير دقيق وتام، فكُلُّ من شرح كتاب نهج البلاغة قد ذكر في بيان الخطبة هو اشتمال القرآن على الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغيرها، ويجب الرجوع في القرآن إلى أهله، فضلاً عن وجود روايات تؤكِّد ذلك، وقد تقدمت بعضها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٥

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٨

(٥) في الأصل: رياض المسائل في شرح المختصر النافع ج٢ ص ٥٩٦

(٦) في الأصل: في قصاص الأطراف.

قالَ ما نَصُّهُ: ((وعن[١] تفسير علي بن إبراهيم القمي أنَّ[٢] قوله تعالى: ﴿**الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى**﴾ ناسخٌ[٣] لقولِهِ تعالى: ﴿**النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾، وظاهرهُ أَنَّهُ لا يكتفي بالاقتصاصِ منها، ويدلُّ عليهِ المروي في الوسائل[٤] عن المرتضى في رسالته[٥] المحكم والمتشابه[٦] بإسناده عن عليعليه السلام [في حديث قال][٧]: **ومن الناسخِ ما كانَ مثبتًا في التوراةِ من الفرائضِ في القصاصِ، وهو قولهُ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾، فكانَ الذكرُ والأُنثى والحُرُّ والعبدُ شرعًا، فنسخَ اللهُ تعالى ما في التوراةِ بقولِهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾**[٨]، **فنسخَتْ هذهِ الآيَةَ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾**)).[٩]

---

(١) في الأصل: إنَّ في.

(٢) في الأصل: في.

(٣) في الأصل: ناسخا.

(٤) في الأصل: يؤيده ما في الوسائل. أي كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي. ينظر: ٢٩/ ٨٦ باب (حكم الرجل يقتل المرأة، والمرأة تقتل الرجل) الحديث ١٩

(٥) في الأصل: عن الشريف المرتضى في رسالة.

(٦) الشريف المرتضى، علي بن الحسين: رسالة المحكم والمتشابه، تح و تق: السيد عبد الحسين الغريفي (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ): ٦٥

(٧) ليس في أصل المخطوط، بل في كتاب الرياض .

(٨) سورة البقرة: الآية ١٧٨

(٩) الطباطبائي، علي: رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢٢هـ) ١٤/ ٥٩

المبحث الخامس: أدلة نفي النسخ

إنَّ السيد الشهرستاني يرى -كما ذكرنا- عدم وجود أية آية منسوخة في القرآن الكريم، وقد أقام على ذلك أدلة متعددة تؤيد ذلك، يناقش من خلالها أدلة القائلين بالنسخ، ونوردها كما يأتي:

- **أولاً**: يقول[1]: ((لكنما القائلونَ بوجودِ آياتٍ في الذكرِ الحكيمِ منسوخةِ الحكمِ، باقيةِ اللفظِ ذهبوا شططًا، وارتؤا غلطًا؛ إذ قاسوا كتابَنا السماويَّ الخالدَ على كتبٍ سماويةٍ بائدةٍ منسوخةٍ، أو منسيةٍ، أي: منقرضة، بينما شرعُ الإسلامِ خالدٌ بخلودِ البشرِ، وباقٍ ببقاءِ الدنيا، وحلالُ محمدٍﷺ حلالٌ إلى يومِ القيامةِ، وحرامُ محمدٍﷺ حرامٌ إلى يومِ القيامةِ[2]، ولنا على ذلكَ أدلةٌ وشواهدُ:

١- فمنها: إنَّ القرآنَ كتابُ اللهِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفهِ، ولو اشتملَ على آياتٍ منسوخةِ الحكمِ، غيرِ مقصودةِ المعنى، لانتقصَ هذا المَبْنى، واختلَّ ذلكَ المَعْنى.[3]

---

(١) مخطوط تنزيه التنزيل: ٩٧-١٠٠ تحت عنوان(درس حول النسخ ونفي المنسوخات من القرآن الحكيم بأدلة عشرة). فالسيد قد ذكر أحد عشر دليلاً على نفي النسخ في القرآن، ولكنه ذكر في العنوان أنَّ الأدلة عشرة. وينظر: الشهرستاني: مخطوط الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٢/ ١٨٢، مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٩٥

(٢) الكليني: الكافي ١/ ٥٨ باب(البدع والرأي والمقائيس) الحديث ١٩

(٣) وهنا قد يرد سؤال مفاده: إذا كان المشرِّع حكيمًا، لا خلاف في حكمته، فلا يكون هناك أي خلل، فهو يرى أنَّ التشريع المعين تحتاجه الأمة إلى مدة معينة؛ لأنَّ أصل التشريع لبناء الأمة وتربيتها، وهذا يحتاج إلى أطوار متعددة، فلا إشكال حينئذ في النسخ، ولا مجال لطروِّ الباطل على الشريعة.

٢- ومنها: إنَّه حُجَّةٌ تامَّةٌ، وهدايَةٌ عامَّةٌ، ولو فَرضنا فيهِ ما لا يُهْتَدى بـه، ولا يُقْتَدى بـه، لانتقصَ[١] عن كونِهِ تامًّا، وانتقصَ كونَهُ هدًى عامًّا.[٢]

٣- ومنها: إنَّ المنسوخَ بمعنى إبطالِ حُكْمِهِ، [فـ]إذا بقيَ في هذا القرآنِ كـانَ بقاؤُهُ لغـوًا، وحاشاهُ من اللغوِ، بل فوقَ عدمِ الفائدةِ منه يُستوجِبُ المفسدَةَ لأكثرِ القُرَّاء في إغرائِهم، والإيهامِ، والإبهارِ عليهِم، ويُجَلُّ القرآنُ الحكيمُ عن هذه النواقصِ.[٣]

٤- منها: إنَّ النسخَ بهذا المعنى، أي: بإبطالِ المعنى والحكمِ، وإثباتِ اللفظِ والتلاوةِ، ربما جازَ وقوعُهُ في اليهوديةِ والمسيحيةِ، وأديانٍ شُرِّعَتْ لأممٍ خاصَّةٍ في مُدَدٍ مخصوصةٍ، [و]التي ينتهي عمرُها بظهورِ دينٍ أَجَدَّ وأَسَدَّ، أما في مثلِ هذا الدينِ الباقي، وكتابِهِ الزاهي الخالِدِ، فلو جازَ لم يبقَ امتيازٌ لَهُ، ولِحُلَّةِ خلودِهِ القشيبةِ[٤]،

---

(١) في الأصل: لئن تقص.

(٢) نرى خلاف ذلك، بل ليتبيَّنَ للأجيال اللاحقة لعصر النزول عناية الله تعالى الكبيرة بالناس، من أجل تربيتها نحو الأصلح تدريجيًّا، وهذا ما أشار إليه النحاس إجمالاً في تعريفه للنسخ، وخصوصًا أنَّ تلك الآيات هي قليلة جدًّا بالنسبة للقرآن كله.

(٣) إنَّ هذه المفاسد التي يشير إليها السيد لا مورد لها في الشريعة المقدسة، فضلاً عن أنَّ الحكم المنسوخ ليس باطلاً، وإنما تبدَّل إلى حكم آخر لمصلحة ما، وكلاهما حق، ولكن العمل سيكون بالثاني في هذه المرحلة، وهذا ما يمكن فهمه من كلمات الأعلام في بيان معنى النسخ اصطلاحًا، فعلى الرغم من تكرار قوله: (النسخ إبطال) في موارد متعددة، إلا أننا قد رأيناه يذكر في سطور مخطوطة قوله: ((في آية **﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾** دلائلُ على أنَّ المرادَ الإبدالُ لا الإبطالُ، بقرينةِ عطفِ **﴿أَوْ نُنْسِها﴾** على النسخِ...)). مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٣١

(٤) القشيب والحُلة الثوب الجديد الذي اكتسى به القرآن في كُلِّ زمان، وفيه استعارة لكماله وجماله، وما فيه من تجدد.

ولزِمَ أنْ تمسَّهُ يَدُ إصلاحٍ جديدةٍ.[١]

٥- ومنها: لزمَ تبعيضُ القرآنِ في الحُجِّيَّةِ والقصدِ، والصفاتِ الكماليةِ الأخرى، فتبقى الأبعاضُ المنسوخَةُ على تفسيرِ النسخيينَ خلوةٌ من صفةِ الهدايةِ والإمامةِ، وامتيازِ الإعجازِ، واستحقاقِ العملِ بها، والاهتداءِ والاقتداءِ و.. و..

٦- ومنها: إنَّ ذلكَ منافٍ لآياتٍ محكمةٍ كآيةِ ﴿**تَنْزِيلُ الكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾[٢] لكثرةِ الارتيابِ الحادثِ من وجودِ المنسوخاتِ فيهِ[٣]، وكآية ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[٤]، فإنَّ المنسوخاتِ لا تستحقُّ انطباقَ هذا الوصفِ الجليلِ الجميلِ.

٧- ومنها: إنَّ وجودَ هذهِ الآياتِ المنسوخةِ يمسُّ بكونِ القرآنِ معجزًا كُلِّه، ومشتملاً على الجذبةِ الروحيةِ في كُلِّ آيةٍ آيةٍ، وكذلكَ يمسُّ بقولهِ سبحانه: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٥]، ونحوِها من

---

(١) قد يرد سؤال أو إشكال على ما ذكره السيد مفاده: لماذا يصح النسخ في الديانتين اليهودية والمسيحية، ولا يصح في الشريعة الإسلامية والمشرِّعُ للرسالة واحد، حكيم عليم بمصالح عباده، ولو صح ما يرد على الديانتين لأمكن القول في وقت تشريعاتها أنَّ هذه الأحكام في الحقيقة باطلة؛ لأنها ستنسخ بعد ذلك في شريعة دين جديد، وهذا ناشىء من الخلط بين مصطللحي الإبطال والتبديل، وإطلاقهما على النسخ.

(٢) سورة السجدة: الآية ٢

(٣) إنَّ عدد الآيات المنسوخة قليلة جدًّا، وقد تم الأشارة إليها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٤) سورة هود: الآية ١

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٨

آياتِ التحدِّي والإعجازِ.[١]

٨- منها: ينافي ذلكَ حديثَ حبرِ الأمةِ، وتلميذِ أبي الأئمةِ عبد الله بن عباس[٢]، وجملةٍ من أئمةِ آلِ محمدٍ [ﷺ]، وجماعةٍ من التابعينَ الذينَ فَسّروا الناسخَ والمنسوخَ بغيرِ ما يراهُ النسخيونَ.[٣]

٩- ومنها: ينافي وجودُ المنسوخِ الزائدِ في القرآنِ ما وردَ من عرضِ الأخبارِ المشكوكِ فيها من السنةِ على كتابِ الله، وإنَّ ما وافقَهُ مقبولٌ، وما خالفَهُ مردودٌ.

١٠- ومنها: ينافي وجودُ المنسوخِ الزائدِ ما جاءَ في خبرِ الثقلينِ، وخطبةِ حجةِ الوداعِ: ((**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِيَ أَبَدًا**))[٤]، فإنه يَعُمُّ القرآنَ كُلَّهُ، فلا ينبغي إخراجُ شيءٍ غيرِ مقصودٍ منه، فلو كانَ فيه منسوخاتٌ كما يزعمونَ، لم يَجُزِ التمسكُ بهنَّ، ولا الاهتداءُ، والاقتداءُ، والاعتصامُ و.. و..

١١- ومنها: إنَّ هذا الرأيَ الفاسخَ في المنسوخِ والناسخِ ينافي الحكمةَ الإلهيةَ، والعصمةَ القرآنيةَ، وما تدلُّ عليه آيةُ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٥]، وآية: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[٦]، بل وينافي عصمةَ

---

(١) إنَّ كُلَّ ما تقدم في هذه الفقرة والخامسة والسادسة قائم على معنى الإبطال والبطلان، لا التبديل.

(٢) وقد تقدم قول ابن عباس بأنَّه يفسر الناسخ والمنسوخ بالمحكم والمتشابه: ٢٤٩

(٣) لقد وردت بعض الروايات التي تفسر المحكم والمتشابه بالناسخ والمنسوخ عن ابن عباس وغيره. للتفصيل ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٧٤-٧٦

(٤) أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ٣٤ باب(تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة ووجوب نقض الحكم مع ظهور الخطأ) الحديث ٩

(٥) سورة المائدة: الآية ٣

(٦) سورة مريم: الآية ٦٤

النبـيِّ [ﷺ] مـن السـهوِ والنسـيانِ في التبليـغِ[١]، الأمـرُ الـذي أجمعَـتِ الأمـةُ الإسلاميةُ عليهِ.

تلـكَ[٢] أَدِلَّتُنـا عـلى تنزيـهِ القـرآنِ الحكيـمِ مـن أحكـامٍ منسـوَخةٍ، أو آيـاتٍ غـيرِ مقصودَةٍ)).[٣]

- **ثانيًا:** قـال[٤]: ((النسـخُ في القـرآنِ ممنـوعٌ عنـدي؛ لأنَّ الشـريعةَ جعلتـهُ ميـزانَ الجـرحِ والتعـديلِ في الحـديثِ المتـواترِ عنـهُ ﷺ: ((**مـا وافـقَ كتـابَ الله فخـذوهُ، ومـا خالفَـهُ فاتركوهُ**))[٥]، فلو كانَ في القرآنِ منسوخٌ اختلَّ هذا الميزانُ، وأيضًا إنَّهُ المعجزُ الخالـدُ فـلا يتمُّ لو كانَ بعضُهُ منسوخًا، وأيضًا إننا مكلَّفونَ بالتمسكِ والاهتداءِ بـه، فـلا يجوزُ عليـهِ نسخٌ و...[٦])).
- **ثالثًا:** قال[٧]: ((نعم ثبتَ لدينا النسخُ في أحكامِ الشريعةِ بعضِها لبعضٍ، وأما الآياتُ

---

(١) إنَّ ما يذهب إليه السيد من أنَّ النسخ ينافي العصمة لا مـورد لـه؛ لأنَّ النبيﷺ يبلِّـغ عـن الله تعالى لا عن نفسه، فلو كان من الحكمة الإلهية أنْ يشرِّع أمرًا لوقتٍ معينٍ، ثـم يشـرِّع غيره في وقت آخرٍ، فالنبيﷺ ليس له من الأمر شيئًا سـوى التبليـغ، ولا منافـاة لعصـمته حينئذٍ، بل هو أمين على الوحي في التبليغ، ولو كـان الأمـر كـما يـذهب إليـه السيد، للـزم ذلك في البداء أيضًا وليس في النسخ فقط.

(٢) في الأصل: تلك عشرة كاملة من أدلتنا ...

(٣) نـرى أنَّ كُلَّ ما ذكره السيد من أسباب، هي غـير تامـة القطـع عـلى نفـي النسـخ، ويمكـن مناقشتها.

(٤) مخطوط الحواصل ٢/ ١٨٢

(٥) الكليني: الكافي ١/ ٦٩ باب (الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب) الحديث ١ وما بعده.

(٦) قطع في أصل المخطوط.

(٧) مخطوط الدلائل والمسائل ١١/ ٧١ وهو جواب لسؤال نصـه: ((بلغنـا عـنكم أنَّ النسـخ ←

فلا يبعدُ نزولُ شيءٍ منها في ظروفٍ[(١)] خاصةٍ، ثم نسخَها بأحكامٍ عامةٍ، لكنما النبيُّ ﷺ لم يأمُرْ أصحابَهُ بحفظِها وتدوينِها[(٢)]، فلا توجَدْ في المصحَفِ المُدَوَّنِ آيةٌ منسوخةٌ؛ لعدمِ المقتضي في إثباتِها، ووجودِ المانعِ القويِّ من تدوينِها، وعدمِ دليلٍ علميٍّ على الآياتِ المنسوخةِ، أما عدمُ المقتضي فلأنَّ أحكامَها منسوخةٌ حسبُ المفروضِ، فلا فائدةَ في إثباتِ ألفاظِ الحكمِ المتروكِ، وأما الموانعُ فكثيرةٌ أدناها تدخلُ الريبَ من إثباتِها في المصحفِ، حتى لا يمرَّ المهتدي بالقرآنِ على آيةٍ منهُ، إلا ويحتملُ كونَها منسوخةً وباطلةً، فلا(يجرم البتة).[(٣)]

ومن المعلومِ عصمةُ القرآنِ من تَدَخُّلِ الرَّيبِ، وينبغي أنْ يكونَ الإمامُ، والهادي، والحُجَّةُ معصومًا من الريبِ، وأما عدمُ الدليلِ العلميِّ على نسخِهِنَّ فالتحرِّي أسفرَ عن ضعفِ الأخبارِ المرويةِ في هذا الصددِ، فلا تخرجُ عن كونِها أخبار آحاد[(٤)]، فلا

→

طرأ في الأحكام الإسلامية دون الآيات القرآنية، فلا تعدُّون آية منسوخة في آيات القرآن، فما تقولون في آية ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٦]، وفي كلام الإمام[علي عليه السلام] في إحدى خطب نهج البلاغة ص ٣٨ من مجلد الأول لشرح ابن أبي الحديد عند وصف خلق آدم فينتهي على مبعث رسول الله ﷺ ومدح القرآن بقوله: ((**وَخَلَّفَ فيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، ولا عِلْمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيِّنًا حَلالَهُ وَحَرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ إلخ**))، وكذلك المروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لـ أبي حنيفة ضمن تشديده في تفسير القرآن: ((**هل عرفتَ ناسخَهُ ومنسوخَهُ**))، إلى غير ذلك من المأثورات)).

(١) في الأصل: ضروف.

(٢) لم يذهب أحد من العلماء إلى هذا القول.

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) الآحاد: هو خبر الواحد غير المتواتر من الأحاديث. جديدي نزاد، محمد رضا: معجم

←

توجِبُ علمًا ولا عملاً[١]، بل كُلُّها أو جُلُّها مراسيلُ[٢]، أو عن مجاهيلَ[٣]، وضعيفةُ السندِ والدلالةِ، وقد شرحنا هذه المطالبِ جميعًا في مقدماتِ تفسيرِنا(المحيط) و(تنزيه التنزيل)، وتفسير الآيات في(حجة الإسلام)[٤] وكذلكَ ترونَ شرحًا وافيًا في تفسيرِنا لآيةِ ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٥]، وحملَها على نسخِ آياتِ القرآنِ لآياتِ الوحيِ الذي نزلَ على موسى و عيسى

←

مصطلحات الرجال والدراية، إشراف: محمد كاظم رحمان ستايش، (مط دار الحديث، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ): ٦٥

(١) إنَّ خبر الآحاد قسمه العلماء على قسمين، محفوف بالقرائن وغير محفوف، وقد اختلفوا في حجية كُلٍّ منهما في العلم والعمل، ما بين القبول والرد. للتفصيل ينظر: الفضلي، عبد الهادي: أصول الحديث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م): ٨٢-٩٠

(٢) المُرْسَل: هو الحديث الذي سقط عنه أحد رجال السند أو أكثر. جديدي نزاد: معجم مصطلحات الرجال والدراية: ١٥٥

(٣) المجهول: هو الحديث المروي عن رجل غير معروف، أو غير موثَّق ولا مجروح ولا ممدوح. جديدي نزاد: معجم مصطلحات الرجال والدراية: ١٤٧

(٤) إنَّ تفسير المحيط هو مجلدات عشرة قد أُعِدَّت لتفسير القرآن الكريم، ولكن أغلبها صفحات فارغة، لم تذكر فيها إلا الآيات المباركة المعدَّة للتفسير، سوى صفحات متعددة في المجلد الأول بيَّن فيها بعض الموضوعات، وأما كتاب تنزيه التنزيل فهو مخطوط باللغة العربية تناول بعض موضوعات علوم القرآن وهو غير كامل، وأما كتاب حجة الإسلام فهو مخطوط تناول أيضًا بعض موضوعات علوم القرآن غير كامل، وفي هذه المؤلفات المخطوطة الثلاث لم يتطرق السيد الشهرستاني لتفسير آيات النسخ، ولعله فسرها ولكن ضمن مسوداته التي كتبها بيده، والتي لا يمكن قراءتها وقد فُقِدَتْ أغلبها.

(٥) لا يوجد تفسير للآية في تفاسيره للأسباب المتقدمة، سوى ما تم تدوينه في هذه المخطوطات.

وغيرِهِما من النبيينَ، والقرينةُ على هذا الحملِ اقترانُ النسخِ بالإنساءِ[١]؛ حيثُ لا إنساءَ في آياتِ الذكرِ الحكيم كما أثبتناهُ في تفسيرِ آيةِ ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾[٢]، وأما كلامُ الإمامِ عليٍّ [عليه السلام] في خطبتِهِ فمحمولٌ على أنَّ لفظةَ(مبيِّنًا) حالٌ عن النبيِّ[صلى الله عليه وآله] كما هو مقتضى السياقِ، وسبقِ صفتِهِ، دون أنْ تكونَ حالاً عن القرآنِ، والمعنى: إنَّ النبيَّ[صلى الله عليه وآله] خلَّفَ فيكُمْ كتابَ ربِّكُم حالَ كونِهِ -أي النبي- مبينًا لحلالِ القرآنِ وحرامِهِ، وناسخِهِ ومنسوخِهِ، بسببِ أنَّ القرآنَ لم يكُ يومًا ما ناطقٌ ببيانِ ناسخِ نفسهِ ومنسوخِ نفسهِ، وإنَّما السُّنَّةُ تكفَّلَتْ ذلكَ، والمرادُ من ناسخِهِ آياتِهِ الناسخةِ لأحكامِ الجاهليةِ، والشرائعِ السالفةِ، وهما المنسوخانِ بالقرآنِ.[٣]

وأما حديث [الإمام] الصادق عليه السلام لأبي حنيفة فضعيفُ السندِ؛ لكونهِ خبرًا مرسولاً غيرَ مسندٍ[٤]، وهو مع ذلكَ محمولٌ ناسخُهُ على آياتِهِ التي نسخَتْ أحكامًا جاهليةً،

---

(١) الإنساء أي: التأخير في الوقت. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١٤(نسأ)، ابن منظور: لسان العرب مادة(نسأ).

وقد تم قراءتها(ننسأها) عند عدد من القُرَّاء. ينظر: الخطيب: معجم القراءات ١/ ١٧١-١٧٢، وقد عرض السيد الشهرستاني ما يتعلق بالقراءات القرآنية الواردة المشهورة وغيرها لهاتين الكلمتين(ننسخ، وننسها). ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن -القراءات القرآنية دراسة وتحقيق-: ١٢١-١٢٢

(٢) سورة الأعلى: الآية ٦، لم يتم العثور على تفسير الآية الشريفة في مخطوطاته.

(٣) إنَّ هذا التفسير من السيد أيضًا يؤكِّد وجود ناسخ ومنسوخ في القرآن الكريم، والنبيُّ صلى الله عليه وآله يبيِّنُ ذلك، وهذا أمر طبيعي كونه المبلِّغ عن الله تعالى لأمته، والمعلم لها أحكام الشريعة المقدسة.

(٤) ورواية الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة تؤكد على عدم إمكانية الاعتماد على القياس في ←

وأحكامًا من الشـرائِع السالفةِ، وهُنَّ المنسوخاتُ بالقرآنِ.

- **رابعًا**: قال[١] فيما يتعلق بآية النسخ: ((لَمَّا كانَ السياقُ في مساقِ الآيـةِ تِلْوَ آيـاتٍ تتعلَّـقُ بأهلِ الكتابِ، وأنَّها نزلَتْ في إفحامِ اليهودِ، فالظاهرُ عندي أنَّ المرادَ منها نسـخُ آيـاتِ الوحيِّ السالفِ إلى موسى و عيسى[عليهما السلام] وشرايعهما، التـي أصـلَحَها شرعُ محمـدٍ صلى الله عليه وآله، وهذهِ الآيةُ فكأنَّـهُ يقـولُ: مـا أَبْطَلْنـا مـن آيـةٍ في شرعِ موسـى[عليه السلام]، ولا أَخَّرْناهـا عـن العبادِ إلا بتشريعِ شِرْعَةٍ، وآياتِ وحيٍ مثل آياتِهِ، أو خيرًا منهـا، وهـو ديـنُ محمـدٍ صلى الله عليه وآله، وآياتُ وحيهِ المبينِ، ألم تعلمْ أيُّها المعترِضُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

فالنسخُ الذي بمعنى إبطالُ آيةٍ من القرآنِ، أو حكمِهـا بآيـةٍ أخـرى تسـجلُ مكانَهـا أمرٌ غيرُ معقولٍ[٢]، في كتابٍ تَعَهَّدَ اللهُ بحفظهِ، وسَجَّلَهُ أبديًّا في لوحِهِ المحفـوظِ للأبـدِ، وقد حُكِيَ عن شيخِنا المفيد في أوائل المقالات[٣] أنَّ هـذا الـرأيَ هـو مـذهبُ الشـيعةِ، وكثيرٌ من المُحَدِّثينَ والمحققينَ.[٤]

→

الدين لمعرفة أحكامه، فقد ورد بها دار من أسئلة الإمام له: ((من أنـت؟ قـال: أبـو حنيفـة. قال عليه السلام: **مفتي أهل العراق؟** قال: نعم. قال: **بما تفتيهم؟** قـال: بكتـاب الله. قـال عليه السلام: **وإنـك لعالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟** قال: نعـم...)). الطـبرسي، أحمـد بـن علي بن أبي طالـب: الاحتجـاج، تـع: السـيد محمـد بـاقر الخرسـان، (دار الـنعمان، النجـف الأشرف، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، د.ط) ٢/ ١١٥

(١) مخطوط معجم الفقيه: ٣٢٢ تحت عنوان(مختارنا من تفسير آية النسخ).

(٢) قد تقدمت أقوال العلماء في بيان معنى النسخ، وأنَّ إبطال الحكم لا يعني أنه حكم باطل، أو كان باطلاً، بل تغيَّر أو تبدَّل حكمه لمصلحة معينة.

(٣) في الأصل: مقالاته.

(٤) لم يذكر مثل هذا الرأي الشيخ المفيد ، بـل قـال: ((وأقـول: إنَّ في القـرآنِ ناسـخًا ومنسـوخًا،

←

ولنفرض أَنَّهُ المذهبُ المشهورُ، والمنصورُ عندَهُم، فلا تجدنَّ في القرآنِ أنَّ نسخًا بهذا المعنى، وإنَّما يلتبسُ أمرَ النسخِ على[1] كثيرينَ يقصدونَ نسخَ الحكمَ المؤقتَ بالحكمِ الدائمِ ناسخًا ومنسوخًا، وليسَ كذلكَ، أو يَعُدُّونَ الحُكْمَ الاضطراريَّ، والحُكْم الاختياريَّ ناسخًا ومنسوخًا وليس كذلك؛ لأنَّ من شرطِ النسخِ أنْ لا يجوزَ الجمعُ بينهَما في التشريعِ، كما لو زعمَ أحدٌ النسخَ في[2] المجملِ والمبينِ، أو المطلقِ والمقيَّدِ، أو المؤقَّتِ والدائمِ[3]، وقد عالجنا في تفسيرنا(المحيط) نحو مأتي آية زعم البسطاء فيها النسخ[4]، حتى قال بعضهم: إنَّ آية ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾[5]، منسوخَةٌ بآيةِ ﴿**اتَّقُوا اللهَ**

←

كما أنَّ فيهِ مُحْكَمًا ومُتَشابِهًا، بحسبِ ما علمهُ اللهُ من مصالحِ العبادِ...)) وقد ذكر بعض الآيات المنسوخة، والتفصيل في نوع النسخ، والاختلاف بين الفِرَقِ الإسلامية، بل قال بعد آية عدة الوفاة: ((واستقرَّ هذا الحكمُ [عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا بدل الحول] باستقرارِ شريعةِ الإسلامِ، وكانَ الحكمُ الأولُ منسوخًا، والآيةُ به ثابتةٌ غيرُ منسوخةٍ، وهي قائمةٌ في التلاوةِ كناسخِها بلا اختلافٍ، وهذا مذهبُ الشيعةِ...)). محمد بن محمد: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تع: الشيخ فضل الله الزنجاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ): ١٠١

وأما قوله: ((وكثير من المحدثين والمحققين)) فغير دقيق؛ لأنَّ أغلبهم يقولون بالنسخ، إنْ لم يكونوا جميعهم، وقد تقدمت أقوال العلماء في بيان معنى النسخ، وشروطه، وعدد الآيات التي ورد النسخ فيها، بتفاوت فيما بينهم.

(١) في الأصل: عن.

(٢) في الأصل: كما لو زعم أحدا نسخ من.

(٣) لقد فصل القول السيد الخوئي في مناقشة الآيات التي يُدَّعَى بنسخها من حيث إرادة المجمل والمبين والمطلق والمقيد وغير ذلك، واشتباه القائلين بالنسخ، فناقش ستًّا وثلاثين آية من أهم الآيات في النسخ. للتفصيل ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤-٤٠١

(٤) لم يتم الحصول على تفسير أيِّ آيةٍ من الآيات الشريفة في تفسيره.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٢

مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[١] فتأمل.[٢]

- **خامسًا**: قال[٣]: ((لا نسخَ في القرآنِ؛ إذ هو المعجزةُ الخالدةُ، ومن شروطِ النسخِ عدمُ إمكانِ الجمعِ بينَ الناسخِ والمنسوخِ، مع أنني في تفاسيري عالجتُها[٤]، حتى في آيَتَي[٥]: **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[٦]، و**﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾**[٧]، فهذهِ ناظرةٌ إلى فاحشةِ الزنا.[٨]

- **سادسًا**: قال[٩] في بيان ما يتعلق بآية النسخ: ((دَلَّتِ الآيةُ بصريحِها على أنَّ في القرآنِ

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٦

(٢) وهذا رأي ابن العربي. ينظر: أحكام القرآن: ١٨٢١، وينظر: ابن العتائقي: الناسخ والمنسوخ: ١١٣

(٣) مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٣١

(٤) لم نحصل على ذلك في مخطوطاته.

(٥) في الأصل: حتى في آيتي الجلد في سورة النور وحبس المرأة في سورة النساء آية(١٣).

(٦) سورة النور: الآية ٤

(٧) سورة النساء: الآية ١٥

(٨) للتفصيل فيما يتعلق بالآيتين الشريفتين ينظر: النحاس: الناس والمنسوخ في القرآن الكريم: ٩٨-١٠٠، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٥١٨

(٩) أوراق مخطوطة غير مرقمة. ولكن ما سيذكر في هذا المورد يخالف ما ذكره السيد سابقًا وما هو مشهور عنه كما تقدم في رؤيته حول النسخ في القرآن الكريم، وقد أوردنا كُلَّ ما يتعلق بهذا الباب بعد جمعه ودراسته وتحقيقه، سواء أكانت الموضوعات متوافقة، أم مختلفة.

ناسخًا ومنسوخًا كما هو مذهبُ جمهورِ المسلمينَ، من عصرِ الصحابةِ والتابعينَ حتى اليوم، وتؤيِّدُهُ آياتٌ أخرى سوفَ نأتي عليها وعلى دلالتها، مثلُ آيةِ: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ**﴾[1]، واستفاضَ الحديثُ عن أميرِ المؤمنينِ عليٍّ عليه السلام أنَّهُ كانَ يقولُ: ((لولا آيةٌ في كتابِ الله وهي ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ**﴾ لأخبرتُكُمْ بكُلِّ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ))[2]، وفي القرآنِ آياتٌ أُخرى لا تقِلُّ صراحَةً في نسخِ آيةٍ بآيةٍ عَمَّا ذكرنا، مثلُ آيةِ ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]، وآية ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[4]، ومدلولُ هذهِ الآياتِ مُتَّحِدٌ في المثالِ، وإنِ اختلفَ بعضُها عن بعضٍ، بحسبِ اعتبارٍ دونَ اعتبارٍ؛ إذ كانَ مدلولُ الآيةِ الأولى النسخَ والإنساءَ، ومدلولُ الثانيةِ المحوَ والإثباتَ، ومدلولُ الثالثةِ التبديلَ، ومدلولُ الرابعةِ التخفيفَ والتشديدَ، وكُلُّ واحدةٍ منها يتضمَّنُ ناحيةً خاصَّةً، لكنَّ الجميعَ مشتركٌ في عنوانِ تبديلِ حُكْمٍ بِحُكْمٍ آخرَ، وهذا هو روحُ النسخِ، فليسَ النسخُ إبطالاً محضًا، ومحوًا بحتًا، بل إبطالٌ إلى بدلٍ، ومحوٌ بإثباتِ عوضٍ، وهذا هو النسخُ عندَ العُرْفِ، يقال: نسختُ الكتابَ، أي: أوجدتُ نسخةً ثانيةً بدلاً عن النسخةِ الأولى، وليس معنى نسختُ الكتابَ إعدامَ النسخةِ، بل استبدالٌ عنها

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٤/ ٩٧

(٣) سورة النحل: الآية ١٠١

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٦

بثانيةٍ، وقد أنكرَ قومٌ وقوعَ الناسخِ والمنسوخِ في القرآنِ، وتأوَّلوا آيةً ﴿**مَا نَنْسَخْ**﴾ بالآياتِ الكونيةِ والأحدوثاتِ العالميةِ، كوفاةِ نبيٍّ، أو وليٍّ، وزوالِ نعمةٍ، أو أمةٍ، ونَرُدُّ هؤلاءَ بالآياتِ الثلاثِ الأخرى، خصوصًا قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ**﴾ ففيها تصريحٌ بأنَّها آياتٌ منزلةٌ من الله، واللهُ أعلمُ بما ينزلُ على نبيِّهِ من آيةٍ مكانَ آيةٍ، ثم استدلَّ هؤلاء.[١]

المبحث السادس: العلاقة بين النسخ والبداء

لقد بيَّن العلماء أنَّ هناك علاقة وثيقة بين النسخ والبداء؛ إذ إنَّ كليهما يتضمن معنى التغيير والتبديل، ولكن النسخ -كما تقدم- يتعلق بالتشريع، والبداء بالتكوين، ولأجل ذلك فإنَّ السيد الشهرستاني قد بيَّن ذلك في مخطوطاته، والعلاقة بينهما[٢]، وما يمكن فهمه لتفسير آية البداء وهو قوله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ**﴾[٣]، وبيان الأوجه في تفسير ﴿**مَا**﴾ وعلاقة ذلك بالبداء.

- **أولاً**: قال[٤] في بيان ما يتعلق بالآية الشريفة: ((يُستدلُّ بها على جوازِ البداءِ[٥] والنسخِ من اللهِ تعالى، والبداءُ في عالَمِ الثبوتِ كالنسخِ في مقامِ الإثباتِ، أو أحدهما

---

(١) يوجد قطع في الأصل.

(٢) وقد أشار إلى هذه العلاقة غيره من العلماء وقد تم بيانها في باب الدراسة، الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٤) مخطوط المسودات القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٢٦ تحت عنوان(النسخ والبداء في القرآن).

(٥) في الأصل: البدا. وقد تم تعديلها في جميع المواضع التي وردت.

في الكتابِ التكوينيِّ، والثاني في الدينيِّ، لكنَّ الظاهرَ أنَّ البداءَ والنسخَ كلاهما في الكتابِ الدينيِّ[١]، وأما التكوينيُّ ففيهِ المسخُ والمحقُ.[٢]

والإشكالُ في البداءِ هو أَنَّهُ إنْ كانَ بمعنى السنوحِ[٣] وتبدُّلِ الرأيِ، فهو مستلزمٌ لجهلِهِ تعالى عنهُ، وإنْ كانَ بمعنى الظهورِ بعدَ الخفاءِ للناسِ فمعَ أَنَّهُ خلافُ ظاهرِ المأثورِ: (يا مَنْ بَدَا[٤] للهِ في شَأنِهِ)[٥]، وليسَ بداءً منهُ، بل بداءٌ من الناسِ، إنَّ البداءَ بالمَدِّ

---

(١) وهذا هو الرأي الخاص للسيد الشهرستاني، وبذلك يدفع الرأي القائل بوجود أيِّ نسخٍ لآيات الله تعالى، فإنها وإنْ وُجِدَت فهي في مقام التكوين لا التشريع؛ لئلا يتضمن القرآن الكريم آيات منسوخة لا فائدة من وجودها في الكتاب، وقد تعرَّض لذلك في مقام نفيه للنسخ كما تقدم.

(٢) المسخُ: تحويلُ صورةٍ إلى صورةٍ أَقبحَ منها. ومسخَهُ اللهُ: شوَّهَ خَلْقَهُ من صورةٍ حسنةٍ إلى قبيحةٍ. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (مسخ)، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٨(مسخ).

المحقُ: النقصانُ وذهابُ البركةِ، وكُلُّ شيءٍ أبطلتَهُ حتى لا يبقى منه شيءٌ فهو محقٌ، وورد أنَّ المحقَ أنْ يذهبَ الشيءُ كُلُّهُ حتى لا يُرى منه شيءٌ. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٤ مادة (محق)، ابن منظور: لسان العرب مادة (محق)، وآستعمال السيد لهذين المصطلحين إما مسامحة، أو تأكيدًا على رفضه القاطع لورود النسخ في القرآن الكريم.

(٣) سَنَحَ أي: عَرَضَ، سنحَ لي رأيٌ في كذا أي عرضَ. آبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (سنح).

(٤) في الأصل: بدى.

(٥) الكليني: الكافي ٤/ ٥٧٨ باب (القول عند قبر أبي الحسن موسى عليه السلام وأبي جعفر الثاني وما يجزئ من القول عند كلهم عليهم السلام) الحديث ١، الطوسي: محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، تص وتع: علي أكبر الغفاري، (مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٤١٨هـ) ←

ليس مصدرًا للظهورِ بعدَ الخفاءِ الخارجيِّ؛ لأنَّ ذلكَ مصدرُ بدءَ[(١)]، وهذا مصدرُ بدا، ومصدرُ هذا هو البدوُّا كبدوِا الثمرِ، وبدوُّا عصرِهِ، وبدا لي معصمٌ حين جَمَّرَتْ[(٢)]، إلا أنْ يكونَ اسمُ مصدرٍ، وهو خلافُ الظاهرِ)).

● **ثانيًا**: قال[(٣)] فيما يتعلق بآية البداء: ((أحتملُ لتوجيهِ معانيها وجوهًا[(٤)]:

* **[الوجه الأول]**[(٥)]: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ [مَا] الحكمَ الشرعيَّ، فيكونُ المحوُ بمعنى النسخِ، أي: ينسخُ اللهُ حُكْمًا شاءَ رَفْعَهُ، ويقررُ مكانَهُ حُكْمًا شاءَ وَضْعَهُ حسبَ مصلحةِ الوقتِ، و﴿عِنْدَهُ﴾ أي: والحجةُ عندَهُ لرجوعِ الناسِ إليها هي ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾، أي: مُحْكَماتُ القرآنِ، ويكون مثال هذه الآية كمثال قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

→

٦/ ٩٤ باب (زيارته [الإمام موسى بن جعفر] ﷺ) الحديث ١

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٤٥(بدا)، ابن منظور: لسان العرب مادة(بدا).

(٢) صدر بيت لـ عمر بن أبي ربيعة من أبيات يقول فيها:

لَقَدْ عَرَضَتْ لي بِالمحَصَّبِ من مِنًى ... لِحَيْنِيَ شَمْسٌ سُتِّرَتْ بِيَمانِ

بَدا لِيَ مِنْها مِعْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ ... وَكَفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ

فَواللهِ ما أَدْرِي وَإِنِّي لَحاسِبٌ ... بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ

ديوان عمر بن أبي ربيعة، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت): ٢٠٩

(٣) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٢٦ تحت عنوان(النسخ والبداء في القرآن).

(٤) في الأصل: وجوه.

(٥) في الأصل: أحدها.

* **الوجه الثاني**: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ الحكمَ الاجتماعيَّ من أَمْرِها[1]، أو فنائِها، ويكونُ المحوُ صَفْحَهُ عنهم.

* **الوجه الثالث**: أَنْ يَكُونَ المرادُ بالموصولِ الموجوداتِ الخارجيةَ، ويكونُ المحوُ والإثباتُ الوجودَ والعدمَ، ويكونُ ﴿**أُمُّ الكِتَابِ**﴾ صحيفةَ الكونِ والفسادِ، أعني العالَمَ الماديَّ العنصريَّ.

* **الوجه الرابع**: أَنْ يُرَادَ بالموصولِ المعانيَ، وبالمحوِ والإثباتِ تغييرها بالوجوهِ والاعتباراتِ، ويكونُ ﴿**أُمُّ الكِتَابِ**﴾ المعاني النفسيةَ[2] الآمريةَ، التي لا تقبلُ التغييرَ قطعًا كقبحِ الظلمِ، وحسنِ الإحسانِ)).[3]

---

(١) في الأصل: أمره.

(٢) في الأصل: النفس.

(٣) إنَّ كُلَّ هذه التوجيهات للآية الشريفة لم يذكرها المفسرون في تفاسيرهم. للتفصيل فيما ورد في بيان الآية الشريفة ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ٢٦١، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٥٠٢، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٤٨-٤٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٦٣٦-٦٤١ وغيره

الفصل الثالث

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثاني**: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثالث**: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- **المبحث الرابع**: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- **المبحث الخامس**: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- **المبحث السادس**: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

الفصل الثالث:

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

لقد حوت مخطوطات السيد الشهرستاني آراءه في باب مهم من أبواب علوم القرآن الكريم وهو(المحكم والمتشابه)، وسوف نبيِّنها في هذا الفصل، فالسيد قد ذكر أهم الموضوعات والإشكاليات المتعلقة بالمحكم والمتشابه، وكيفية فهم الآيات المتشابهة وتوجيه بما يظهر إعجاز القرآن، فضلاً عن مناقشته آراء العلماء في بعض الآيات المتشابهة، وبيان رأيه وعقيدته فيها.

أما أهم الموضوعات التي ناقشها السيد في هذا الفصل فسأجعلها في مباحث(ستة) كالآتي:

- **المبحث الأول**: تعريف المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثاني**: تفسير آية المحكم والمتشابه.
- **المبحث الثالث**: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.
- **المبحث الرابع**: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته.
- **المبحث الخامس**: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني.
- **المبحث السادس**: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية.

وسوف يكون البحث على وفق التسلسل المتقدم؛ لتتم الإحاطة به من جوانبه المتعددة، من حيث بيان آراء السيد الشهرستاني وتحقيقها على وفق المنهج المُتَّبع في هذا الكتاب، بجمع المادة تحت عنوانٍ معينٍ، قد يكون المؤلِّف اختاره له، أو قد يوضع له ليكون ضمن عنوانٍ محددٍ.

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه

لقد ذكر السيد الشهرستاني أشهر الأقوال التي وردت في بيان معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وذكر أمثلة لهما؛ ليكون القارىء على بَيِّنة من التعريفات الواردة في هذا الباب، وفي ذلك دلالة على اعتنائه بهذا الباب من علوم القرآن الكريم، فنراه يذكر تلك التعريفات من غير ترجيح لواحد تارة، أو يذكر التعريف الذي يذهب إليه ويراه مناسبًا تارة أخرى، ونذكر في هذا المطلب الموارد التي لها علاقة بالتعريف اعتمادًا على مصادرها المخطوطة التي سنشير إليها.

- **المورد الأول:**

قال تحت عنوان(الأقوال في معنى المحكم والمتشابه [و] أشهرها):(١)

* **أولاً**: إنَّ المُحْكَمَ ما يظهرُ المرادُ منه بدونِ شاهدِ حالٍ، أو قرنيةِ مقالٍ(٢)، كآيةِ [الوضوء] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾**.(٣)

---

(١) مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٣٨

إنَّ السيد في هذا المورد يذكر مجرد الأقوال الواردة في تفسير المحكم والمتشابه وبيان مثالٍ لذلك، من غير بيان لتعريفه لهما، أو ترجيحه لأحدها.

(٢) إنَّ هذا القول قريب من كلام الشيخ الطوسي في بيانه لمعنى المحكم والمتشابه، وقد تقدم ذكره في باب الدراسة، الفصل الثالث، المبحث الأول.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦، في الأصل: كآية(**فاغسلوا وجوهكم**) وآية(**فامسحوا برؤوسكم**).

إنَّ هذه الآية المباركة وإنْ كانت من المحكمات ولكن المسلمين قد ٱختلفوا فيها على قولين: أحدهما: وجوب غسل الرجلين عند الوضوء، والآخر: وجوب مسحهما، وٱختلفوا في قراءة كلمة **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾** بين نصبِ اللام **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾**، أو جَرِّها: ←

* **ثانيًا:** إنَّ المُحْكَمَ ما لا يقبلُ التأويلَ[١]، كآية ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٢]، والمُتَشابهُ ما يَقْبَلُ التأويلَ، كآية ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾.[٣]

* **ثالثًا:** إنَّ المُحْكَمَ ما لا يختلِفُ معناهُ في القرآنِ[٤]، كآية ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[٥]، والمُتَشابهَ ما يختلِفُ، كآية ﴿**وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾[٦] المخالِفَةُ لآية ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾.[٧]

﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾، ولكُلٍّ حجته. للتفصيل ومعرفة رأي السيد الشهرستاني ينظر: عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن – القراءات القرآنية دراسة وتحقيق-: ١٢٨

(١) إنَّ هذا القول قد ذكره الشيخ الطوسي في جملة الأقوال الواردة للمحكم والمتشابه، وكذلك ذكره السيوطي وقد تقدم بيانهما، ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٥، الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٤

لقد اختلف المفسرون في مدة دعوة نوح عليه السلام لقومه بين تسعمئة وخمسين عامًا وغيرها، واختلفوا في سبب قوله تعالى عن مدة لبثه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا﴾ ولم يقل: (تسعمئة وخمسين عامًا). للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/ ٤٤٩، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٦/ ١١٧

(٤) إنَّ هذا القول قد ذكره الشيخ الطوسي في جملة الأقوال الواردة للمحكم والمتشابه. التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٥

(٥) سورة الإخلاص: الآية ١

(٦) سورة الجاثية: الآية ٢٣

(٧) سورة طه: الآية ٨٥، فالتأويل بسبب نسبة الإضلال لله تعالى تارة، وللسامري أخرى.

* **رابعًا**: إنَّ المُتَشابِهَ ما اختلَفَتِ الأُمَّةُ في تفسيرِهِ[(١)]، كآيةِ ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾.[(٢)]

* **خامسًا**: إنَّ المُحْكَمَ ما احْتَمَلَ وجهًا واحدًا، والمُتَشابِهَ ما احْتَمَلَ وَجْهَيْنِ فصاعدًا.[(٣)]

* **سادسًا**: إنَّ المُتَشابِهَ ما تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ كقصةِ موسى، والمُحْكَمَ ما لم يأتِ إلا واحدًا كقصةِ أصحابِ الكهفِ.[(٤)]

---

(١) نرى أنَّ هذا القول لا يمكن اعتماده بصورة عامة؛ لأنَّ المسلمين قد اختلفوا كذلك في بعض الآيات المحكمة، مثل ما ذكره السيد الشهرستاني في آية الوضوء المتقدمة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[سورة المائدة: الآية ٦] مع ما كان عليه رسول الله ﷺ في وضوئه لصلاته ومسحه للرجلين، وآية الولاية والتصدق بالخاتم ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [سورة المائدة: الآية ٥٥] وغيرهما من الآيات التي هي واضحة الدلالة.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤

لقد اختلف المفسرون في تلك الأيام الستة في الخلق بالتدريج دون الخلق دفعة واحدة، والعلة في هذا العدد مع كونه تعالى لا يحتاج إلى التحديد بزمان معيَّن، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ**﴾[سورة القمر: الآية ٥٠]. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٢١، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/ ٢٥٦-٢٥٧

(٣) إنَّ هذا القول هو الأشهر بين العلماء. ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٤

(٤) في الأصل: قول ابن زيد إنَّ المتشابه ما تكرر...

نرى أنَّ هذا القول لا يمكن اعتماده؛ لأنَّ عددًا من الآيات المباركة قد اختلفوا في تفسيرها على الرغم من ورودها مرة واحدة، وليس ضمن قصة من قصص القرآن، وأظنُّ أنَّ حصر ذلك في القصص القرآني لا مبرر له.

* **سابعًا**: إنَّ المُتَشابِهَ ما يُعْلَمُ تأويلُهُ، والمُحْكَمَ ما لا يُعْرَفُ تأويلُهُ كعلمِ الساعةِ.(١)

* **ثامنًا**: إنَّ المُحْكَمَ هو ما يُعْمَلُ به من الأحكامِ من حلالٍ، وحرامٍ، وفرائضَ، وسُننٍ، والمتشابِهَ ما لا يُعْمَلُ به من تورايخَ، وقصصٍ، وعقائِدَ(٢)، ويُحْمَلُ على هذا الخبرُ المرويُّ عن[الإمام] الصادقعليه السلام: (**إنَّ القُرْآنَ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، فأمَّا المُحْكَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ونَعْمَلُ بِهِ، ونَدينُ اللهَ بِهِ، وأَمَّا المُتَشابِهُ فَنُؤمِنُ بِهِ، ولا نَعْمَلُ بِهِ**).(٣) إشارةٌ إلى الآيةِ القائلة: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾.(٤)

* **تاسعًا**: إنَّ المُحْكَمَ هو ما تأويلُهُ في تنزيلِهِ، كآيةِ الوضوء(٥)، والمُتَشابِهَ ما تأويلُهُ في غيرِ تنزيلِهِ مِمَّ اخْتَلَفَ معناهُ، كآياتِ الفتنةِ والضلالِ.(٦)

---

(١) في الأصل: قول جابر بن عبد الله: إنَّ المتشابه ما يعلم تأويله... ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣

(٢) في الأصل: رواية علي بن طلحة عن عبد الله بن عباس إنَّ المحكم ما يعمل به... ويُحمل على هذا الخبر المروي عن الصادقعليه السلام: (**إنَّ القرآنَ المحكم يعمل به كما نؤمن به، والمتشابه نؤمن به ولا نعمل به**).

(٣) العياشي: تفسير العياشي ١/ ١٦٢، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٣/ ١٠

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ**﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] وقد تقدم ما يتعلق بها.

(٦) ومنها مثلاً قوله تعالى: ﴿**وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾[سورة الجاثية: الآية ٢٣] وقوله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[سورة طه: الآية ٨٥] وغيرهما.

• **المورد الثاني:**[١]

* [أولاً] قال: المُتَشابِهُ والمُحْكَمُ صفتانِ متقابلتانِ لآيِ القرآنِ يتبادلُها[٢] الانفصالُ الحقيقيُّ، ويُسَمَّى مُتَشابِهًا[٣]، لتسابُقِ المعاني المختلفَةِ منه إلى الذهنِ، فَيَقِفُ الذهنُ بينها وقفةَ المُشْتَبِهِ، أو لأَنَّها في الأكثرِ مَصُوغَةٌ على وجهِ التشبيهِ، وضرورةِ الاستعارةِ والتمثيلِ.[٤]

* [ثانيًا] قال: المذكورُ من تفاسيرِ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ مُتَراجِعٌ أكثرُهُ إلى بعضِهِ، وخَيْرُها قَوْلُ الجُبَّائيِّ[٥] وهو: ((إِنَّ المُتَشابِهَ ما احْتَمَلَ وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ، والمُحْكَمَ ما احْتَمَلَ وَجْهًا فَقَطْ))[٦]، وهو ناقصٌ وفيه نقصٌ، فإنَّ مجردَ احتمالِ الوجوهِ في كَلِمِ

---

(١) الشهرستاني: هبة الدين، مخطوط سرج في ظلمات الحياة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤٧-٥٤

(٢) في الأصل: يتبادلانها.

(٣) في الأصل: متشابه.

(٤) ينظر قريب منه ما ورد من التعريفات الواردة في بيان المراد من المتشابه. الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٦

(٥) الجُبَّائي: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام، ولد سنة (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، نسبته إلى جُبَّى من قرى البصرة، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، توفي سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٦م) ودفن بـ(جُبَّى). ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: الدكتور إحسان عباس، (دار صادر، بيروت. ط١، ١٩٧١م) ٤/ ٢٦٧، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، (مط الحضارة العربية، فجالة، ط١، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م): ١٠٠

(٦) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٥، ابن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه: ١/ ٢ إنَّ آراء أبي علي الجبَّائي التفسيرية لم تجمع في كتاب مستقل، بل توزَّعت في التفاسير ←

القرآنِ لا يجعلُهُ مُتَشابِهًا.

إذًا لم يَسْلَمِ القرآنُ كُلُّهُ ولا بَعْضُهُ من سوءِ تفسيرِ أهلِ الأهواءِ[1] والبِدَعِ، [و] زُعَماءِ الفِرَقِ والشِّيَعِ، ولا من تأميناتِ الباطنيَّةِ[2] وعلماءِ الصوفيَّةِ[3]، حَتَّى فَسَّرُوا أسماءَ الأنبياءِ كـ"موسى" و "عيسى" بِقُوى الإنسانِ كالحكمةِ والسلامَةِ، فلو اعتبرنا الوجوهَ المُحْتَمَلَةَ من هؤلاءِ في آيِ القرآنِ لأصبحَ كُلُّهُ مُتَشابِهًا لا مُحْكَمَ فيه، اللهُمَّ إلا أنْ نعتبرَ الوجوهَ المُحْتَمِلَةَ في عُرْفِ[4] التخاطُبِ، وعَصْرِ الرسولِ ومِصْرِهِ، فَيَتُمُّ عندئذٍ تعريفُ الجُبَّائيِّ .[5]

إذًا فالأَصَحُّ: ((إِنَّ المُتَشابِهَ ما احْتُمِلَ وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ في عُرْفِ التَّخاطُبِ،

←

والمؤلفات القديمة، وقد طُبِعَت مؤخرًا بعنوان(تفسير أبي علي الجبائي).

(١) في الأصل: أهواء.

(٢) الباطنية: وهي من الفِرَقِ المنحرفةِ التي تحاولُ أنْ تأوِّلَ آياتِ الله تعالى، وأحكامِ الشريعةِ المقدسةِ، بما يلائِمُ معتقداتِها، قيل: إنَّ مؤسِّسها هو مَيمونُ بن دَيْصانِ المعروف بـ القداحِ وكان مجوسيًّا، ثم قام ابنه مكانه بعد وفاته. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: الفَرْقُ بين الفِرَق، تع: الشيخ إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م): ٢٥٠

(٣) الصوفية: هي طريقةٌ يتَّبعها بعضُ المسلمينَ الذين يَرَوْنَ أنَّ معرفةَ الله تعالى لا تتمُّ إلا بالتجرُّدِ عن الدنيا، والتفاني في الله، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنها اتَّخذت لباسَ الصوفِ ملبسًا لها دلالةً على التزهُّدِ، وتنقسمُ على مجموعاتٍ كثيرةٍ، ولها رؤيةٌ خاصةٌ في تفسيرِ آياتِ القرآنِ. ينظر: ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، (دار الكتاب للبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٤م): ٢٥-٢٧

(٤) في الأصل: العرف.

(٥) أظن أنَّ الجبَّائي كان يقصد في كلامه عصر نزول القرآن والتخاطب، فضلاً عن اختلاف العقيدة في فهم ألفاظ القرآن الكريم، وليس كما تذهب إليه الفِرَقُ الباطلة.

والمُحْكَمَ نَقيضُهُ)).[١]

* [ثالثًا] قال: المُتَشابِهُ من القرآنِ ما تشابَهَ في دلالَتِهِ وجهانِ فأكثرَ لدى عُرْفِ التخاطُبِ، مأخوذٌ من تشابُهِ الأشجارِ والأزهارِ والأثمارِ، أي: تشاكَلَتْ وتماثَلَتْ في صفاتِها[٢] الظاهرةِ، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾[٣]، وسُمِّي مُتَشابِهُ القرآنِ بذلكَ بسببِ التشابُهِ الحاصِلِ في ظهورِ وجوهِ[٤] الألفاظِ ومعانيها، تَشَابُهًا يُحْدِثُ في ذهنِ السامعينَ اشْتِباهًا والْتِباسًا بينَ المعنى الحقيقيِّ، والمعنى العنائِيِّ[٥]، والمجازيِّ، والكنائيِّ[٦]، كما في قولِهِ تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٧] حيثُ يشتبِهُ

---

(١) إنَّ هذا التعريف للمحكم والمتشابه من التعريفات الجامعة المانعة، فقد قيَّده باللغة المخاطبة، وهذا التقييد في التعريف بـ(عرف التخاطب) قد خصص المحكم والمتشابه للفظ معيَّنٍ دون ما يُفَسّره الآخرون، كالقول: بأنَّ المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ وغيرهما مما ورد، وهي في الحقيقة من مصاديقهما وليس تعريفًا لهما.

(٢) في الأصل: صفاته.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤١، في الأصل: قال تعالى: (**منه متشابه وغير متشابه**).

(٤) في الأصل: الوجوه.

(٥) هكذا في الأصل، ولعله يقصد المعنى الذي يعتني به الله تعالى في خطابه بأسلوب يفهمه مَنْ له عناية بكلام العرب، أو يقصد المعنى الغائي الذي يريده الله تعالى من لفظٍ معيَّنٍ في مناسبة معينة.

(٦) إنَّ القرآن لما كان نزوله بلغة العرب فقد اُستوجب أنْ يخاطبهم بالعلوم التي يعرفونها في مخاطباتهم، كعلوم البلاغة العربية المعروفة مثل: المجاز والكناية والاستعارة وغيرها مما هي من مقوِّمات كلامهم البليغ، فحصل تشابه في المراد من ذلك عند غير الراسخين في العلم بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي.

(٧) سورة الفتح: الآية ١٠

السامِعُ في المرادِ من اليَدِ أَهُوَ بمعنى الجارحَةِ، أو بمعنى القُدْرَةِ(١)، فَيَشْتَبِهُ عليهِ أَمْرُهُما في بادِي النظرِ، ولأوَّلِ النظرِ إلى قيامِ الدليلِ، فالمُتَشابِهُ في الكَلِمِ بمثابَةِ المُشَكِّكِ(٢) في الكلمةِ.

* [رابعًا] قال(٣): المُحْكَمُ الذي عُدَّ ضِدَّ المُتَشابِهِ إنما هو جملةٌ من آياتِ الذكرِ(٤) الحكيمِ، لا يَخْتَلِفُ معناها لدى الخُبَراءِ باللسانِ من علماءِ المعاني والبيانِ، ك: ﴿**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ**﴾(٥)، وَضِدَّ المُحْكَمِ هو المُتَشابِهِ الذي يُتَرَدَّدُ(٦) في بيانِ معناهُ، وتختلِفُ الأنظارُ في ترجيحِ المقصودِ من لفظِهِ، كما في آيةِ ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾.(٧)

---

(١) اليد هي الجارحة المعروفة، ولكنها تطلق مجازًا على معانٍ أخرى عند العرب كناية عن النعمة، والحوزة، والقوة، والملك، والناصر، والولي، ويُقال لأولياء الله تعالى هم أيدي الله وغيرها من المعاني، فلما كان الله تعالى منزهًا عن الجسمية كما ثبت في مباحث التوحيد، فيجب صرف لفظ اليد عن الجارحة إلى إحدى تلك المعاني، وهذا ما ذهب إليه العلماء والمفسرون، سوى الذين يقولون بتجسيم الخالق سبحانه. للتفصيل ينظر: المفيد: محمد بن محمد: تصحيح الاعتقاد، تح و تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ): ٣٠، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥٧٥(يد) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تق وتع: الشيخ جعفر السبحاني، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٢، قم، ١٣٨٢هـ ش): ٥٥

(٢) المشَكِّكُ: هو اللفظ الكلي الذي لم يتساوَ صدقه على أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى، أو أقدم، أو أشد، من البعض الآخر. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٩٤، المظفر، محمد رضا: المنطق، (مط النعمان، النجف، ط٤، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م): ٦٦

(٣) مخطوط الفوائد الطوسية: ٦

(٤) في الأصل: آية ذكر.

(٥) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٦) في الأصل: الذي يتردد الذين.

(٧) سورة طه: الآية ٥

المبحث الثاني: تفسير آية المحكم والمتشابه

لقد ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بتفسير آية المحكم والمتشابه في موارد ثلاثة، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها في الآية الشريفة لمعرفة المراد من كُلِّ ما يتعلق بها، والموارد الثلاثة هي:

- **المورد الأول:**(١)

قال تحت عنوان: (دروس في آية المحكم والمتشابه).(٢)

قال رَبُّنا سبحانه في سورة [آل عمران]: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾.(٣)

إنَّ اختلافَ تفاسيرِ هذهِ [الآية] الكريمةِ جعلتها آيةً متشابِهَةً من أشَدِّ المتشابِهاتِ، فلا بُدَّ من تفسيرِها بالُمحْكَمِ، وكَشْفِ القناعِ عن النقاطِ المهمةِ الُمدْلَهِمَّةِ، منها:

١- تفسيرُ الُمحْكَمِ والُمتَشابِهِ.

٢- رَفْعُ المنافاةِ بين هذهِ [الآية] الكريمةِ وبين آيةِ ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**

---

(١) مخطوط القرآن إمام الكل: ٥١

(٢) إنَّ السيد في هذا المورد يذكر أهم الأسئلة المتعلقة بهذه الآية المباركة، والتي لها أثر مهم في فهم معنى الآية وحَلِّ جميع المتعلقات بها، من حيث المحكم والمتشابه وما ورد فيهما من أقوال لعلماء المسلمين، ولكنه -للأسف- لم يتم ما يتعلق ببعض الأسئلة التي عرضها في هذا المورد، وإنْ كان قد بيَّن بعضها بشيء من التفصيل تارة، وبالإيجاز تارة أخرى.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧

مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[(١)]

٣- تفسيرُ أُمِّ الكتابِ[(٢)] واجتماعِهما بآيةِ ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.[(٣)]

٤- تفسيرُ [قوله تعالى]: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، وَسِرُّ ذَمِّ اتباعِهِمْ للمُتَشابِهِ.

٥- تفسيرُ ابتغاءِ الفتنةِ، والمرادُ منها في عُرْفِ القرآنِ.[(٤)]

٦- تفسيرُ معنى التأويلِ وابتغائِهِ، وسَبَبُ ذَمِّهِ.

٧- إنَّما تُذِمُّ اتِّباعَ المتشابهاتِ بخصوصِ ابتغاءِ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ، وليستَ تُذِمُّ اتِّبَاعَ المُتَشابِهِ بصورةٍ عامَّةٍ ومطلقَةٍ.[(٥)]

---

(١) سورة هود: الآية ١

إنَّ هذه الآية المباركة تبيِّن كأنَّ آيات القرآن هي كلها محكمات، ولم تتعرض لذكر المتشابهات، بينما الآية التي نحن بصددها تقسم الكتاب على آيات محكمات ومتشابهات، وما يجب بيانه في هذا المقام هو أنَّ الآية الشريفة في سورة هود تتحدث عن صفة آيات الكتاب بكونها محكمة النظم على أبلغ وجوه الفصاحة؛ إذ نُظِّمت نظمًا رصينًا محكمًا، لا يقع فيها نقض ولا خلل، ثم فُصِّلت بالشرع والبيان، فكأنَّ القرآن محكم النظم، مفصل الآيات. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٣٥٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٤٥، وعلى أساس هذه الآية المباركة هناك مَنْ ذهب إلى القول بأنَّ آيات القرآن كُلَّها محكمة. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٥

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٤) إنَّ المراد بالفتنة في عرف القرآن هو الشرك، أو البدعة والباطل، أو الضلال عن الحق وغيرها من المعاني، فالذي يبتغي الفتنة يبتغي التخليص إلى الضلال بما يورده من الأهواء. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٠٠، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٧/ ١٤٥

(٥) إنَّ الآية الشريفة تؤكد أنَّ أبتغاء الفتنة والتأويل باتباع المتشابه هو مختص بمجموعة من

←

٨- عِلْمُ الله بالتأويلِ، وهل ينحصرُ بِهِ، أو بِهِ وبالرسولِ وعلماءِ أُمَّتِهِ وأهلِ بيتِهِ، وعدمُ وجودِ مُتَشابِهٍ عندَ الله سبحانَهُ؟

٩- مَنْ هُمُ الراسخونَ في العلمِ؟ وأيُّ علمٍ يُرَادُ؟ والقَدَرُ المعلومُ هو علمُ القرآنِ، وكذا الأئمَّةُ من آلِ محمدٍ [ﷺ]؟[١]

١٠- هل الوقفُ الصحيحُ في هذهِ الآيةِ على كلمةِ(العلم)؟ أو على كلمةِ(آمنَّا)؟ وثَمَرَةُ هذا الخلافِ.

١١- إنَّ الرأيَ الثانيَ[٢] يلزمُهُ خروجُ النبيِّ[ﷺ] وأهلِ بيتِهِ[عليهم السلام] عن معرفَةِ تأويلِهِ، فضلاً عن العلماءِ، وهذا مُسَلَّمُ البُطْلانِ[٣]، وكذا يلزمُهُ جمودُ البشرِ أمامَ القرآنِ أَبَدَ الدهرِ، وسَدُّ أبوابِ علومِهِ وفوائِدِهِ، بَلْ يلزمُهُ تَرْكُ التدبُّرِ في القرآنِ، ثُمَّ ما الفائدَةُ من مُجَرَّدِ قولِهِمْ(آمنَّا)؟[٤]

→

الناس وهم الذين وصفهم الله تعالى﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: المنحرفون عن تعاليم الشريعة المقدسة، وإلا فغير هذا الصنف من الناس يمكنهم أتباع الآيات المتشابهة، فليس هناك إطلاق بالنهي، قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. [سورة الزمر: الآية ٢٣]

(١) تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الثالث، المبحث الثاني، المطلب الثاني.

(٢) أي الوقوف على كلمة ﴿آمنَّا﴾.

(٣) إنَّ بطلان ذلك واضح لما تقرر في محله بأنَّ القرآن والسنة هما مصدرا التشريع في الشريعة الإسلامية المقدسة، والسُّنة قول المعصوم وفعله وتقريره، فإذا كان المعصوم لا يعلم إلا عددًا من آيات القرآن الكريم وهُنَّ المحكمات، فكيف يكون عليه السلام مصدرًا للتشريع ووجوب الاقتداء به، وهو يجهل –حاشاه– ذلك.

(٤) استفهام لطيف منه حول الآية الشريفة، فالقرآن كتاب هداية للبشرية، وقد أمرنا الله

←

١٢- المرادُ من يومِ تأويلِهِ[١] إلى آخرِ الآيةِ.

• **المورد الثاني:**[٢] قال تحت عنوان: (المحكم والمتشابه).

وخلاصةُ الكلامِ[٣] في قولِهِ تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[٤] أَنَّ الظاهِرَ والحِكْمَةَ الربَّانيَّةَ قاضِيانِ بأنْ تكونَ هذهِ الآيَةُ من المُحْكَماتِ دونَ المتشابهاتِ، وسوى ذلكَ يُفْضِي إلى الدَّوْرِ المُسْتَحيلِ[٥]،

→

تعالى بالتدبُّر فيه واتباع تعاليمهم للخروج من الظلمات إلى النور عن علم وعقيدةٍ.

(١) ويقصد بذلك قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٣]، أو أنْ تكون كلمة(يوم) زائدة فيقصد بذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾.

(٢) مخطوط المسودات القرآنية: ١٦٠

(٣) في الأصل: وخلاصة الكلام آية ٥ سورة ٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧

(٥) الدَّوْرُ: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس، فيكون الشيء موجِدًا لشيء ثانٍ، وفي الوقت نفسه يكون الشيء الثاني موجدًا للأول. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٤٧، العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات: ٦٢

إنَّ هذه النتيجة تكون صحيحة بالنسبة للقائلين بأنَّ التأويل لا يعلمه إلا الله، فيكون الأمر بأنَّ الآية إذا كانت من المتشابهات، وتأويل المتشابهات لا يعلمها إلا الله، إذًا فالله وحده هو الذي يعلم المتشابه وهكذا، فيتوقَّف علمها على الله، وبذلك تنتفي غاية القرآن في هدايته للبشر وفيه آيات متشابهة لا يعلمها إلا الله، أما بالنسبة للقائلين بعلم

←

ومحاولاتٍ أُخْرَى أَحْرَى بنا أنْ نطويَ عنها كشحًا، ونضربَ صفحًا، فالآيَةُ نَوَّعَتِ الآياتِ الإلهيَّةِ نوعين:

* **أحدهما**: المُحْكَمُ وهو أُمُّ الكتابِ، أي: أساسُ عملِ النبيِّ، أو الغايَةُ في الهدايَةِ، أو المرجِعُ العامُّ، أو الأكثرُ إلى غيرِ ذلكَ من المعاني.

* **وثانيهما**: المُتَشابِهُ وهو المتماثِلُ لفظًا المُخْتَلِفُ مَعْنًى، أو العكسُ، أو المتقارِبُ لفظًا ومعنًى، أو المُكَرَّرُ، أو الأمثالُ المضروبَةُ لتنويرِ الأفكارِ، والتقريبِ من الأنظارِ، إلى غيرِ ذلك من المعاني.

وبعد أنْ نُوِّعَتِ الآياتُ إلى مُحْكَمٍ ومُتَشابِهٍ بأحكامِهما، فأثبَتَ المرجعيَّةَ العامَّةَ للمُحْكَماتِ بقوله: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾[1]، وأثبَتَ للمُتَشابِهاتِ مرجعيةَ أهلِ الزيغِ والفتنةِ، وهذا يدلُّ على عدمِ صلاحيةِ مرجعيَّةِ المُتَشابِهاتِ للعمومِ[2]، فَإِنْ كانَ ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ و[غير][3] معطوفٍ على جملةِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ﴾[4] فلا تَكُونُ المُتَشابِهاتُ

→

الراسخين بتأويل المتشابهات فلا يجري الدَّوْر المستحيل.

(١) أي إنَّ الآيات المحكمات هُنَّ أصل الكتاب المجيد، قال الراغب الأصفهاني: ((ويقال لكُلِّ ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته، أو إصلاحه، أو مبدئه أُمّ، قال الخليل: كُلُّ شيء ضُمَّ إليه سائر ما يليه يسمى أُمًّا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ﴾ أي اللوح المحفوظ وذلك لكون العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه. وقيل لمكة أم القرى وذلك لما روى أنَّ الدنيا دحيت من تحتها)). المفردات في غريب القرآن: ٢٧(أُمٌّ).

(٢) أرى أنَّ هذا القول يحتاج تأملاً، أو أنَّ هناك تسامحًا في التعبير، فالقرآن لم يجعل المتشابهات مرجعًا لأهل الزيغ والفتنة، بل إنهما اتَّخذا من هذه الآيات المتشابهة مرجعًا لهم للإفساد والإضلال، فالقرآن الكريم بآياته المحكمة والمتشابهة هو مرجع لاحتجاج المسلمين به.

(٣) إنَّ عدم إضافة(غير) لا يمكن للكلام أنْ يستقيم مع المعنى المقصود.

(٤) في الأصل: ومعطوفًا على جملة (ما يعلم).

صالِحَةً للمرجعيَّةِ، لا للعوامِ ولا للخواصِ، وإِنْ كانَ ﴿**الرَّاسِخُونَ**﴾ داخِلاً في الاستثناءِ مَعَ اللهِ فتكونُ حينئِذٍ المُتَشابِهاتُ صالحةً لمرجعيَّةِ الخواصِ دونَ العوامِ.

وبالنتيجةِ تكونُ الآيَةُ دَلِيلاً على مرجعيَّةِ القرآنِ وحجيتِهِ، ولو باعتبارِ مُحْكَماتِهِ فقط، وذلكَ مَطْلوبُنا تجاهَ الحشويَّةِ.

● **المورد الثالث:**[(١)]

قال تحت عنوان: (المحكم والمتشابه).

من أهمِّ أبحاثِ القرآنِ بحثُ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ، ولَعمري أنَّ معرفتَها أيضًا من قبيلِ المُتَشابِهِ[(٢)]، إنْ فُسِّرَ هذا [المتشابه] بِضِدِّ الظاهرِ المعروفِ معناهُ، الذي لا يحتملُ سواه، سيما وأنَّ الآيَةَ التي تَكَفَّلَتْ تفسيرَ المُحْكَمِ والمُتَشابِهِ، وهي آية ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[(٣)]، وقد ذكرنا في أبحاثٍ أُخْرَى كَوْنَ هذهِ الآيةِ أيضًا من المُتَشابِهاتِ التي لا يعلمُ تأويلَها إلا اللهُ والراسخونَ في العلمِ[(٤)]،

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط فوائد هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) ٥/ ٤٢

(٢) إنَّ هذا القول من السيد لطيف جدًّا؛ إذ يحمل في طياته اختلاف الأقوال وكثرتها في المعرفة الحقيقية لمصطلحي المحكم والمتشابه، وما ذهب إليه العلماء في الاختلاف الكبير في بيان المراد منهما، حتى عُدَّت معرفتها أيضًا من قبيل المسائل المتشابهة.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧

(٤) وفي هذا تأكيد على وجوب أنَّ يكون الراسخون في العلم يعلمون المتشابه في القرآن، وإلا فهذه الآية تُعَدُّ من المتشابهات بآية أخرى، وأنَّ عدم معرفتهم يؤدي إلى إشكالات ←

وخصوصًا بعد ما نُقَارِنُ هـذه الآيـةَ بآيـةِ سـورةِ الزمـر[١] [قـال تعـالى]: ﴿اللهُ نَـزَّلَ أَحْسَـنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُـمَّ تَلِينُ جُلُـودُهُمْ وَقُلُـوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٢]، فإنَّ الآيـةَ السـالفةَ تُعَلِّمُنا أنَّ المُتَشابِهَ من شأنِهِ الفتنةَ[٣]، أو احتمالَ التأويلِ، والتأويلُ غيبٌ لا يعلمـهُ إلا اللهُ، هذا وإنَّ آيَةَ الزمرِ[٤] تُعَلِّمُنا بأنَّ المُتَشابِهَ ما من شأنِهِ الابتهاجُ والطَرَبُ.

إذن فهل المُتَشابِهُ في كُلِّ آيةٍ بمعنًى غيرِ ما في الآيةِ الأخرى، من بابِ تَعَـدُّدِ المُـرادِ بِتَعَـدُّدِ الاستعمالِ(المشترك اللفظي)[٥]، أو إنَّ المُتَشابِهَ في كُلِّها مُتَشابِهٌ، أي: متماثِلٌ ومُتَّحِدٌ؟

الراجحُ هُوَ الأولُ، أعني اختلافَ المُرادِ منهُ باختلافِ مواردِ استعمالِ المُتَشابِهِ، فـالمرادُ من المُتَشابِهِ في آيَةِ الزمر، المتجانِسُ في معانيهِ، والمزدوجُ في سجعِهِ ورويِّـهِ[٦]؛ لـذلكَ غَـدَا

→

كثيرة في فهم نصوص القرآن الكريم.

(١) في الأصل: سورة الروم.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣

(٣) نـرى أنَّ هذا القول غير دقيق؛ فليست الفتنـة مـن شـأن الآيـات المتشـابهة، بـل إنَّ القـرآن يصرِّح بأنَّ الآيات القرآنية تقسم على قسمين: المحكمة والمتشابهة، وكُلُّ الذين في قلـوبهم مرض من أهل الضلال ولا يستطيعون التشكيك أو التأويل في الآيات المحكمات، فـإنهم لجأوا إلى الآيات المتشـابهات التي تحتـاج إلى رسـوخ وعلـم دقيـق في بيـان المراد الحقيقـي لكلام الله تعالى، فأضلُّوا الناس بتفسيرهم وتأويلهم، ولـيس هـي آيـات إيهـام في الواقـع، وهذه مسألة مهمة يجب الالتفات إليها وبيانها.

(٤) في الأصل: آية الروم.

(٥) المشترك: هو اللفظ الذي تعدد معناه، وقـد وُضِـع للجميـع كُـلاً عـلى حـدة، مـن دون أنْ يسبق وضعه لأحدهما على الآخر، وهو كثير في اللغة العربية، مثل كلمـة(عـين) وغيرهـا. الشريف الجرجاني: التعريفات: ٩٤، المظفر: المنطق ١/ ٤٣

(٦) الـرَّوِيُّ: حـرف القافيـة الـذي تُبنـى عليـه القصـيدة في كُـلِّ بيـت. الشـريف الجرجـاني: ←

أحسنَ الحديثِ، وغَدَا مثانِيَ تَقْشَعِرُّ منه الجلودُ لبديعِ فصاحتِهِ، وكمالِ بلاغتِهِ.

وأما المُتَشابِهُ في الآيةِ الأُخرى فالمُرادُ منه المتماثِلُ في تشكيكِهِ، المُرَدَّدُ في دلالتِهِ، سواء كانَ هذا الشكُّ أو الحيرةُ حاصلاً من قصورِ أفهامِ الناظرينَ في القرآنِ، أو حاصلاً بوسوسةِ الخَنَّاسينَ، ودسائسِ أهلِ الزيغِ والفتنِ.

وعليه فالمُتَشابِهُ لفظٌ يُطلقُ على المتماثِلِ[1]، لكِنَّ التماثُلَ مختلفُ المظاهِرِ والمواردِ، وباختلافِها يختلفُ المُرادُ والظهورُ، لكنِ العِبْرَةُ في تمييزِ المُرادِ من بينِ المواردِ إنَّما هي بالقرائِنِ المبينةِ، حاليَّةٍ كانت، أو مقاليَّةٍ.[2]

وهذا للمُتَشابِهِ خيرُ تفسيرٍ وأحقُّهُ، ومنه يَتَّضِحُ معنى المُحْكَمِ، إذ هو ضِدُّ المُتَشابِهِ، وبِضِدِّها تتمايَزُ الأشياءُ.[3]

←

التعريفات: ٥٠، ابن منظور: لسان العرب مادة (روي).

(١) المتماثل: هو اللفظ المتباين الذي تكون معانيه كثيرة بكثرة الألفاظ، ويشترك في حقيقة واحدة بها هما مشتركان، والاشتراك والتماثل قد يكون في النوع، أو الجنس، أو الكم، أو الكيفية. للتفصيل ينظر: المظفر: المنطق ١/ ٤٨

(٢) القرينة: أمر يشير إلى المطلوب، وما يدل على المراد من غير أنْ يكون صريحًا فيه. فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٣٣

فالقرينة هي الأساس في صرف اللفظ المشترك إلى المعنى المراد، ونرى أنَّ هذا يتطلب بحثًا وجهدًا وسعة أطلاع على لغة العرب، والقرائن والألفاظ للوصول إلى المراد، وهو أمر تألفه العرب في خطاباتها، ولكن الناس لما ابتعدوا عن أصول تلك اللغة، وامتزجت ألسنتهم بلغات أخرى، حصلت تلك الصعوبات في فهم الكلام.

(٣) تفسير دقيق ولطيف يستحق التأمل فيه.

● **المورد الرابع:**[١]

قال فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾.

المُحْكَمُ في العُرْفِ العامِّ المُتْقَنُ الذي لا يتداخَلُهُ الخَلَلُ[٢]، ومنه الحكمةُ بمعنى الانتظامِ[٣]، والحكيمُ بمعنى الطبيبِ المُنَظِّمِ لأحوالِ الأبدانِ[٤]، والآيةُ المُحْكَمَةُ في عُرْفِنا ما اتَّضَحَ معناهُ، فلا يتداخَلُ ريبٌ من نواحي النسخِ، والتَّجَوُّزِ[٥]، والتخصيصِ[٦]، والآيةُ المُتَشابِهَةُ خلافُها، أي: التي يتداخَلُها احتمالُ مخالفَةِ الظاهِرِ من نسخٍ، أو تَجَوُّزٍ، أو تخصيصٍ، أو اشتراكٍ، أو سائر ما يخالِفُ الظاهِرَ، فالمُحْكَمُ ينقسمُ إلى نَصٍّ، وظاهِرٍ، فالنَّصُّ كقولِهِ [تعالى]: ﴿**وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[٧]، والظاهِرُ كقولِهِ [تعالى]: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ**﴾[٨]، فهو ظاهرٌ في وجوبِ النظافَةِ، والتَّجَمُّلِ عندَ الدخولِ في المساجِدِ، غيرَ أنَّ الظاهِرَ لَمَّا كانَ بالرغمِ من قُوَّةِ ظهورِهِ لا يمنعُ من احتمالِ الخلافِ، جازَ في الآيةِ

(١) مخطوط تنزيه المصحف الشريف: ٤٣-٤٥، مخطوط فوائد هبة الدين ٥/ ٤٢

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة (حكم)، المعجم الوسيط (المحكم).

(٣) ابن منظور: لسان العرب مادة (حكم).

(٤) المعجم الوسيط (المحكم).

(٥) أي الانتقال من الحقيقة إلى المجاز في الكلام.

(٦) التخصيص: هو عبارة عن إخراج من الحكم مع دخول المخرَج موضوعًا، مثل وجوب الصوم على المكلف إلا المسافر. الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن، (الناشر بيك فدك، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، د.م): ٨٦

(٧) سورة النساء: الآية ١٧

(٨) سورة الأعراف: الآية ٣١

حَمْلُ الأمرِ فيهِ على الاستحبابِ، وحَمْلُ المسجدِ على الصلاةِ، وحَمْلُ الصلاةِ على خصوصِ الجمعةِ كما وردَ الأثرُ به.[1]

والخلاصة: إنَّ الآيةَ دَلَّتْ على انقسامِ القرآنِ إلى مُحْكَمٍ ومُتَشابِهٍ بدلالةِ(مِنْ) على التبعيض، وإنَّ المُحْكَمَ هو مرجِعُ المتشابهاتِ، فهو أُمُّ الكتابِ أي: مَرْجِعُهُ، وإنَّ المُحْكَمَ ما اتَّضَحَ معناهُ المحفوظُ من احتمالِ النسخِ، والتَّجَوُّزِ، والتخصيصِ، والاشتراكِ، وخلافُهُ المتشابِهُ الذي يستوي فيه المحتملاتُ، فيتشابَهُ معناهُ.

وينقسمُ المُحْكَمُ إلى النَّصِّ والظاهِرِ، والنَّصُّ هو الظاهِرُ الذي يمنَعُ من كُلِّ احتمالٍ مرجوحٍ[2]، كما أَنَّ الظاهرَ هو ما سبقَ معناهُ إلى الذهنِ ورجحَ إلى غيره[3]، وهو في نفسِ الوقتِ لا يمنعُ بتاتًا من احتمالِ المعاني المرجوحَةِ.

المبحث الثالث: الوجوه المعتبرة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه

لقد ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بالوجوه التي يراها معتبرة في اشتمال الآيات المباركة في القرآن الكريم على المحكم والمتشابه، وهي موارد ثلاثة في مخطوطاته، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها في الآية الشريفة لمعرفة المراد من كُلِّ ما يتعلق بها.

- **المورد الأول**:[4]

قال: إنَّ الضرر[5] الناجم من وجود المتشابهات ليس بحقير الذي يقضى عنه؛ إذ جُلُّ

---

(١) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٢٤٤

(٢) ينظر:الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن: ١٠٢-١٠٣

(٣) ينظر:المصدر والصفحة نفسها.

(٤) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧-٥٤

(٥) في الأصل: ضرر.

ما نزل على الدين وأهله من فتنٍ ومحنٍ وتحويلاتٍ[١] وتمذهباتٍ أثارت فيه وبينهم الضغائنَ والمحنَ، لقد كانت وتكون وسوف تكون من جَرَّاء تأويل المتشابهات، وتحريك أهل الزيغ أنامل فسادهم فيها، غير أنَّ ذلك كُلَّهُ لا يداني عُشْرَ المعشارِ من منافعِ المتشابهات، حسبما[٢] وصفناها بإيجاز[٣]، على أنَّ ذلك قادحٌ ناشيءٌ[٤] من سوءِ استعمالِ قسمٍ من البشر، أو سوءِ فهمٍ، فلا يلحقُ شَأْوَهُ[٥]، أَوَّلُوهُ كلامًا كاملاً نزيهًا عن النقصانِ والقصورِ، ولَسْتُ مبالغًا إذا قلتُ: إنَّ المُتَشابِهَ والمُحْكَمَ هو باعتبارِ أفكارِ البشرِ المنقسمةِ إلى ناقصةٍ وكاملةٍ[٦]، أما جوهرُ كلامِ الربِّ فَمُحْكَمٌ أبدًا، ولا يُضِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا.

- **المورد الثاني:**[٧]

قال: للقرآنِ مقصدانِ ساميانِ أحدهما أسمى من الآخر، فمقصده الأسمى تنويرُ

---

(١) في الأصل: وتحويات.

(٢) في الأصل: حسب ما.

(٣) قد تقدم بيان السيد لمفهوم المتشابه بأسلوب واضح لا إشكال فيه؛ لذا لا يوجد أي أثر سلبيٍّ في اشتمال القرآن على المتشابهات للراسخين في العلم وأتباعهم. ينظر: المبحث الثاني، المورد الثاني والثالث.

(٤) في الأصل: ناش.

(٥) في الأصل: الشؤئه.

(٦) إنَّ هذه مسألة مهمة يجب التأكيد عليها في هذا الباب، فمنشأ الاختلاف هو في أفكار الناس، وليس الاختلاف في كلام الله تعالى، فالله تعالى واحد لا يصدر عنه إلا الكلام الواحد، الذي لا يشوبه أي شك أو اضطراب؛ لذلك نرى أنَّ الراسخين في العلم يذعنون لكلامه عز وجل عن علم وبصيرة، كما بيَّن ذلك في صفاتهم بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

(٧) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧-٥٤

أفكارِ العامةِ (وهم الذين يشكلونَ الأكثريةَ الساحقةَ في أكثرِ الأُمَمِ)، مع توليدِ النظامِ الأتمِّ أبديًّا، وهذا المقصدُ الأسمى، أو العَرَضُ الأصلِيُّ الأسنى، يحصلُ من المُحْكَماتِ؛ ولذلكَ جاءَ في القرآنِ أَنَّهُنَّ أي المُحْكَماتُ ﴿أُمُّ الكِتَابِ﴾، والأُمُّ بمعنى المَقْصَدِ والمرجعِ[١]، ومنه سُمِّيَتِ[٢] الوالدَةُ أُمًّا، وسُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمَّ القُرى، فالمُحْكَماتُ هي المقصدُ الأصليُّ، والمرجِعُ الحقيقيُّ الأبديُّ بما أَنَّ القرآنَ دستورٌ عامٌّ، ومُعَلِّمٌ مُطْلَقٌ حتى القيامِ، أما المُتَشابِهاتُ التي صارتْ مُتَشابِهاتٍ باستعاراتِها وبكناياتِها وبأفانينِها الأخرى، فقد أتى بها لغرضٍ ثانويٍّ، وقَصْدٍ سَنِيٍّ وقتيٍّ، أَلا وهو التأثيرُ على أفكارِ جاحدِهِ، والسلطانُ على عواطفِ مُتَمَرِّدِهِ، والنفوذُ في نفوسٍ وأفئدةٍ لا تلينُ بِلَهَبٍ، ولا بذهَبٍ، ولا بسيفٍ، ولا خشبٍ، وإنما يتلاعَبُ بِهِنَّ تلاعُبَ النسيمِ بالسنابلِ، دقيقُ لفظٍ، ودقيقُ معنًى، وسَلْسالُ مجازٍ[٣]، وعَذْبُ كنايةٍ، ولطيفُ شارَّةٍ[٤]، وجميلُ استعارةٍ، بِهِنَّ وأشباهِنَّ تغلَّبَ القرآنُ على مُنكريهِ بادىء بدءٍ[٥]، ثم بسطَ فيهم أنظمةً من مُحْكَماتِهِ، دامَتْ وتدومُ خالدةً غير بائدةٍ، فكانت تلك بمثابةِ قوةٍ عسكريَّةٍ تُؤَثِّرُ في فتحِ المدينةِ، وهذي بمثابةِ قوةٍ سياسيةٍ تنشرُ النظامَ والسكينةَ.[٦]

---

(١) ٱبن منظور: لسان العرب مادة(أمم).

(٢) في الأصل: سمى.

(٣) السَّلْسالُ: الماء العذب. ٱبن منظور: لسان العرب مادة(سلسل).

(٤) أي ولطيف في مخاصمة أعداء الإسلام بالحجة والبينة، قال ٱبن منظور: ((ويقال: شَارَّهُ وشَارَّهُ وفلان يُشَارُّ فلاناً ويُمَارُّهُ ويُزَارُّهُ أَي يُعاديه، والمشَارَّةُ المخاصمة)). مادة(شرر). أو لعل أصل الكلمة(لطيف إشارة) وأظنه المراد على وفق سياق الكلام.

(٥) في الأصل: بداً.

(٦) إنَّ وصفه الآيات المحكمات بالقوة السياسية وصف بديع ومحكم، وفيه عمق لمعرفة ←

• **المورد الثالث:**[1]

قال: بلغاءُ[2] الحكماءِ قد يَقِفونَ في تخاطبِهِم موقفَ المُعَلِّمِ بين الجَهَلَةِ، أو موقفَ المُبَلِّغِ[3] القانونيِّ بين الغَفَلَةِ، فَيُوَضِّحون مُرادَهُمْ[4] كما يجبُ بأبسطِ العباراتِ المبذولةِ، المناسبةِ لأفهامِ العامةِ، فيتجرَّدُ كلامُهُم من كُلِّ مجازٍ، وكنايةٍ، واستعارةٍ، وعنايةٍ، ترى نظائِرَ ذلكَ في كُتُبِ الحقوقِ، وقوانينِ المِلَلِ، وإبلاغياتِ الدولِ، وللحكماءِ البلغاءِ موقفٌ آخرُ ضِدَّ هذا الموقفِ، ذلك موقفُهُمْ بين المعارضينَ كخطباءٍ، أو بينَ الخاصةِ كغطاءٍ، فيرسلونَ بعبائرَ ملؤها المجازاتُ والاستعاراتُ، ويتفنَّنُونَ بفنونِ الكنايةِ والتشبيهِ، وضروبِ البلاغةِ والبيانِ، ترى نظائِرَ ذلك في قصائدِ البلغاءِ وخطبِهِم، ورسائلِ النُّبَغاءِ[5] وكتبِهِم، والقرآنُ قد سلكَ سُنَنَ المَسْلَكَيْنِ، أي: التوضيح والتأثير، وجمعَ بين رجائِبَ[6] المَوْقِفَيْنِ، بقصدِ تنفيذِ مقصدِهِ بينَ كِلا الفريقينِ، أعني الخاصةَ

→

أبعاد النصر الإلهي لنبيه الكريمﷺ بمعجزته الخالدة، التي أعيت فحولة بلغاء العرب يومذاك، وهذا يدلُّ على إحاطته بأسرار القرآن وإعجازه، فكانت تلك الآيات المباركة موضع سكينة ووقار، لمن يتأمل في ألفاظها ومعانيها، بل مصدر الانشراح والتسليم والاطمئنان، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾. [سورة الرعد: الآية ٢٨]

(١) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧-٥٤

(٢) في الأصل: بلغا.

(٣) في الأصل: مبلغ.

(٤) في الأصل: مراهم.

(٥) في الأصل: نبغاء.

(٦) هكذا في الأصل، ولعلها(أرجابٌ) جمع رَجَبٍ، والترجيبُ هو التعظيمُ. ٱبن منظر: لسان العرب مادة(رجب).

والعامةَ، فتولَّدَ من هذا وذاكَ مُحْكَماتٌ ومُتَشابِهاتٌ.[١]

• **المورد الرابع:**[٢]

قال: تلكَ المتشابهاتُ التي وصفناها خيرُ صفةٍ، [هي] قُوَّةٌ كبرى منتشرةٌ في طَيِّ الكتابِ، تنفعُ في بهجةِ الخاصةِ وسعادتِها، كما تنفعُ في هدوءِ المعارضةِ وهدايتِها، غير أنَّ المنافقةَ الغواةَ طالما[٣] ينتهزونَ فرصةَ استعمالِها ضِدَّ الحقِّ، (كمَنْ يستعملُ نارًا أُضْرِمَتْ للطبخِ في إحراقِ الطابخِ)، فَيُشَبِّهونَ على العوام دلالتَها، ويُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضعِها ومواقعِها؛ ابتغاءَ ضِلَّةِ الأفكارِ، وزَلَّةِ[٤] الأقدامِ، كما جاءَ في القرآنِ[قوله تعالى]: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

المبحث الرابع: حكمة المتشابه في القرآن الكريم وأهميته

ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق بحكمة اشتمال الآيات المباركة في القرآن الكريم على المتشابهات إضافة للمحكمات، وأنَّ هذا لا يخلُّ بعظمة القرآن، بل يزيده حجة وبيانًا، وكان ذلك في موارد ثلاثة من مخطوطاته، بيَّن فيها الجوانب التي يجب بحثها بأسلوب علمي دقيق، قائم على الحجة العقلية والنقلية.

• **المورد الأول:**[٥]

قال: ثبتَ بالإجماعِ وبسائرِ الأدلةِ اشتمالُ آياتِ الذكرِ[٦] الحكيمِ على مُحْكَماتٍ

---

(١) في الأصل: فتولَّد من هذا وذاك محكمات ومتشابهات أولاهما وأخريهما من الأخير.

(٢) مخطوط سرج في ظلمات الحياة: ٤٧-٥٤

(٣) في الأصل: طال.

(٤) في الأصل: وزلت.

(٥) مخطوط الفوائد الطوسية: ٦

(٦) في الأصل: آية ذكر.

ومُتَشابِهاتٍ، ونَصَّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1]، وقد أماطَتِ [الآية] النقابَ عن المنشأ الذي أثارَ في البشرِ اختلافَ[2] الفِرَقِ، وأهلِ الآراءِ والأهواءِ، وكُلٌّ منهم يستندُ إلى آيةٍ في كتابِ اللهِ ما تشابَهَ أَمْرُهُ، وتغامَضَ سِرُّهُ.

إذًا فمن أهم المناحي الدينيةِ والعلومِ القرآنيةِ معرفةُ[3] مُتَشابَهِ القرآنِ، وعلاجُ قضيتهِ ليتبيَّنَ[4] الرشدُ من الغيِّ، وتُعْرَفَ سُبُلُ الهُدى[5] والضلالِ، فالمُحْكَمُ الذي عُدَّ ضِدَّ المُتَشابِهِ إنَّما هو جملةٌ من آياتِ الذكرِ[6] الحكيمِ، لا يختلفُ معناها لدى الخبراءِ باللسانِ من علماءِ المعاني والبيانِ، كـ:﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[7]، وضِدَّ المُحْكَمِ هو المُتَشابِهُ الذي يُتَرَدَّدُ[8] في بيانِ معناهُ، وتختلفُ الأنظارُ في ترجيحِ المقصودِ من لفظِهِ، كما في آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾.[9]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧

(٢) في الأصل: واختلاف.

(٣) في الأصل: معرفت.

(٤) في الأصل: وعلاج قضية يتبين الرشد من الغي.

(٥) في الأصل: الهدا.

(٦) في الأصل: آية ذكر.

(٧) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٨) في الأصل: الذي يتردد الذين.

(٩) سورة طه: الآية ٥

فالعرشُ فيها مُفَسَّرٌ بمعانٍ[١]، والاستواءُ مُرَدَّدٌ مفهومُهُ بينَ أمرينِ[٢]، الأمرُ الذي قَسَّمَ المسلمينَ إلى شطرينِ، شطرٌ منزِّهٌ لربِّهِ عن رسمِ الجسمِ ومن لوازمِ معانيهِ[٣]، وشطرٌ صارَ إلى التجسيمِ وحارَ في أمرِهِ[٤]، فالآيةُ المتشابهةُ إذا[٥] تشابَهَتْ فيها من معانٍ قَرُبَتْ قراءتُها من تَشَعُّبِ الفكرِ والأطباعِ، فهذهِ وتلكَ قادَتْ المُتَعَمِّقينَ إلى التَّفَرُّق.[٦]

---

(١) قال الراغب الأصفهاني: ((العرشُ كُنِّيَ به عن العِزِّ، والسلطانِ، والمملكةِ، قيل: فلانٌ ثُلَّ عَرْشُهُ)). المفردات في غريب القرآن: ٣٤٢ (عرش). وذكر الشيخ ابن شهر آشوب ما يتعلق بمعاني الاستواء التي لا يجوز إطلاقها على الله تعالى؛ لأنها من صفات الجسم، وذكر معاني متعددة لتأويل اللفظ بما لا يتعارض مع تنزيهه تعالى. ينظر: متشابه القرآن ومختلفه ١/ ٦٧

(٢) إنَّ الأمرين كما ذكرهما المفسرون هما: الاستيلاء ولطف التدبير، أو الجلوس على الشيء، والثاني باطل بضرورة العقل والنقل. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٧/ ١٥٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٢/ ٨-٩

(٣) وهذا ما يذهب إليه أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام في تنزيه الله تعالى عن الجسمية ولواحقها، فهي عقيدة ثابتة من عقائد التوحيد، استنادًا على القرآن الكريم والسنة الشريفة والعقل، ووجوب تفسير الآيات الشريفة التي تصف الله تعالى بما يوصف به خلقه على المعاني الأخرى التي تنفي عنه الجسمية. للتفصيل ينظر: المفيد: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ١٠-٥٢

(٤) وهذا ما يذهب إليه السلف من العامة في التعامل مع الآيات التي تتعلق بالتجسيم. ينظر: الأشعري، علي بن إسماعيل: الإبانة عن أصول الديانة: تق وتح وتع: الدكتورة فوقية حسين محمود، (مط التقدم، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م)، ابن قدامة: عبد الله بن محمد: ذم التأويل، تح: بدر بن عبد الله البندر، (دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، د.م).

(٥) في الأصل: إذ

(٦) في الأصل: هذا وذاك وقادت المتعمقين إلى التفرق.

←

إذًا يَحِقُّ لكم التساؤلُ عن الحكمةِ التي أَدْخَلَتْ مثلَ هذه المتشابهاتِ في آياتِ الذكرِ الحكيمِ، بينما هدفُ القرآنِ جمعُ الكلمةِ، وجمعُ شتاتِ الأمةِ، وهدايةُ القُرَّاءِ إلى الحقِّ الذي لا ريبَ فيه، وتنويرُ البصائرِ بالحقائقِ المُتَمَحِّصَةِ عن الشكوكِ والشُّبُهاتِ.

وجوابنا عن ذلك:

* **أولاً**: إنَّ الحكمةَ في وجودِ المتشابهاتِ لو لم تَكُنْ أجلَّ وأنفعَ من وجودِ المُحْكَماتِ فليسَتْ بأَقَلَّ، فإنَّ القرآنَ رشفةُ هدايةٍ عامةٍ لجميعِ أجيالِ البشرِ، وينبوعُ علمٍ خالدٍ ما دامَ البشرُ (الإنسان) والأكوانُ، فَإِنِ اقتصرَ على المُحْكَماتِ الواضحةِ لم يَنْطَوِ[1] الكتابُ على تَجَدُّدٍ فِكْرِيٍّ، وتَطَوُّرٍ نَظَرِيٍّ، والقرآنُ غضٌّ طريٌّ في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ؛ ليستطرفَهُ أبناءُ كُلِّ جيلٍ وقبيلٍ، وما ذلكَ إلا بفضلِ متشابهاتِهِ وتشبيهاتِهِ من زاويةٍ، واستعاراتِهِ وتَفَنُّناتِهِ وكناياتِهِ [من زاوية أخرى].

* **ثانيًا**: لأهلِ العصورِ في مختلفِ الدهورِ أذواقٌ متلوِّنَةٌ، وأنظارٌ متفنِّنَةٌ، وهذا الاختلافُ الطبيعيُّ لا يستقيمُ مع المُحْكَماتِ، وإنَّما يبقى محفوظًا وملحوظًا في المتشابهاتِ.

* **ثالثًا**: إنَّ أسرارَ العالَمِ تتجلَّى في الاكتشافاتِ على وجهِ التدريجِ حسبَ تَدَرُّجِ الحضارةِ، واكتفاءِ البشرِ دَوْرًا فَدَوْرًا، وطَوْرًا فَطَوْرًا، وضروريٌّ للقرآنِ الخالدِ أنْ

←

وللسيد الشهرستاني كلام في تفسير (العرش) وما يتعلق به فيقول: ((ليسَ المذهبُ الصحيحُ ما ذهبَ إليه الحشويةُ وبعضُ الظاهريةِ من أنَّ العرشَ سريرٌ كبيرٌ يجلسُ اللهُ عليهِ جلوسَ الملكِ)). ينظر: مجلة المرشد السنة الثالثة، العدد الأول، بغداد، ١٣٤٦هـ١٩٢٨م): ٢٩-٣١، وللسيد كذلك رسالة مخطوطة في ذلك ينظر: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الرسالة العرشية، (مكتبة الجوادين العامة، الصحن الكاظمي الشريف).

(١) في الأصل: ينطوي.

يمشيَ مع البشرِ حسبَ تَدَرُّجِ علمِهِ، وتَلَوُّنِ حضارتِهِ، وإلا تَلَكَّأَ، [و] يصطدمُ السيرُ في جيلٍ واحدٍ، مَجَّتْهُ الأذواقُ، ونَفَرَتْهُ طِبَاعُ أهلِ ذاكَ الجيلِ، ولسقطَ عن مستواهُ[1] الرفيعِ، والساقِطُ لا يعودُ، فإنِ اقتصرَ على المُحْكَماتِ في عصرِ النزولِ عَجَزَ أنْ[2] يحافِظَ لنفسِهِ المزيَّةَ المطلوبَةَ في بقيةِ العصورِ، أما المتشابهاتُ فهي في وُسْعِها[3] المحافظَةُ على المطلوبِ.

* **رابعًا**: إنَّ العلومَ التي كانت معروفَةً في عصرِ النبوةِ ومِصْرِها هي على اختلافٍ عظيمٍ[4] مع العلومِ التي في القرونِ الوسطى، كما هي على اختلافٍ عظيمٍ مع العلومِ العصريةِ، فلو كانَ القرآنُ يُصَرِّحُ بالتَّحَرُّكِ[5] لآياتِهِ المُحْكَمَةِ لرماهُ الناسُ في عَصْرِ النبيِّ ومِصْرِهِ بالجهالةِ، ومناقَضَةِ الحِسِّ والعقلِ، فلم يَكُ يؤمِنُ به واحدٌ من الناسِ قَطُّ، كما أَنَّهُ لو كانَ مصرِّحًا بسكونِ الأرضِ على وجهٍ مُحْكَمٍ لا يتداخَلُهُ الشَّكُّ لَكانَ أهلُ عصرِنا ينتفضونَ على القرآنِ ويَتَّهِمونَهُ بمخالفَةِ الفَنِّ الحكيمِ، فكأنَّ القرآنَ في جمودِهِ على المُحْكَمِ[أَمَّا أنْ يكون] خاسرًا لإيمانِ أهلِ ذلكَ العصرِ، وأَمَّا خاسرًا إيمانَ هذا العصر به، بخلافِ ما لو سلكَ سبيلَ الإجمالِ في المتشابهاتِ، كقوله [تعالى]: ﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾[6]، أو [قوله تعالى]: ﴿**الَّذِي جَعَلَ**

---

(١) في الأصل: مستوى.

(٢) في الأصل: عن.

(٣) في الأصل: أما المتشابهات وفي وسعها.

(٤) في الأصل: العظم.

(٥) أي إنَّ الأرض متحركة.

(٦) سورة النمل: الآية ٨٨

لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾[١] إلى غيرِ ذلكَ من آياتٍ متشابهاتٍ تشيرُ إلى[٢] حركةِ الأرضِ من طَرْفٍ خَفِيٍّ[٣]، فإنَّ ذلكَ وَجْهٌ متوسِّطٌ يُلائِمُ ذَوْقُ العامَّةِ في عَصْرِهِ، كما يُلائِمُ ذوقَ الخاصةِ في هذا العصرِ، ويصبحُ كتابًا محبوبًا في كافةِ العصورِ.

* **خامسًا**: إنَّ القرآنَ معجزةُ الإسلامِ الباقيةِ ببقاءِ الدهورِ والبشرِ، فلا بُدَّ من اشتمالِهِ على المعجزاتِ العلميةِ، والأسرارِ الغيبيةِ لأبناء كُلِّ جيلٍ وقبيلٍ، من خلالِ آياتهِ، [كـ]بيانِ مَسْكُونيَّةِ السمواتِ بالحيواناتِ كَمَسْكُونِيَّةِ أرضِنا بها في آية**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾**[٤]، فلو لم تُنْزَلْ هذهِ الحِكمةُ المُحْكَمَةُ لذي المتشابهاتِ لَصَرَخَ المنافقونَ بالناسِ، وأثاروا[٥] الغوغاءَ على النبيِّ بأَنَّهُ مجنونٌ -حاشاه-، يزعمُ بوجودِ البغالِ والحميرِ في السمواتِ العُلا.[٦]

---

(١) سورة طه: الآية ٥٣

(٢) في الأصل: على.

(٣) للتفصيل في بيان الاستدلال بالآية المباركة على حركة الأرض ينظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٥/ ٤٠٥-٤٠٦، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٢/ ١١٥-١١٦

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٩، في الأصل: آية في سورة الشورا.

من خلال هذه الآية الشريفة يمكن القول بوجود كائنات حية في الكواكب السماوية المتعددة، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: **﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾**. ينظر: الشهرستاني، هبة الدين: الهيأة والإسلام، تق: السيد أحمد الحسيني، (الآداب، النجف، ١٣٨١هـ ١٩٦١م، د.ط): ٧٨، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٥/ ٣٩٢

(٥) في الأصل: أثارو.

(٦) في الأصل: العلى.

إنَّ السيد يحاول في بيانه أو تفسيره للقرآن الكريم أنْ يجمع بين الموروث الديني من ←

* **سادسًا**: إنَّ هـذا القـرآنَ الـذي يتحدَّى فِصـاحَ[١] العـربِ والعجـمِ، وبلغـاءَ الأُمَـمِ، بأنَّـهُ مُعْجِـزٌ لا يُبَـارى لا بُـدَّ أنْ[٢] يسـتكثرَ في آياتـهِ المجـازاتِ، والاسـتعاراتِ، والكنايـاتِ، والمحاسنِ البديعيةِ صيانةً[٣] لِوَدَعَةِ[٤] إيجازِهِ وإعجازِهِ، فتنقلبُ إلى المتشابهاتِ بالطبعِ.

وهذِهِ وجوهٌ وجيهـةٌ لم أجـد أحـداً سـبقني إليهـا، أضـفتُها إلى مـا سـجَّلَهُ ابـن شـهر آشوب السروي.[٥]

→

نصوص قرآنية وأحاديث شريفة، وما توصَّل إليه العلم الحديث في نظرياته العلمية الثابتة، ويبيِّن عظمة الشـريعة في مجاراتها للعلـوم الحديثة، فهـو يتحـدث عـن الفلك، ودوران الأرض حول الشمس، وغيرها مما اكتشفه العلم الحديث، وهذا ما ذكره في كتابه القيم الهيأة والإسلام، فهو يريد أنْ يجعل من النصوص الشـرعية شريعة قائمة بذاتها، تواكب المسيرة الإنسانية، وليست نصوص قانونية جامدة؛ لذلك كان ﷺ من المصلحين المسلمين في العصـر الحديث الذين يقرؤون الشـريعة قراءة حياة دائمة متطورة، لا حياة تراث وموروث ديني، يجب التسليم له طوعًا أو كرهًا، ومراجعة مثلاً كتاب الهيأة والإسلام تؤكد ذلك.

(١) فِصاح جمع فصيح، قال ابن منظور: فَصُحَ الرجلُ فَصاحَةً فهو فَصِيحٌ من قومٍ فُصَحاء وفِصاحٍ وفُصُحٍ. لسان العرب مادة(فصح).

(٢) في الأصل: لابد وأنْ.

(٣) في الأصل: صيانتًا.

(٤) هكذا في الأصل. وداعة فهو وديع ووادع أي ساكن. ابن منظور: لسان العرب مادة (ودع)، أي سكون واطمئنان المسلمين بإيجاز القرآن وإعجازه.

(٥) إنَّ بعض هذه الوجوه قد ذكرها السيد الشهرستاني عند تقديمه لكتاب متشابه القرآن ومختلفه للشيخ ابن شهر آشوب المازندراني ، وقد ذكر أكثر مما تقدم من الوجوه. ينظر: ابن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه، صفحة ج — و، وذكر بعضها في كتابه المعجزة الخالدة ينظر: ٨٦-٩١ تحت عنوان(المتشابهات القرآنية خزانة المعجزات).

←

● **المورد الثاني:**[١]

قال: تَكَلَّفَ بعضُهُم في سَرْدِ الحِكَمِ لإيجادِ المتشابهاتِ في القرآنِ فأخطأَ الطريقَ[٢]؛ لأَنَّ المقامَ يناسِبُهُ ذِكْرُ العِلَلِ والأسبابِ دونَ الحِكَمِ والأغراضِ[٣]؛ لأنَّ الحِكْمَةَ تَصْدُقُ على النتيجةِ المقصودَةِ[٤] بالذات، دونَ المتولِّدَةِ من غيرِ عنايةٍ، أَلا تَرَى أَنَّكَ [إذا] أَكْثَرْتَ من الأَكْلِ فَثَقُلْتَ، يَصْدُقُ عليكَ أنَّ عِلَّةَ ثِقَلِكَ كَثْرَةُ أَكْلِكَ، ولا تَصْدُقُ الحِكْمَةُ ولا الغَرَضُ، كذلكَ الأمرُ في المُتَشابِهِ[٥] فإِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ من استعمالِ المجازاتِ، والكناياتِ، والتشبيهاتِ، والاستعاراتِ، وسائرِ أفانينِ[٦] البلغاءِ في آيِ الفرقانِ، كما يَتَوَلَّدُ الإجمالُ أحيانًا من الإيجازِ، وهذا المُتَوَلِّدُ قهرًا وبلا عناية ليس مقصودًا بالذاتِ لدى المُتَكَلِّمِ حتى نَتَكَلَّفَ من أجلِها بِسَرْدِ الحِكَمِ والأغراضِ، ويكفينا ذِكْرُ العِلَّةِ والسببِ

→

وعند تتبع الباحث الكتاب لم يَطَّلع على شيء قد ذكره ابن شهر آشوب حول أسباب اشتمال القرآن الكريم على المتشابهات، وإنما يبدأ كتابه بعد تعريف المحكم والمتشابه ببيان ما يتعلق بالآيات المتشابهات، وللسيد الشهرستاني تعليقات مخطوطة على هذا الكتاب.

(١) مخطوط رؤوس الدروس ٢/ ١٣٨

(٢) منها ما ذكره الفخر الرازي ينظر: التفسير الكبير ٧/ ١٤١-١٤٢

(٣) نرى أنَّ معرفة علل أحكام الشريعة المقدسة لا يمكن لأحد معرفتها، إلا مَنْ أطلعه الله تعالى على ذلك؛ لأنَّ العلة سبب إيجاد المعلول وهو الحكم الشرعي في هذا المحل، ولما كان الله تعالى هو المشرِّعُ للأحكام في كتابه المجيد فمعرفة علة الأحكام محصورة فيه وبمن أطلعه عليها، وكُلُّ ما يذكره غيرهم فهو يقع ضمن الحكمة وليس العلة.

(٤) في الأصل: مقصدة.

(٥) في الأصل: متشابه.

(٦) الأفانين: الأساليبُ، وهي أجناسُ الكلامِ وطرقُهُ. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، مادة (فنن).

بمحصولِ المتشابهاتِ في القرآنِ كما ذَكَرْنا.[١]

- **المورد الثالث:**[٢]

قال: قد ذَكَرْنا في كُتُبِنا ما يَكْشِفُ القناعَ، ويَحْسِمُ النزاعَ، فأوردنا في تفسيرنا حجة الإسلام[٣] ما هذا لفظه: إذا فُسِّرَ المُحْكَمُ بما لا يشتبِهُ السامعُ في معناهُ، وإذا فُسِّرَ المُتَشابِهُ بما يشتبِهُ الفَرْضُ فيهِ على المُخَاطَبِ، فالقرآنُ الحكيمُ نزلَ من عندِ اللهِ على نبيهِ الكريمِ مُحْكَمًا كُلُّهُ بدليلِ قوله [تعالى]: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[٤]، وإنَّما حصلَ التشابُهُ في المُتَشابِهِ من آياتهِ بسببِ اختلافِ أفهامِ الناسِ، فَرُبَّ آيةٍ مُحْكَمَةٍ عندي ومتشابِهَةٌ عندِ تلميذي، وَرُبَّ آيةٍ متشابهةٍ عندَ العوامِ مُحْكَمَةٌ عندَ العلماءِ[٥]، فالراسخونَ في العلمِ يَرَوْنَ القرآنَ

---

(١) إنَّ كُلَّ ما ذكره السيد فيما تقدم هو من الحكمة وليس العلة، وقد تكون تلك الحِكَم موافقة للواقع أو غير موافقة، فضلاً عن أنه قد عبَّر عنها بأنها من الحكمة فقال: إذًا يحق لكم التساؤل عن الحكمة التي أدخلت مثل هذه المتشابهات في آيات الذكر الحكيم. ولم يقل العلة.

(٢) مخطوط الدلائل والمسائل ٤/ ٥٨١ وهو جواب لسؤال وُجِّهَ لسماحته حول الحكمة من اشتمال القرآن على المتشابهات وهذا نصه: ((كيف نزل القرآن مشتملاً على المتشابهات وقد قال سبحانه: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾)).

(٣) لم نحصل عند مراجعته هذا التفسير على هذا القول؛ لأنَّ التفسير هو أوراق أُعِدَّت لموضوعات في التفسير، وأغلب صفحات التفسير فارغة، فلعل السيد قد ذكر ذلك في مسودات التفسير والتي أغلبها بخطه، وقد كتبها عند فقده لبصره ولا يمكن لأحد قراءتها فضلاً عن فقدان أعلبها أو كلها.

(٤) سورة الشورى: الآية ١

(٥) إنَّ القرآن الكريم لا يمكن أنْ يكون فيه تفاوتٌ مطلقًا لو فُهِمَ من خلال اللغة التي نزل بها، مضافًا للاعتقاد الصحيح بأصول العقيدة الإلهية؛ لأنَّ لغة التخاطب متفق عليها بين ←

لديهم مُحْكَمًا جُلَّهُ، بل كُلَّهُ[١]، وقِسْمٌ من العوامِ يجدونَ القرآنَ مُتَشابِهًا كُلَّهُ، أو جُلَّهُ[٢]، وعليهِ فلم ينزلِ القرآنُ مُتَشابِهًا(حتى ولا بعضه) بالإضافةِ إلى اللهِ ورسولهِ والراسخينَ في العلمِ في الأكثرِ، وإنَّما حصلَ التشابُهُ في آياتٍ[٣] قليلةٍ أو كثيرةٍ، بسببِ اختلافِ مقدرةِ السامعينَ العلميةِ، فلا يُنْكَرُ وجودُ المُتَشابِهِ في القرآنِ حسبما[٤] صَرَّحَتْ به الآية ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[٥]، كما لا نَنْكُرُ وجودَ المُحْكَماتِ مهما اختلفَ أمرهُما بحسبِ الإضافاتِ، غير أَنَّنا نُفَرِّقُ بينَ القولِ

→

الجميع، وأصول العقيدة واضحة لا خفاء فيها؛ لذلك نرى أنَّ العلماء قد جمعوا تلك الآيات المتشابهة وبيَّنوا سبب ذلك التشابه، فليست المسألة مفتوحة الباب، ليتطور ذلك الخلاف في فهم الآيات المباركة.

(١) في ذلك إشارة إلى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل يقول: ((**وإنما هلكَ الناسُ في المتشابهِ؛ لأنهم لم يقفوا على معناهُ، ولم يعرفوا حقيقتهُ، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهِم بآرائِهم، واستغنَوا بذلكَ عن مسألةِ الأوصياءِ، ونبذوا قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وراءَ ظهورهِم**)). الشريف المرتضى: رسالة المحكم والمتشابه: ٦٩، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ٢٠٠ باب (عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام) الحديث ٦٢

إنَّ هذا القول يدل على أنَّ السيد الشهرستاني يذهب إلى القول بعلم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الكريم.

(٢) إنَّ العوام لا يمكن الاعتماد عليهم في فهم قول الله تعالى -كله- من عدمه، من دون الرجوع لأهل الذكر؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، وهي تحوي أساليب متعددة في التخاطب، وهذا لا يعني أنه ليس حجة عليهم، ولا هاديًا لهم.

(٣) في الأصل: آياته.

(٤) في الأصل: حسب ما.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧

بنزولِ القرآنِ كذلكَ، وبينَ القولِ بوجودِ القرآنِ بهذهِ الصفةِ، والمرادُ من نزولهِ أَنَّهُ أُوحِيَ على رسولهِﷺ مما أُوحِي به على محمدٍ لا مُتَشابِهًا فيهِ عندَ اللهِ وعندَ رسولهِ والراسخينَ في العلمِ(١)، لكنَّهُ بعدَ التبليغِ للمخاطبينَ انقسمَ بحسبِ أفهامِهم العامَّةِ إلى واضحاتٍ هُنَّ أصلُ القرآنِ وقوانينُهُ، وأحكامُهُ العامَّةُ، كما انقسمَ إلى متشابهاتٍ تَضَمَّنَتْ المجازاتِ، والكناياتِ، وسائرِ أساليبِ البلغاءِ حسبَ تناسُبِ، أو تفاوُتِ درجاتِ الناسِ في العلمِ والفَنِّ، والحكمةُ في هذا:

* **أولاً**: اختلافُ الأذواقِ والأفهامِ، وتَطَلُّبُ كُلٍّ ما يناسبُهُ، كاختلافِهم في طباعِهم في التذوُّقِ بالأطعمةِ والألبسةِ.
* **ثانيًا**: قُوَّةُ الكلامِ ومزاياهُ الكمالية، كما هو محسوسٌ في آثارِ البلغاءِ نظمًا ونثرًا.
* **ثالثًا**: إنَّ وجودَ المتشابِهِ هو مادةُ الخلودِ، فالكتابُ الخالِدُ يجبُ أنْ يشتملَ على أسبابِ الخلودِ، وهي أنواعُ المتشابِهِ التي تجعلُ الكتابَ محبوبًا ومرغوبًا عندَ الناسِ، على اختلافِ أجيالِهم وأذواقِهِم.

المبحث الخامس: الآيات المتشابهة التي ذكرها السيد الشهرستاني

ذكر السيد في مخطوطاته ما يتعلق ببعض الآيات المتشابهات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح للمتشابه، وبيان أقوال المفسرين في توجيهها، وقد استعرض ذلك في موارد ثلاثة من مخطوطاته، كمثال للمتشابهات في القرآن الكريم وليس على سبيل الحصر،

---

(١) نرى أنَّ هذا كلام مهم جدًّا، وفي غاية الدقة والتحقيق، ويجب بيانه في الدراسات القرآنية؛ ليكون الباحثون على دراية في مباحث علوم القرآن، فضلاً عن رد شبهات المشككين حول الإعجاز القرآني، فالقرآن كتاب محكم في آياته، منزل لهداية البشرية كلها بأعذب أسلوب، وأوضح دلالة على الرغم من اْشتماله على الآيات المتشابهات.

وأثر ذلك على العقيدة الإسلامية، وخصوصًا مباحث التوحيد، والذي هو أهم أصول العقيدة في الديانات السماوية، وتنزيهه عما لا يليق بذاته المقدسة، من صفات النقص والسلب والإمكان، وانقسام المسلمين في فهم تأويل هذه الآيات، وأثر ذلك على معرفتهم بالله تعالى.

● **المورد الأول:**[(١)]

قال: قال سبحانه في سورة الحاقة: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾[(٢)] لم يذكر ربُّنا المُمَيِّزَ للثمانيةِ، فلا يعلمُ أحدٌ المُرادَ منها، ثمانيةُ رجالٍ من الإنسِ، أو الجنِّ، أو ثمانيةُ أملاكٍ، أو ثمانيةُ إسطواناتٍ أو قوائمَ، أو ثمانيةُ قوى، أو ثمانيةُ كراتٍ، أو ثمانيةُ أرواحٍ أو غير ذلك.[(٣)]

ومن المُقَرَّرِ في فَنِّ البلاغةِ وعلمِ المعاني والأصولِ أنَّ حذفَ المُتَعَلِّقِ يفيدُ العمومَ[(٤)]؛ ولذلكَ عَدَّ المفسرونَ هذهِ الآيةَ من المتشابهاتِ لإجمالٍ فيها، وما أبدعَ جمالِ هذا الإجمالِ وانطوائِهِ على أسرارٍ مُهِمَّةٍ، وعُلومٍ جَمَّةٍ...[(٥)]

---

(١) مخطوط الرسالة العرشية: ٣٧، مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ١٥٢-١٥٣ وفيه سؤال وُجِّهَ لسماحته حول الآية وهذا نصه: ((مَنْ هم الثمانية الذين يحملون عرش الله كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾)).

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧

(٣) لقد ذكر المفسرون آراء متعددة في تفسير الآية الشريف. للتفصيل ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٦/ ٢٧٤، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٩٩، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٦٠٦

(٤) البروجوردي، مرتضى: مستند العروة الوثقى، (العلمية، قم، ط١، ١٤١٤هـ) ٢/ ٦٢

(٥) ذكر السيد في رسالته العرشية بعض أقوال المفسرين في تفسير(الثمانية) واختلافهم فيها، وكذلك أشار إلى ما يتعلق بالآية في مخطوط تفسير المحيط، أوراق مخطوطة غير مرقمة، ←

● **المورد الثاني:**[(١)]

قال: إنَّ الآية ﴿**لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[(٢)] من المتشابهاتِ التي نشأَ إجمالُها من حذفِ فعلٍ بأوَّلِها، وحذفِ اسمِ مُميِّزِ العددِ بآخرِها[(٣)]، والقرآنُ العظيمُ إذ يجري أحيانًا على الإيجازِ، وأنواعِ المجازِ، كعادةِ الخُطَباءِ البُلَغاءِ، فلا تَنْفَكُّ آيةٌ من إجمالٍ وتشابُهٍ على الأكثرِ، لذلكَ قالَ الإمامَ سيدنا علي(عليه السلام) لابن عباس في محاكمتهِ الخوارجَ بالقرآنِ: ((**إنَّ القُرْآنَ حَمَّالٌ ذو وجوهٍ**))[(٤)]، أي يقبلُ الاحتمالاتِ والتوجيهاتِ، [ولا] سيما على غيرِ الراسخينَ في العلمِ؛ بسببِ إيجازِهِ، وكثرةِ مجازِهِ، والإيجازُ والمجازُ قُطْبَا كُرَةِ الإجمالِ في كُلِّ كلامٍ.

وبالجملةِ فالوجوهُ المحتملةُ في هذهِ الآيةِ قد تجوز تسعة عشر:[(٥)]

١- إنَّها عددُ عصاةٍ معلومينَ[(٦)] من مشاهيرِ عصاةِ عصرِ النبيِّ[(صلى الله عليه وآله وسلم)] ومعانديه من

←

وقد فقلنا ما له علاقة بالدراسة.

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ١٥٢ وهو جواب لسؤال وُجِّهَ لسماحته وهذا نصه: ((ما هو المراد من آية ﴿**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾، وإذا كانوا ملائكة فما السر في هذا العدد؟)).

(٢) سورة المدثر: الآيتان ٢٩-٣٠

(٣) نرى أنه على الرغم من أنَّ التمييز محذوف ولكن العرب فهمت من ذلك أنهم ملائكة من دون غيرهم، وهذا ما بَيَّنته الآية التالية ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلا مَلَائِكَةً**﴾؛ لذلك نرى أنهم في أول أمرهم كانوا يستهزؤون بهذا العدد مقابل بَأْسِهم وقُوَّتِهم وتهديدِهِم للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: القمي: تفسير القمي ٢/ ٣٩٣، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٨١

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣/ ١٥٠

(٥) وقد ذكر السيد اثني عشر منها فقط.

(٦) في الأصل: معلومون.

كُفَّارِ الحجازِ، ومنافقةِ قريشٍ، مثل: أبي سفيان، وأبي جهل، وأبي لهب.[(١)]

٢- إنَّهم ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ يسجرونَ النارَ اللَّواحَةَ، أو يَجُرُّونَها إلى العصاةِ، أو العصاةَ إليها.[(٢)]

٣- إنَّهم مشاهيرُ عصاةِ العالَمِ من إبليسِ آدمَ، وقابيلَ، وفرعونَ إلى آخرِ الدهرِ من صناديدِ الجورِ والفجورِ.

٤- إنَّها حروفُ البسملةِ فهي ١٩[حرفًا]، وأحكامُ الوحيِ لواحةٌ للبشرِ(...) بحقائقِ الأمرِ، وعلى عناوينِها ١٩ حرفًا معلومة بقول الباطنية(...) وشبيه أضرابهم.

٥- إنَّها حُجُبٌ مَسْدولَةٌ على النارِ من روادعِ النُّبُوَّاتِ، والحِكَمِ، والآياتِ.

٦- إنَّها قناطِرُ وجسورٌ ممدودةٌ على شفا حُفَرِ النارِ للجوازِ عنها، أو أسبابُها من شرائِعَ، أو شفعاء.

٧- إنَّها مُطْفئاتُ النارِ، ومضاداتُ فعلِها من مذاهِبَ وأئمَّةٍ.

٨- إنَّها شهودٌ ودلائلُ قائمةٌ على أنَّ لله نارًا[(٣)] لَوَّاحَةً للبشرِ.

٩- إنَّها كُتُبٌ سماويَّةٌ، أو علائِمُ وآياتٌ سالِفَةٌ تَنُصُّ على وجودِ هذهِ النارِ.

---

(١) إنَّ الروايات الشريفة ذكرت من أولئك العصاة الكفرة في موارد تفسير الآية أبا جهل من دون سواه من رفيقيه في الكفر والعصيان أبي لهب و أبي سفيان، وإنْ كان الأمر يشملهما قطعًا؛ لمواقفهما الصريحة ضد الشريعة الإسلامية المقدسة. ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٦/ ٤٩٥، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٨١، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٨/ ٤٠٨

(٢) قد تقدم أنهم من الملائكة الموكَّلين بهذه المسؤولية.

(٣) في الأصل: نار.

١٠- إنَّها أدوارٌ ماضيةٌ من قرونٍ وسنينَ مَرَّتْ على هذهِ النارِ المُسْجَّرَةِ، وهي مبالغةٌ في تسجيرِها، وإذكائِها.

١١- إنَّها درجاتٌ وطبقاتٌ لهذهِ النارِ اللواحةِ.[١]

١٢- إنَّها أصنامٌ فخيمةٌ كانت على الكعبةِ.

إلى غيرَ ذلكَ من الوجوهِ المحتملةِ في هذه الآيةِ[٢]، بسببِ حذفِ مُتَعَلَّقِ الظرفِ[٣] ﴿عَلَيْهَا﴾، وحذفِ المُمَيِّزِ للعددِ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، لكِنَّ الراجِحَ الواضِحَ هو الرأيُ الأولُ[٤]، أشارَ بذلكَ إلى رؤساءِ الأحزابِ المعارضةِ للنبيِّ ولدينِهِ، والحِكْمَةُ في الإجمالِ ليستْ رعايَةُ السَّجَعِ فقط، بل التقيةُ من أولئِكَ الكفرةِ الأقوياءِ[٥] بأجملِ تعبيرٍ.

---

(١) الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢٩/ ١٢٦

(٢) إنَّ كثيرًا من هذه التفسيرات التي أوردها السيد الشهرستاني لم يذكرها المفسرون في تفاسيرهم، بعد استقصائنا لأغلب التفاسير، ولعلَّ بعضها غير واضح الدلالة، ولم يذكر السيد مستنده في كل ذلك.

(٣) في الأصل: ضرف.

(٤) إنَّ الرأي الذي يرجحه السيد الشهرستاني القائل بأنه عدد لعصاة معلومين لم يذكره أحد من المفسرين، وكذلك أنَّ السيد نفسه لم يذكر أولئك العصاة بأسمائهم، ولا الروايات الدالة عليه، فضلاً عن أنَّ السياق لا يدلُّ على ذلك، بل إنَّ أغلب التفاسير ترجح أنَّ المراد بأولئك هم الملائكة، ولعل ما يؤيد ذلك هو سياق الآيات التي تلتها إذ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلَائِكَةً﴾. [سورة المدثر: الآية ٣١]

(٥) نرى أنَّ هذا تعليل غير واضح الدلالة للأسلوب القرآني في تعامله مع الكافرين وغيرهم، فلا يتقي أحدًا خوفًا منه إنْ أراد ذكر اسمه صريحًا، بل هناك أبعاد أخرى لعدم ذكرها من قبيل احتمال هدايتهم للإسلام وغير ذلك، وإلا فقد ذكر من أولئك العتاة أبا لهب وامرأته بصريح القول، فضلاً عن مخالفة هذا القول لرأيه بأنهم من مشاهير العصاة ←

● **المورد الثالث:**[(١)]

قال: قال تعالى في سورة القيامة: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾**[(٢)] والنَّاظِرَةُ بمعنى المُنْتَظِرَةُ[(٣)]، كما في قولِ الشاعرِ: (وإنَّ غدًا لناظرهِ قريبُ).[(٤)]

س: تدلُّ هذهِ الآيةُ بظاهرِها حصولَ الرؤيةِ لجملةٍ من الناسِ، وقد دَلَّتْ آياتٌ كثيرةٌ على أَنَّهُ تعالى لا يُرَى، ولا تُدْرِكُهُ الأبصارُ.[(٥)]

→

المعلومين في زمن النبيﷺ، ولم نَرَ أنَّ التأريخ يذكر أنه كان يعامل هؤلاء بالتقية، بل كان يذكر كفرهم وشركهم، ويدعوهم إلى الإسلام صراحة وعلنًا بأسلوبه الحكيم.

(١) الشهرستاني، هبة الدين: أوراق مخطوطة ملحقة بمخطوط حديث مع الدعاة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٦-٧ تحت عنوان: (عدم رؤية الله ولا تناقض في القرآن).

(٢) سورة القيامة: الآيات ٢٢-٢٥

(٣) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (نظر)، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥٢٠ (نظر)،ابن منظور: لسان العرب مادة (نظر).

(٤) عجز بيت من قصيدة للشاعر هُدبة بن الخشرم العُذري يقول في مطلعها:

طَرِبْتَ وأَنْتَ أَحْيانًا طَرُوبُ وكَيْفَ وقَدْ تَغَشَّاكَ المَشِيبُ

إلى أنْ يقول:

فإِنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليومِ وَلَّى فإنَّ غَدًا لِناظِرِهِ قَرِيبُ

الجبوري، يحيى: شعر هدبة بن الخشرم، (دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م): ٥٧، وصار مثلاً عند العرب يضرب للانتظار، قال الميداني: (إنَّ غدًا لناظرهِ قريبٌ) أي لمنتظره، وأول مَنْ قال ذلك قُرَاد بن أجدع. أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت) ١/ ٧٠

(٥) مثل قوله تعالى: **﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾** [سورة

←

ج: لا تناقُضَ بينَ هذهِ الآيةِ وتلكَ الآياتِ عندَ التدبُّرِ في معانيها، وقد أُمِرْنَا بالتدبُّرِ في آياتِ اللهِ دونَ أنْ نَمُرَّ عليها عُمْيانًا، وإذا تَدَبَّرْنا الآيةَ وَجَدْنا وجوهًا تكشفُ لنا مغلطةَ هذا التناقضَ الموهومَ، (منها): إنَّ آياتِ القرآنِ تنفي رؤيةَ اللهِ تعالى بالأبصارِ، وهذهِ الآيةُ صريحةٌ في أنَّ الوجوهَ ناظِرَةٌ دونَ الأبصارِ، وليست الوجوهُ ها هنا كنايةً عن الأبصارِ[1]؛ لأنَّ الأوصافَ المذكورةَ للوجوهِ لا تناسبُ شيئًا[2] منها الأبصارَ، حتى يسوَّغَ لنا تفسيرَ الوجوهِ بها، لا في هذهِ الآيةِ ولا في غيرِها؛ لتوصيفِهِ الوجوهَ أولاً بالنضارَةِ[3]، وهي صفةٌ للوجهِ الحقيقيِّ المشتملِ على الأنفِ، الأنفِ، والجبينِ، والعينِ، والفمِ، وليست مناسبةً لخصوصِ العينِ.

ولتوصيفِهِ الوجوهَ ثانيةً بالباسِرَةِ[4]، وكذلكَ توصيفِ الوجوهِ بالصفاتِ الأُخَرِ في بقيةِ الآياتِ كقوله تعالى: **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ**

→

الأنعام: الآية ١٠٣]، وقوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [سورة الأعراف: الآية ١٤٣] وغيرهما من الآيات المباركة.

(١) قال الفخر الرازي: وقد ذكر العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة. التفسير الكبير ٣٠/ ٦١٣

(٢) في الأصل: شيء.

(٣) الناضرة أي الحسنة الرونق، المشرقة. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١٩ (نضر)، الطريحي: مجمع البحرين ٤/ ٣٢٦ (نضر).

(٤) الباسرة أي الكالحة، المكروهة، العابسة. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٥١ (بسر)، الطريحي: مجمع البحرين ١/ ١٩٨ (بسر).

وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[(١)]، فإنَّ صفةَ النعومَةِ والخشوعِ والسقيِ وغيرِها تناسِبُ الوجهَ الحقيقيَّ، دونَ الباصرةِ.[(٢)]

فإذا تعيَّنَ بإرادةِ المعنى الحقيقيِّ من لفظِ الوجوهِ تبيَّنَ أولويةَ تقديرِ المضافِ، كالغفرانِ، والرحمةِ، والثوابِ وسائرِ ما يناسِبُ السياقَ، وإنَّ التقدير: (وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى ثوابِ رَبِّها ناظِرَةٌ)[(٣)]، أو إلى رحمةِ رَبِّها، وتقديرُ المضافِ أمرٌ شائعٌ في كُلِّ كلامٍ

---

(١) سورة الغاشية: الآيات ١-٩

(٢) أي: إنَّ الوجه سوف تظهر عليه في ذلك اليوم علائم جزاء أعماله الصالحة والطالحة يوم القيامة، وفي ذلك بشارة للمؤمنين، وتوبيخ وذلٌّ للكافرين، قال الشيخ الطبرسي في تفسيره: ((وإنّما ذكرَ الوجوهَ لأنَّ الذُّلَّ والخضوعَ يظهرُ فيها)). مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٣٥

(٣) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٩٧

وقد فصَّل القول الشيخ الطبرسي في الوجوه المحتملة، وحذف المضاف، والرد على القائلين برؤيته تعالى. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٩٨

وذكر الفخر الرازي أقوال المعتزلة في المسألة وتفسيرهم للفظ(النظر) وٱستحالة ذلك على الله تعالى ومناقشة الأقوال. ينظر: التفسير الكبير ٣٠/ ٧٣٠-٧٣٣

ومن غريب القول: إنَّ الله تعالى يُرى يوم القيامة، وهذا من المباحث التي بُحِثت في العقائد، فتمسَّكَ بعض المسلمين بأحاديث نسبوها إلى رسول اللهﷺ فجعلوها عقيدة ثابتة يؤمنون بها، فقالوا: ((ونَدِينُ بأنَّ اللهَ يُرى في الآخرةِ بالأبصارِ، كما يُرَى القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَراهُ المؤمنونَ كما جاءَتْ الرواياتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه[وآله] وسلم)). الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة: ٢٦

وذكر ٱبن الجوزي في تفسيره الآية الشريفة: ((روى عطاءٌ عن ٱبنِ عباس قال: إلى اللهِ ناظرةٌ. قال الحسنُ: حَقٌّ لها أنْ تَنْضَرَ وهي تنظرُ إلى الخالقِ، وهذا مذهبُ عكرمة. ←

ومقالٍ، [فـ]لَزِمَ تفسيرُ النظرِ بالانتظارِ.

وإنَّما يتعيَّنُ تقديرُ المضافِ بعد إبقائِنا اللفظَ على معناهُ الحقيقيِّ؛ لأنَّ الوجهَ الحقيقيَّ لا معنى لكونِهِ ناظرًا إلى سبحانِهِ، لا عندَنا ولا عندَ مخالِفينا في المسألةِ؛ لأنَّ الإثباتَ منهم، والنفيَ مِنَّا، إنَّما يتعلَّقُ بحصولِ النظرِ إلى الباري نفسِهِ بآلةِ البَصَرِ[1] فيتعيَّنُ...[2]

→

ورؤيةُ الله عزوجل حَقٌّ لا شَكَّ فيها، والأحاديثُ فيها صِحَاحٌ، قد ذَكَرْتُ جملةً منها في المغني و الحدائق)). وذُكِرَتْ في الهامش أحاديث تنسب إلى النبيﷺ تؤكد رؤيته سبحانه وتعالى. زاد المسير ٨/ ٤٢٢

ونرى أنَّ حديث ٱبن عباس يذكر لفظ (النظر) وليس (الرؤية) كما في القرآن الكريم، والأول فيه معانٍ متعددة، بخلاف الثاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنَّ في قول الحسن عدم وجود أية ملازمة عقلية بين النضرة وبين رؤيته تعالى.

(١) إنَّ للسيد الطباطبائي في تفسيره رأيًا فلسفيًّا مهمًّا فيما يتعلق بالرؤية على قسميها البصر-والبصيرة، وٱمتناع الأولى على الله تعالى، وإمكان الثانية في الآخرة، وتوجيه الروايات الواردة في ذلك، ما يستحقُّ التأمُّل والتدبُّر، فلعل في كلامه ما يوافق بين العلم بالباطن والظاهر، والخروج بنتيجة كبيرة لمسألة مهمة من أُمَّات المسائل العقائدية، التي ضَلَّ فيها كثير من المسلمين، عن طريق جهلهم، أو ٱشتباههم بمفهوم التوحيد الحقيقي لله تعالى، أو الإذعان لروايات يعتقدون بصحتها. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٩/ ٢٤٢، ٢٧/ ٣٠

وقال الطباطبائي في خصوص الآية الشريفة: ((والمرادُ بالنظرِ إليهِ تعالى ليسَ هو النظرُ الحِسِّيُّ المتعلِّقُ بالعينِ الجسمانيةِ الماديةِ، التي قامَتِ البراهينُ القاطعَةُ على ٱستحالتِهِ في حَقِّهِ تعالى، بل المرادُ النظرُ القلبيُّ، ورؤيةُ القلبِ بحقيقةِ الإيمانِ على ما يسوقُ إليهِ البرهانُ، وتَدُلُّ عليهِ الأخبارُ المأثورةُ عن أهلِ العصمةِعليهم السلام)). ٢٩/ ١٢٢

(٢) إلى هنا ينتهي كلامه حيث قطع في الأصل مع الأسف.

- **المورد الرابع:**[١]

قال فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾.[٢]

قَدَّمَ المفتي[٣] كما في تفسير المنار[٤] مقدمة خلاصتها ((سد باب التفقه في الآيات المتشابهات بحجة أنَّ الملائكة إذا لم يعلموا أسرار الخليقة فالإنسان أجدر بهذا الجهل، وأنَّ الجدير بنا أنْ نؤمن بما في عالم الغيب على سبيل الإجمال دون أنْ نجتهد في فهم غوامضها و.. و ..)).[٥]

أقول [الشهرستاني]: ((أما وجوب الإيمان بما في عالم الغيب على وجه الإجمال فهو

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوطة التفسير المحيط، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة) أوراق بلا ترقيم.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠

(٣) أي الشيخ محمد عبده .

(٤) في الأصل: كما في تفسير المنار ج١ ص٢٥٢

(٥) ينظر ١/ ٢٥٤

ونرى بعد التأمُّل في كلام الشيخ محمد عبده أنَّه لم يقصد ما ورد في كلام السيد الشهرستاني من سد باب التفقه، وعدم الاجتهاد في فهم الغوامض من الآيات، وإنما أراد الشيخ في بيانه بوجوب الإيمان بوجود الملائكة وما ورد في صفاتهم وأعمالهم كما أخبر الله تعالى، ولكن هذا الإيمان لا يتوقف على معرفة حقيقتهم، وإنما يتم تفويض علمها إلى الله تعالى.

ولعل السيد الشهرستاني ٱستنبط ذلك من خلال قول الشيخ: ((وقد بحث أُناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم، ولكن مَنْ وَفَّقَهم الله تعالى على هذا السر قليلون، والدين إنما شرع للناس كافة، فكان الأصوب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته؛ لأنَّ تكليف الناس هذا البحث، أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطيق)). ولكن هذا لا يدل على ما تقدم من كلام السيد أيضًا.

مسلَّمٌ، وأما جدارة الوقوف عند هذا الحد دون البحث عن غوامضه فلا نوافق المفتي عليه؛ لأننا مأمورون بالتدبر في القرآن وآياته، والتفقه في الدين وحل مشكلاته، وإنْ أخطأ مِنَّا قليلون ففي هذا القليل بركة تَعُمُّ العالمين، ولو أراد الله انسداد أبواب العلم في هذه الآيات لكان الأَوْلى بها أنْ لا تنزل، وأنْ لا نُؤمر بتلاوة ما يستحيل على الناس فهمه، وهذه النظرية أنسب بالكُسالى، وأشبه بحجة العاجز عن التفقه في الدين.

فمن تصدى لتفسير بضعة آلاف آية هداه الله إلى معرفة معانيها، بفضل اللغة وقواعد اللغة وأساليب البلغاء، كيف يتوقَّف عن التنقيب في واحدة منها، وقد وعد الله سبحانه الذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأغرب من رأي الشيخ المفتي رأي تلميذه الرشيد[1] بعده؛ إذ قال في نفس الصحيفة ما خلاصته: إنَّ فائدة هذا الحوار في هذه الآية تسلية الله لنبيه ﷺ أنْ لا يتأثر من معارضة المشركين [ومن] معهم[2] إذا علم أنَّ الملائكة تُحاج الله وتجادله و.. و..، فكأنه يحامي عن المعارضين للقرآن، ويلطِّف سوء عملهم)).[3]

المبحث السادس: آيات التجسيم وأثرها في العقيدة الإسلامية

نبيِّنُ في هذا المطلب ما ذكره السيد الشهرستاني في مخطوطاته حول الآيات التي يوحي ظاهرها إلى تجسيم الله تعالى، واعتقاد بعض المسلمين بذلك، وأثر هذا الاعتقاد على العقيدة الإسلامية، فهو يذكر آيات متعددة تؤكد نفي ذلك عن الله تعالى.

---

(١) أي الشيخ محمد رشيد رضا ، وهذا هو القول الرابع الذي ذكره في بيان الفائدة من البحث حول حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى. ١/ ٢٥٥

(٢) في الأصل: ومعه.

(٣) إنه رأي لطيف منه، ولكن فيه من الحدة والشدة.

قال[١]: إنَّ علماءَ الإسلامِ بعدَ القرنِ الأولِ تعمَّقوا في آياتِ القرآنِ من دونِ إحاطَةٍ كافيَةٍ بمحاوراتِ العربِ، ولا معرفةٍ وافيةٍ بالمعارفِ الإلهيَّةِ، ولا سابقةَ نَظَرٍ في فنونِ الكائناتِ، ولا سابِقِ معرفةٍ كافيةٍ بآدابِ العربِ، أو أدبياتِ البُلَغاءِ، فصاروا يَسْتَدِلُّونَ بكُلِّ ظاهِرٍ من الآيِ لأفكارِهِم القاصِرَةِ، حتى لو رَأَوْا آيةَ ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[٢] قال زعيمُهُمْ: (للرَّبِّ ساقٌ كهذِهِ) ومَدَّ رِجْلَهُ[٣]، وكذلكَ قالوا في آيةِ ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[٤] أي: يدانِ، ولكن كلتاهما يمينٌ، إذ وردَ في القرآنِ ذِكْرُ اليمينِ في آيةِ ﴿**وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾[٥]، ولم يَرِدْ فيهِ ذِكْرُ الشمالِ، وفي آيةِ ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ**﴾[٦]، وعليه يقتضي أنْ يقولوا بِجَنْبٍ واحدٍ له، وعَيْنٍ واحدةٍ، وقَدَمٍ واحدةٍ، لورودِهِنَّ في القرآنِ بلفظِ الفردِ في آيةِ: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ**﴾، وآيةِ ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[٧]، وآيةِ ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[٨]، فيكونُ الربُّ تعالى كَشِقِّ إنسانٍ تَعَلَّقَتْ به يمينانِ فقط -وحاشاه-.

---

(١) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ١٤٤ وهو جواب لسؤال نصُّه: ((في القرآنِ آياتٌ تدلُّ على اتِّصافِ الله بصفاتٍ ماديةٍ ومتشابه للإنسانِ في الأجزاءِ والأعضاءِ، فكيفَ تفسّرونَ تلكَ الآياتِ؟ وهل يُكَفَّرُ الذاهِبُ إلى مذهبِ التجسيمِ والتشبيهِ؟)).

(٢) سورة القلم: الآية ٤٢

(٣) لم نحصل على قائل هذا النص بعد مراجعته لأغلب التفاسير وغيرها من الكتب.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤

(٥) سورة الزمر: الزمر ٦٧

(٦) سورة الزمر: الآية ٥٦

(٧) سورة طه: الآية ٣٩

(٨) سورة القمر: الآية ٥٥

[لقد] فَشَتْ هذهِ وأمثالُها بينَ السلفِ -ويا للأسف- من قِلَّةِ التدبُّرِ في محاوراتِ البُلَغاء، وعجزِهم عن حملِ الآياتِ على تراكيبِ البلاغةِ، وأساليبِ العربِ، وغفلتِهم عن مناهجِ بلاغةِ القرآنِ، ومناحيهِ الخطابيةِ[1]، ولم تَقِفْ فتنةُ هؤلاءِ الجهلةِ عندَ حَدِّ التجسيمِ، وإثباتِ كُلِّ ما في الإنسانِ في خالقهِ تعالى، من عَيْنٍ، ولسانٍ، وأَيْدٍ، وجوارحَ[2]، وعواطِفَ، وحالات، حتى خرقوا حُجُبَ تنزيهِ ذاتِهِ وصفاتِهِ[3]، وفتحوا

(١) ومن لطيف ما ورد عن الأعلام في الرد على ذلك قول عبد القاهر الجرجاني في بيان الإفراط والتفريط في تأويل القرآن بعد ذكره للآيات المتقدمة: ((فإذا قيلَ لهم: (الإتيان) و(المجيء) انتقالٌ من مكانٍ إلى مكانٍ، وصفةٌ من صفاتِ الأجسامِ، وأنَّ(الاستواء) إنْ حُمِلَ على ظاهرهِ لم يصحّ إلا في جسمٍ يشغلُ حيِّزًا، ويأخذُ مكانًا، واللهُ خالقُ الأماكنِ والأزمنةِ... نعم إذا قلتَ ذلكَ للواحدِ منهم، رأيتَهُ إنْ أعطاكَ الوِفاقَ بلسانِهِ، فبينَ جنبيهِ قلبٌ يتردَّدُ في الحيرةِ ويتقلَّبُ، ونفسٌ تفرُّ من الصوابِ وتهربُ، وفكرٌ واقفٌ لا يجيء ولا يذهبُ، ويأبى إلا نفارًا عن العقلِ، ورجوعًا إلى الجهلِ)). أسرار البلاغة: ٤٣٢-٤٣٣

(٢) في الأصل: وجورج.

(٣) لقد ذكروا أنَّ لله تعالى صفات من صفات الجسمية التي هي خاصة بالإنسان من خلال روايات نسبوها إلى النبيﷺ بهتانًا، أو أخطأوا في تفسيرها وفهمها لو كانت صحيحة، فقد روى مسلم في باب(إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى): ((عن صهيب عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: **إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تريدونَ شيئًا أزيدكُم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ، وتُنْجِنَا مِنَ النارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ فما أُعْطَوا شيئًا أَحَبَّ إليهِمْ مِنَ النظرِ إلى رَبِّهِم عَزَّ وجَلَّ**)). الجامع الصحيح ١/ ١١٢

وذكر كذلك في باب(معرفة طريق الرؤية): ((عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يا رسولَ الله هل نَرَى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه [وآله] وسلم هل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ←

أبوابَ السيئاتِ على الرسلِ والأنبياءِ(١)، واختلقُوا دينًا يَمُجُّهُ العقلُ السليمُ، والعارفُ المُهَذَّبُ، وصَفَحُوا القرآنَ الكريمَ بما أُلْحِدُوا في آيِهِ من حَشْوٍ وخُرَافَةٍ، وتَوَلَّدَ من دينِهِم

→

ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله... فيأتيهُمُ اللهُ تبارَكَ وتعالى في صورةٍ غيرِ صورتِهِ التي يعرفون فيقول: أنا رَبُّكُمْ. فيقولونَ: نعوذُ بالله منكَ هذا مكانُنا حتى يأتيَنا رَبُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرِفناهُ، فيأتيهِمُ اللهُ تعالى في صورتِهِ التي يعرفونَ فيقول: أنا رَبُّكُم. فيقولونَ: أنتَ رَبُّنا فيتبعونَهُ ويضربُ الصراطَ بين ظَهْرَي جهنَّمَ فأكونُ أنا وأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يجيزَ ولا يتكَلَّمُ يومئذٍ إلا الرسل...)). المصدر نفسه ١/ ١١٣ وغير ذلك من الروايات التي تدل على تجسيم الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الأشعري: ((قد سُئلنا: أَتَقولونَ إنَّ لله يَدَيْنِ؟ قيل: نقول ذلك بلا كيف، وقد دَلَّ عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٠] -وذكر آيات أخرى-، وروي عن النبي صلى الله عليه[وآله] وسلم أنه قال: (**إنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدمَ بيدِهِ فاستخرجَ منه ذُرِّيَّتَهُ**) فثبتت اليدُ بلا كَيْفٍ)). الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة: ١٢٥ وقد رَدَّ التفاسير الواردة لليد كالنعمة والقدرة والقوة وغيرها.

(١) روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة أنَّ الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا... وروى أنَّ نبي الله موسى ﷺ فقأ عيني مَلَك الموت... وروى أنَّ بني إسرائيل نظروا إلى عورة موسى وهو يغتسل عندما ذهبت الريح بثوبه وصار موسى يضرب الحجر... وغير ذلك من الروايات التي تسيء حقيقة إلى مقام الأنبياء ﷺ. ينظر: أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد ٢/ ٣١٥

وروى أيضًا أنَّ النبي ﷺ كان مع عائشة وهو مضطجع على فراشه فدخل أبو بكر، ثم عمر فقضى حاجتهما، ثم جاء عثمان ثم ٱستأذن عليه فجلس، وقال لـ "عائشة": ٱجمعي عليك ثيابك فقضى إليه حاجته ثم ٱنصرف، فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لم أركَ فزعت لـ "أبي بكر" و عمر كما فزعت لـعثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم: أَلا أَستحي ممن تستحي منه الملائكة. المصدر نفسه ٦/ ١٥٥

فِرَقٌ، ومذاهِبُ ذهبتْ بعزةِ الإسلامِ، ونورِ شَرْعِهِ، وَرَوْنَقِ آياتِ وحيِهِ الحكيمِ.[١]

وعليه[٢] وجبَ علينا أنْ نجاهدَ في سبيلِ القرآنِ[٣] بحلِّ مشكلاتِهِ، وتفسيرِ متشابهِهِ؛ لأنَّهُ الينبوعُ الوحيدُ لتصحيحِ عقائدِ المسلمينَ، وتنقيحِ مذاهبِهِم، وإصلاحِ أحوالِهِم الاجتماعيةِ، وشؤونِهِم الأدبيةِ، ولا نستندُ في تفاسيرِنا إلا على شاهدٍ من آيِ القرآنِ؛ فإنَّ القرآنَ يُفَسِّرُ بعضُهُ بعضًا[٤]، أو على مناهجِ الأدبِ، ومناحي كلامِ العربِ[٥]، فإنَّ القرآنَ قد نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، أو على أثَرٍ[٦]، وسبيلُنا في اختيارِ التأويلِ سبيلُ

---

(١) للاطلاع على عدد الفِرَق وأنواعها ومذاهبها والاختلافات التي وقعت فيما بينها، ينظر المؤلفات الخاصة بذلك، ومنها: الأشعري القمي: كتاب المقالات والفِرَق، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م)، السبحاني: بحوث في الملل والنحل.

(٢) في الأصل: وعليه وله منة وبه.

(٣) تعبير لطيف جدًّا منه في سبيل الحفاظ على قدسية كتاب الله تعالى.

(٤) ويقصد بذلك تفسير القرآن بالقرآن. فمثلاً قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [سورة القدر: الآية ١] يفسر قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ [سورة الدخان: الآية ٣] وغيرها.

(٥) ويقصد بذلك تفسير القرآن بلغة العرب، فجميع الألفاظ الواردة في القرآن الكريم هي بلغة العرب على ٱختلاف لهجاتهم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ [سورة عبس: الآية ٣١] فالعرب كانت تعرف أنَّ معنى (أبًّا) هو النبات والعشب الذي تأكله البهائم، وإنْ كان بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب لم يعرف ذلك المعنى، إذ ورد عنه قوله: ((قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟)). ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٧/ ١٢٦

(٦) ويقصد بذلك تفسير القرآن بالمأثور من الروايات الواردة عن النبي وأهل بيته(عليهم السلام) أو عن الصحابة الثقات العدول، فمثلاً قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**
←

الحكمةِ، ودليلُنا حُجَّةٌ علميَّةٌ، وسبيلُنا في تأويلِهِ سبيلُ العلمِ والحكمةِ[١]، ودليلُنا الحُجَّةُ العلميةُ العاصِمَةُ، ومن ذلك[٢] آية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٣]، هذهِ الآيةُ الثانيةُ والأربعونَ[٤] من السورةِ الثامنةِ والستينِ (القلم)، وسياقُها تهديدُ المشركينَ الذين أَنِفُوا من السجودِ لله يومَ هُمْ سالِمونَ، فهم في اليومِ الآخرِ يُرْغَمُونَ على السجودِ.[٥]

واستدلالُ المُجَسِّمَةِ [على تجسيم الله] بهذهِ الآيةِ:

* **أولاً**: ضعيفٌ من أجلِ تنكيرِ الساقِ، وعدمِ إضافتهِ إلى أحدٍ من خالقٍ، أو مخلوقٍ.[٦]

←

﴿فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فإنَّ السنة الشريفة قد بيَّنت ما يتعلق بكيفية الغسل والمسح وشرائط الوضوء وما يتعلق به، ووجوب التيمم عند فقدان الماء.

(١) إنَّ من أهم أغراض التأويل هو تفسير اللفظ على غير ظاهره الذي يخالف العقيدة، مثل ما ورد من ألفاظ الجوارح التي تستعملها العرب في محادثاتهم بغير مرادهم للجارحة، وبذلك تتم المحافظة على اللفظ القرآني الموافق للقرآن والسنة والعقل.

(٢) في الأصل: إنشاء الله تعالى(كشف الساق) فمنها.

(٣) سورة القلم: الآية ٤٢

(٤) في الأصل: الثانية والأربعين.

(٥) إن الله تعالى يُأمرون بالسجود وإنْ كان لا ينفعهم السجود آنذاك، ولكن توبيخًا لهم لما كانوا يتكبرون من سجودهم له تعالى. ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٩٧ وسوف يأتي ما يتعلق بالآية الشريفة في الفصل الخاص بالإعجاز القرآني.

(٦) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٥٩٨، قال ابن شهر آشوب: ((فالجارِحَةُ لا يجوز؛ لأَنَّهُ لم يَقُلْ عن ساقِهِ، ونَكَّرَ الساقَ ولم يُعَرِّفْهُ، فلا دلالَةَ على شَيءٍ مما قالوهُ، وما رَوَوْهُ فباطِلٌ لا أصلَ لَهُ)). متشابه القرآن ومختلفه ١/ ٨٢

* **ثانيًا**: إنَّ يومَ الكشفِ لم يتحققْ؛ [لأنَّ] الساقَ مُبْهَمَةُ المعنى والنسبةِ، وكانَ إسنادُها إلى خالقِ الكونِ مستحيلاً، [فـ] وجبَ تفسيرُها بالمعنى المعروفِ عندَ الناسِ، وهو أنَّ الناسَ يُكَنُّونَ[(١)] بكشفِ الساقِ عن الساقِ في حالين:

- **أحدهما**: حالُ اعتراضٍ، وحَلُّ الطريقِ، وعَبْرَةُ المياهِ.
- **وثانيهما**: حالُ التَضَلُّعِ على أثرٍ مُسْتَوٍ[(٢)]، وكانَ العربُ يكشفونَ عن ساقِ الجاريةِ قبلَ شرائِها، أو بعدِهِ؛ لمعرفَةِ عيوبِها[(٣)]، أو محاسِنِها، وحَمْلُ كشفِ الساقِ في الآيةِ على أحدِ الحالينِ مناسبٌ جِدًّا، فكأنَّهُ يُهَدِّدُ المشركينَ بمجيءِ يومٍ عصيبٍ، تُصَبُّ[(٤)] فيهِ الأهوالُ.[(٥)]

---

(١) في الأصل: يكتنون.

(٢) في الأصل: مستوى.

(٣) في الأصل: عيرنها.

(٤) في الأصل: تنشاء.

(٥) لقد أكدت كلمات جمع من المفسرين على أنَّ المراد بـ(كشف الساق) هو التعبير عن هول وشدة ذلك اليوم؛ إذ إنَّ العرب تستعمل ذلك عند صعوبة الأمر وشدة الخطب النازل. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٨٧، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٥٩٨، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٠/ ٦١٣

الفصل الرابع

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

- **المبحث الأول**: علم المعاني.
- **المبحث الثاني**: علم البيان.
- **المبحث الثالث**: علم البديع.

الفصل الرابع:

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

إنَّ السيد الشهرستاني قد اعتنى كثيرًا فيما يتعلق بالبلاغة القرآنية؛ لأهمية ذلك في الدراسات القرآنية عمومًا، وفي تفسير القرآن الكريم خصوصًا، ونحاول في هذا الفصل أنْ نبيِّن رأيه في هذا الباب من أبواب علوم القرآن، كما وردت في مخطوطاته، فقد ذكر قسمًا من الموضوعات البلاغية التي تضمنتها الآيات القرآنية التي تناولها بالشرح أو الاستشهاد، وما في ذلك من صورها الإعجازية في تحدي العرب بعلومهم التي تفوَّقوا بها على أنْ يأتوا بمثله، وقد ذكرنا تعريفًا موجزًا في قسم الدراسة لأهم المباحث البلاغية التي أشار إليها السيد في مخطوطاته، وفي هذا الفصل سيتم عرض النص المخطوط لتحقيقه، موافقًا للتسلسل على وفق الدراسة المتقدمة، فنبدأ بموضوعات علم المعاني، فالبيان، ثم البديع، وسوف تُبَوَّب النصوص المخطوطة ضمن الموضوعات البلاغية الملائمة لها؛ لتكون منتظمة الترتيب في فَصْلَيِ الدراسة والتحقيق، بعد تمهيد في بيان ما يتعلق بآرائه في تحدي القرآن الكريم للعرب وعجزهم عن مجاراته.

وقد جعلت الموضوعات التي ناقشها السيد في هذا الفصل في مباحث أربعة:

- **المبحث الأول**: تحدي القرآن الكريم وإعجازه.
- **المبحث الثاني**: علم المعاني.
- **المبحث الثالث**: علم البيان.
- **المبحث الرابع**: علم البديع.

إنَّ السيد الشهرستاني لم يقسم مباحث البلاغة القرآنية على وفق هذا التقسيم؛ لعدم وجود مؤلَّفٍ خاصٍّ بذلك، بل هي موضوعات متفرقة في صفحات مؤلفاته المخطوطة المتنوعة، وإنما قامنا بجمع كُلِّ نص يتضمن تلك المباحث، وتقسيمها بعد ذلك في هذا الفصل ضمن المباحث المتقدمة؛ لتتم الإحاطة بمباحثه من جوانبه المتعددة، من حيث بيان آرائه وتحقيقها تحت عنوانٍ معينٍ.

المبحث الأول: تحدي القرآن الكريم وإعجازه

إنَّ القرآن الكريم قد تحدى العرب المعاندين للإيمان بالرسالة الإسلامية صراحة، من خلال إيتائه بمعجزات متعددة تدل على صدق دعوى نبوة النبيﷺ، والتي كان من أعظمها القرآن الكريم، وما تضمنه من آيات بلاغية عظيمة لها أثر كبير في نفوس سامعيها، تصدر من رجل لم يدرس عند أحد من قبل، ولم يكن يقرأ ويكتب على رأي كثير من المحققين[1]، وفيه يكمن سِرٌّ إعجازي ذاتي آخر، وقد حاول السيد الشهرستاني في مخطوطاته بيان ما يتعلق بذلك من خلال تفسيره لبعض الآيات الشريفة المتعلقة بالتحدي، وسوف يتم ذكرها في موارد(خمسة).

- **المورد الأول:**

قال[2] فيما يتعلق بأقوال العلماء في الإعجاز من خلال ما يأتي:

---

(١) وهذا رأي السيد الشهرستاني وقد ذكره صراحة في وجوه إعجاز القرآن فقال: ((ليس شيءٍ مما حولَ النبيِّﷺ أوضحُ من تأريخِهِ، ولا ناحيةٌ من تأريخِهِ أوضحُ من أُمِّيَّتِهِ، بمعنى نفي القراءةِ والكتابةِ عنهُ)). المعجزة الخالدة: ٣٧

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

* [أولاً]: ذهب الناس في وجه إعجاز القرآن كُلَّ مذهب، فقيل: إنه الصرفة، وقيل: غرابة الأسلوب، وقيل: انطواؤه على أنباء الغيب، وفي الجميع تأمُّل[1]، فإنَّ الذي يضع يده على رأسه قائلاً: مَنْ وضع يده على رأسه فهو سيد الناس، وصادف أنَّ البرد أو مشيئة الله صرفت الناس عن الإتيان بمثله لم يكن كمال في الفعل ولا في فاعله، وإنما الله صرف الناس ليس غير، كذلك الأسلوب الغريب لا يستحق هذه الطنطنة، وليس كُلُّ مَنْ أتى بغريب يدَّعي إعجازًا، كذلك النبأ الغيبي من كائن وغيره لم يسبق نعته بالإعجاز.

وأما الفصاحة والبلاغة فإنَّ لهما حَدًّا اعتياديًّا يسمى(حد الإعجاز) لا يتعداه إلا أفذاذ البشر، غير أنّه لا يعد مستحيلاً كما تَدَّعيه آيات التحدي.

وكذلك خلوُّ الكلام من اختلاف وتناقض لا يجعله معجزًا، وإلا لفاقت المعجزات حد الإحصاء.

* [ثانيًا]: تختلف نزعات العلماء في درس النقطة الحقيقية التي نشأ منها الإعجاز القرآني، وربما عُدَّت سبعة، أو سبعة عشر، بينما مجموعة في خمس هي:

[١] امتياز الكلم. [٢] أو امتياز المتكلم. [٣] أو امتياز الأسلوب. [٤] أو امتيازه بأنباء الغيوب. [٥] أو امتيازه بصرف الله للنفوس عن معارضة القرآن.

أضف إلى ذلك وجهًا وجيهًا هو الجذبة القلبية الحاصلة من روحانية هذا الكلام النافع النافذ.[2]

---

(١) وقد تقدم بيان أقوال العلماء حول وجوه الإعجاز في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الأول.

(٢) تقدمت الإشارة في باب الدراسة إلى هذا الرأي الذي أكده الخطابي ينظر باب الدراسة، ←

أما امتيازه في الأسلوب فهو الذي ارتآه جماعة في إعجاز القرآن، وشايعه المتحدون له قديمًا وحديثًا، فترى الأسود العنسي يباري القرآن بقوله: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى، الذي يسيرُ على الحُبْلى، الذي أخرجَ من .. والحَشَى إلخ)[1]، ويقول مسيلمة في مباراته: (الفيلُ ما الفيلُ، وما أدراكَ ما الفيلُ، له ذنبٌ وبيلُ، وخرطومٌ طويلُ إلخ)[2]، ويقول الباب[3]، وكذلك القادياني[4] [مثله][5]، يضاهئونَ القرآنَ في أساليبه،

→

الفصل الرابع، المبحث الثالث.

(١) للتفصيل ينظر: الماوردي، علي بن محمد، أعلام النبوة، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م): ٧٦، الباقلاني: إعجاز القرآن: ١٥٧، الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٥-٦٦

(٢) للتفصيل ينظر: الماوردي، أعلام النبوة: ٧٦، الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م) ٣/ ٣٩٣، الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٤

(٣) محمد علي الشيرازي، مؤسس الفرقة البابية، ولد سنة (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م) في شيراز، أذاع في الناس أنه المهدي المنتظر، ورد عليه العلماء، وينظرون مخالفته للإسلام، وحدثت بسببه فتن كبيرة، قتل رميًا بالرصاص سنة (١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م). الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م) ٥/ ١٧، وينظر: الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٦٧-٦٨

(٤) غلام أحمد بن غلام مرتضى، مؤسس الفرقة القاديانية، ولد سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) في قاديان من قرى بنجاب في الهند، ادَّعى النبوة وأنه يوحى إليه، وقد تصدى كثير من معاصريه للرد عليه، خدم الحكومة الإنكليزية أيام احتلالها للهند، وحرَّم على المؤمنين مقاومتها، توفي سنة (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م). الزركلي: الأعلام ١/ ٢٥٦، وينظر: الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٧٥-٧٦

(٥) نرى وجود قطع في الأصل، فالكلام غير تام.

ويضارعونَ أسجاعَ فواصله، وأوازان تراكيبه، ولا غرو في فهمِ هؤلاء منشأ الإعجاز في غرابة الأسلوب، وحصرهم قوة المعجز في هذه النقطة، فإنَّ أكبر أقطاب الحرب السفياني والمشركين، المعارضين للنبي الأمين قال بعد ما عُرِضوا عليه شيئًا من القرآن: إنه مدهش العقول، لا هو كالقصائد، ولا الأراجيز، ولا هي كالخطب ولا .. ولا، إذن فما هو إلا سحر يؤثر.[1]

وقد حللوا القرآن إلى سور فوق المئة، وأوزان آيات فوق الألف، وأسجاع فواصل كذلك، فلا يشبه بعض بعضًا، فنظامه الطبيعي غير محدود، ولا محصور بقيود، تراوحت سوره من آيات ثلاث إلى زهاء ثلاثمائة من الطوال، وفيها آية ذات كلمة، وكلمتين، إلى آية زهاء أربعين كلمة، أضف إلى هذا الأسلوب المادي(...)[2] الشكلية أساليبه الأخرى، وتفنن مباحثه في شعب العلوم وأنواع المعارف.

وملحوظتي في هذا المقام أنَّ امتياز القرآن في أسلوبه مدهش لكثيرين، وتُعطيه من الروعة والبهاء ما لا يُنكر، غير أنها ليست وحدها هي النقطة الملحوظة في تحدي جماهير الأمم من عرب وعجم؛ لأنَّ ذلك مهما أدهش وأعجز فليس مما ينطبق عليه قولنا [في قوله تعالى]: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا القُرْآنِ﴾[3] في غرابة أساليبه، [وإنهم]: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[4]

---

(١) وهذا هو كلام الوليد بن المغيرة عند أستماعه للقرآن الكريم، وقد تم بيانه في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الأول.

(٢) كلمة غير معلومة.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٤) إنَّ هذا تحليل مهم يدلُّ على عمق التفكير في سبب الإعجاز القرآني، فضلاً عن عدم
←

* [ثالثًا]: قال قوم في وجه الإعجاز بالأسلوب: إنَّ الكلام قد يتأتَّى سبك معناه في سبائك مختلفة، وعبارات متنوعة تتفاوت بالتقديم والتأخير، والإجمال والتوضيح، والإيجاز والتطويل، لكنما الممتاز بميزة الإعجاز من بينهن إنما هو أسلوب واحد فوق الجميع، كما قال الأستاذ جبر ضومط[(١)] في كتابه الخواطر الحسان في المعاني والبيان [(٢)] حول آية **﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾**[(٣)]: ((إنَّما تصلحُ أنْ تقرأ على أربعةِ وجوهٍ بحسبِ التقديمِ والتأخيرِ، لكنَّما الجائزُ على جميعِ وجوهِ البلاغةِ وفنونِ الفصاحةِ، إنَّما هو السبكُ الموجودُ في القرآنِ، وكذا في آية **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾**[(٤)]. [(٥)]

→

الركون والتقليد إلى أقوال الآخرين، بل يحاول أنْ يؤكِّد من خلال التأمل الدقيق أنَّ إعجازه العظيم لا يمكن أنْ يكون أسيرًا للفظ، أو المعنى، من غير تأثيره بالروح.

(١) جبر بن ميخائيل ضومط: أديب، خدم العربية تدريسًا وتأليفًا، ولد سنة(١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)، شغل مناصب متعددة في التعليم والصحافة، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، له مقالات كثيرة، ومؤلفات منها: * الخواطر العراب في النحو والإعراب. * الخواطر الحسان في المعاني والبيان. * فلسفة البلاغة. وغيرها، توفي سنة(١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م). الزركلي: الأعلام ٢/ ٢، كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ٣/ ١٠٩

(٢) في الأصل: الخواطر الحسان في علم البيان.

(٣) سورة يس: الآية ٢٠

(٤) سورة غافر: الآية ٢٨

(٥) لقد ذكر أنَّ هذه الآية يمكن أنْ تكون لها صورًا ست في التركيب، ولكنه منع أثنتان منها لوقوع الالتباس فيها، وثلاثة جائزات، ولكن الصورة التي بها القرآن هي جامعة لجميع شروط البلاغة. ينظر: الخواطر الحسان في المعاني والبيان، (مط الهلال، مصر، ←

وفي سبائك الآيات القرآنية أساليب بديعة اختصت به، لم تعرفها العرب من قبل كأسلوب الأسجاع، والفواصل، ومقارنة الآيات بغيرها رعاية التحديد، وتكرار [آية] ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾[١]، [و] قوله[٢]: ﴿**الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾[٣] و.. و..، فصار المتشبِّهون بالمصطفى محمد[ﷺ] كمسيلمة وأمثاله ينسجون على منواله، فقال: ((الفيلُ، ما الفيلُ، وما أدراكَ ما الفيلُ، له خرطومٌ طويلُ)) إلخ [و] كقوله: ((والطاحناتِ طحنًا، والخابزاتِ خبزًا، والآكلاتِ أكلاً))[٤] إلخ، على غرار قوله تعالى: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا**﴾.[٥]

وإنَّ السر في التحدي بعشر سور في مقامٍ، وبسورة في مقامٍ، ربما كان اقتدار القرآن على تنوُّع الأساليب الراقية في قصة واحدة، كقصة موسى التي تكررت في الذكر الحكيم بسبائك شتى، قد تبلغ العشر، بدون أنْ تُخَلَّ أو تُمَلَّ، فمَنْ يباري[٦] القرآن في خلق هذه الأساليب الراقية على تنوُّع السبك، وجمال كل نوع؟

ومن لطيف ما في هذا التحدي اشتماله على نبأ غيبي عند قوله: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[٧]، إذ نفى مؤبَّدًا عنهم

→

١٨٩٦م، د.ط): ٧٥

(١) سورة الرحمن: الآية ١٣ وقد تكررت في السورة واحدًا وثلاثين مرة.

(٢) في الأصل: لقوله.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ١-٣

(٤) الباقلاني: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م): ١٨٢

(٥) سورة الذاريات: الآيات ١-٤

(٦) في الأصل: يبار.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤

المباراة في قوله: ﴿**وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾، فهي جملة معترضة بين الشرط وجوابه، مقصود منها استشارة حميَّتهم، واستشاطة[١] نشاطهم؛ لكي يقوموا بالمعارضة أكثر، وهم هم من شهرة الفصاحة والبلاغة، ومع ذلك لم يفعلوا كما قال[الله تعالى]، وهو نبأ غيبي تنبَّأه النبي العربي، وبعيدٌ جدًّا من عاقل يفوَّه بمثل هذا التنبؤ بين خصمائه ورقبائه، لو لم يثق من نفسه بالصدق والحق، ولو لم يطَّلع على الغيب لما فاهَ بهذا، ولا سلَّم سلاحًا مشحوذًا بيد الخصم.

❊ [**رابعًا**]: قال قوم(وهو الأصح) إنَّ وجه الإعجاز في أنباء القرآن للغيوب هو قوام أمر الأنبياء، وملاك أمرهم، وسلاحهم المشحوذ، الذي يعجز عن استعماله كُلُّ بطل غير نبي، أو الحيطة بما وراء الحاسة(...)[٢] الله، ولا يختص النبأ الغيبي بالمستقبل، فإنَّ الذي يرفع الستار عن حوادث ماضية غير مكشوفة لأحدٍ يُعَدُّ مُخْبِرًا عن الغيب، كما ترى القرآن في سورة هود يقول بعد ما قَصَّ على الناس قصة نوح[عليه السلام]: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٣]، وربما أنبأ القرآنُ عن شأنِ الماضينَ بخلافِ ما في أسفارِ التوراةِ والإنجيلِ؛ لأنَّ جامعَ هذينِ(العهدين) لم يطَّلع على الوقائعِ اطِّلاعَ مَنْ أنزل القرآن، فكان هذا مُخبرًا عن الغيب، كما في [سورة] آل عمران في قصة مريم: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾[٤].

---

(١) أي اْحتدَّ نشاطُهُم بغضبٍ وحميةٍ. ابن منظور: لسان العرب مادة(شيط).

(٢) كلمة غير معلومة.

(٣) سورة هود: الآية ٤٩

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤

● **المورد الثاني:**

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[٢]

يفيض القرآن من أكثر نواحيه بالتحدي، وطلب المباراة والمبارزة، غاية الأمر أنَّ قسمًا من الآيات صريحة[٣] في التحدي، كآيتنا هذه، وبضع آيات أخرى، بينما القسم الباقي يلوِّح بالتحدي من طرف خفيٍّ، فجميع السور المفتتحة بالرموز من قبيل (ألم، كهيعص) تشير إلى التحدي حسب ما أوضحناه في صدر سورة البقرة[٤]، أي يتظاهر بأنَّ القرآن من جنس هذه الحروف التي من تراكيبها يتألف الكلام العربي والقرآن، فإنْ كنتم شاكّين في نسبته إلى الله، وتقولون إنه قول بشر، فلماذا لا تقدرون على تأليف مثله.[٥]

كذلك القرآن يفيض بمعجزات في آياته وسوره، فكُلُّ معجزة وكُلُّ جزء منه

---

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣

(٣) في الأصل: صريح.

(٤) لم نحصل على شرح هذه الآيات الشريفة في مخطوطاته، ونرى أنَّ هذا رأي جدير بالاهتمام والتأمل؛ فإنَّ جميع المفسرين لم يعرفوا حقيقة هذه الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور القرآنية وسرها، وكُلَّ ما ذكروه هو احتمالات، فهو كلام حكيم عليم وله مقاصد عظيمة، فضلاً عن كونه من جنس الحروف التي يتكلمون بها، فإذًا يمكن أنْ تُعَدَّ هذه الحروف صورة إعجازية من صوره المتعددة التي عجز البلغاءعن إدراك حقيقتها.

(٥) إنَّ الفخر الرازي قد فصَّل القول تفصيلاً دقيقًا ومهمًّا جدًّا في بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم من خلال هذه الآية الشريفة، وعجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله. ينظر: التفسير الكبير ٢/ ٣٤٩

معجزة أيضًا، من هنا سُمِّي القرآن أم المعجزات[١]، وربما أحصوا عليه من الأنباء الغيبية ما يناهز المائة أو أكثر.[٢]

• **المورد الثالث:**

قال في بيان الآيات الشريفة التي تحدى بها القرآن العرب:[٣]

من آيات التحدي قوله سبحانه: **﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[٤] أي: قد اطلعتم على سيرتي من الأمانة والصدق، وعدم الدراسة والتعلُّم.[٥]

ومنها آية **﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**[٦] بعد قوله سبحانه: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ**

---

(١) إنَّ هذه التسمية هي قياسًا للمعجزات الأخرى التي أتى بها النبيﷺ في أوقات خاصة، ولأسباب معينة، قد انتهت مع انتهاء سببها، أما القرآن فهو باقٍ خالدٍ إلى يوم القيامة.

(٢) ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تفاسير القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا، للآيات الشريفة المتعلقة بالغيب وإخبار القرآن عنها قبل وقوعها، أو بالدراسات المختصة بإعجازه الغيبي؛ لذلك عَدَّ بعض الأعلام أنَّ من صور إعجاز القرآن الكريم إخباره بالغيب.

(٣) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٤) سورة يونس: الآية ١٦

(٥) لقد ذكر المفسرون ما يتعلق بسيرة النبيﷺ في أُمته، وأنه لم يكن يذكر لهم شيئًا مما في القرآن قبل بعثته، أو ما يتعلق بالأمم السالفة، ولم يُعرف عنه إلا الفضيلة والصدق بين قومه. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٣٥٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٣٢٠، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ١٦٧

(٦) سورة يونس: الآية ٣٧

مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[(١)] فإنهم[(٢)] طلبوا تبديل القرآن لعجزهم عن مباراة الموجود، فطلبوا منه غيره حتى يتسنى لهم مباراته[(٣)]، والفرق بين الاقتراحَيْن[(٤)] أنَّ قولهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا﴾ أنَّ المراد من الاقتراح الأول تغيير مضامينه ومعانيه، وبالاقتراح الثاني تغيير أساليبه.[(٥)]

[و] يحدثنا التأريخ أنه كان أُمِّيًّا، والقائم بتربيته الأولى بدويًّا[(٦)]، ولم تكن مكة من مراكز العلم، ومدارس العلماء[(٧)]، وقد جاء بكتاب حوى تواريخ اليهود، فلم يعارضه رهبانهم.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥

لقد ذكر المفسرون ما يتعلق باستدلال الآيات الشريفة على طلب التحدي وعجز القوم عن ذلك. ينظر: الطبري: جامع البيان ١٥/ ٤١، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٣٥٠، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٣١٩، الرازي: التفسير الكبير ١٧/ ٢٢٥

(٢) في الأصل بعد الآية الشريفة: راجع ص٣١٦ من سادس البحار فإنهم طلبوا.

(٣) قال الشيخ الطوسي: ((لأنَّ الإتيانَ بغيرِهِ قد يكونُ معهُ، وتبديلهُ لا يكونُ إلا برفعِهِ والإتيانِ بغيرِهِ... وكانَ قولُهُم هذا له على وجهِ التعنُّتِ والتسبُّبِ إلى الكفرِ به وتكذيبِهِ)). التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٣٥٠، ويرى الزمخشري أنَّ هذا الطلب فيه من العناد والمكر والخديعة والاختبار للنبيﷺ، فضلاً عن العجز بإتيان مثله. ينظر: تفسير الكشاف ٢/ ٣١٩

(٤) ويقصد بالاقتراحين هما: تغيير القرآن، وتبديله.

(٥) لم يذكر المفسرون هذا المعنى، بل قريب منه يلائم الثاني دون الأول كما تقدم.

(٦) وهذا ما هو المشهور عن سيرتهﷺ وولادته يتيمًا والبحث عن مرضعة له لوفاة أمهعليها السلام. للتفصيل ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، (شريعت، قم، ط١، ١٤٢٥هـ) ٢/ ١٠، الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت) ١/ ٣٤

(٧) ذكر البلاذري أنَّ عدد الذين كانوا يكتبون في الجزيرة العربية قليل جدًّا آنذاك، ومنهم ←

[و] هذه الآية رابعة الآيات التي نزلت في التحدي بالقرآن، ففي تفسير المنار[١] أنَّ أقدم الآيات نزولاً هي التي في سورة الإسراء ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٢]، ثم نزلت بعدها آية يونس ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣]، ثم آية هود ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤]، فيستفاد من الجمع بينهن أمور:

١- إنَّ التحدي بجملة من القرآن لا بجملته، فإذا انتفى الأول انتقض الثاني بطريق أَوْلى.

٢- إنَّ المراد من المثل، مثل القرآن، لا مثل النبي، كما زعمه الشيخ المفتي[٥]،

→

يعرف القراءة ولا يعرف الكتابة، وروى عن الواقدي أنَّ الذين يكتبون في الأوس والخزرج قليل، وكان بعض اليهود يعلم ذلك. للتفصيل ينظر: أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تح: رضوان محمد رضوان، (المطبعة المصرية، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م): ٤٥٦-٤٦٠

(١) ١/ ١٩٢

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٣) سورة يونس: الآية ٣٨

(٤) سورة هود: الآية ١٣

(٥) أي الشيخ محمد عبده كما ورد عنه في تفسير المنار: ((وقوله تعالى: ﴿**مِنْ مِثْلِهِ**﴾ فيه وجهان: أحدهما: إنَّ الضميرَ في مثله للقرآنِ المعبَّرِ عنه بقوله: ﴿**مِمَّا نَزَّلْنَا**﴾ والثاني: إنَّهُ لعبدِنا. قال شيخنا: وهو أرجَحُ بدليلِ من الداخلةِ على مثله الدالَّةِ على النشوءِ، أي فإنْ كانَ أحدٌ ممن يماثِلُ الرسولَ بالأُميَّةِ يقدرُ على الإتيانِ بسورةٍ فليفعلْ)). ١/ ١٩١

ونرى أنَّ هذا الترجيح غير قائم؛ لأنَّ أصل التحدي للمشركين بالقرآن وليس بشخص النبيﷺ، وهذا واضح من خلال الجمع بين آيات التحدي، فضلاً عن سيرة

←

والهندي[١]، [و] الشيخ البلاغي[٢]؛ لأنَّ مثل ذلك في الآيات الثلاث صريح في مثل القرآن، والمُجمل محمول على الصريح.

٣- إنَّ المراد من الشهداء في آيتنا الأعوان، كما قال ابن عباس[٣]؛ لأنه الصريح في الآيات الأخرى، والمُجمل حُمِل على المُبَيَّن.

[و] قال المتكلمون: إنَّ القرآن تحدَّى فصحاء مكة أولاً في سورة الإسراء، بأنْ يأتوا مثل جميع القرآن الذي كان قد أُنزل، أو أُريد من القرآن خصوص سورة الإسراء ، فلم يأتوا به، ثم تحدَّاهم بأنْ يأتوا مثل سورة واحدة، فلم يأتوا به مجاراةً[٤] في التنازل من الأصعب إلى السهل، ثم جَدَّدَ في المدينة تنازله إلى الإتيان كسورة(ألم) البقرة فلم يفعلوا.

● **المورد الرابع:**

قال[٥]: ذكر أساتذة البلاغة [أنَّ للإطناب] حد إعجاز، كما للإيجاز حد إعجاز،

→

المشركين في تأثُّرهم بما سمعوه من القرآن.

(١) لا أعلم هل يُقصد الشيخ محمد بن الحسن الأصفهاني المشهور بـ(الفاضل الهندي) (ت١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م) صاحب التأليف المشهور (كشف اللثام عن قواعد الأحكام) والذي ينسب إليه تفسير القرآن الكريم، ولكن الصحيح أنه لأبيه أو لغيره من العامة لاشتراك اللقب، وقد حقق في ذلك الشيخ رسول جعفريان في مقدمته لـ قواعد الأحكام . للتفصيل ينظر: الفاضل الهندي: محمد بن الحسن: كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، د.م) ١/ ٥-٧٤

(٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٧٦

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ١٠٤

(٤) في الأصل: مجاراتاً.

(٥) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

وهذا الإعجاز أعم من الإعجاز القرآني، فإنَّ هذا [أي القرآن] معجز للبشر بصورة مجتمعة، وذاك[1] الأعم هو إعجاز فرد لفرد، فالإعجاز الفردي له أمثلة منها:

الإعجاز في انسجام الألفاظ، أو الذي في السهل الممتنع من حيث المعنى، كقول الشاعر:

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا ... وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ(٢)

ففيهِ مبالغَةٌ في الهِمَّةِ يعجزُ مَنْ يباريهِ.

ومنها: الإيجاز المعجز كَقَوْلي: (لا سَهْوٌ في سَهْوٍ، ولا يُخَمَّسُ مُخَمَّسٌ، ولا يُدَاعَى مُفْلِسٌ)[3]، فإنه موجز يعجز الناس أنْ يأتوا بأوجز منه، كما تَحَدَّيتهم بذلك مرارًا، فهذا كله معجز فردي يعجز الناس من أنْ يأتوا بأعلى منه.

---

(١) في الأصل: ذلك.

(٢) البيت لـ أبي بكر بن النطاح من قصيدة يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى:

فَتًى تَهْرَبُ الأَمْوالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ ... كَمَا يَهْرُبُ الشَّيْطانُ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبارِها ... وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ راحَةٌ لَوْ أنَّ مِعْشارَ جُودِها ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى مِنَ البَحْرِ

الضامن، حاتم صالح: عشرة شعراء مُقِلُّون، (الناشر: جامعة بغداد، بغداد، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، د.ت): ٢٦٢

(٣) إنَّ في العبارة إيجاز لطيف لأحكام شرعية وهي: إنَّ المالَ المخَمَّسَ لا يُخَمَّسَ مرةً أخرى بعد مرورِ الحَوْلِ عليه، بخلافِ غيرِ المخمَّسِ، وإنَّ المفلِسَ الفاقِدَ لمالِهِ لا يُداعى لحينِ ذهابِ فَلَسِهِ).

● المورد الخامس:

قال[١]: لا خلاف في أنَّ البلغاء تَمَرْكَزوا في عصر النبي ومِصرِه، فكانت أم القرى وما حولها مَحَطَّ الرِّحال، وكعبةَ طُلّاب الكمال، ومَحَطَّ رِحال الرجال[٢]، وقد مَرَّ على اللغة العربية في العالم أربعة عشر قرنًا والناس يستشهدون بأقوال رجال ذلك العصر، ويحتجُّون بأبيات شعراء ذاك القرن، إذن فهم البارزون من أهل اللسان، والخيرة من أهل الخبرة، فإذا عجز أولئك الفحول عن مباراة الرسول، فغيرهم أعجز، ودَلَّ العجز[٣] من أولئك أنَّ ذاكَ المعجزَ معجزٌ حقًّا، ودَلَّ اعتراف أولئك بامتياز القرآن على أقرانه، وتفوُّق قرآنه، سواء أدركنا اليوم سِرَّ تَفَوُّقه وإعجازه أو لم ندرك، فإنَّ شهادة أهل الخبرة حجة، والحكومة[٤] إليهم طبيعية، ولما اختلف سيبويه و الكسائي في المسألة الزنبورية [٥]، قال هذا [الكسائي] للرشيد: (العرب ببابك فاسألهم)[٦]، فدلَّ على أنَّ الترافع عند أهل الخبرة

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٢) قد تقدم في باب الدراسة ٱعتناء العرب بذلك، وإقامة المجالس الأدبية، وٱلتقاء الشعراء للمباراة فيما بينهم.

(٣) في الأصل: المعجز.

(٤) أي الاحتكام إليهم وجعلهم حَكَمًا في تمييز الأفضل.

(٥) المسألة الزنبورية وهي المسألة المشهورة التي سألها الكسائي سيبويه، فقد ورد في سؤاله إياه: ((كيفَ تقول: كُنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشَدُّ لسعةً من الزنبورِ فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها. فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لَحَنْتَ)). أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، (دار الفكر، دمشق، د.ط، د.ت) ٢/ ٧٠٣

(٦) أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٧٠٣، ولكن الرواية وردت أنَّ المناظرة بين الكسائي و سيبويه كانت في مجلس يحيى بن خالد وعنده ولداه جعفر والفضل وليس الرشيد .

طبيعي، وسجَّل التأريخ شهادة أولئك الرجال بتفوُّق القرآن كالوليد بن المغيرة ، و لبيد ، وحسان وغيرهم، فلمَّا[١] سجَّل عجزهم، فهو معجزٌ بلا مراءٍ.

المبحث الثاني: علم المعاني

إنَّ الموضوعات التي تناولتها مخطوطات السيد الشهرستاني في علم المعاني كانت ضمن موضوعين وهما:

- **أولاً: الإيجاز:**

لقد ذكر السيد الشهرستاني ما يتعلق بأهمية الإيجاز وأثره في البلاغة عمومًا، وفي الآيات القرآنية خصوصًا، ونذكر ذلك ضمن موارد(أربعة).

*** المورد الأول:**

قال[٢] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾.[٣]

هذه من آيات القرآن المتضمنة إعجازَ إيجازٍ، وبداعةَ حكمةٍ، وبرهنةً لأخصِّ الخواصِّ، لا لعامَّةِ الناسِ، فكأنَّها مشروحة اللفظ هكذا: (لن تراني يا موسى؛ لأنَّ

---

(١) في الأصل: كما.

(٢) أوراق مخطوطة بدون عنوان ص٦١-٦٣، وهو جواب لسؤال نصه: ((يعلق القرآن الحكيم عدم رؤية الخالق في آية ﴿**لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ حينما لا نشعر بأية صلة بين رؤية الله وبين استقرار الجبل، ثم الجبل مستقر أيما استقرار حسًّا وعقلاً، فهو شرط للجواب، والأصوب الشرط ثم التعبير بالسين دون سوف [في الأصل: والأصوب الشرط ثم التعبير بسوف دون السين] حينما نفى الرؤية أبدًا؟ ثم كيف اندكَّ الجبل وخَرَّ موسى صعقًا؟))

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٣

الرؤية البصرية موقوفة على كون المرئي محدود المكان والجهة، والمحدود هكذا لا بد وأنْ يختص العين فيه بأينٍ خاص، والخالق لا يجوز أنْ يختص بمكانٍ دون مكان، ولا يتعيَّن عينه بجهة دون جهة، ولا يقبل الحد إلى الأبد؛ لأنه المتصرف في عموم العالم، وفي جميع الأمم، وهو في كُلِّ أينٍ، وآنٍ بكُلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلا يستقر في جهة، ولا يختص بأينٍ، إذن فلا يعقل تعلُّق البصر والرؤية بمثل هذا العين، الذي لا يختص بهذا الأين، والمثل الصغير لهذا هو الجبل الذي بالقياس إلى الخالق جزء غير محسوس، ومع أنه كذلك، وأنه محدود بتمام المعاني، يأبى الاستقرار التام إلى يوم القيام، بل هو في تحوُّلٍ عينيٍّ وجوهريٍّ، بل في تحوُّلٍ أيني تندكُّ هُويَّته في الدهور، وتتحوَّل وتتجوَّل، وكذا كُلُّ جزء من هذا العالم يتحرك بحركات فاقدة الاستقرار، فبالطريق الأولى خالقها المحيط لا يستقر، ولا يتأيَّن بأينٍ، ولا يبقى على حاله أي عين].[١]

وهذا التعبير المفصَّل مِنِّي مجموع كله في هذه الآية الموجزة، مع إنني أيضًا أوجزت في تعبيري هذا[٢]، فأي إيجازٍ بالغٍ حد الإعجاز كهذا الإيجاز، ولكنَّ نبي الله موسى

---

(١) إنَّ هذا التوضيح الذي قدمه السيد الشهرستاني مهم جدًّا، وهو قائم على بيان مسألة عقائدية اختلف فيها المسلمون تتعلق برؤية الله عزوجل، فمنهم مَنْ أجاز ذلك وهو ما ذهب إليه بعض العامة اعتمادًا على روايات يقولون بها، ومنهم مَنْ منع حصول ذلك وهم أتباع مدرسة أهل بيت العصمة اعتمادًا على روايات وردت عنهم، فضلاً عن دليل العقل في امتناع رؤيته، وذهب إلى ذلك المعتزلة كذلك، وقد ناقش المفسرون الآية بتفصيل، وكذلك علماء الكلام. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٥٣٤-٥٣٦، الزمخشري: الكشاف ٢/ ١٤٧-١٤٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٣٥١-٣٥٢، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/ ٣٥٤-٣٥٨

(٢) لم نُعلِّق على كلمات السيد الواردة في توضيحه على الآية الشريفة لعلاقة ذلك بالمباحث الفلسفية والعقائدية.

أخذ شروحًا مفصلة أكثر وأكثر من وحي خالقه الأكبر، فاندكت أمام عقله هُويّات الجبال، وأسرار حركاتها المختلفة، فخرَّ صعقًا من ضعف أعصابه عن تحمل هذه الأسرار الدقيقة الغالية، والحكمة العالية.

* **المورد الثاني:**

قال[١]: صنعة الإيجاز في المحاسن البديعية احتواء الكلام على ضروب من البيان، كما أنَّ الإبداع احتواء الكلام على ضروب من أنواع البديع.

فمثال الأول آية ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾.[٢]

ففيها من ضروب البيان خَبَران[٣]، وإنشاءان[٤]، وماضيان[٥]، وأمران[٦]، ونهيان[٧]، ووعدان[٨]، ونبآن غيبيان[٩]، وزهاء عشرين ضربًا[١٠]، وهذا غير الإيجاز المقابل للإطناب وبينهما عموم من وجه.

---

(١) مخطوط رؤوس الأقلام في دروس الإسلام: ٥٦-٥٧

(٢) سورة القصص: الآية ٧

(٣) وهما: (أوحينا، أرضعيه).

(٤) وهما: (لا تخافي، لا تحزني).

(٥) وهما: (أوحينا، خفت).

(٦) وهما: (أرضعيه، ألقيه).

(٧) وهما: (لا تخافي، لا تحزني).

(٨) وهما: (رادُّوه، جاعلوه).

(٩) وهما: (رادُّوه، جاعلوه).

(١٠) أي نوعًا من علوم البلاغة.

ومثال الإبداع آية ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.(١)

ففيها زهاء ثلاثين مزية من المحاسن البديعية(٢)، كما عَدَّدْتُها في محاضرة إعجاز القرآن.(٣)

*** المورد الثالث:**

قال(٤) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.(٥)

إنَّ موسى[ﷺ] لم يرد التفصيل والتطويل كما زعمه المفسرون(٦)؛ إذ لو أرادهما لقال: هي عصاي أتوكَّأ عليها للاستراحة، وأستعين بها كرِجْلٍ ثالثة في المشي، وأهشُّ بها على الأغنام، وأسوق بها الدواب والأنعام، وأُقرِّب بها البعيد، وأُبعِّد بها القريب،

---

(١) مخطوط الحواصل ٥/ ١١٣ و ٢٢٣، مخطوط مهمات: ١٠

(٢) الشهرستاني: المعجزة الخالدة: ٣٥-٣٨، فقد قال بعد ذكره لمزايا الآية: ((ولو شِئنا أنْ نضيفَ المحاسِنَ البيانيَّةَ على البديعيةِ وسائرِ الصنائعِ الاصطلاحيةِ، مع إفرادِ جملةٍ من المزايا المتداخلةِ فيما ذُكِرَ، لتجاوزتِ الأربعينَ، وفاضَتْ، ثم فاضَتْ)): ٣٨

(٣) المصدر نفسه: ٣٤، وقد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الرابع.

(٤) مخطوط الحواصل ٥/ ٢٢٣

(٥) سورة طه: الآية ١٨

(٦) إنَّ المفسرين لم يذكروا أنَّ موسى ﷺ أراد التطويل في جوابه، بل إنه جمع بين التفصيل والإجمال في جوابه، وأظن أنَّ ما ذكره السيد من مهام كلها تنطوي في قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/ ٥٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٢/ ٢٦ وغيرهما

وأقطفُ بها الثمار، وأُصلح بها الأشجار، وأكشُّ الأطيار[١]، وأُدافع بها الأغيار، وتهابني الكلاب والذئاب، وأقتل بها المؤذيات كالعقارب والحيَّات[٢]، ثم قال بعد عَنٍّ[٣] ولِيَ فيها مآرب أخرى، وهذا السؤال من ربه العَلَّام إشارة تُنبِّهُ موسى[عليه السلام] على أنَّ خشبة حقيرة لو اعتمد الإنسان عليها لأعانته المعونات الكبرى، فكيف به لو اعتمد على رب الأرباب.[٤]

*** المورد الرابع:**

قال[٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[٦]

في [الـ]آية إيجاز عجيب، وحذف لما قد يُفهم بأقل تأمل.[٧]

---

(١) الأطيار جمع طائر، فالمفرد يجمع على أطيار وطيور. ابن منظور: لسان العرب مادة(طير).

(٢) في الأصل: كعقارب وحيات.

(٣) هكذا في الأصل، ولعل المراد بعد عناء، أو معاناة.

(٤) إنَّ هذا تفسير لطيف جدًّا منه، وفيه دلالة على التوكل والتسليم والثقة المطلقة بالله تعالى على أنه قريب من عبده، يلبِّي دعوته وينجيه بعد تسليمه المطلق إليه، فيسخِّر له الموجودات على وفق الحكمة الإلهية، وهذا ما كان منه عز وجل إذ جعل معجزة نبيه موسى عليه السلام هذه العصا.

(٥) أوراق مخطوطة بدون عنوان: ٦٩

(٦) سورة يوسف: الآية ٤٦

(٧) في الأصل: في آية(يوسف أيها الصديق) فيها إيجاز عجيب وحذف لما قد يُفهم بأقل تأمل.

إنَّ الإيجاز في الآية الشريفة واضح للمتأمل في قصة يوسف عليه السلام، وما انطوت عليه هذه الرؤيا من أحداث كبيرة قد أُوجزت في هذه الآية، فضلاً عن حذف كثير من الكلمات، ←

• **ثانيًا: الالتفات.**

إنَّ السيد الشهرستاني قد ذكر ما يتعلق بالالتفات وأهميته في الكلام، وأثره في بلاغة الآيات القرآنية في عدد من مخطوطاته، فضلاً عن التوسُّع في بيان أنواعه، والأمثلة القرآنية على ذلك، ومناقشة العلماء، وقد جمعت في موارد(ستة)، وسأذكرها كالآتي:

*** المورد الأول:**

قال[١]: أقول الالتفات ضرب من ضروب المحاورة، وتفنن يستعمله البلغاء، وزينة للكلام، وتقوية للمرام، وهو عند الجمهور من علماء البيان على ستة أقسام، حاصله من ضرب الغيبة والخطاب والتكلم أنفسها[٢]، ولقد أضفتُ عليها الالتفات من الفرد إلى المجموع، ومن عكسه، فصارت ثمانية، بل عشرة، وهاك أمثلة منها على وجه الإشارة والإجمال.

أولاً: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

في [سورة] الفاتحة [قوله تعالى:] ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٣] أي: إياه.

وفي [سورة] الكهف [قوله تعالى:] ﴿**قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ**

→

وسبك الآية بهذا النص الإبداعي، فقد تضمنت مسيرة الدولة والمجتمع لسنوات سبع شداد تَمُرُّ على الناس، مع وضع الحل الأمثل لعلاج ذلك، حتى يتم الفرج بعدها.

(١) مخطوط المسودات القرآنية ص١١٩-١٢٠ في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [سورة الفاتحة: الآية ٥]

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٩٧-٢٠٣، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٥٣-٢٥٧، حبنَّكة: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ١/ ٤٨٤-٤٨٥

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥

بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ﴾.[(١)]

وكآية ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[(٢)] أي: ما رزقناهم.

وآية [سورة] القصص ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.[(٣)]

و[في سورة] النساء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾.[(٤)]

وفي [سورة] يونس [قوله تعالى:] ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ * فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾.[(٥)]

وفي[سورة] سبأ[قوله تعالى:] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ – فَأَعْرَضُوا – وَجَعَلْنَا – سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.[(٦)]

[و] كآية[سورة] الأنبياء [قوله تعالى:] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٩

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٠

(٣) سورة القصص: الآية ٣١

(٤) سورة النساء: الآية ٦١

(٥) سورة يونس: الآيات ٩٠-٩٢

(٦) سورة سبأ: الآيات ١٥-١٨

فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.(١)

[وقال تعالى]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.(٢)

وفي خطبة[الإمام] علي[عليه السلام] في التوحيد: ((ومَنْ ماتَ فإليهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ العُيونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ)).(٣)

ثانيًا: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

كآية ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾.(٤) أي: بكم.

وفي [سورة] الأحزاب [قوله تعالى:] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ -إلى قوله- وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(٥)

وكآية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.(٦)

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة ١/ ٢٠٩ وهذه الخطبة أولها: ((كُلُّ شَيْءٍ خاضِعٌ لَهُ .... وَمَنْ عاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ ماتَ فَإليهِ مُنْقَلَبُهُ)).

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٠

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٨

وفي[سورة] النحل[قوله تعالى:] ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾.(١) أي: من بطونك.

وفي[سورة] النساء[قوله تعالى:] ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾.(٢) أي: واستغفرت لهم.

وقول أبي العلاء:

هَلْ تَزْجُرَنَّكُمُ رِسَالَةُ مُرْسِلٍ … أَمْ لَيْسَ يَنْفَعُ فِي أُولاكَ أَلُوكُ(٣)

ثالثًا: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

كآية ﴿**وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾(٤) أي: فساقه.

وآية ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾.(٥)

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٦٨- ٦٩

(٢) سورة النساء: الآية ٦٤

(٣) في الأصل: هل يزجرنكم رسالة مرسل - أم ليس ينفع في أولاك، أولاك: أي أولئك. ألوك: أي رسالة. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزند، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، د.ط): ٣٠٣

(٤) سورة فاطر: الآية ٩

(٥) سورة الإسراء: الآية ١

رابعًا: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

كقول علقمة بن عبدة[١]:

طَحَـا بِـكَ قَلْـبٌ فِي الحِسَـانِ طَـرُوبُ بُعَيْـدَ الشَّـبابِ عَصْـرَ حَـانَ مَشـيبُ[٢]

خامسًا: من التكلم إلى الخطاب.

[قال تعالى] في [سورة] الكوثر: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾.[٣] أي: فَصَلِّ لنا.

سادسًا: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

كآية ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.[٤] أي: أرجع.

---

(١) علقمة بن عَبَدة: شاعر جاهلي من بني تميم، وهو الذي يقال له علقمة الفحل، وكان ينازع ٱمرأ القيس الشعر، وكان يقول: كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك. ٱبن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ٢١٨

(٢) علقمة بن عبدة: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تق: الدكتور حنا نصر الحتي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م): ٢٣

طحا بك: أي ٱتسع بك وذهب كل مذهب، وفي البيت يخاطب الحارث بن أبي شمر الغساني وقد أَسَّر أخاه شأس بن عبدة مع سبعين رجلاً من بني تميم، ويقول بعدها:

إِلَى الحَـارِثِ الوَهَّـابِ أَعْلَمْـتُ نَـاقَتِي لِكَلْكَلِهَـا والقُصَـرْيَيْنِ وَجِيـبُ

فلما بلغ هذا البيت:

وَفِي كُـلِّ حَـيٍّ قَـدْ خَبَطْـتَ بِنِعْمَـةٍ فَحُـقَّ لِشَـأْسٍ مَـنْ نَـدَاكَ ذَنُـوبُ

فأطلق أخاه ومن معه من الأسرى.

(٣) سورة الكوثر: الآيتان ١-٢

(٤) سورة يس: الآية ٢٢

وآيـة ﴿**قَـالَ خُـذْهَا وَلَا تَخَـفْ سَـنُعِيدُهَا سِـيرَتَهَا الأُولَى** -إلى قولـه- **لِنُرِيَـكَ مِـنْ آيَاتِنَـا الكُبْرَى**﴾.[1]

سابعًا: الالتفات من الفرد إلى الجمع.

كآيـة ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ إِذَا طَلَّقْـتُمُ النِّسَـاءَ فَطَلِّقُـوهُنَّ لِعِـدَّتِهِنَّ وَأَحْصُـوا العِـدَّةَ وَاتَّقُـوا اللهَ رَبَّكُمْ**﴾.[2] أي: إذا طلقت.

وآية في [سورة] النور ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** -إلى قولـه تعـالى- **أَوِ الطِّفْـلِ الَّـذِينَ لَمْ يَظْهَـرُوا عَـلَى عَـوْرَاتِ النِّسَـاءِ وَلَا يَضْـرِبْنَ بِـأَرْجُلِهِنَّ لِـيُعْلَمَ مَـا يُخْفِـينَ مِـنْ زِينَتِهِنَّ**﴾.[3]

وآية ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾.[4]

ثامنًا: الالتفات من الجمع إلى الفرد.

كآية ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾.[5]

وكما في آية [سورة] الكهف ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْـنِهِمَا نَسِيَا حُـوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَـبِيلَهُ فِي البَحْـرِ سَرَبًا**﴾.[6]

وآية النحـل ﴿**وَإِنَّ لَكُـمْ فِي الأَنْعَـامِ لَعِـبْرَةً نُسْـقِيكُمْ مِمَّـا فِي بُطُونِـهِ مِـنْ بَـيْنِ فَـرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًـا**

---

(١) سورة طه: الآيات ٢١-٢٣

(٢) سورة الطلاق: الآية ١

(٣) سورة النور: الآية ٣١

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧

(٦) سورة الكهف: الآية ٦١

خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾.[١]

وآية **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾**.[٢]

وآية [في سورة] النساء **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾**.[٣]

وآية [في سورة] الأنبياء: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**.[٤]

تاسعًا: الالتفات من شخص فرد إلى شخص فرد(أو من مذكر إلى مؤنث).

كآية [في سورة] يوسف: **﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾**.[٥]

عاشرًا: الالتفات من جماعة إلى جماعة.

كآية [في سورة] النساء **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[٦]، فإنَّ الجماعة الأولى هم المنافقون، والثانية هم المؤمنون.

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٦

(٢) سورة غافر: الآية ٦٧

(٣) سورة النساء: الآيتان ٨٣-٨٤

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥

(٥) سورة يوسف: الآية ٢٩

(٦) سورة النساء: الآيتان ٨٢-٨٣

* **المورد الثاني:**

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾**.[٢]

في الآية صنعة الالتفات من المفرد إلى الجمع، إذ جاء بالذي استوقد نارًا ظاهر الوحدة، ثم أعاد إليه ضمير الجماعة في قوله: **﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُون﴾**، وكثير مثل هذا الالتفات المُعْنَا[٣] إليه في آية **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾**[٤]، وسبق في آية **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾**.[٥]

* **المورد الثالث:**

قال[٦] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** -إلى قوله- **وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ﴾**.[٧]

تضمَّن المثل الأول التفات من المفرد إلى الجمع إذ أتى بضمير المفرد في **﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَه﴾**، ثم عبَّر عنه بضمير الجمع في **﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ﴾**[٨]، كذلك المثل الثاني

---

(١) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩-١٠٠
(٥) سورة البقرة: الآية ٨
لم نحصل على بيان السيد حول الآية الشريفة في تفسيره المخطوط وغيره.
(٦) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.
(٧) سورة البقرة: الآيات ١٧-١٩
(٨) إنَّ للمفسرين بيانًا حول ذلك وما يتعلق به من حيث الإفراد والجمع. ينظر: الزمخشري: ←

حسب ما استقربته من أنَّ الصَّيِّب فعيل بمعنى المفعول[١]، وبمعنى مَنْ وقع عليه نازلة من السحاب فيه ظلمات[٢]، فهو مفرد وضميره كذلك، واشتمل على صنعة الالتفات منه إلى الجمع في قوله: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾، والالتفات من المفرد إلى الجمع كثير الوقوع في القرآن والشعر والخطب؛ لئلا يتوهم أنَّ القصد محصور بفرد منظور كما قالته الباطنية في آية ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[٣] ونحو ذلك.[٤]

* **المورد الرابع:**

قال[٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.[٦]

→

تفسير الكشاف ١/ ١٠٩، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١١٣-١١٤

(١) قال الطبرسي: ((الصيبُ أصلهُ صَيْوِب فيعل من الصوابِ، لكن اجتمعت الواو والياء وأولاهما ساكنةٌ فصارتا ياءً مشددةً)). مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١١٦، وينظر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٩

(٢) أي: مطر. السجستاني: محمد بن عزيز: غريب القرآن، تص وتع: لجنة من العلماء، (مط محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٢هـ١٩٦٣م، د.ط): ١٢٤، وقيل: السحاب أو المطر. الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٩٩(صوب). وهذا المعنى يخالف ما ذكره السيد من معنىً.

(٣) سورة العصر: الآية ٢

(٤) لقد وردت روايات عن المفسرين في أنَّ المراد بـ(الإنسان) هو شخص معين، مثل أبو جهل و الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل وغيرهم. ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٢/ ٢٧٩، السيوطي: الدر المنثور ١٥/ ٦٤٤

(٥) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢١

[إنَّ في الآية] تَحَوُّلَ وجه الخطاب إلى الخطاب عن الغيبة، وقد مَرَّ نظيره في آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١]، ولا تنكر لذة التحوُّل والتنقُّل من فن إلى فن، ومن مورد إلى مورد، وفوق لذة التحوُّل نرى الالتفات الخطابي يجدد نشاطًا في الخطيب والمستمعين، ويستهشُّ[٢] السامعين إلى الإصغاء، وحسن التلقي، والمداومة على الاستزادة والاستفادة من الحديث.

* **المورد الخامس:**

قال[٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾.[٤]

أقول: لا ريب في صوغ هذه الآية على وضعية الالتفات من الخطاب إلى الغيب[٥]، وليس هذا التبدل في نحو الكلام من الأمر المستعاب، بعد أنْ جرت عليه سنة الخطباء والبلغاء والشعراء، ويلزمنا الآن الإشارة إلى معنى الالتفات، ثم إلى حكمته، فنقول: الالتفات في العرف العام تحويل الوجه أو النظر من جهة إلى جهة أخرى[٦]، وفي عرف البلغاء وعلماء البيان هو تحويل وجه الكلام من أسلوب إلى أسلوب، ومن وضعية إلى،

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٥، قد تقدم ما يتعلق بالآية.

(٢) أي تلتذ الأسماع وترتاح في استماعها للخطاب وتطرب له؛ لعدم ثقل الأسلوب في التعبير. ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة(هشش).

(٣) مخطوط المسودات القرآنية: ١١١-١١٤

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢

(٥) للتفصيل في سبب الالتفات وأهميته ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ١٧٤، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٧/ ٢٣٤

(٦) ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة(لفت).

وضعية أخرى كالالتفات من وضعية الخطاب إلى وضعية الغياب، أو العكس، أو غيرهما[١]، وسيأتي ذكر أنواعه وأسبابه.[٢]

أما أسبابه فالقوم[٣] لم يذكروا للالتفات وجهًا يُحَسِّنه، ولا شبيهًا يُرَجِّحه، غير ما شاع عنهم من أنَّ الالتفات من أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر، يجدد للسامعين طربًا وارتياحًا، ويزيد الحديث طراوةً، وفي المتكلم يقظةً ولذةً، كالتنقُّلِ من بلد إلى بلد، أو كتبديلِ طعام بطعام، حسبما قيل: (تنقل فلذات الهوى في التنقل[٤])[٥]، وتبديلِ أساليب الكلام كتبديلِ ألبسة الأنام غالبًا.

هذا الوجه على أنه المشهور والمرضي لدى الجمهور، [و] هو الوجه الوجيه العام، الذي لا يخسره أيُّ التفات يقع في الكلام.

لكنما المهارة كل المهارة في تميُّزِ الوجوه الخاصة مما عدا هذا الوجه العام، فإنَّ

---

(١) تقدم ما يتعلق بتعريفه في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثاني.

(٢) تقدم بيانه في المورد الأول.

(٣) أي البلاغيون.

(٤) في الأصل: تنفل.

(٥) القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: د. يوسف علي طويل، (دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م) ١٤/ ٣٢٥

وقد ورد أنه مقطع من قصيدة للشاعر يوسف بن عبد العزيز المشهور بـ(ابن المرصص) (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) والتي أولها:

تَنَقَّلْ فلذَّاتُ الهوى في التَّنَقُّلِ ... وَرُدَّ كُلَّ صَافٍ لا تَقِفْ عِنْدَ مَنْهَلِ

الزركلي: الأعلام ٨/ ٢٣٨، وورد أنه لـ"صفي الدين الحلي" (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، فالتحقيق يوجب نسبة البيت لابن المرصص إذا ثبت أنه قد ورد عنه.

الالتفات ذو أنواع لا تحد، ولكل نوع منه أفراد لا تعد، وفي كل نوع منه مزية مخصوصة، ولكل أسلوب منه طريقة خاصة له في كل مقام، ونكتة معينة، وله في كل مورد حكمة شخصية غير ذلك الوجه العمومي، كما إنَّ اللباس يؤثِّر في تطريب النفس وطراوة البدن، لكن في كُلِّ نوع من اللباس حكمة خاصة غير هاتيك الحكمة العامة.

ضرورة أنَّ اللباس قد يتبدل لدفع الحر والخطر، وتارة للوقاية عن البرد أو المطر، وأخرى لإظهار الزهد أو المسكنة، وبعضًا لإظهار الغنى والطنطنة، وهكذا إلى عدة أغراض لا تُعَدُّ، مع أنَّ التجمُّلَ أَوَّلُه العورة هو الوجه العام الموجود في كُلِّ تبدلات ألبسة البشر.

هكذا الالتفات عندي من دون ريب، فإنَّ التحوُّل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر في البيان له وجه عام يعم جميع الموارد، قليلاً من كثير، حَصَنِّي الله بإلهامه، أعني تطريب النفس، أو تطرية السمع، لكن هذا الوجه العام لا ينفك عن وجوه خاصة أخرى، تمتاز بها الأنواع وتتمايز.

- **منها** إنَّ التحوُّل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخرٍ قد يكون منشؤه انقضاء المقتضي للأسلوب السابق، وانصرام حبله، وتجدُّد المقتضي الآخر لأسلوب جديد، وحلول أجله، كقوله [تعالى] في سورة الكهف: ﴿**قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾[1]، فإنَّ صيغة الغياب المتجلِّية في ﴿**قَالُوا**﴾ ينقضي المقتضي لها، وينصرم بانصرام صيغة ﴿**قَالُوا**﴾، ويتجدَّد بعد ذلك مقتض للخطاب، ومثله في القرآن العزيز غير عزيز.
- **منها** أنْ يكون منشأ تحويل وجه الكلام هو وجود مانع بغتة، فأوجب على المنشىء

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٩

أنْ يتحرَّزَ أسلوبه الأول، ويبدِّلَهُ بأسلوب أسلمَ منه وأنسبَ، كما تجد أمثلته الوافرة في موارد التقية والتورية.[(١)]

- **ومنها** أنْ يكون منشأ تحويل الكلام هو ظهور فساد الأسلوب الأول حقيقة، وبدوِّ صلاح السبك الآخر المعدول عنه إليه، نظير ما في بدل الغلط، وهذا غير جائز على الله سبحانه كالذي قبله.

- **ومنها** أنْ يكون منشأ تحويل الكلام وتبديل أساليبه إنما هو تكامل استعداد المخاطب لدى الاستماع، هو فقير في فكر المنشيء لا من فاسدٍ إلى صالحٍ، بل يترقى من صالحٍ إلى أصلح، ويتدرج من مناسبٍ إلى أنسبٍ، ومن كمالٍ إلى أكملٍ، كما في [قوله تعالى]: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[(٢)]، أو كما في [قوله تعالى]: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.[(٣)]

- **ومنها** أنْ يكون منشأ الالتفات هو الإيماء إلى معنى قصده المتكلم ولم يفهم المخاطب، فالتفت إلى ما يوضِّح مقصوده له، كما في آية ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[(٤)]، وآية ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾.[(٥)]

---

(١) إنَّ هذا الأسلوب والذي بعده من الأساليب التي يلجأ إليها عامة الناس في محاوراتهم، وهو طبيعي لديهم، ولكن ذلك لا يمكن إطلاقه على كتاب الله تعالى؛ لعدم طروِّ تلك الأسباب عليه.

(٢) سورة يس: الآية ٢٢

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢

(٥) سورة النحل: الآية ٦٦

- **ومنها** أنْ يكون منشأ تبديل لباس الكلام هو قصد المتكلم أنْ يفهم المخاطبين عمومية هذا الحكم لعموم الأصناف، [كما][1] في آية ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾[2]، ففيه إيماء إلى أنَّ هذا الحكم غير مختص بكم أيها المخاطبون، بل يعم الغائبين والمعدومين أيضًا.

ولم أجد أحدًا[3] تنبَّه لهذا الوجه الوجيه، وإنما تفطنت به من الفكرة في حال الخطباء، إذ تراهم يخاطبون مَنْ عن يمينهم، ثم يلتفتون عنهم إلى مَنْ يواجههم، ثم يحوِّلون الوجه عنهم إلى مَنْ في يسارهم، حتى يفهم العموم، إنَّ الخطيب لا يختص كلامه بأصحاب اليمين ولا بأصحاب الشمال، بل هو قاصد العموم بوعظه وخطابه[4]، غير أنَّ ضرورة الاتجاه قضت عليهم ألّا[5] يواجهوا في اللحظة الواحدة إلا الجهة[6] الواحدة، فتنبهت من ذلك إلى سر عظيم وهو إنَّ القرآن العظيم هو الكتاب الموجَّه من ربنا سبحانه نحو العموم من خليقته، وصيغة الكلام لا بد وأنْ تكون إحدى ثلاث: إما الغياب، أو الحضور، أو التكلم، فإنْ تمخَّض[7] من كُلٍّ منها أَوْهَمَ أنه مختص بأهله، وإنْ تنوَّع في

---

(١) في الأصل: مثل.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٢

(٣) في الأصل: أحد.

(٤) إنَّ ما ذكره السيد في العلاقة بين الأسباب التي تقدمت وحال الخطيب أظن أنها موافقة لحال الخطابة فقط، أما أسباب الالتفات التي تقدمت فلا علاقة لها بطريقة إيصالها للمتلقي عن طريق الخطابة والكلام، بل مطلقًا، فإنَّ اعتماد أسلوب الالتفات من المخاطب قراءةً، أو كتابةً، أو إلقاءً يحقق الغاية التي يرتجيها، فالموضوع يتعلق بأسلوب الكلام، وليس بكيفية أدائه خطابة لتتم المقارنة مع التفات الخطيب إلى المستمعين.

(٥) في الأصل: أن لا.

(٦) في الأصل: لجهة.

(٧) في الأصل: تمحض.

حكم دون حكم فأورد جملة من الأحكام بصيغة الغياب، وجملة أخرى بصيغة الخطاب، أَوْهَمَ أنَّ القرآن بعضه للغائبين، وبعضه للحاضرين.

فإذا استعملت الالتفات في حكم واحد كالخطيب، وتحوَّل من صيغة إلى صيغة، ومن أسلوب إلى أسلوب، عرف من ذلك إلغاء امتياز تلك الأساليب، وفهم أنه كتاب عام، وخطاب لا يخص بعض الأنام، وعلم أنَّ الإنشاء القرآني أشبه بمقام خطيب إنساني يستعمل الصيغ والأساليب، توسلاً بها إلى الإفهام وتثقيف الأنام.(١)

هذه بعض مزايا وحكم تحسن الالتفات في بعض العبائر والكلم، وربما أوجبته إيجابًا أدبيًّا، وأنها تجري على تعابير القرآن، كما تجري على بيان كل بليغ معبِّر، أو محبِّر. وسوف نعطي لهذا البحث مجالاً وذكرًا في العناوين المقبلة إنْ شاء الله تعالى.(٢)

*** المورد السادس:**

قال(٣) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾.(٤)

---

(١) تشبيه لطيف جدًّا، يدل على التدبُّر الحقيقي لكتاب الله تعالى، قراءةً وتفكُّرًا، ويمكن للإنسان أنْ تحصل له اللذة الروحية في الاستماع إلى التعاليم الإلهية من غير مللٍ، وبذلك يحس الإنسان أنه جالس بين يدي مربٍّ حكيم، رؤوف رحيم.

(٢) لم نحصل فيما يتعلق بهذا المبحث إلا ما تم توثيقه في هذه الموارد الستة من خلال استقصاء جميع مخطوطات السيد الشهرستاني .

(٣) مخطوط الدلائل والمسائل ٨/ ٣٧٣ وهو جواب لسؤال نصه: ((قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**﴾ جملةٌ مصوغَةٌ على صورةِ الأنانيَّةِ، وبصيغَةِ المتكلِّم وأنَّهُ المنعمُ، فلماذا يقول بعدها: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ فيصوغ الجملةَ على صورةِ الغيريَّةِ، وبصيغةٍ تدلُّ على أنَّ المنعمَ غيرُ المتكلِّم)).

(٤) سورة الكوثر: الآيتان ١-٢

هذا تفنن في الكلام، ويعد من محاسن سنن البلاغة وبديعها، ومن كمال الأدباء في شرع الإنشاء خطابة وكتابة، فيعدلون إلى شاكلة الغيبة، بينما هم في حال الخطاب، ويعدلون على شاكلة التخاطب والحضور بينما هم في حال الإخبار عن الغائبين، ويسمون هذا العدول والانتقال(التفاتًا)، وهو سائغ وشائع في عرف النوابغ من عرب، ومن عجم.

والتحقيق فيه أنَّ للأشياء في دائرة الوجود مظاهر ومراتب، فقد يظهر الشيء في خارج الأعيان كتحرك الإنسان، وقد يظهر في كاشفه الطبيعي كما هو في المرآة، وداخل الأذهان كتصور الإنسان، وقد يظهر في كاشفه الوضعي كما في اللفظ والخط كاسم الإنسان، وعلى هذا الرأي أكثر حكمائنا المحققين[1]، غير أنني استحصلت آراءهم [ف]قالوا وقولهم الحق: إنَّ الموجود اللفظي يكشف عن الموجود الذهني، كما أنَّ الموجود الذهني يكشف عن الموجود العيني، ومن ذلك اتفق المنطقيون على تلازم القضيتين دائمًا، أي القضية الملفوظة وهي(زيدٌ متحركٌ) للقضية المعقولة(تلبُّسُ زيدٍ بالتحَرُّك)، فلا ينشيء القاصد كلامًا لفظيًّا إلا بعد تصوُّره كلامًا عقليًّا، يكون هو الأصل والمدار، لترتُّبِ الأحكام والآثار فقالوا:

إِنَّ الكَلامَ لَفِي الفُؤادِ وإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلى الفُؤادِ دَلِيلاً[2]

---

(١) لقد فصَّل الأصوليون ما يتعلق بالكلام النفسي وتسلسله في الذهن قبل صدوره وما يتعلق به، فضلاً عن الكلاميين والمفسرين. للتفصيل ينظر: الخراساني، محمد كاظم: كفاية الأصول، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (ط١، مهر، ١٤٠٩هـ، قم): ٦٥، الحكيم، محسن: حقائق الأصول، (ط٥، الغدير، قم، ١٤٠٨هـ) ١/ ١٤٧

(٢) ينسب البيت إلى الأخطل كما ذكرت المصادر المتعددة، ولكن لم يذكر في ديوانه المطبوع.

فإذا تقرر أنَّ الكلام الذهني والحديث النفسي هو المنشأ الحقيقي لهذا الكلام اللفظي، سَهَّل عليك معرفة السر الفلسفي في تفننات الكلام ومحاسنه البديعية، فإنَّ المُنشيء لا يتفَنَّنُ في ألفاظه قبل كُلِّ شيء كما يزعم، بل إنما يتفنَّنُ قبل كُلِّ شيء في معانيه ومقاصده وأحاديثه النفسية[1]، مثاله: إنه إذا قال رأيت القوم إلا زيداً، فلا بد من كونه تصوُّرًا أولاً رويته لجماعة لم يكن زيد فيهم، فَدَعاه معنى عدم رؤيته لزيد أنْ يأتي بصيغة الاستثناء في اللفظ، فإذن كُلُّ تفنُّنٍ في الكلام اللفظي لا بد وأنْ ينشأ من حسن تحوُّلٍ في الكلام الذهني، ومن التفنن(الالتفات).

ولا ريب في أنَّ التحولات الفكرية والتبدلات الذهنية والتحسينات المعنوية هي الموجبة لتغيير أسلوب اللفظ في الكتابة إلى وضع ومن سبك إلى آخر، فلنتصور ذلك تدقيقًا، فنرى البليغ يهيِّء معانيه المتناسقة فيجد المعاني صالحة أنْ تصب في بوتقة الخطاب وقالب الأنانية فيصبها، ثم يجد معنًى واحدًا لا يصلح لهذا القالب ذاتًا، أو لا

←

ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر: المحصول في علم الأصول، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م) ٢/ ٢٧، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخياط، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت) ١/ ٤٤١ وغيرهما

(١) إنَّ هذا التقرير مهم جدًّا في معرفة المعنى في الذهن، فالأمر لا يتعلق باللفظ بقدر تعلقه بتهيئة المعنى المراد إيصاله للمتلقي، فضلاً عن مراعاة التسلسل الذهني في ترتيب المعاني، ومن ثَمَّ جعلها في قالب الألفاظ، فيكون اللفظ جليًّا مؤثِّرًا في المتلقي إذا تطابقت الألفاظ المستعملة لتلك المعاني المرتبة في الذهن، وإنْ لم يحصل ذلك التوافق أو التطابق، فإنَّ المعنى يكون غير واضح الدلالة على المراد، فضلاً عن المحسنات اللفظية والبديعية التي تزيد الكلام رونقًا وتأثيرًا.

يجد لها الآن مانعًا قويًّا فيحوِّلها[١] إلى قالب الغيرية، وما الخطابة كالكتابة مثاله، أنه تعالى يجد المقام حَرِيًّا لاطمئنان نبيه بتحقق الكثرة له فيقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ ثم يجد مانعًا من قوله: (فصلِّ لنا وانحر)، لأنه يوهم كونه تعالى في صدد المِنَّة على نبيه ﷺ، واستعاضة صلاته عن تلك المِنَّة، مع أنه تعالى غني عن العالمين، فيحوِّل الكلام إلى شاكلة أخرى بصورة أنَّ المنعم هو غير المتكلم، فيقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وبتعبير آخر إنَّ آية ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ يجوز أنْ يكون جل القصد منها بيان العطية أولاً وبالذات، كما يجوز أنْ يكون بيان المُعطي والمُنعم، فإذا قال بعدها: (فصل لنا وانحر) تعيَّن بعد الإجمال أنَّ المراد كان بيان المُعطي والمُنعم، لكنه قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ليتعيَّن أنَّ المراد بيان النعمة والعطية، لا خصوص المُعطي والمُنعم، فيكون في هذا[٢] الالتفات بيانًا للإجمال، ودفعًا لسوء[٣] الاحتمال.[٤]

المبحث الثالث: علم البيان

إنَّ الموضوعات التي تناولتها مخطوطات السيد الشهرستاني في علم البيان كانت ضمن أبواب(أربعة)، وسوف نستعرض ذلك وفقًا لترتيبها في الدراسات البلاغية.

---

(١) في الأصل: فيجوّلها.

(٢) في الأصل: فيهذ.

(٣) في الأصل: لسئو.

(٤) تفسير جيد في بيان علاقة الالتفات بالمعنى، وأثره في النفس، وما في ذلك من أسلوب دقيق من الله تعالى، ولم يذكر المفسرون ما تقدم من تفسير السيد، وأثر الالتفات في الآيات الشريفة، ولكن ابن أبي الإصبع قد ذكر الآية الشريفة وما يتعلق بأسلوب الالتفات فيها. بديع القرآن ٢/ ٤٤

● **أولاً: التشبيه.**

لقد ذكر السيد الشهرستاني ما يتعلق بالتشبيه والروايات التمثيلية، وكثرة اعتماد القرآن الكريم في خطاباته على ذلك، وأثره في البلاغة القرآنية، فضلاً عن أسلوبه الخاص في إيصال الأفكار المعينة، فذكر تلك الآيات الشريفة التي وردت بهذا الأسلوب، إما بلفظ التشبيه، أو التمثيل، أو لسان الحال، وقد جمعنا ذلك كله في هذا المبحث؛ لتسهيله على الباحثين، والإحاطة به، فضلاً عن الدراسة والتحقيق، وإنْ كان الأولى بحث لسان الحال في مبحث المجاز أو الكناية، ولكنه تَحَدَّث عنه عند بيانه موضوعات الرواية التمثيلية للآيات الشريفة والتشبيه، وإنْ خالف العلماء في تفسير عدد من الآيات الشريفة، وقد تم جمع ما يتعلق بهذا المبحث ضمن موارد(خمسة عشر).

❋ **المورد الأول:**

قال[١]: يستعمل بلغاء الأمم، وخطباء العرب والعجم في منشآتهم روايات تمثيلية، ولسان حال عن الحيوان والجماد بعينه في إقناع الجماهير، ولا غرو فإنَّ المحاورات ثلاث[٢] أرباعها مجازات، وكنايات، وروايات خيالية، ففي أمثال العجم: (به شتر گفتند چرا شاشت بسه؟ گفت چه چيزم مثل همه كسه)[٣]، وقال[الإمام] علي عليه السلام: ((**العِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلا ارْتَحَلَ**)).[٤]

---

(١) مخطوط جمهرة العلوم القرآنية: ٩٤-٩٦

(٢) في الأصل: ثلاثة.

(٣) أي إنَّ الناس تخاطب الجَمَل حول مخالفته للآخرين، فهو يقول في جوابه كل شيء عندي مخالف فلماذا تستشكلون عليَّ.

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٤/ ٢٣٩

والقرآن الكريم من فرط رغبته في إقناع المخاطبين، وإفهام طبقات الجماهير، كان أحرص على بلوغه الهدف المطلوب، فاستعمل الأمثال والتشابيه في آياته: قال عن نفسه: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون**﴾[(١)]، والأمثال القرآنية:

- **منها**: ما يدخل في أبواب التشبيه ويصرح [بـ]أدواته، كقوله في آية: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾.[(٢)]

وفي آية ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا** –إلى قوله– **كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾.[(٣)]

وآية ﴿**مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾.[(٤)]

وآية ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُون**﴾.[(٥)]

وكما في آية النور ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾.[(٦)]

- **ومنها**: ما يدخل في أبواب الاستعارة والمجاز، وهو أكثر من ربع القرآن[(٧)]، كما في

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٧

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٥

(٣) سورة يونس: الآية ٢٤

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٥ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤ و ١٦٥، مخطوط مهمات: ١٠

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧

(٦) سورة النور: الآية ٣٥

(٧) إنَّ قوله: ((أكثر من ربع القرآن)) قائم على المسامحة والتقريب لا الحقيقة، ولعله أكثر أو أقل من ذلك.

آية الكرسي[١]، وآية النور[٢]، وآيات الجنة والنار.[٣]

- **ومنها**: ما يسبك سبك القصة وليست بقصة في واقع الأمر، بوجه كنائي أو عنائي، كقصة خلق آدم ومحاورة الملائكة مع الله في خلقه وتفضيله [قال تعالى]: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً -إلى قوله- وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُون﴾**.[٤]

وآية سجود الملائكة إلا إبليس [قال تعالى]: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِين﴾**.[٥]

---

(١) وهو قوله تعالى: **﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾**.[سورة البقرة: الآية ٢٥٥]

(٢) وهو قوله تعالى: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**. [سورة النور: الآية ٣٥]

(٣) وهي آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ﴾** [سورة الرعد: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: **﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾** [سورة محمد: الآية ١٥] وغيرهما

(٤) سورة البقرة: الآيات ٣٠-٣٣

(٥) سورة البقرة: الآية ٣٤ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤

ومحاورة الله مع الملائكة والشياطين[1] [قال تعالى]: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.[2]

وقوله للسموات والأرض: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.[3]

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) سورة ق: الآية ٣٠

ناقش الشريف المرتضى ما يتعلق بالآية الشريفة وعدم حملها على الحقيقة، وكيفية توجيه الخطاب إلى النار. ينظر: تنزيه الأنبياء، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م): ١٧١

ويرى الشيخ الطوسي أنَّ الكلام لا يحمل على الحقيقة، بل يحمل على المَثَلِ. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٦٩

وقال الزمخشري: ((وسؤالُ جهنمَ وجوابُها من بابِ التخييلِ الذي يُقْصَدُ به تصويرُ المعنى في القلبِ وتثبيتِهِ)). تفسير الكشاف ٤/ ٣٩٢

وقال الطبرسي مثل الطوسي ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٢٤٥

وقال أبو حيان الأندلسي مثل ما تقدم وذكر الأقوال المحتملة. ينظر: البحر المحيط ٨/ ١٢٦

وناقش السيد الطباطبائي القائلين بأنَّ الآية هي على لسان الحال وليس الحقيقة وَرَدَّ ذلك. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣٥٧

وفصَّل القول في عظمة بلاغة الآية الشريفة الدرويش وخروجها عن الحقيقة. ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٧/ ٢٧٥-٢٧٦

(٣) سورة فصلت: الآية ١١

الشيخ المفيد: أوائل المقالات: ١٠٣-١٠٤

وقال الشريف المرتضى: ((إنَّ القول في الآية يُصرف إلى غير الحقيقة)). الأمالي ٢/ ٢٠-٢٣

وقال مثل ذلك الشيخ الطوسي في تفسيره. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ١١٠، ←

وكما في آية داود وتمثل المَلَكين ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾(١) إلى قوله [تعالى]: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾.(٢)

وآية إبراهيم [قال تعالى]: ﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا -إلى قوله- حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾.(٣)

وآية كسره الأصنام [قال تعالى]: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ -إلى قوله- قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.(٤)

→

وينظر: العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث، لندن، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، د.ط): ١٧٨

أما الزمخشري فإنه يرى أنَّ الآية تحمل صراحة على التمثيل لا الحقيقة، فقال: ((وهو من المجازِ الذي يُسمى التمثيلُ، ويجوزُ أنْ يكونَ تخييلاً، ويُبنى الأمرُ فيه على أنَّ اللهَ تعالى كَلَّمَ السماءَ والأرضَ وقال لهما: أئتيا شئتما ذلكَ أو أبيتماه، فقالتا: أتينا على الطَّوْعِ لا على الكَرْهِ. والغرضُ تصويرُ أثرِ قدرتِهِ في المقدوراتِ لا غير، من غيرِ أنْ يحقِّقَ شيئًا من الخطابِ والجوابِ)). تفسير الكشاف ٤/ ١٩٤، وللمفسرين نقاش كبير.

إنَّ هذه الآية الشريفة، من الآيات التي ناقشها الشيخ المفيد في كتابه أوائل المقالات في تصحيح الاعتقادات ص ١٠٣، وقد قام السيد هبة الدين الشهرستاني بتحقيق جزء من الكتاب، فنرى أنَّ السيد لعلَّه قد تأثَّر بمنهج الشيخ المفيد في ذلك، فضلاً عن تأييد تلميذه الشريف المرتضى أيضًا، أو أنْ تكون تلك الآراء الصادرة من أعلام الإمامية قد فسحت له المجال في التحقيق في آيات قرآنية أخرى كما ذكرها.

(١) سورة ص: الآية ٢١

(٢) سورة ص: الآية ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٧٦-٧٩

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٥٢-٦٣

وآية ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ**﴾.(١)

وآية العبد الصالح الذي علم موسى وامتحنه في سورة الكهف[قال تعالى]: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** -إلى قوله- **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾.(٢)

ومنها: التمثيل بلسان الحال، وهو إسناد المقال إلى ما يناسبها من الحال(٣)، ويكون أشبه بالقائل وليس بقائل، كما في مخاطبة ما(٤) لا يعقل أو لا ينطق، مثل قول العامة:

قَالَتِ النَّارُ قَوْلاً ... جَمَعَتْ كُلَّ المَعَانِي

بُغْيَتِي أَنْ لا أَرَى الهِرَّ ... وَلا الهِرُّ يَرَانِي(٥)

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩

(٢) سورة الكهف: الآيات ٦٥-٨٢

(٣) في الأصل: إلى من يناسبها الحال.

(٤) في الأصل: من.

(٥) هذا القول ينسب إلى شاعر، ويُقال عند الانزعاج من شخص غير مرغوب في لقائه، ولكنه ورد هكذا:

قالت الهِرَّةُ قولاً ... جامعاً كُلَّ المَعَانِي

أَشْتَهي أَنْ لا أَرَى القِرْدَ ... ولا القِرْدُ يَرانِي

ينظر: الموقع على الإنترنت www.forunm.brg.com

ومن هذا الباب كتاب كليلة ودمنة[١] وأشباهه.

ويلحق بذلك مكالمة مَنْ لا يفهم كما في آية ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾.[٢]

وآية ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.[٣]

---

(١) وهو كتاب أَلَّفه الفيلسوف الهندي بيدبا لملك الهند دبشليم، وجعل فيه من الحكمة والموعظة على لسان البهائم والطيور، وهو كتاب لطيف جدًّا، وقد طبع طبعات متعددة، واستنسخه بروزيه من الهندية إلى الفارسية بأمر ملك كسرى أنوشروان، ثم ترجمه عبد الله بن المقفع إلى العربية، أوله: باب(الأسد والثور)، وآخره: باب(الحمامة والثعلب ومالك الحزين). للتفصيل ينظر: ابن المقفع، عبد الله: كليلة ودمنة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٩، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٣ و١٦٥، مخطوط مهمات: ١٠

قال الشيخ الطوسي في بيان الأقوال وأنه لا يحمل على الحقيقة: ((والثاني: إنَّهُ تعالى حالَ بينَها وبينَ جسمه، فلم تصلْ إليهِ، ولو لم يقلْ سلامًا لأهلكهُ بَرْدُها، ولم يكنْ هناكَ أمرٌ على الحقيقةِ، والمعنى أنه فعل ذلك، كما قال: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ أي: صَيَّرَهُم كذلكَ، من غيرِ أنْ يأمرهُمْ بذلكَ)). التبيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٦٣

وقال الشيخ الطبرسي: ((قلنا للنارِ ذلكَ وهذا مَثَلٌ، فإنَّ النارَ جمادٌ لا يصحُّ خطابَها، والمراد أنَّا جعلنا النار بردًا عليه وسلامَةً، لا يصيبُهُ من أذاها شيءٌ)). مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٩٨

(٣) سورة هود: الآية ٤٤، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١٦٥

إنَّ الخطاب في الآية الشريفة وكأنَّ المخاطَب يميِّز ذلك ويفهمه فيستجيب للأمر، ←

وآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.[(١)]

وكما في آيات نطق الجوارح [قال تعالى]: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[(٢)]

وكما في آية سليمان [قال تعالى]: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.[(٣)]

→

قال الزمخشري في بيان هذه الاستجابة: ((كأنَّها عقلاءُ مميِّزونَ قد عرفوا عظمتَهُ، وجلالتَهُ، وثوابَهُ، وعقابَهُ، وقدرتَهُ على كُلِّ مقدورٍ، وتبيَّنوا تحتُّمَ طاعتِهِ عليهِمْ وانقيادَهُمْ له، وهم يهابونَهُ ويفزعونَ من التوقُّفِ دون الامتثالِ له)). تفسير الكشاف ٢/ ٣٧٦

(١) سورة سبأ: الآية ١٠، وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط مهمات: ١٠

(٢) سورة فصلت: الآية ٢١

إنَّ المفسرين يذهبون إلى أنَ المراد بـ(النطق) في الآية هو النطق الحقيقي، وقد ذكر الفخر الرازي إلى أنَّ هناك مَنْ ذهب إلى العدول من الحقيقة إلى المجاز عن طريق إمارات تدل على الكلام، ولكنه لم يقبل به. ينظر: التفسير الكبير ٢٧/ ٥٥٦

وقد أيَّد السيد الطباطبائي النطق حقيقة وبيَّن إمكانية ذلك. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٧/ ٣٨٠

(٣) سورة النمل: الآية ١٨

ذكر المفسرون أنَّ قول النملة كان على الحقيقة، وقد سمع ذلك منها سليمان(عليه السلام)، وقد ذكر الشيخ الطوسي في أحد الأقوال فقال: ((وقيل: إنَّهُ ظهرَ من النملةِ أماراتٌ من الرجوعِ إلى بيتِها خوفًا من حطمِ جنودِ سليمانَ إياها، فَأُعلمَ به سليمانُ أنَّها تحَرَّزت، فعبَّرَ [الله تعالى] عن ذلكَ بالقولِ مجازًا، كما قال الشاعر:

امتلأَ الحوضُ وقالَ قَطْنِي ... مهلاً رويدًا قَدْ ملأتَ بَطْنِي

ولم يكن هناكَ قولاً من الحوضِ. ويقولون: عيناكَ تشهدُ بسهرِكَ، ويريدونَ بذلكَ

←

وفي آية الهدهد [(١)] [قال تعالى]: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ -إلى قوله- اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.[(٢)]

وآية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.[(٣)]

وآية النحل[قال تعالى]: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُون﴾.[(٤)]

وكما في آية عالم الذر [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[(٥)]، على القول بصحة

→

أماراتُ السهرِ التي تظهرُ في العينِ)). التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٨٥

(١) في الأصل: وفي آية الهدهد(وجئتك من سبأٍ بنبأ يقين).

(٢) سورة النمل: الآيات ٢٠-٢٨وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤

لقد فصَّل الشريف المرتضى في كيفية كلام الهدهد وحمله على المجاز أو الحقيقة، ومناقشة الآراء، وما يتعلق بخطاب غير العاقل، ومعنى ذلك الكلام والخطاب، وقال مثل ذلك في النمل أيضًا. ينظر: رسائل المرتضى، تق: السيد أحمد الحسيني، (مط سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط) ١/ ٤٢٦ و ١/ ٣٥٥

(٣) سورة النمل: الآية ١٦ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤

(٤) سورة النحل: الآية ٦٨ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤ و ١٦٥

وأضاف إليها الإيحاء إلى أم موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [سورة القصص: الآية ٧]

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٢

عالم الذر[١]، ورواياته المأثورة[٢]، وهذه الآية تشبه الرواية التمثيلية.[٣]

والخلاصة:

إنَّ الآيات المزبورة[٤] وأشباهها، لا بد وأنْ تحمل على المجاز بعد تعذر الحقيقة[٥]، أو تحمل على التمثيل ولسان الحال، وتنزيل غير القائل منزلة القائل، من باب أنه الفرد

---

(١) هناك نقاش بين العلماء وتفصيل حول ثبوت هذا العالم وعدمه، ومناقشة الروايات الواردة فيه. للتفصيل ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ٣٣-٣٤، المفيد: المسائل السرورية: ٣٧، ابن شهر آشوب: متشابه القرآن ومختلفه ١/ ٨، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٥/ ٣٩٨-٤٠٢، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٨/ ٣١١-٣٢٧

(٢) الكليني: الكافي ٢/ ٧ باب(فطرة الخلق على التوحيد) الحديث ٣، المجلسي: بحار الأنوار ٣/ ٢٧٩-٢٨٠، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٧/ ٢٣٥-٢٤٦

(٣) لقد ناقش العلماء ما يتعلق بالآية الشريفة وإمكانية حملها على التمثيل، قال الشريف المرتضى بعد ذكره الأقوال: ((ثم أعلم بعد هذا أنَّ ما ذهبَ إليهِ الفريقُ الثاني لا يُبطل قولَ الفريقِ الأولِ، ولا هو مستنكَرٌ في ذاتهِ، والتمثيلُ غيرُ منكَرٍ في كلامٍ أيِّ كلامٍ كانَ، من كلامِ الخالقِ أو البشرِ، وكما أمكنَ حملُ الآيةِ على التمثيلِ يمكنُ حملُ الأحاديثِ، فإنَّها غيرُ صريحةٍ في أنَّ الإخراجَ حقيقةٌ)). الأمالي ١/ ٢٠-٢٣

وقال الفخر الرازي بإمكانية حمل الآية على غير الحقيقة نحو المجاز أو الاستعارة. ينظر: التفسير الكبير ١٥/ ٤٠٠

وقال السيد الطباطبائي بإمكانية حمل الآية على لسان الحال دون المقال. ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٨/ ٣١٣

(٤) أي المكتوبة التي تقدمت. المعجم الوسيط(الزبر).

(٥) إنَّ العلماء أجازوا العدول من الحقيقة إلى المجاز في المواضع التي يمكن ذلك، والآيات التي تقدمت ليست كلها تُحمل على المجاز كما يقول بذلك السيد الشهرستاني ، ففي بعضها قد اختلفوا بين الحقيقة والمجاز، وفي بعض آخر لم يحملوها إلا على الحقيقة؛ لذلك لم نجعل لهم تعليقًا.

الادِّعائي حسب النظرية المنسوبة إلى السكاكي وغيره[١]، أو على قاعدة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كما في آية ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[٢] أي: أهلها[٣]، أو على سبيل الكناية، وذكر أحد المتلازمين بدلاً عن الآخر.

ولنا مخرج آخر أشفُّ وألطفُ من هذه المخارج السبعة[٤]، وأوسعُ نطاقًا، وأكثرُ مصداقًا، ذلك إشراب معنى البيان والإظهار في صيغ القول فيكون معنى: (قال ربك)

---

(١) إنَّ التعبير بالنظرية مسامحة من السيد الشهرستاني، ولكن السكاكي له رأيًا خاصًّا فيما يتعلق بالاستعارة واستعمالها في بعض الموارد في الحقيقة دون التشبيه. للتفصيل ينظر: مفتاح العلوم: ٣٦٩

وناقش الأصوليون الموضوع نقاشًا مفصَّلاً في باب تخصيص الألفاظ في صفة محددة وحملها على الحقيقة دون المجاز، والادِّعاء بأنَّ هذه الصفة المستعارة هي فرد من أفراد الحقيقة بالنسبة للمستعار منه، وهو من الأبحاث الدقيقة في علم الأصول. ينظر: السبزواري، حسن السيادتي: وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٩هـ) ١/ ٤٣، الحكيم: حقائق الأصول ١/ ٦٤

نرى أنَّ هذه التفاتة مهمة من السيد الشهرستاني في محاولته الاستعانة بعلوم متعددة في آنٍ واحدٍ، من أجل فهم النص القرآني، ومناقشته من جوانبه المتعددة، ولا يتم ذلك إلا لمن له اطلاع وإحاطة بالعلوم المتنوعة، وهذا ما يجب أنْ يكون عليه المفسّرُ للقرآن الكريم.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٣، المسودات القرآنية: ٣٤٨

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ١٨٠، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٤٦٧، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٤٢

(٤) وهذه المخارج السبعة التي ذكرها هي التس تقدمت: (المجاز، والتمثيل، ولسان الحال، وتنزيل غير القائل منزلة القائل، وحذف المضاف، والكناية، وذكر أحد المتلازمين).

أي: أظهر ربك بدلائل الفطرة وآثارها، وكذلك قول الملائكة والجمادات إي: أظهروا بلسان الحال ودلالة الآثار، كما هو الشأن في آية سليمان [قال تعالى]: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾[١]، وكما في آية هابيل [قال تعالى]: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٢]، فمثل هذه الدلالات الطبيعية الموسومة بدلالة الحال، ودلالة العقل، ودلالة الأثر، ودلالة الالتزام هو المتبع في كُلِّ ما سبق ذكره، نظير ما جاء في آيات تسبيح الطيور [قال تعالى]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.[٣]

ومنها آية إبراهيم [قال تعالى]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤]، ودلالةُ الحالِ أصحُّ

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٤

(٢) سورة المائدة: الآية ٣١

(٣) سورة النور: الآية ٤١

لقد أشار المفسرون إلى بيان ما يتعلق بتسبيح الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به، وأما قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ فإنْ كان العلم يعود على الله تعالى فهو أعلم بسبل أنقياد مخلوقاته إليه، وإنْ كان يعود على الطير فلسان الحال ظاهر في ذلك كما ذكره السيد الشهرستاني. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٤٦، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٥٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٤/ ٤٠٢

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٠

لقد ناقش المفسرون ما يتعلق بدعوة إبراهيم الطيور بعد تقطيعها بقوله: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ فهل الدعوة كانت على الحقيقة من حيث دعوة العاقل لما لا يعقل، أو على ←

وأوضحُّ من دلالة المقال عند أهل العلم.[١]

والحاصل من المجموع: إنَّ التمثيل في الخطاب عبارة عن إتيان المعنى المعقول بلباس المحسوس، والاعتماد في شرح المجهول على الأمر المعلوم عند العموم، فلأجل تفهيم المعاني الدقيقة وتوضيح الحقيقة لدى طبقات الجماهير قد يلجأ الخطيب والمبلغ إلى استعمال التمثيل، والتشبيه، والتنزيل، واستعمال لسان الحال توصلاً إلى الغرض في المآل.[٢]

*** المورد الثاني:**

ومن أحاسن التشابيه ما يحذف فيه أداة التشبيه كالاستعارات، فيصبح المشبَّه فردًا دعائيًّا للمشبَّه به، فيكون قولك: (حبيبي قمرٌ) أبلغ من قولك: (حبيبي كالقمرِ)، حينما الأول استعارة ليس غير، أي: تشبيه محذوف الأداة، وقد وافقنا على هذا التفسير أبو مسلم محمد بن بحر[٣]

→

غيرها. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٣٠-٣٣١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ١٧٨، أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٢/ ٣١١

(١) إنَّ العلماء أشاروا إلى هذه الحقيقة عند الحديث عنها، قال الثعالبي: ((قالَ بعضُ بلغاءِ الحكماءِ: لسانُ الحالِ أنطقُ من لسانِ المقالِ)). عبد الملك بن محمد: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م): ٢٧٢، وصار ذلك مثلاً قال الميداني: ((رُبَّ حَالٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ. هذا كما قيل: لسانُ الحالِ أبينُ من لسانِ المقالِ)). مجمع الأمثال ١/ ٣١٤

(٢) إنَّ القرآن الكريم لما كان كتابًا معجزًا لهداية البشرية كلها فقد أستعمل أساليب متعددة من أجل هذه الغاية، سواء الأساليب العقلية أم البيانية أم غيرها، والسيد الشهرستاني في صدد بيان وتوضيح لمن يسأل أو يحاول الاعتراض في سبب لجوء القرآن إلى هذه الفنون كالتشبيه والتمثيل وغيرهما.

(٣) أبو مسلم الأصبهاني محمد بن علي بن محمد بن الحسين، الأديب، المفسر، النحوي،
←

والأصم[١] قبله، وقالا: إنَّ الله أراد بذلك أنَّ الكفر قد تمكَّن من قلوبهم حتى صارت كالمختوم عليه، لا يخرج منه شيء، ولا يدخل فيه شيء، وصاروا بمنزلة مَنْ لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل[٢]، كقول الشاعر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ولكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي[٣]

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[٥]، فهل يتصوَّر الجبري[٦] أنَّ هناك أقفالاً على قلوب الكافرين من الحديد، أو الفولاذ، كلا بل شُبِّهَت بالمقفول والمختوم في عدم خروج الكفر منها، وعدم دخول الإيمان فيها، وإنما أسند الختم إلى الله كمزيد المبالغة في ثبوته وانطباعه، بمثابة فعل إلهي، كما يقال: فلان مجبول على الجود

→

المعتزلي، كان عارفًا بالتفسير والنحو والأدب، صنف التفسير في عشرين مجلدًا، توفي سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م). السيوطي: طبقات المفسرين ١/ ٨٥

(١) أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، شيخ المعتزلة، وكان دَيِّنًا وقورًا، صبورًا على الفقر، وله تفسير، وكتاب خلق القرآن ، وكتاب الحجة والرسل، وكتاب الحركات وغيره، توفي سنة(٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) ٩/ ٤٠٢

(٢) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٩٦

(٣) البيت ينسب إلى عدد من الشعراء ومنهم عمرو بن معدي كرب. الزبيدي، عمرو بن معدي كرب: شعر عمرو بن معدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م): ١١٣

(٤) سورة النمل: الآية ٨٠

(٥) سورة محمد: الآية ٢٤

(٦) أي الذي يقول بأنَّ الله قد جبر العباد على الأفعال.

مفطور على السخاء، ولوجوه خمسة ذكرت في [تفسير] الكشاف .[١]

*** المورد الثالث:**

قال[٢] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى في المَثَلَيْن: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ﴾**.[٣]

لقد فصَّل السيد القول في ما يتعلق بهذين المَثَلَين في فقرات متعددة نذكرها كما يأتي:

[أولاً]: من مزايا كلام الله الكريم تعويله على الأمثال الحسنى، وحسنها الممتاز، بأنَّ العارف والحكيم على اختلاف مستوياتهم[٤] العلمية والثقافية يستفيدون من التدبُّر، [إذ إنَّ] في القرآن معانٍ[٥] جَمَّة، ومرامٍ[٦] مهمة، فتجد بعد تمثيله الهداية الكاملة

---

(١) ذكر الزمخشري وجوهًا خمسة في بيان ما يتعلق بإسناد الختم إلى الله تعالى مجازًا وليس حقيقة، وعلاقة ذلك بتنزيهه تعالى عن القبيح. ينظر: تفسير الكشاف ١/ ٩٠-٩١
وناقش المسألة الفخر الرازي في مسائل تسعة. ينظر: التفسير الكبير ٢/ ٢٩٢-٢٩٣
ولكن للشيخ الطوسي تفسير مهم لما يتعلق بالختم إذ يقول: ((أي: شهدَ عليها بأنَّها لا تقبلُ الحقَّ، يقولُ القائلُ: أراكَ تختمُ على كُلِّ ما يقولُ فلانٌ، أي: تشهدُ به وتصدقُهُ، وقد ختمتُ عليكُ بأنَّكَ لا تعلمُ، أي: شهدتُ وذلكَ ٱستعارةٌ)). التبيان في تفسير القرآن ١/ ٦٣
وللشيخ الطبرسي تفصيل في المسألة. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٩٦-٩٧

(٢) مخطوط التفسير المحيط أوراق غير مرقمة.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٧-١٩

(٤) في الأصل: سوياتهم.

(٥) في الأصل: معاني.

(٦) في الأصل: ومرامي.

للمتقين، يحسم للناظر في هذين المثلين المتعاقبين الهداية الناقصة، والضلالة الكاملة، ولا ينفك الحال في الهدى والضلال من إحدى ثلاث: إما هدى كامل كالذي في المتقين، أو الهدى الناقص كما في المنافقين، أو الضلال الكامل كما في الكافرين.(١)

[ثانيًا]: مَثَّل بالتمثيل البليغ بعد استعارات عن سوء حال المنافقين في آية ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾(٢)، فهذه استعارات على استملاح الذوق العربي إياها جدًّا، لا تبلغ مبلغ التشبيه البليغ الوارد في آية ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾ لمزيد الوضوح هنا والقنوع، فإنَّ التمثيل يفعل في إقناع العامة ما يفعله البرهان في إقناع الخاصة.(٣)

[ثالثًا]: سبق رأينا في أنَّ المَثَلَين القرآنيين لفريقين أي: للجاهل(٤) المركب وللجاهل البسيط، ويدلنا على ذلك أنه لم يقطع الآمال من الفريق الثاني كما قطعها من الفريق المتقدم؛ إذ قال في هؤلاء: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾(٥)، حينما قال في أولئك:

---

(١) إنَّ الآيات الشريفة في أول سورة البقرة(٢-٢٠) قد تناولت مجموعات ثلاث، وذكرت بعض ما يتعلق بصفاتهم، الأولى: المتقون في الآيات(٢-٥)، والثانية: الكافرون في الآيات(٦-٧)، والثالثة: المنافقون في الآيات(٨-٢٠)، وإنَّ هذا الترتيب فيه بيان بديع؛ إذ ذكر الكافرين بعد المتقين من غير عطف عليهم للتباين والاختلاف بينهما، ولكنه عطف المنافقين على الكافرين للصلة والترابط بينهما. للتفصيل ينظر: السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٨٨

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦ سيتم بيان ما يتعلق بالآية الشريفة في موضوع الاستعارة.

(٣) تقدم في باب الدراسة ما يتعلق بأهمية وأثر التمثيل والتشبيه في الكلام في إيصال المعاني، وإبرازها للوجود. ينظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني.

(٤) في الأصل: لجاهل.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠

﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] بدون تعليق على المشيئة؛ لأنَّ الجاهل المركب أي المنافق لا يُؤمَّلُ فيه الأمل الموجود في الجاهل البسيط أي الكافر.[2]

[**رابعًا**]: قال[3]: سبق في تمثيل أنَّ الحكمة[4] القرآنية، أو السنة الإلهية، قضت ومضت على إيراد الأمثال الحسنى من خلال الآيات والسور، كما قال [تعالى]: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾**[5]؛ إذ من أهم وظائف الأنبياء والمصلحين إقناع العامة، وإقناع العامة يكون بالأمثال أكثر، وأشد أثرًا من إقناع العلماء بالبراهين والحجج؛ إذ الأمثال تجعل المعقول كالمحسوس، والبعيد عن الفكر كالقريب منه، والمشكوك[6] كالقطعي، ولَمَّا لم يقنع العوام بشيءٍ مثلِ المثلِ، ضرب القرآن الحكيم المثل بعد المثل؛ لتوضيح سوء حال الكافرين والمنافقين الضالين في سنن الحياة[7]،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧

(٢) إنَّ السيد أراد في كلامه أنْ يجعل إذهاب نور الإيمان في الآيتين الشريفتين يتعلق مرة بالكافر، وأخرى بالمنافق، ولكن سياق الآيتين الشريفين يدلان على المنافق خاصة دون الكافر، وهذا ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٩١، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٠٩، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١١٢، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢/ ٣١٢

(٣) تحت عنوان(تمهيد التمثيل لسوء حالة الضالين).

(٤) في الأصل: سبق في تمثيل سبق أنَّ الحكمة.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٩

(٦) في الأصل: والشكوك.

(٧) إنَّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية كلها، فالأمثال التي ضربها كانت الغاية منها بيان تلك الأحوال للأمم السابقة للإفادة منها، وليس الغاية منها الأشخاص أو الأقوام، وهذا واضح لأدنى متأمِّلٍ في آيات القرآن الكريم وأمثاله.

والمعارضين لنهضات المصلحين، الذين كَرَّسوا حياتهم لخدمة المجموع، وهؤلاء المعارضون للمصلحين يعارضون إصلاح أحوالهم الشخصية، ويعارضون تقدم أنفسهم، وتقدم المجموع، كمن ضَلُّوا وأضَلُّوا في مذاهب الحياة، ومنعوا ركبهم من متابعة الدليل، والرجوع إلى سواء السبيل.[1]

[**خامسًا**]: قال: عارضتان شديدتان في الآية: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾.

أولهما: زيادة (كاف) التشبيه مع الغنى عنه بوجود لفظة (مثل)، بل وزيادة (المثل) أيضًا، فيجوز أنْ يقول:(مثلهم مثل الذي استوقد)، أو(مثل الذي استوقد).[2]

والثانية: إقامته ﴿**الَّذِي**﴾ وهي للمفرد مقام الذين؛ لأنَّ المقصود الجمع بدليل قوله: ﴿**ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ**﴾.

والجواب عن الأولى: جواز استعمال(كاف) التشبيه زائدة[3] كما في آية

---

(١) نرى أنَّ كلام السيد مهم ودقيق في وصف حال الأمة تجاه المصلحين، استنادًا إلى الآيات الشريفة، وفي ذلك دعوة صريحة للعمل بالمفهوم الحقيقي لكتاب الله تعالى، وليس قراءته قراءة مجرَّدة عن العمل، فذكر الأمثال وتقريب المعاني غير المحسوسة للمحسوس ليس للتلذذ النفسي بالكلام، من دون تحريك النفس نحو التأمل، والعمل للصلاح والإصلاح، وهذه هي رسالة الأنبياء والأئمة والمصلحين، بل جميع الناس، وهذا ما رأيناه في سيرته الإصلاحية في شتى مجالات الحياة.

(٢) لقد ٱختلف النحاة في الآية الشريفة، فمنهم من قال إنَّ حرف التشبيه (الكاف) هو الزائد، ومنهم من قال إنَّ كلمة (مثل) هي الزائدة. ينظر: ٱبن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١/ ١٧٩ وغيره.

(٣) النحاس: إعراب القرآن، (دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) ٤/ ١٠٣، أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، ←

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٢]، خلافًا لـ الشريف الرضي[٣] المُنكر لوجود زائد في القرآن حتى(الكاف)[٤] في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

والأَوْلى في الجواب أنَّ(المثل) لمعنى القصة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، وآيات أخرى، فيكون المعنى: إنَّ قصة هؤلاء المنافقين كقصة الذي استوقد نارًا[٥]، وكذلك الحال في آية: ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾، يعني قصة هؤلاء اليهود كقصة الحمار، ويشهد على هذا التفسير قوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾[٦]، فالمثل بمعنى الحاصل من التشبيه[٧]، والغرض من المَثَلَين وما يسمى(المَغْزَى) من إفراغ المعقول في قالب المحسوس، وعلى هذا التحقيق لا تكون(الكاف) فضلة

→

(عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٦م، د.ط): ١٤٧، الكرباسي، محمد جعفر بن إبراهيم: إعراب القرآن، (دار الهلال، بيروت، ٢٠١٠م، د.ط) ٧/ ٢٣١

(١) سورة الشورى: الآية ١١

(٢) سورة الجمعة: الآية ٥

(٣) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٥

(٤) إنَّ الشريف الرضي لم يذكر شيئًا فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة، وورود الكاف فيها زائدة أو غير زائدة. المصدر نفسه.

(٥) قال السبكي في الآية الشريفة: ((أي: حالهُمْ كحالِ الذي ٱستوقَدَ نارًا، أو صفتُهُم كصفةِ الذي ٱستوقَدَ نارًا، أو شأنُهُم كشأنِ الذي ٱستوقَدَ نارًا)). مجاز القرآن: ٢٦٢، وينظر: السكاكي: مفتاح العلوم: ٣٤٨، ٱبن أبي الإصبع: بديع القرآن ٢/ ٦١

(٦) سورة الجمعة: الآية ٥

(٧) ينظر: الفراء: معاني القرآن ١/ ١٥، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٨٥، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١١٣-١١٤

زائدة، بل هي عمدة في الكلام.[١]

[**سادسًا**]: قال[٢]: روح الكلام منطوي على سر التشبيه، وهو مجمل في الآية جدًّا، حتى عُدَّت من المتشابهات وغوامض الآيات؛ إذ شبَّهت(المنافقين) بـ(المستوقِد)، ولهذا المستوقِد أصول شتى لا يُعرف أيُّها المقصود في التشبيه، فهل الْمُشَبَّهُ به سَيْرُهُ في ظلام حالك، أو في أَوْعَر المسالك، أو غير ذلك، لذلك اختلفوا فيه على ما يأتي:

١- قيل[٣] وجه الشبه استفادة الناس من النار لمطا نجمهم[٤] وصياغة الحلي والاهتداء وغيرها، وفي أثناء العمل إذا انطفت النار، وخابت الآمال، وخسرت الأعمال، كهؤلاء المنافقين الذين ظنُّوا في نفاقهم مع المؤمنين آمالاً وأرباحًا.

٢- والقول الثاني وقد استقربه واستصوبه أبو الفتوح الرازي[٥] وحكاه عن الضحاك وجماعة: إنَّ استيقاد النار هنا كناية عن نار الفتنة والحرب، وعلى هذا شاهد لفظي من القرآن آية ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ**﴾[٦]، ويؤيد هذا الاستنباط إسناد الآية إطفاء نائرة الحرب إلى الله، كما أسندت آيتنا مثل ذلك في ﴿**ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم**﴾[٧]،

---

(١) إنَّ هذا الرأي للسيد هو موافق للمفسرين الذين لم يقولوا بزيادتها، وإنْ كانوا لم يفصِّلوا الكلام في الآية الشريفة.

(٢) مخطوط التفسير المحيط دون ترقيم تحت عنوان(وجه التشبيه ومغزى الآية)

(٣) قال السيد: هذا عين القول الرابع فراجع.

(٤) هكذا في الأصل. ولعله لمطالع نجمهم.

(٥) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تص: الدكتور محمد جعفر ياحقي والدكتور محمد مهدي ناصح (المكتبة الرضوية، مشهد، ١٤٠٨هـ، د.ط) ١/ ١٣٩-١٤٠

(٦) سورة المائدة: الآية ٦٤

(٧) سورة البقرة: الآية ١٧

ويؤيده أيضًا تعبير الآية (استوقد) بدل (أوقد) إشارة إلى إعدادهم وسائل الفتنة، وطلبهم مثارات الفتن.

والحروب ضروب: حرب البيان، وحرب الأعصاب، وحرب المال، وحرب الدم(١)، ولكُلٍّ مقدمات ووسائل، يستثيرها أبالسة الفتن، فكأنَّ القرآن الحكيم أنبأ النبي الكريم بإعداد المنافقين وسائل الفتن، ومثارات الحروب قبل الوقوع، ومما يؤيد ذلك تنكير النار هنا، والنار معروفة بالعين والأثر، فإنْ عُرِّفَتْ باللام فالمراد النار المحسوسة، وإذا نُكِّرَتْ فهي نار مخصوصة، وأقرب المجازات نار الحرب.

وعبَّر عنه بالفرد تارة، وبالجمع أخرى، كما في آية ﴿**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**﴾ على أنَّ التشبيه تشبيه قصة بقصة.

[**سابعًا**]: قال(٢): والمَثَلُ محركة كالشَّبَهِ وَزْنًا ومَعْنًى(٣)، كذلك المثيل والشبيه والمماثل والمشابه، والمِثل بكسر الميم كالشِّبه، فمادة المثل مثل الشبه، مشتقاة الشبه مثل المثل، إلا المثال.(٤)

أما المَثل بفتح الميم فقد يأتي بمعنى الشَّبه بفتح الشين، كما يأتي بمعنى القصة والشأن الغريب(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى**

---

(١) إنَّ هذا التقسيم للحرب جيد منه في توجيه الآية الشريفة، فكل هذه هي حروب ولها آثار على الإنسان والمجتمع.

(٢) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة عنوان(معنى المثل وأهميته)

(٣) في الأصل: ومَعْنًا.

(٤) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة (مثل)، ابن منظور: لسان العرب مادة (مثل).

(٥) الراغب الإصفهاني: المفردات في غرب القرآن: ٤٨٢ (مثل).

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[١]، ولا تخفى لدى العارف حكمة الأمثال التي يضربها القرآن في آياته، وتجري على ألسنة[٢] البلغاء في خطاباتهم وكتاباتهم، فإنَّ المثل يجعل المعقول محسوسًا ملموسًا، ويجعل الغائب كالحاضر قريب، ويجعل الأمر الخيالي كالأمر الواقعي واضح الثبوت، وربما كان تأثير الأمثال المضروبة في إقناع العامة أقوى تأثيرًا من البراهين والقياسات المنطقية عند الحكيم، ومن أجله يتظاهر القرآن في أكثر مواقفه بضرب الأمثال المحسوسة المأنوسة في عرف العرب، فتراه يضرب ها هنا المثل بعد المثل لتوضيح حقائق المنافقين وبواطن أمرهم، فيقول عَزَّ مَنْ قائل: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾**.

[**ثامنًا**]: قال: شبَّه الجمع بالمفرد، ومن حق التشبيه مماثلة الركنين، وفي الجواب وجهان:

أحدهما: إنه لم يشبِّه أعيان المنافقين بأعيانٍ، وإنما شبَّه فعل المنافقين بفعل المستوقِد، وتشبيه الفعل بالفعل تشبيه مفرد بمفرد، إلا أنه على حذف المضاف، كما في [قوله تعالى:] **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾**[٣]، أي: واسئل أهل القرية، ونظائرها تشبيه الجمع بالمفرد على حذف المضاف كثيرة، كآية **﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾**[٤] أي: كدور أعين الذي يغشى عليه، وآية **﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**[٥] أي: كخلق نفس واحدة، وآية **﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾**[٦] أي: خوض الذي خاضوا.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٩
(٢) في الأصل: سننه.
(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢
(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٩
(٥) سورة لقمان: الآية ٢٨
(٦) سورة التوبة: الآية ٦٩

والجواب الثاني: مَرَّ ذكره.[١]

[**تاسعًا**]: قال[٢]: وقبل أنْ ندخل في شرح الآية(...)[٣] يستوقف النظر تكرار كلمة(المثل) بزيادة(كاف) التشبيه بين المَثَلَين، وربما استولد ذلك اعتراضًا لمعترض بأنَّ(الكاف) هنا زائدة وفضلة في الكلام، يجوز الاستغناء عنها بقولنا: ((مثلهم مثل الذي استوقد نارًا)) بدون ذكر (الكاف)، بل يجوز الاستغناء عن لفظة (المثل) الثانية أيضًا، فنقول: ((مثلهم الذي استوقد نارًا)) فما الوجه في هذه الزيادات، ولا زوائد في القرآن الحكيم؟

والجواب عن ذلك:

- **أولاً**:[٤] بأنَّ المذهب المذكور أي عدم وجود الزوائد في أحرف[٥] القرآن وكلماته، مذهب جماعة خاصة من أئمة العربية كأبي العباس المبرد[٦]، والشريف الرضي محمد[٧]

(١) لم نحصل عليه ضمن أوراق تفسيره.

(٢) مخطوط التفسير المحيط دون ترقيم تحت عنوان (عدم زيادة حروف التشبيه وغيرها).

(٣) كلمة غير معلومة.

(٤) إنَّ السيد ذكر هنا أولاً، ولكن لم نجد ثانيًا وما بعده.

(٥) في الأصل: الأحرف.

(٦) إنَّ المبرد يرى أنَّ(الكاف) زائدة في الآية الشريفة، قال: ((الكاف زائدة مؤكدة كتوكيدها في قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾)). محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.م) ٤/ ١٤٠ و ٤/ ٤١٨، وينظر: ابن جني: أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن الهنداوي، (دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٥م) ١/ ٢٩١

(٧) قد تقدم ص٤١٣

ممن ارتأوا عدم وجود الحروف الزائدة في الكتاب العزيز[١]، حينما نراها فيه وافرة كـ(الكاف) في آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢]، و(من) في آية ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، و(ما) في آية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[٤]، و(الواو) في آية ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[٥]، وآيات أخرى أَقَرُّوا فيها الواو المعجمة[٦]، وسنعطي هذا البحث المهم حقه في آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٧]، وليس استدلال هؤلاء بأنَّ الحرف الزائد باطل من الكلام[٨]، وكلام الحكيم العليم ﴿لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٩]

---

(١) وللشيخ البلاغي تفصيل مهم في الرد على القول بوجود حروف زائدة في القرآن الكريم. ينظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٣٧-٤٢

(٢) سورة الشورى: الآية ١١

(٣) سورة فاطر: الآية ٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٥) سورة الزمر: الآية ٧٣

(٦) لقد فصَّل الشريف الرضي القول فيما يتعلق بهذه الآيات الشريفة. ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٥-١٧٤

(٧) لم نحصل على بيان ما يتعلق بالآية الشريفة في مخطوطاته كما ذكر السيد.

(٨) يرى الشريف الرضي أن الزيادة في الحروف موجودة في كلام العرب ومن ذلك أشعارهم، ولكن ليس في القرآن، إذ يقول: ((إنَّ الزياداتِ والنقائصَ في الكلامِ إنما يضطرُّ إليها، ويحملُ عليها الشعرُ، الذي هو مقيَّدٌ بالأوزانِ والقوافي، وينتهي إلى غاياتٍ ومرام، فإذا نقصتْ أجزاءُ كلامِهِ قبلَ لحاقَ القافيةِ التي هي الغايةُ المطلوبةُ، اضطرَّ الإنسانُ إلى أنْ يزيدَ في الحروفِ، فيمدَّ المقصورَ، ويقطعَ الموصولَ وما أشبه ذلك)). حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ١٦٦

(٩) سورة فصلت: الآية ٤٢ في الأصل: لا يأتيه الباطل من بين يديه.

استدلالاً صحيحًا؛ لأنَّ الزائد شيء، والباطل شيء آخر، والمقصود من الباطل المنفي عن القرآن الحكيم هو الفساد، وما يخالف الحكمة في لفظه أو معناهُنَّ، فالقرآن كتاب حكمة، وصلاح، وهداية، ولا يحتوي ما ينافيها قط[1]، فليس كالتوراة الرائجة

---

(١) إنَّ موضوع زيادة الحروف وعدمها في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة، والجديرة بالمناقشة، ويمكن الإشارة إليها والإحاطة بها من خلال مناقشة الزيادات الواردة في القرآن الكريم، ونرى أنَّ المسألة ٱجتهادية، وليس هناك قاعدة ثابتة يمكن الرجوع إليها، سوى ما ورد على لسان العرب من كلام وشعر؛ لذا نرى مناقشة ذلك في كلام أئمة النحو والمفسرين وٱختلافهم الكبير فيه، فمثلاً لو تتبعنا أقوالهم في آية واحدة كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٥٩] لرأينا ٱختلاف تفاسيرهم وكلامهم، ونحاول ٱستقراء بعض كلماتهم للاطلاع عليها ومناقشتها من قبل الباحثين في الدراسات القرآنية.

قال الفراء: ((العربُ تجعلُ ما صلةً في المعرفةِ والنكرةِ واحدًا)). معاني القرآن ١/ ٢٤٤

قال الأخفش: ((يقول فبرحمة و ما زائدة)) سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م) ١/ ٢٣٨

وقال النحاس: ((ما زائدة وخفضت رحمة بالباء، ويجوز أنْ تكون ما ٱسمًا نكرة خفضًا بالباء، و رحمة نعتًا)). إعراب القرآن ١/ ١٩٢

وقال الزجاج: ((وزيادةُ الحروفِ في التنزيلِ كثيرٌ، فأقربُ من ذلكَ إلى ما نحنُ فيهِ قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾)). إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، القسم الأول، (دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط، د.ت): ١٣٧ بل إنه عقد بابًا في زيادة الحروف في القرآن عنوانه(الباب الخامس: ما جاء في التنزيل وقد زيدت فيه لا و ما وفي بعض ذلك ٱختلاف، وفي بعض ذا ٱتفاق)).

وقال الزجاجي: ((وتكونُ زائدةٌ في موضعينِ، أحدُ الموضعينِ لا تخلُّ فيهِ بإعرابٍ ولا معنى، كقولِ الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾)). عبد الرحمن بن إسحاق: كتاب حروف المعاني، تح: د. علي توفيق الحمد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م): ٥٤

وقال مكي بن أبي طالب: ((﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ رحمةٌ مخفوضةٌ بالباء، وما ←

→

زائدةٌ للتوكيدِ، وقال ٱبن كيسان ما نكرةٌ في موضعِ خفضٍ بالباء)). مشكل إعراب القرآن ١/ ١٧٨، وقال أيضًا: ((وقال الأخفش هو زائدة كما زيدت ما في: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾)). ١/ ٣١٤

وقال أبو البقاء العكبري: ((ما زائدةٌ، وقال الأخفش وغيره يجوز أنْ تكونَ نكرةً، بمعنى شيء ورحمة بدل منه)). التبيان في إعراب القرآن: ٣٢١

وقال الكرباسي: ((ما زائدة، رحمة ٱسم مجرور بالباء، والتقدير فبرحمة)). ١/ ٥٩٥

وأما ما ورد من أقوال المفسرين، قال الشيخ الطوسي: ((وما زائدةٌ بإجماعِ المفسرينَ، ذهبَ إليه قتادة، والزجاج، والفراء وجميعُ أهلِ التأويلِ... قال الحسن بن علي المغربي عندي أنَّ معنى ما أي، وتقديره: فبأيِّ رحمةٍ من اللهِ، وهذا ضعيفٌ)). التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٣١

وقال الزمخشري: (("ما" مزيدةٌ للتوكيدِ)). تفسير الكشاف ١/ ٤٥٨

وقال الطبرسي مثل قول الطوسي المتقدم. مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٢٧

وقال الفخر الرازي: ((ذهبَ الأكثرونَ الى أنَّ ما في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ صلةٌ زائدةٌ، ومثلُهُ في القرآنِ كثيرٌ... وقال المحققون: دخولُ اللفظِ المهملِ الضائعِ في كلامِ أحكمِ الحاكمينَ غيرُ جائزٍ، وههنا يجوزُ أنْ تكونَ ما ٱستفهامًا للتعجب تقديره: فبأيِّ رحمةٍ من الله لنتَ لهم، وهذا هو الأصوبُ عندي)). التفسير الكبير ٩/ ٤٠٦-٤٠٧

وقال أبو حيان الأندلسي: ((و ما هنا زائدةٌ للتأكيدِ، وزيادتُها بين الباء، وعن، ومن، والكاف، وبين مجروراتِها شيءٌ معروفٌ في اللسانِ، مقرَّرٌ في علمِ العربيةِ، وذهبَ بعضُ الناسِ إلى أنَّها نكرةٌ تامةٌ، و رحمة بدلٌ منها)). البحر المحيط ٣/ ١٠٣، ثم رد كلام الفخر الرازي المتقدم بقوله: ((وما قاله المحققونَ صحيحٌ، لكنَّ زيادةَ ما للتوكيدِ لا ينكرُهُ في أماكنِهِ مَنْ له أدنى تعلقٍ بالعربيةِ، فضلاً عن مَنْ يتعاطى تفسيرَ كلامِ الله، وليسَ ما في هذا المكانِ مما يتوهمُهُ أحدٌ مهملاً، فلا يحتاجُ ذلكَ إلى تأويلِها بأنْ يكونَ ٱستفهامًا للتعجبِ)). ٩/ ٤٠٦

وناقش ٱبن الأثير ما يتعلق بزيادة الحروف في القرآن الكريم، ورد القول بزيادة ما في الآية الشريفة. ينظر: المثل السائر ١/ ٣٥٨

وناقش الزركشي ذلك مناقشة مستفيضة وبيَّن آراء الأعلام بالزيادة وعدمها. ينظر:

←

مشتملاً على ذكر معاني غير معقولة، أو غير مقبولة، من إسناد قبائح الفعال إلى أنبياء الله، بل إلى ربنا المتعال، وليس في قرآننا شيء مما في كتب العهدين من أحكام غير محكمة، وآيات غير منتظمة[1]، هذا هو الباطل المنفي من القرآن الحكيم، كما سنوضحه في تفسير الآية المذكورة.

وأما الحروف المنعوتة بالزيادة فليست من أقسام الباطل الذي ذكرناه، بل ولا هي من الزائد، من قسم الزائد المنعوت باللغو، ولا من الزائد المنعوت بالعبث.

فللزائد أصناف ثلاثة:

→

البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٧-٥٩

وذهب الشيخ البلاغي إلى عدم زيادتها. آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٣٦١

وقد وردت (ما) على عشرة أوجه في القرآن الكريم، منها ما هو زائد كما في الآية الشريفة. ينظر: النيسابوري، إسماعيل بن أحمد: وجوه القرآن، تح وتع: د. نجف عرشي، (مؤسسة الطباعة في الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ): ٥١٥-٥١٦

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع بتفصيل ودراسة ينظر: فدا، هيفاء عثمان: زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، (دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(١) لقد نسبت كتب اليهود والنصارى -التي يراها أصحابها أنها كتب مقدسة غير محرفة- أباطيل كثيرة لا يمكن أنْ تليق بالأنبياء ﷺ، فضلاً عن مسائل يَدَّعون بأنها تشريعات سماوية وهي لا تليق بالله تعالى، وقد ذكر العلماء ذلك في مؤلفاتهم ورَدُّوها وبيَّنوا بطلانها بأدلة وبراهين جلية. للتفصيل ينظر: البلاغي، محمد جواد: الرحلة المدرسية، (دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣م). البلاغي، محمد جواد: التوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ١٩٩٢م). الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٥٩-٦٥

١- الزائد الذي لا معنى له، ويسمى لغوًا.

٢- الزائد الذي لا وجه له، وإنْ ملك المعنى ويسمى عبثًا.

٣- الزائد الذي يجوز الاستغناء عنه، كقول المستهل: الهلال الهلال، وقول الربئية[١]: الغزال الغزال.

ومن المجمع عليه صحة وجود هذا الثالث في القرآن والشعر[٢]، كما أجمعوا على تنزيه الاثنين[القرآن والشعر] من الأول، فيتمركز النزاع في الثاني، ويعود لفظيًّا كما سنذكره في الآية التاسعة من سورة الشورى.[٣]

وسواء جاز أو امتنع فإنَّ الكاف في ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ ليست زائدة؛ لأنَّ المَثَل محركة بمعنى القصة[٤]، وتسميه الفُرس(متلاً)[٥]، ويكون المعنى: إنَّ قصة المنافقين كقصة الذي استوقد نارًا إلخ، فتكون(الكاف) هي الأداة الوحيدة الكافلة للتشبيه، كما سنوضحه في سورة الجمعة في آية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[٦]

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) لقد تبين من خلال ما تقدم أنَّ هذ الإجماع غير متحقق.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ولم نحصل على تفسيرها في مخطوطاته.

(٤) أو الحديث الذي يتحدث عنه، قال الفراهيدي: ((والمَثَلُ: الحديثُ نفسُهُ)). العين باب(المثل).

(٥) أي بمعنى موافق، فيكون حديث أو صفة هؤلاء موافقة لأولئك. القاموس الفارسي- العربي. ينظر: الموقع على الإنترنت **www.almaany.com**

(٦) سورة الجمعة: الآية ٥ لم يتم تفسير الآية من السيد في مخطوطاته.

*** المورد الرابع:**

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾.[٢]

في جمل هذه الآية مشكلات:

- **أولها**: المحاورة بين الله والملائكة لو كانت على وجه الاستشارة، ولا ينبغي لمثله سبحانه أنْ يستشير مثلهم، وعلمهم بالقياس إلى علمه أقل من قطرة تُقاس بالأَوْقِيانوس[٣]، ثم المعارضة منهم وهم لا يعصون الله ما أمرهم[٤]، ومعصومون عند الجمهور[٥]، فوق ما هنالك من مشكلة القول منه وهو المجرَّد، كالقول منهم وهم مجرَّدون.

وجوابنا عن هذه المشكلة جواب شيخنا المفيد من أسلافنا والمحققين عن أمثال هذه[٦]،

---

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة تحت عنوان(مشكلات الآية).

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠

(٣) في الأصل: بالأقيانوس.

أَوْقِيانوس: بالفتح ثم السكون وقاف مكسورة وياء وألف ونون وواو وسين، وهو البحر المحيط الذي يحيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر، ويخرج منه شعبتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق، وسمَّاه قوم البحر الأخضر، وقد سمَّاه أرسطاطاليس في رسالته بيت الذهب بهذا الاسم. الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٨٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾. [سورة التحريم: الآية ٦]

(٥) أي عند جميع المسلمين بنص الآية الشريفة المتقدمة.

(٦) أي إنَّ كُلَّ فعلٍ لا يمكن أنْ يطلق على الله تعالى ولا يليق به، فيجب أنْ ينزَّه عنه، ويُحمل ←

بأنَّ القول قد يسند إلى قائله المستجمع لشـرائط الكلام نحو: (قال موسى لقومه)، وقد يسند القول إلى مَنْ لا يحوي الشـرائط كلها، كما أسند القرآن إلى السماء والأرض أنهما ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[1] بلسان الحال لا بلسان المقال، وكقول الشاعر:

امْــــتَلأَ الحَــــوْضُ وَقَــــال قَطْنِــــي مَهْــلاً رُوَيْــدًا قَــدْ مَــلَأْتَ بَطْنِــي[2]

فالحوض مما لا يعقل أنْ يتكلم، لا السماء والأرض، وإنما يُنَزَّل حالهنَّ منزلة المتكلم بلسان الحال، فيفهم العاقل من حالهنَّ المقصود بالتمثيل، ﴿**وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[3]، فالخالق عندما شاء تمثيل إرادته لخلق آدم والغرض منه، وشاء تمثيل ظنون العقلاء حول خلق البشـر عَبَّر بهذه الصورة، فنزَّل نفسه منزلة المُخبر لعقلاء ذلك الوقت، ونزَّل الملائكة منزلة هؤلاء في إبداء الرأي المقابل لإرادته، ولسان الحال أَوْفى من لسان المقال في بعض الأحيان.

فالمقام مقام تنزيل وتمثيل وتفاهم بلسان الحال، ومثله سائغ شائع في عرف البلغاء من كُلِّ شَعْبٍ راقٍ، وحتى في عرف الكتاب والسنة، وكم يخاطبون الطلول والديار

على معنى من المعاني التي يفهمها العرب، وهذا ما ثبت في علم العقائد، مثل نسبة الروح إلى الله تعالى ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾[سورة الحجر: الآية ٢٩] وغيرها كالاستهزاء والختم والقول. للتفصيل ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ١-٥ وما بعدها.

(١) سورة فصلت: الآية ١١

في الآية الشريفة نرى التشخيص ظاهرًا من خلال تصوير الآية السماوات والأرض والجبال ممتلئة حياة وإرادة فتأبى وتشفق، فكأنها بشـر أدرك كبر المسؤولية، وعظم الأمانة الموكلة إليه، وهناك آيات أخرى متعددة وردت على مثل هذا الأسلوب القرآني البديع. ينظر: العكيلي: السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية: ٢٠٢-٢٠٣

(٢) في الأصل: كقول الشاعر ٱمتلأ الحوض. وسيأتي ما يتعلق بهذا البيت في محله بالتفصيل.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥

والفلك والقمر، كقول:(١)

أَيُّهَـــا العَيْنَـــانِ فِيضَـــا وَاسْـــتَهِلّا لا تَغِيـــضَا(٢)

وفي دعاء [النظر إلى] الهلال: (أَيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ)(٣)، وآيات تسبيح الطيور وكافة الكائنات(٤)، وليست الملائكة أدنى منهن.

❋ المورد الخامس:

قال(٥) في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ**

---

(١) في الأصل: كقول الشاعر: أيها العينان فيضا.

(٢) قال الشيخ ابن شهر آشوب: ((إنَّ زرَّ النائحة رأت فاطمةَ الزهراءَ عليها السلام فيما يرى النائمُ أنَّها وقفت على قبرِ [الإمام] الحسينِ تبكي، وأمرتها أنْ تنشدَ:

أَيُّهَـــا العَيْنَـــانِ فِيضَـــا وَاسْـــتَهِلا لا تَغِيـــضَا

وَابْكِيَـــا بِـــالطَّفِّ مَيْتًـــا تَـــرَكَ الصَّـــدْرَ رَضِيضَـــا

لَمْ أُمَرِّضْـــهُ قَتِـــيلاً لا ولا كَـــانَ مَرِيضَـــا

محمد بن علي: مناقب آل أبي طالب، تص: لجنة من أساتذة النجف، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، د.ط) ٣/ ٢٢٠

(٣) من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام إذا نظر إلى الهلال. زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م): ١٦٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**. [سورة النور: الآية ٤١] وسوف يأتي ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٥) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة. وأشار إلى الآية في مخطوط رؤوس الأقلام: ٦٢

وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.(١)

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي التشبيه في الصفات المشتركة التي تجعل المعقول محسوسًا في توضيح النور الإلهي، أي الوحي القرآني ونحوه، بأنْ نتدبَّر النور الحسي الذي هو ينير البيت وأهله في ظلام الليل، ويُسمى المصباح والسراج والفانوس والقنديل، ذلك النور الحسي- المتألِّق والمتألِّف من زيت وذبالة، أي الفتيل الذي يشتعل بنار نوره مستمد من أوكسجين الهواء ولطائف خفية فيه، وفي الزيت المأخوذ من شجرة الزيتون، والكُلُّ موضوع في كُوَّة الجدار ونحوها، مما يحفظ الشعلة عن أنْ تنطفىء بتلاعب الرياح ونحوها.

فالكُوَّة بمنزلة الجسد المحيط بالقلب، وظرف الزيت بمنزلة قلب النبي[ﷺ]، أو الولي، والزيت بمنزلة المشاعر الحسية والعقلية المحيطة بالقلب، وشعلة النور بمنزلة كلام الله ووحيه المنبثق نوره من قلب النبي لتعليمه وتثقيفه، وزجاجة السراج بمنزلة بيان النبي لوحي الخالق لهداية أصناف الخلائق، وتنوير أفكارهم في سيرهم وسلوكهم في سبل السعادة والاستفادة.(٢)

وهذا المثلُ أقربُ وأنسبُ شَبَهٍ لنور الوحي القدسي بالنور الحسي، ويستفاد هذا من حديث علي عليه السلام وتلميذه عبد الله بن عباس وسائر أهل البيت النبوي، وأهل البيت أدرى بالذي في البيت.(٣)

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥

(٢) لقد وردت معان متعددة لهذا التشبيه، ومنها ما يتعلق بالنبي محمدﷺ ودعوته المباركة وعظمتها. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٧/ ٤٣٧، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٥٠-٢٥٢

(٣) ينظر: الفيض الكاشاني، محمد محسن: التفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين ←

[وأما قوله:] ﴿**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾ مزيد من توضيح لتشبيه قدسية الوحي، والنور الإلهي، وقدسية النور الحسي المتوقد من شجرة الزيتون، وتشبيهًا بأنوار الكواكب السماوية الممتازة، مثل الزهرة والمشتري والشعرى وسهيل و ..[(١)]

*** المورد السادس:**

قال[(٢)]: أصل كثير من الآيات في القرآن مبنية على قاعدة المثل السائر (إياكِ أعني واسمعي يا جاره)[(٣)]، مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ**﴾.[(٤)]

وعليه قال الشاعر:

إِنِّي أُوَجِّـــهُ لِلأَنَـــام مَقَـــالَتِي وَأَخُـصُّ بِـالتَّبْليغ مَـنْ هُـوَ حَـاضِرُ[(٥)]

→

الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢) ٣/ ٤٣٥، البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٥/ ٣٨٦-٣٩٢

(١) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٧/ ٤٣٥

(٢) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٤٨، مخطوط الحواصل ٥/ ١٦٥

(٣) الميداني: مجمع الأمثال ١/ ٤٩

وهو مثل يُضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئًا غيره، وأول من قاله سَهْل بن مالك الفَزَاري في أخت سيد طيء حارثة بن لأم عندما أراد زواجها، فجلس بِفناء الخِباء يومًا وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يَـا أُخْـتَ خَـيْرِ البَـدْوِ وَالحَضَـارَهْ كَيْـفَ تَـرَيْنَ فِي فَتَـى فَـزَارَهْ

أَصْـبَحَ يَهْـوَى حُـرَّةً مِعْطَـارَهْ إِيَّـاكِ أَعْنِـي وَٱسْـمَعِي يَـا جَـارَهْ

(٤) سورة الطلاق: الآية ١، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٢٩، وقال آخرون إنما خاطبه ﷺ لأنه سيد قومه، وإمام الأمة. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٥٥٤، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٨

(٥) لم نحصل على قائله.

لكن أعداء القرآن من المِلل المختلفة غفلوا أو تغافلوا عن هذه القاعدة، الجارية بين البلغاء من كُلِّ لغة، وأخذوا يعترضون على القرآن اعتراضات واهية، وما أدراك ما هيه.[(١)]

* **المورد السابع:**

قال[(٢)]: إنَّ كُلَّ ما جاء[(٣)] في الآثار عنه دالاً [على] إثبات أعضاء، أو أجزاء له محمول حسب أفانين البلاغة على التشبيه، أو المبالغة، أو على الاستعارة، أو الكناية[(٤)]، مثل آية ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾.[(٥)]

---

(١) إنَّ عدم الإحاطة بالعقيدة الإسلامية ولغة العرب، تؤدي الجاهل بهما إلى التشكيك في بعض المسائل التي تتعلق بالأنبياءعليهم السلام وكتبهم المقدسة، فضلاً عن أولئك الذين هم أعداء الدين، فقد رأينا ذلك من بعضهم، ومن المستشرقين أيضًا لدوافع مختلفة؛ لذلك تصدَّى العلماء إلى بيان الشبهات والشكوك في مؤلفاتهم العقائدية، والتفاسير القرآنية، فمثلاً يمكن الاطلاع على كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، لمعرفة أثر العقيدة واللغة في رد هؤلاء وشكوكهم القائمة على الجهل تارة، وعلى التضليل أخرى، وغيره من المؤلفات، فالسيد الشهرستاني يؤكِّد على منهجه في التعامل مع نصوص الشريعة المقدسة، ومنها الآيات الشريفة من خلال الإحاطة التفصيلية بلغة العرب وأسرارها وما يتعلق بها، وهذا ما يمكن ملاحظته بأدنى تأمل في منهجه التفسيري.

(٢) مخطوط فوائد هبة الدين ٥/ ١٢٥-١٢٧

(٣) في الأصل: وكل ما جاء..

(٤) في الأصل: أو على أستعارة أو كناية.

لقد ذكر الشيخ المفيد عددًا من الموارد التي ذكرها الشيخ الصدوق ولها علاقة بصرف ظاهر الآيات الشريفة إلى ما تقدم من فنون البلاغة، وبيَّن أن هذه الآيات لا يمكن تفسيرها على ظاهرها؛ لأنها مخالفة للعقيدة، وأنَّ العرب تستعمل ذلك في كلامها. ينظر: تصحيح الاعتقاد: ١-٣، و ٥-١٠ وغيرها

(٥) سورة طه: الآية ٥

وآية ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.[١]

و[آية] ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.[٢]

و[آية] ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.[٣]

و[آية] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾.[٤]

و[آية] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.[٥]

و[آية] ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله﴾[٦] إلى غير ذلك من آيات متشابهة صيغت على وجوه البلاغة، وتحسين الكلام، جريًا على سنن الخطابة، ونظائرها من عرف العرب[مثل]:

أولاً: شكوى الجميع من يد الزمان، وليس للزمان يد أو جسم.

ثانيًا: حكاية العرف عن يد المنون وأظفار المنية في قولهم: (اخترمت يد المنون فلانًا)[٧]، والمنون هو الموت[٨]، ولا يد له ولا جسد، وقول الشاعر الجاهلي:

---

(١) سورة ص: الآية ٧٥

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٧

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٧

(٤) سورة الزخرف: الآية ٨٤

(٥) سورة طه: الآية ٣٩

(٦) سورة الزمر: الآية ٥٦

(٧) وفي ذلك تشبيه الموت بشخص له يد، وقد قامت يده بذلك، وهذا هو ما يعرف بالتشخيص في الدراسات البلاغية.

(٨) ابن منظور: لسان العرب مادة(منن).

وَإِذا المَنِيَّــــــةُ أَنْشَــــــبَتْ أَظْفَارَهــــــا   أَلْفَيْــــتَ كُــــلَّ تَمِيمَــــةٍ لا تَنْفَــــع[١]

والمنية ليست جسمًا حتى يكون لها كَفٌّ، ويكون لكَفِّها أظافير.[٢]

ثالثًا: كقولهم عن المعاني وأنظمة شؤون الحياة: (خفي علينا وحيه كذا)، و(اتضح وجه المسألة)، و(اختلف أوجه الكلام)[٣]، في حين أنَّ غير الحيوان لا ينسب إليه وجه بالحقيقة اللغوية، فما ذلك إلا على التشبيه والتجوز؛ تحسينًا للعبائر، وتعبيرًا عن المعاني عما في الضمائر.

رابعًا: إنَّ العين في لسان العرب تأتي على سبعين معنى[٤]، ومن جملتها عضو البصر،

---

(١) البيت من قصيدة لـ أبي ذؤيب الهذلي يرثي بنيه الخمسة فيقول فيها:

أَمِــــنَ المُنُــــونِ ورَيْبِهــــا تَتَوَجَّــــعُ؟   وَالــــدَّهْرُ لَــيْسَ بِمُعْتِــبٍ مَــنْ يَجْــزَعُ

أَوْدَى بَنِـــــيَّ وأَعْقَبُـــــونِي غُصَّـــــةً   بَعْــــدَ الرُّقَــــادِ وعَــــبْرَةً لا تُقْلَــــعُ

وإِذَا المَنِيَّــــــةُ أَنْشَــــــبَتْ أَظفارَهــــــا   أَلْفَيْــــتَ كُــــلَّ تَمِيمــــةٍ لا تَنْفَــــعُ

الهذلي، أبو ذؤيب: ديوان الهذليين(شعر أبي ذؤيب و ساعدة بن جؤية)، تح: أحمد الزين ومحمود ابو الوفا، (دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، د.ط): ١

(٢) في البيت ٱستعارة وقد فصل العلماء فيها. ينظر: ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة: ١٢٥، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٥

(٣) إنَّ هذه الكلمات تستعمل في المحاورات العامة على وجه من وجوه البلاغة مجازًا لا حقيقة، وفي كلام الناس كثير من هذه الأمثلة، مما يدلُّ على أنَّ هذه الأساليب واضحة ومفهومة لدى المخاطبات، والقرآن الكريم قد أتى بألفاظ ليست غريبة عن محاوراتهم.

(٤) لقد فصَّل العلماء في معاني العين التي تستعملها العرب تفصيلاً كبيرًا، يدل على سعة ٱستعمالهم لها. للتفصيل ينظر: ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة(عين)، ٱبن منظور: لسان العرب مادة(عين).

فلماذا اختار الجسم هذا الواحد[من المعاني] وترك الأكثر، في حين إنَّ العرف يستعملون التجوز والتشبيه في العين من بقية الأسماء، ولهذا تعددت له المعاني، فكثيرًا ما يقولون: (حقق أمر فلان بعين الميزان، وبعين التدقيق، وبعين الحقيقة، لا بعين المسامحة)، ومنه قول الشاعر:

وَعَـيْنُ الرِّضَـا عَـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَـةٌ   كَـمَا إِنَّ عَـيْنَ السُّـخْطِ تُبْـدِي المَسَـاوِيَا[1]

[وغير ذلك] كثير جدًّا في[2] كلام البلغاء، وغير محصورة.

كذلك الاستعارة في عرف البلاغة إقامة المشبه به مقام المشبه، والمشبه به مقام المشبه[3]، وبعبارة سطحية حذف المشبه وأداة الشبه، والاكتفاء بالمشبه به، كقولك: (هو البحر)، في مكان(هو كالبحر)، أو كقولك عن غزال: (صادَ قلبي ونفر) بدل(عن غلام كغزال) وهكذا.

---

(١) البيت لـ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من قصيدة في الفضيل ابن السائب يقول فيها:

رَأَيْـتُ فُضَـيْلاً كَـانَ شَـيْئًا مُلَفَّـعًا   فَكَشَّـفَهُ التَّمْحِـيصُ حَتَّـى بَـدَا لِيَـا

وَأَنْـتَ أَخِـي مـا لَمْ تَكُـنْ لِيَ حاجَـةٌ   فَـإِنْ عَرَضَـتْ أَيْقَنْـتُ أَنْ لا أَخَـا لِيَـا

وَلَسْـتَ بَـراءٍ عَيْـبَ ذِي الـوُدِّ كُلَّـهُ   وَلا بَعْـضَ مَـا فِيـهِ إِذا كُنْـتَ رَاضِـيَا

فَعَـيْنُ الرِّضَـا عَـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَـةٌ   وَلكِـنَّ عَـيْنَ السُّـخْطِ تُبْـدِي المَسَـاوِيا

الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٩/ ١٩٦

(٢) في الأصل: وفي.

(٣) تقدم تعريف الاستعارة وما يتعلق بها في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثاني.

* **المورد الثامن:**

قال[١]: إنَّ أكثرها [الآيات القرآنية] ضربُ مثلٍ[٢]، والمثلُ يُراد به تصوير المعنى البعيد وتقريبه، ولا يلزم منه أنْ يكون محققًا، ومن الأمثال الجارية أنَّ الشيء الفلاني مثال وتشبيه، كما في قصص آدم و عيسى وأصحاب الكهف ونحوهم، فأكثرها أمثال بأساليب روائية شائعة.

* **المورد التاسع:**

قال[٣] فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾.[٤]

قد أطال المفسرون كلامهم في هذا الصدد[٥]، وادعى بعضهم أنها استعارة تخيلية بغرض تهويل الأمر في نظر المخاطبين[٦]، بأي معنى تمركز في حيال خيالهم.

ويجوز أنْ يراد من رؤوس الشياطين جبل عجيب الشكل في أرض الحجاز نص

---

(١) مخطوط نتائج الحلوم: ٢٣٢ تحت عنوان(لحل مشاكل القرآن).

(٢) في الأصل: المثل.

(٣) مخطوط الدلائل والمسائل ٧/ ٤٣٤، وهو جواب لسؤال نصه: ((وفي القرآن الكريم آية تصف شجرة من الزقوم والحميم في الجحيم: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[سورة الصافات: الآية ٦٥] فكيف يصح تشبيه شيء غير معلوم بأمر غير معلوم، وإنَّ العرب لم تَرَ رؤوس الشياطين حتى تعرف منه حال المشبه)).

(٤) سورة الصافات: الآية ٦٥

(٥) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/ ٦٣٥، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٥٠٢، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٤٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٣١٠

(٦) قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في باب الدراسة، الفصل الرابع، المبحث الثاني.

عليه مؤلف كتاب مراصد الاطلاع[١] مدعيًا أنَّ جبلاً في الحجاز يسمى رؤوس الشياطين لتشعب رأس الجبل إلى شعب غريبة الشكل[٢]، وبناءً عليه محتمل تشبيه القرآن مطلع الشجرة، أو طلعها وثمرها بأعلى هذا الجبل.

غير أنَّ الظاهر أنَّ الشيطان كناية عن المؤذي الشرير، ورأس الشيء كناية عن أصل قوته ومجموعة قواه، فكأنَّ القرآن يشبِّه طلع شجرة الزقوم في الأذى والألم برأس الحية، وأصل الشر ومركز الآلام، والله العَلَّام.

*** المورد العاشر:**

قال[٣]: لا بدعة في إكثار القرآن من خطاب مَنْ لا يعقل، أو لسان حال من [لا يعقل]، فكثير في الكتاب والسنة، وكثير في حوار الألسنة وشعر البلغاء.

فمنها: قول امرئ القيس في معلقته الأولى:

أَلا أَيُّهَا اللَيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجِلِي بِصْبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكِ بِأَمْثَلِ[٤]

وكم فيها[٥] من خطابات للزمان والمكان ولسان حال غير الإنسان.

---

(١) في الأصل: مراصد الاصلاع.

(٢) لم يرد ذلك في كتاب مراصد الاطلاع، بل ورد في معجم البلدان. ينظر: الحموي ٣/ ١٩

(٣) مخطوط الحواصل ٥/ ١١٣

(٤) ٱمرؤ القيس، حُنْدُج بن حُجْر: ديوان ٱمرىء القيس، تص: مصطفى عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م): ١١٧

وقصيدته هذه التي يقول في مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

(٥) أي الحوارات التي تجري على الألسن، أي شخَّص الليل وجعله عاقلاً مستمعًا ناطقًا.

ومنها: قول [ال] طرماح بن عدي:

يَـــا نَـــاقَتِي لا تَـــذْعَرِي مِـــنْ زَجْـــرِي   وَشَـــمِّرِي قَبْـــلَ طُلُـــوع الفَجْـــرِ(١)

ومنها: الشعر المشهور في خطاب الفَرَس:

عَـــدَسْ مـــا لِعَبَّـــادٍ عليـــكِ إِمـــارَةٌ   نَجَـــوْتِ وهـــذَا تَحْمِلِـــينَ طَلِيـــقُ(٢)

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٤/ ٣٧٨ الطرماح بن عدي من أصحاب أمير المؤمنين، وله مواقف في نصرته، وهذه الأبيات قالها وهو يسير بالإمام الحسين عليه السلام وقافلته نحو كربلاء، والتي يقول فيها:

يَـــا نَـــاقَتِى لا تَـــذْعَرِي مِـــنْ زَجْـــرِي   وَشَـــمِّرِي قَبْـــلَ طُلُـــوعِ الفَجْـــرِ

بِخَـــيْرِ رُكْبَـــانٍ وَخَـــيْرِ سَـــفَرِ   حَتَّـــى تُحَـــلَّى بِكَـــرِيمِ الخَـــبْرِ

الماجِـــدِ الحُـــرِّ رَحَيـــبِ الصَّـــدْرِ   أَتَـــى بِـــهِ اللهُ لِخَـــيْرِ أَمْـــرِ

في الأصل:

يَـــا نَـــاقَتِي لا تَـــذْعَرِي مِـــنْ زَجْـــرِي   وَٱسْـــرِي بِنَـــا قَبْـــلَ طُلُـــوعِ الفَجْـــرِ

(٢) الحميري، يزيد بن مفرِّغ: ديوان يزيد بن مفرِّغ، تح: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م): ١٧٠

والبيت من قصيدة يخاطب الشاعر بغلة قد ركب عليها بعد إخراجه من السجن بأمر معاوية بن أبي سفيان والتي يقول فيها:

عَـــدَسْ مـــا لِعَبَّـــادٍ عليـــكِ إِمـــارَةٌ   نَجَـــوْتِ وهـــذَا تَحْمِلِـــينَ طَلِيـــقُ

طَلِيـــقُ الـــذي نَجَّـــى مـــنَ الكَـــرْبِ بَعْـــدَما   تَلاَحَـــمَ في دَرْبٍ عليـــكِ مَضِـــيقُ

ذَرِي وتَنَـــاسَيْ مـــا لَقِيـــتِ فإِنَّـــهُ   لِكُـــلِّ أُنَـــاسٍ خَبْطَـــةٌ وحَرِيـــقُ

←

ومنها آية ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[١]، وآية[٢] نطق الجوارح [قال تعالى:] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[٣]

حتى قالوا: (لسانُ الحالِ أبلغُ من مقالي، فَسَمعاً يا فتى للسانِ حالي)[٤]

ومنها: سَلْ كربلاء كم حَوَتْ منهم بدور حدى) إلخ .. ويقول الآخر: (سَلْ كربلاء الطف منهم أين بالأمس طنب وأين استقلوا اليوم من عرصة الطف)، ومنها آية...[٥]

*** المورد الحادي عشر:**

قال في بيان بعض الآيات وكلام العرب بلسان الحال:[٦]

→

عدس زجر للبغلة، و عَبَّاد هو المأمور عليه بالسجن وللأبيات قصة مشهورة، للتفصيل ينظر الديوان، وقد ٱستشهد النحويون بالبيت على أنَّ المراد من ٱسم الإشارة(وهذا) أي(والذي) وفيه تفصيل.

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢ وقد تقدم ذكرها.

(٢) في الأصل: وآيات. أو لعله يقصد الآية الأخرى كذلك وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. [سورة فصلت: الآية٢١]

(٣) سورة يس: الآية ٦٥

لقد ذكر المفسرون أقوالاً في بيان كيفية تحدُّث الجوارح بين أنها تتحدث بقدرة الله تعالى، أو من خلال ظهور علامات تدل على الحديث. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٤٧١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٢٨٥، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٠٢/٢٦

(٤) لم نحصل على قائل هذا البيت، وقال الثعالبي: ((قال بعض الحكماء: لسان الحال أنطق من لسان المقال)). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٧٢

(٥) ذكر السيد آيات ثلاث قد تكررت فيما سبق، وتمت الإشارة إليها في مواردها.

(٦) مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤

فإذا كانت سيرة القرآن والبلغاء جارية على لسان الحال، وتنزيل غير العاقل مكان العاقل، وغير الناطق مكان الناطق، فربما قِيس على ذلك حكاية آدم...[(١)]

وآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾.[(٢)]

وقال الشاعر:

سَلْ عَنْهُمُ الدِّيَارَ وَالرُّبُوعَا إِذْ لَيْسَ الأَصْلُ لَنَا رُجُوعَا[(٣)]

فالسؤال من الديار والربوع تنزيل مَنْ لا يعقل منزلة مَنْ يعقل، وهكذا حَدَّث عن البحرِ ولا حرج.

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَال قَطْنِي[(٤)] مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي[(٥)]

---

(١) ذكر السيد آيات سبعة قد تكررت فيما سبق، وتمت الإشارة إليها في مواردها.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٥

إنَّ المفسرين قد ذكروا بأنَّ نسبة الحديث للأرض يمكن أنْ يكون مجازًا، ويمكن أنْ يكون حقيقة من خلال إيجاد قوة فيها للحديث. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٩٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٧٩١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٤١٩

(٣) لم نحصل على قائله.

(٤) قَطْنِي أي: حسبك أو كفاني، قال الفراهيدي: ((قَدْ وقَطْ لغتانِ في حَسْب لم يَتَمكَّنا في التَّصريف، فإذا أَضَفْتَهما الى نَفسِكَ قَوِيَتا بالنُّونِ، فقُلْتَ: قَدْني وقَطْني، كما قَوَّوا عَنِّي ومِنِّي وَلَدُنِّي بنُونٍ أخرى، قال أهل الكوفة: معنىَ قَطْني كَفاني)). العين مادة(قط). وينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة(قطط).

وورد عن ٱبن هشام: ((إنَّ قط تأتي لوجوه ثلاثة منها: ٱسم فعل بمعنى يكفي، فيقال: قَطْنِي -بنون الوقاية- كما يقال: يكفيني)). ١/ ١٧٦

(٥) إنَّ البيت قد ذكر في مصادر متعددة ولم يذكر ٱسم الشاعر، بل ورد قولهم: قال الشاعر أو الراجز. وقد ورد(مهلاً رويدًا)، و(سَلًّا رويدًا)، و(حسبي رويدًا) ينظر: الفراهيدي مادة(قط)، ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة(قط).

*** المورد الثاني عشر:**

قال[١]: أفسِّرُ[٢] آية ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٣] بجواز أنْ تجمع بين الغرضين غرض البشرى للمؤمنين المجاهدين، وغرض بيان الحقيقة في نزول الملائكة[٤] مترادفين[٥]، أو إنها بشرى ظاهرية غير حقيقية، وعادة البلغاء الخطباء تصوير المعاني الجذابة للقلوب للمصلحة العامة، ولو على خلاف الحقيقة.[٦]

*** المورد الثالث عشر:**

قال[٧]: كثير من الآيات تفسر على حذف المضاف[٨]، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي

---

(١) مخطوط مهمات: ١٤

(٢) في الأصل: وفسر.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٩

(٤) في الأصل: وفسر.

(٥) لقد ذكر المفسرون ما يتعلق بالآية الشريفة ونزول الملائكة في نصرة المؤمنين، وبيان البشرى في ذلك، وأما فيما يتعلق بمشاركتهم في قتال المشركين فقد اختلفوا وهناك آراء في المشاركة وعدمها، وإنْ كانت الروايات التأريخية التي تتحدث عن معركة بدر قد بيَّنت عدد قتلى المشركين وما قام به المسلمون في قتل هؤلاء، وكذلك فيما يتعلق بالعدد. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ١٩٠-١٩٢، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٣٧، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٩/ ٢٠

(٦) لم يذكر المفسرون مثل هذا المعنى، سوى ما ذكره السيد، بل قد اشتهر وتواتر تأريخيًّا نصرة الملائكة للمسلمين في معركة بدر الكبرى.

(٧) مخطوط المسودات القرآنية: ٣٤٨

(٨) لقد وردت آيات متعددة في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه في القرآن الكريم، قال الزركشي: ((وهو كثير، وقال ابن جني وفي القرآن زهاء ألف موضع)). البرهان في

←

كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[١]، و[قال تعالى:] **﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾**[٢]، و[قال تعالى:] **﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾**[٣]، وقد يكثرُ المُقَدَّرُ، ومثله قول الشاعر يدعو على قوم شربوا لبن إبله وساقوها:

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بُطُونِهِمْ ... وَمَا بَسَطَتْ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[٤]

أراد عقوبة كفران ملح لبنها.

ومنه كلما يقدر فيه لفظ المخافة كآية **﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾**[٥]، أي مخافة أنْ تزولا، وهو من وضع المثبت مكان المنفي، وقال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... [وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي][٦]

→

علوم القرآن ٣/ ٩٥ وذكر عدد من الأمثلة على ذلك ينظر: ٣/ ٩٦-٩٨ وينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٨٤

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢، أي: سَلْ أهل القرية التي كُنَّا فيها. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ١٨٠

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٣، أي: وأُشربوا في قلوبهم حب العجل، والحرص على عبادته. الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٩٢

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٠، أي: لا يزال بناء المبني الذي بَنَوْهُ. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ١٢٧

(٤) البيت لـ أبي الطمحان القَيني. التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ) ١/ ٣٢٩، وينظر: ٱبن منظور: لسان العرب مادة(ملح).

(٥) سورة فاطر: الآية ٤١

(٦) ديوان ٱمرىء القيس: ١٢٥

أي: لا أبرح قاعدًا.[١]

❊ **المورد الرابع عشر:**

قال[٢] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**﴾.[٦]

هذا التعبير مصوغ على شاكلة التجوُّز في الخطاب، وذلك مما يستحسنه العرف في محاوراتهم، ولا سيما العرب[٧]، والقرآن المجيد إذ كان مُنَزَّلاً على لسان العرب بغرض إرشادهم وإصلاح شؤونهم، فلا غرو إذا جرى في التحاور مجراهم، واستعمل التجوُّز والتشبيه في ألفاظه ومعانيه، وخاطب الجمادات والجدران والطلول، وعامل غير

---

(١) ٱبن الأثير: المثل السائر ٢/ ١٠٤

(٢) مخطوط المسودات القرآنية: ١٩٤-١٩٥

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٤) سورة النمل: الآية ١٨، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٥) سورة فصلت: الآية ١١، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٦) سورة يس: الآية ٧١

لقد ذكر المفسرون أنَّ اليد ليس المراد بها الجارحة، فالمعنى لا يحمل على حقيقة اليد الجارحة، بل المعاني الأخرى لليد، وقد ذكر الشيخ الطوسي ٱنصرافها إلى معانٍ أربعة. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٤٧٥، وذُكِرَ بأنَّ الآية لا تنصرف إلى ظاهرها ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٣٠، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٦/ ٣٠٦ وغيرهما

(٧) إنَّ العرب كانت تستعمل هذا الفن في كلامها مطلقًا؛ سواء أكان شعرًا أم نثرًا، وقد ذكر الأعلام ذلك في مؤلفاتهم، فضلاً عن المفسرين. للتفصيل ينظر: أبو هلال العسكري: دلائل الإعجاز: ٢٢٦، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨ وغيرهما

المعقول[١] معاملة هذا المعقول[٢]، فقد كان العرب بل العرف البشري جاريًا على هذا المنوال، ويسمونه أحيانًا(لسان الحال).

قَالَتْ لَهُ الطَّيْرُ تَقَدَّمْ رَاشِدًا إِنَّكَ لا تَرْجِعُ إِلا حَامِدًا[٣]

قال أبو النجم:

حينما يستحيل على الطير تفقه مثل ذلك، فضلاً من أنْ تقول.

وأنشد علي بن عيسى:

وَقَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا[٤] **كَالدُّرِّ لَمَّا يَثْقُبِ**[٥]

وليس للعين لسان المقال، غير لسان الحال الناطق بالفعل.

وأورد فخر الدين الرازي المثل المشهور: قالَ الجِدَارُ للوَتَدِ[٦] لِمَ تُشْقِنِي، قَالَ: سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي[٧]، ومن أين للمسمار، أو الجدار شعور وإشعار، أو إدراك أو إظهار.

وأنشد شيخنا المفيد وغيره:[٨]

---

(١) في الأصل: وعامل غير دون المعقول.

(٢) قال ابن الجوزي: ((فنزلَ القرآنُ على عادةِ العربِ في كلامِهم، فمن عادتِهم التجوُّزُ، وفي القرآن: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦])). المدهش، تص و تع: الدكتور مروان قباني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م): ٣٦

(٣) وهو من الأبيات التي يستشهد بها في هذا المقام. ينظر: ابن جني: الخصائص ١/ ٢٢

(٤) في الأصل: وحدرنا.

(٥) ابن جني: الخصائص ١/ ٢٢

(٦) في الأصل: للمسمار.

(٧) التفسير الكبير ٤/ ٢٧

(٨) المفيد: المسائل السرورية ٥١-٥٢، الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى ←

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قِطْنِي مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأتَ بَطْنِي

وأنَّى للحوض والروض فقه، أو شكوى من الفيض، غير لسان الحال والاستعارة، والكناية عند الفصيح أبلغ من التصريح، فكأنه شبَّه جوف الحوض ببطن إنسان أضره الامتلاء، فصرخ هاتفًا بذاك المقال.

ومن شعر عنترة:

شَكَا[١] نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا مُتَظَلِّمًا فَوَا حَرَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ[٢]

وهل يصدِّقُ عاقلٌ[٣] أنْ يتكلم النحر بالشكوى من العقد.

نعم قد يتكلم النحر وبلسان يفهمه كُلُّ إنسان من أي عنصر كان، ومن أبناء أي لسان وتلك اللغة هي(لسان الحال)، التي تعد أبلغ وأوفى من لسان المقال، وأصدق

→

(المجموعة الأولى/ جوابات المسائل الرازية)، تق: السيد أحمد الحسيني، (مط سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط): ١١٥ وقد تقدم ما يتعلق بالبيت الشعري.

(١) في الأصل: شكى.

(٢) الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة بن شداد، تق: مجيد طراد، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م): ٦١ وهو من قصيدة يقول فيها:

وَبَيْنَ ثَنَايَاهَا إِذَا مَا تَبَسَّمتْ مُدِيرُ مُدَامٍ يَمْزُجُ الرَّاحَ بِالشَّهْدِ

شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا مُتَظَلِّمًا فَوَا حَرَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ

فَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ بِوَصْلٍ يُدَاوِي القَلْبَ مِنْ أَلَمِ الصَّدِّ

في الأصل:

شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا فَتَظَلَّمَتْ فَوَا عَجَبًا مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ وَالعِقْدِ

(٣) في الأصل: عاقلاً.

منه، وأفعل من جميع الأحوال.

وقال الشاعر في الفَرَس:[١]

فَــــازْوَرَّ مِـــــنْ وَقْـــعِ القَنَـــا بِلَبَانِـــهِ وَشَـــــكَا إِلَيَّ بِعَـــــبْرة وَتَحَمْحُـــــم[٢]

ومن ذلك ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾، ومقال الهدهد: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾، ومقال ذي الجناح[٣] ومن قبيل ذلك: خطابات الديار، والشمس، والقمر، والدهر، والطير، ونسبة أفعال إرادية إليهنَّ.[٤] نحو:

مَدِينَـــــةُ جَــــدِّنَا لا تَقْبَلِينَـــــا فَبِالحَســـرَاتِ وَالأَحْــزَانِ جِينَـــا][٥]

و﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾.[٦]

---

(١) في الأصل: تبكي بعبرة وتحميم.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣ البيت من قصيدة لـعنترة بن شداد يقول فيها:

مَـــا زِلْـــتُ أَرْمِـــيهِمْ بِثُغْـــرَةِ نَحْـــرِهِ وَلَبَانِـــهِ حَتَّـــى تَســـرْبَلَ بِالـــدَّمِ

فَـــازْوَرَّ مِـــنْ وَقْـــعِ القَنَـــا بِلَبَانِـــهِ وَشَـــكَا إِلَيَّ بِعَـــبْرة وَتَحَمْحُـــمِ

لَـــوْ كَـــانَ يَـــدْرِي مَـــا المحَـــاوَرَةُ اَشْـــتكى أَوْ كَـــانَ يَـــدْرِي مَـــا جَـــوابَ تَكَلُّمِـــي

(٣) لعله يقصد تسبيح الطير في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.

(٤) إنَّ خطاب كُلِّ ما تقدم قد ورد في كلام العرب نثرًا وشعرًا، وهي مسألة طبيعية في مخاطبة من لا يعقل في محاوراتهم.

(٥) الشهرستاني، هبة الدين: نهضة الحسين، (مط النعمان، النجف، ١٩٥٨م، د.ط): ٤٠ هذه الأبيات تنسب إلى السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام عندما رجعوا من السبي إلى المدينة المنورة بعد اَستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء بكربلاء.

(٦) سورة سبأ: الآية ١٠

و: أَيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ.[(١)]

و:

يَــا دَهْــرُ أُفٍّ لَــكَ مِــنْ خَليــلِ   [كَــمْ لَــكَ بِــالإِشْرَاقِ وَالأَصِــيلِ] [(٢)]

و:

مَعَالِمُهَــا تَبْكِــي عَــلى عُلَمَائِهَــا   [وَزَائِرُهَــا يَبْكِــي لِفَقْــدِ مَزُورِهَــا][(٣)]

و:

[هــذا الَّــذِي تَعْــرِفُ البَطْحَــاءُ وَطْأَتَــهُ]   وَالبَيْــتُ يَعْرِفُــهُ وَالحِــلُّ وَالحَــرَمُ[(٤)]

وقال الشاعر:

الشَّــمْسُ طَالِعَــةٌ لَيْسَــتْ بِكَاسِــفَةٍ   تَبْكِــي عَلَيْــكَ نُجُــومُ اللَّيْــلِ وَالقَمَــرَا[(٥)]

---

(١) مقطع من دعاء الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عند رؤيته الهلال، إذ يقول: ((أيها الخلقُ المطيعُ، الدائبُ السريعُ، المتردِّدُ في منازلِ التقدير، آمنتُ بِمَنْ نَوَّرَ بكَ الظُّلَمَ، وأوضَحَ بكَ البُهَمَ، وجعلكَ آيةً من آياتِ مُلْكِهِ، المتصرِّفُ في فلكِ التدبيرِ)). الصحيفة السجادية: ١٦٢

(٢) ابن طاوس، علي بن موسى: الملهوف على قتلى الطفوف، تح و تق: الشيخ فارس الحسون، (مط أسوة، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ): ١٤٠

(٣) البيت من قصيدة للشاعر علاء الدين الحلي الشهيفي المعروف بـ(ابن الشهفية). الأميني، عبد الحسين أحمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ٦/ ٣٦٧

(٤) الفرزدق، هَمَّام بن غالب: ديوان الفرزدق، شرح وضبط و تق: علي فاعور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م): ٥١١

(٥) جرير بن عطية: ديوان جرير، تع: كرم البستاني، (دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م): ٢٣٥

وقال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٣)] وفي الجملة الأخيرة دلالة على أنَّ النطق دلالة الحال؛ لأنَّ الله تعالى لم ينطق كُلَّ شيء باللسان غير الإنسان، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[(٥)]، و[قال تعالى:] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[(٦)]، و[قال

---

(١) سورة الدخان: الآية ٢٩

ذكر المفسرون أنَّ البكاء في الآية الشريفة ليس متعلقًا بالسماء والأرض، بل بأهلها، أو هناك معانٍ أخرى على غير الحقيقة. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٢٣٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٢٨٠، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٧/ ٦٦٠

وفي ذلك نقل الزمخشري في تفسيره ما روي: ((مَا مِنْ مؤمنٍ ماتَ في غربةٍ غابَتْ فيهِ بواكيهِ، إلا بَكَتْ عليهِ السماءُ والأرضُ)). تفسير الكشاف ٤/ ٢٨٠

(٢) سورة يس: الآية ٦٥، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٣) سورة فصلت: الآية ٢١، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٨

إنَّ إقراض الله تعالى لا ينصرف إلى الحقيقة المعهودة منه، بل هو مجاز، فقد ذكر الشيخ الطوسي أنَّ إقراضه أي الإنفاق في طاعته، وسبيل مرضاته. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٥٢٩

الفخر الرازي ذلك في تفسيره. ينظر: التفسير الكبير ٢٩/ ٤٦١-٤٦٢

وقال السبكي في وناقش أيضًا بيان الآية الشريفة: ((شَبَّهَ الأعمالَ الصالحةَ والإنفاقَ في سبيلِ الله بـ(المال المقرَض)، وشبَّهَ الجزاءَ المضاعَفَ على ذلكَ بـ(بذل القرض))): مجاز القرآن: ٢٠٨

(٥) سورة الذاريات: الآية ٤٧

(٦) سورة يس: الآية ٧١، قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

تعالى:] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[١]، و[قال تعالى:] ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[٢]، و[قال تعالى:] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٣]، و[قال تعالى:] ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، و[قال تعالى:] ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٥]، ومن شواهد

---

(١) سورة القمر: الآية ١٤

إنَّ المفسرين ذكروا آراء متعددة لبيان المراد بـ(أعيننا) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٥/ ١٣١، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٤٤٨، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٩/ ٢٩٨

(٢) سورة هود: الآية ٣٧

إنَّ الشيخ الطبرسي ذكر أقوالاً متعددة في المراد من(العين)، وكلها لا تحمل على الحقيقة وهي آلة البصر. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٧٠

وناقش الفخر الرازي ذلك نقاشًا علميًّا، وبيَّن ٱستحالة أنْ يكون المراد بها الجارحة؛ لاستلزام ذلك التجسيم للخالق وهذا محال على الله تعالى. ينظر: التفسير الكبير ١٧/ ٣٤٤

(٣) سورة طه: الآية ٣٩

ذكر المفسرون أنَّه ليس المراد بالعين الجارحة، بل شدة العناية منه تعالى. ينظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٩، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٧/ ١٧٣، ٱبن الجوزي: زاد المسير ٥/ ٢٨٤

(٤) سورة الفتح: الآية ١٠

ذكر المفسرون وغيرهم أنَّه ليس المراد باليد الجارحة؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم، وإنما معانيها الأخرى. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ٦٥، الزجاج: إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تع: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م) ٥/ ٢٢، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣١٩، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٣٣٧

(٥) سورة ص: الآية ٧٥

قال الزمخشري: ((فإنْ قلتَ: ما وجهُ قولِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، قلتُ: قد سبق لنا أنَّ ذا اليدينِ يباشِرُ أكثرَ أعمالِهِ بيديهِ، فغلبَتِ العملُ باليدينِ على سائِرِ الأعمالِ التي تُباشَرُ بغيرِهِما، حتى قيلَ في عملِ القلبِ: هو مما عملتْ يداكَ، وحتى لم يبقَ فرقٌ بينَ قولِكَ: ←

المجاز إفراد اليد في موضع[١]، وتثنيته في ثانٍ[٢]، وجمعه في ثالثٍ[٣]، وكذا العين[٤]، و[قال تعالى:] ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٥]، و[قال تعالى:] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُون﴾[٦]، و[قال تعالى:] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[٧]

→

هذا مما عملتُهُ، وهذا مما عملتْهُ يداكَ)). تفسير الكشاف ٤/ ١٠٧

(١) كما في قوله تعالى في(سورة الفتح: الآية ١٠) التي تقدمت.

(٢) كما في قوله تعالى في(سورة ص: الآية ٧٥) التي تقدمت.

(٣) قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾. سورة الذاريات: الآية ٤٧ والآية غير صريحة في نسبة الأيادي إلى الله تعالى، ولليد معانٍ ستة وردت في القرآن الكريم، يراد بها الحقيقة تارة، والمجاز تارة أخرى. ينظر: النيسابوري: وجوه القرآن: ٥٩٠-٥٩١

(٤) قال تعالى في الإفراد: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ سورة طه: الآية ٣٩، وقال تعالى في التثنية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ سورة البلد: الآية ٨ ولكن لم ترد العين في التثنية نسبتها إلى الله تعالى. وقال تعالى في الجمع: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ سورة الطور: الآية ٤٨

وللعين معانٍ أربعة وردت في القرآن الكريم، يراد بها الحقيقة تارة، والمجاز تارة أخرى. ينظر: النيسابوري: وجوه القرآن: ٤١٢-٤١٣

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٥

ذكر المفسرون أنَّه ليس المراد بالوجه الجارحة؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم، بل المعاني الأخرى مثل: القبلة، والقصد وغيرهما. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٢٠٦، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٥٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٤/ ٢١-٢٢

(٦) سورة القلم: الآية ٤٢ سيأتي بيان ما يتعلق بالآية.

(٧) سورة الرحمن: الآية ٣١

ذكر المفسرون أنَّ الآية في مقام الوعيد والتهديد، وليس المراد بـ(التفرُّغ) هو وجوده في حيِّز من المكان؛ لتنزيهه سبحانه عن التجسيم. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ١١٦، الطوسي: ←

كناية تهديدية شايعة كآية ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.[(١)]

فلو جمعنا كنايات القرآن لزم أنْ نُشَبِّه الباري بإنسانٍ ذي وجه وأيدٍ[(٢)] كثيرة، كلها يمين، وأعين كثيرة، وجنب واحد، وأذن واحدة، وساق ورجل واحدة، وهذا يكون أقبح شيء، كمعشوقة الشعراء الخيالية، في حين أنَّ وجهه يملأ العالم[(٣)] للآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، فلا يترك محلاً لساقه [و] أيديه وجنبه.

وقد تَسَتَّرَ بعض الحنابلة المجسمة كابن تيمية ومَنْ تقدم عليه عن هذه الفضائح بقولهم: إنَّ يمينه تليق بذاته، وله عين تليق بذاته.[(٤)]

→

التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٤٧٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٤٤٨

ومن لطيف ما ورد في بيان الآية الشريفة قول السبكي: ((وهو مجازٌ عن مبالغتهِ في حسابِ الثقلينِ، ومجازاتِهم على أفعالِهم، فإنَّ مَنْ كَثُرَتْ أشغالُهُ لم يتأتَّ منه مع الاشتغالِ بها المبالغةُ فيما يريدُ من أفعالِهِ، ومَنْ تفرَّغَ لشيءٍ أتى به بكمالِهِ؛ إذ لا شاغلٌ لَهُ عنه، ولا مانعٌ لَهُ منه)). مجاز القرآن: ٢٥١

(١) سورة المدثر: الآية ١١

ذكر المفسرون أنَّ الآية في مقام الوعيد والتهديد، وما المراد بـ(وحيدًا) ومعاني ٱنصراف اللفظ إليها. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ٢٠١، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ١٧٥، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٦٤٩

(٢) في الأصل: أيدي.

(٣) إنَّ قوله: (وجهه يملأ العالم) تعبير لطيف جدًّا، يدل على كمال توحيده في عدم ٱنقطاعه تعالى عن خلقه، فلا يخلو منه زمان أو مكان، ففي أي لحظة، وفي أي بقعة يتوجه العبد إلى مولاه يراه عنده، وفي ذلك أعظم تجليات العرفان الإلهي.

(٤) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: شرح العقيدة الأصفهانية، تح: إبراهيم سعيداي، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ): ٤٩-٥١، ابن تيمية: التدمرية، تح: الدكتور

←

وقد ذكر لي يومًا نقيب أشراف بغداد ورئيسنا في الوزارة [عبد الرحمن النقيب][(١)] اعتقاده بذلك[(٢)]، فأجبته أنْ لا ينفعكم هذا التخلُّص؛ إذ يلزمكم أنْ تقولوا فيه بطن تليق بذاته، وفرج تليق بذاته، وبول يليق بذاته، ودم يليق[(٣)] بذاته، وهكذا من الكفريات، والعياذ بالله منها.

- قال: فكيف التخلص.

- قلت: بالمجاز والاستعارة المشحون منهما القرآن، وبهما يمدح كلام البلغاء، والتجوُّز لا يستدعي شيئًا معيبًا، ولا يحتاج إلى تقدير ما يليق بذاته، ألا ترى أنَّ مَنْ يقول: (وإذا المنية أنشبت أظفارها)[(٤)] لا يُقَدِّر ظفرًا يليق بالمنية، وإنما يتخيل الظفر بمعنى أوسع وأعم مما نتصوره للإنسان، وهو آلة التعلق وواسطة التأثير، ولا ريب في ثبوتها للمنية حقيقة.

→

محمد بن عودة السعودي، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م): ٣١-٣٢ وغيرهما من مؤلفاته

(١) عبد الرحمن بن علي بن سلمان القادري الكيلاني، نقيب أشراف بغداد، ولد سنة (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م) في بغداد، ترأس وزارة العراق الأولى في زمن الملك فيصل الأول سنة(١٩٢٠م)، أمضى المعاهدة الأولى مع البريطانيين في عهد الملك فيصل الأول، توفي سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م). الزركلي: الأعلام ٢/ ٣١٩، الخطاب: رجاء حسين: عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، (المكتبة العالمية، بغداد، ط١، د.ت): ٩

(٢) أي: بالتجسيم.

(٣) في الأصل: يلق.

(٤) تقدم ما يتعلق بهذا الشطر من البيت.

إذن فالواجب أنْ نتجوَّز في جميع مجازات القرآن بالتوسُّع، والتصرُّف في المستعار، أي الظفر واليد، لا في المستعار له وهو المنية والله تعالى، فلا يبقى ثمة إشكال.[١]

*** المورد الخامس عشر:**

قال[٢]: أُفسّرُ[٣] آية ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[٤] بأنها خطاب على سبيل الرواية التمثيلية بلسان الحال[٥]، بالرجوع إلى الله تائبًا، أو متوكّلاً عليه، أو فانيًا فيه وميتًا.

● **ثانيًا: الاستعارة.**

لقد ذكر السيد الشهرستاني ما يتعلق بأهمية الاستعارة وأثرها في البلاغة عمومًا، وفي الآيات القرآنية بشكل خاص، ونذكر ذلك ضمن موارد(ثلاثة).

*** المورد الأول:**

قال[٦] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾.[٧]

---

(١) إنَّ هذه مسألة مهمة جدًّا يجب الالتفات إليها عند دراسة الآيات القرآنية، أو الأحاديث الشريفة التي تضمنت ذكر الجوارح، بعد أنْ ثبت في علم الكلام تنزيهه تعالى عما لا يليق به من التشبيه والتجسيم وغيرهما.

(٢) مخطوط الحواصل ٥/ ٢٣٠

(٣) في الأصل: فسر.

(٤) سورة الفجر: الآيات ٢٧-٣٠ وذكر السيد الآية نفسها في مخطوط الحواصل ٥/ ١١٤

(٥) لم يذكر المفسرون مثل هذا.

(٦) مخطوط المسودات القرآنية: ١٧٩، وأشار إلى ذلك إجمالاً في تفسيره. ينظر: مخطوط التفسير المحيط: ٦

(٧) سورة الفاتحة: الآية ٦

إنَّ أصل الصراط[١] من سرط بالسين بمعنى المرور بالزلق؛ ولذلك يقال لابتلاع الطعام سَرْطًا، ويسمى البلعوم مِسْرِاطًا[٢]، ويسمى المسلك المسرّح الذي يعين سالكه في الحركة سراطًا تشبيهًا له بـ(البلعوم)، الذي يمر الزاد منه بلطف وسرعة[٣]، كما سُمِّي مثل هذا السبيل لقمًا؛ لأنه يلتقم السابلة.[٤]

قال الراغب: سُمِّي بـ(الصراط) بناء على تَوَهُّم أنه يبتلعُ سالِكَهُ، أو يبتلِعُهُ سالِكُهُ[٥]، كما يقال: أكلته المفازة إذا أضمر به، أو أكل المفازة إذا قطعها.[٦]

وقد[٧] استعمل القرآن اسم السراط في الموصِل للحق بالحق استعارةً وتمثيلاً له بالسراط، من جهة أنه يعينُ سالكه في الحركة، ويمرُّ السالك منه بلطفٍ وسرعةٍ، فتدبر واغتنم.[٨]

* **المورد الثاني:**

قال[٩] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ**

---

(١) في الأصل: ومنها الصراط أصله من سرط.

(٢) ابن منظور: لسان العرب(سرط).

(٣) الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ٥٧

(٤) الزبيدي: تاج العروس(سرط).

(٥) الصحيح تصوُّرًا أنه يبتلعه ، وليس توهُّمًا كما ورد في المتن. الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٣٧(سرط).

(٦) المفازة: الصحراء. المعجم الوسيط(المفازة). ويراد به أسرع في قطع المسافة الطويلة في الصحراء التي تحتاج إلى وقت طويل لاجتيازها.

(٧) في الأصل: وقد قارب الحق، ولما يلحق فالحق ما سبق وقد استعمل.

(٨) ينظر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ١/ ٣٣

(٩) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.[١]

استعار القرآن لاختيار هؤلاء الغواية بدلاً عن الهداية على غرار قوله سبحانه في [قوم] ثمود: **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾**[٢] فعبَّر في هذه عن الاختيار بالاستحباب، وفي آيتنا بالشراء، وهذه [الشراء] أبلغ منها ومن كلمة الاستبدال التي هي أوسع شمولاً من الشراء[٣]، فتوهَّم المفسرون للشراء بالاستبدال[٤]، ولو فسروها بالاستملاك لكان أوجه[٥]، والشراء في العرف والشريعة استملاك شيء غير مملوك لك بثمن مملوك لك[٦]،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧

(٣) إنَّ هناك فرقًا واضحًا بين الشراء والاستبدال، وإنَّ ٱستعمال لفظ الشراء الدال على المعاملة بين طرفين في غاية الدقة في أداء المعنى المراد، قال الدرويش بعد بيانه للفرق بين المصطلحين: ((إذا عرفتَ هذا أدركتَ السرَّ في ٱختيارِ ٱشتروا على ٱستبدلوا ، وتبينتَ أنَّ القرآنَ –وهو أعلى درج البلاغة– لا يختارُ لفظًا على لفظٍ من شأنه أنْ يقومَ مقامَهُ إلا لحكمةٍ في ذلكَ، وخصوصيةٍ لا توجدُ في غيرِهِ)). إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٥-٥٦

(٤) إنَّ للمفسرين رأيًا لطيفًا في المسألة وقد بَيَّنوا ذلك في تفاسيرهم؛ إذ حقيقة الشراء من جانب –كما ذكروا– هو ٱستبدال المال بشيء آخر وهو المشتَرَى. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٨٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٠٧، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢/ ٣١١

(٥) نرى أنَّ الاستملاك يعني المِلكية، ولا توجد مِلكية حقيقية أو إضافية في الموضوع؛ لذلك أنَّ لفظ (الشراء) هو أكثر دقة؛ لأنَّ الإنسان يدفع مالاً في طريق ضلالة مع علمه أنَّ هذا الشيء هو ليس له، وهذا خسران كبير، فالملكية تكون حينئذٍ لأيِّ شيءٍ والأمر غير ماديٍّ لِيُمَلَّك !!، فضلاً عن أنَّ العرب تطلق لفظ الشراء على كُلِّ مَنْ ترك شيئًا وتمسَّك بغيره. ينظر: لسان العرب مادة (شرى).

(٦) وهناك شروط معلومة يجب أن تتوافر في البيع والشراء فصَّلها الفقهاء في كتبهم. ينظر: المحقق
←

ومن هنا نشأت استعارات حِسان في الآية.[(١)]

* **المورد الثالث:**

قال[(٢)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا**﴾.[(٣)]

يمكن أنْ يكون(برد) بمعنى الثلج[(٤)]، أو بمعنى النوم[(٥)]، وفي الإذاقة استعارة فاغتنم.[(٦)]

→

الحلي، جعفر بن الحسن: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تع: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م) ٢/ ٢٧٧-٢٧٨ وغيره

(١) في الآية الشريفة صورة واضحة تحاول زيادة بيان ضلال المشركين، والتأكيد على ذلك، وهذه دعوة من الله تعالى لعباده في أختيار التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، وللتفصيل في بيان أثر هذه الصورة القرآنية ينظر: السلامي، بنائية الصورة القرآنية: ١٧٧

(٢) مخطوط نتائج الحلوم: ٢٩٥

(٣) سورة النبأ: الآية ٢٤

(٤) أي الماء البارد الذي يطفىء حرارة نار جهنم وينفِّس عنهم ذلك. الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٦٨٩

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢٨٢، الفراء: معاني القرآن ٣/ ٢٢٨، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٢٤٤

(٦) إنَّ السيد يرى أنَّ لفظ(الذوق) في الآية هو تعبير مجازيٌّ وليس حقيقيًّا، ولم يذكر ذلك المفسرون وفق أستقصاء التفاسير من قبلنا ، وهو وجه لطيف يمكن الركون إليه في نفي أي راحة عن الطغاة تسكِّن آلامهم؛ لأنهم يمنَّون الموت في ذلك الموقف تسكينًا وقطعًا لآلامهم من العذاب، كما قال تعالى في وصف ذلك الموقف: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾ [سورة الزخرف: الآية ٧٧] ، وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**﴾ [سورة غافر: الآية ٤٩]، ولكن يرى بعض أنَّ صرف(البرد) إلى معنى النوم فيه تكلُّف، وإنَّ المعنى المعهود للماء البارد أكثر

←

● **ثالثًا: المجاز.**

إنَّ المجاز من أهم مباحث علم البيان في البلاغة العربية، وقد تضمن القرآن الكريم ذلك كثيرًا، وكانت العرب تشتهر بذلك في كلماتهم، وأراد القرآن إقامة الحجة عليهم بعجزهم عن الإتيان بكلام من مفردات وفنون كلامهم، وتكمن أهمية المجاز في القرآن الكريم في الآيات التي لها علاقة بالعقيدة الإسلامية وخصوصًا ما يتعلق بمبحث توحيد الله تعالى، وقد أشار السيد الشهرستاني إلى ذلك في موضوعات متعددة عند حديثه عن الفنون الأخرى، ولكننا نذكر هنا ما يختص به، وقد كان في موارد(أربعة).

❋ **المورد الأول:**

قال[1]: لا شك في كثرة الكنايات والاستعارات والمجازات العقلية واللفظية في محاورات العرب، وفي غيرهم من العرف، ولا شك في أنَّ القرآن كان نزل على نهج المحاورات العرفية في ذلك العصر، فلا شك في اشتماله على المجازات العقلية واللغوية.

وإلى هنا نتوافق مع المفسرين والمؤوِّلين[2]، لكنه نفترق في أننا نقتصر فيها على ما إذا كانت له قرائن لفظية وعقلية بديهية[3]، والمؤوِّلون يعتمدون حتى على القرائن الفكرية

→

نسقًا في سياق الآية مع قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾. ينظر: الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٨/ ١٩٩

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط البندريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ١٦

(٢) في الأصل: والمأولين.

(٣) إنَّ القرينة مسألة مهمة في صرف اللفظ من معناه الحقيقي الظاهري إلى المعنى المجازي الذي يريده المستعمل له، مع كون تلك القرينة معروفة لدى المتلقي.

البعيدة حسبما يشتهون[١]، ولا شك أنَّ الكتاب الهادي للعموم لا يجوز له أنْ يترك القرينة اللفظية، إلا فيما كان وضوح أمره من البداهة، بحيث يستغني عنه حتى العوام، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]، وكما قيل في قول الشاعر:

فَـإِنَّ تَمِـيمًا مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَلِـدَ الحَصـى ... أَقَـامَ زَمَانًـا وَهُـوَ في النَّـاسِ واحِـدُ[٣]

و[قوله تعالى]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٤]، و[قوله تعالى]: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[٥]، و[قوله تعالى]:

---

(١) أي إنَّ هؤلاء يفسِّرون النص على وفق ما يريدونه، أدعاء منهم بوجود قرينة تصرف اللفظ عن معناه إلى المعنى الذي يريدونه، وفي ذلك إشارة إلى تفاسير الباطنية أو المتصوفة، وغرابة تفسيرهم، وهذا لا يكون في كتاب الله تعالى؛ لأنه كتاب هداية للبشرية كلها، ويجب أنْ يكون ظاهرًا للجميع، من غير لَبْسٍ أو تعقيد.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠ تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

(٣) البيت من قصيدة لـ الفرزدق وقد عيَّرتْهُ امرأته النوار بأنه لا يولد له ولد، ولا يوجد ذلك في ديوانه المطبوع. ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ٤٧٣

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٦

إنَّ البياض والسواد في الآية الشريفة يمكن أنْ يراد به الحقيقة أو المجاز، وهناك قرائن عليهما، وقد رجح المفسرون الحقيقة فيهما على المجاز. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٥٢، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٦٠، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨/ ٣١٨

(٥) سورة الإنشقاق: الآية ١٠

لم يذكر المفسرون إرادة المعنى المجازي دون الحقيقي لـ(الظهر) في قوله تعالى: ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾. ينظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ٢٥٠، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣١٠، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٧٢٧ وغيرهم.

←

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.[(١)]

*** المورد الثاني:**

قال[(٢)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.[(٣)]

قال [الشيخ] المفيد في [كتاب] تصحيح الاعتقاد: إنَّ المراد من الخداع والمكر الجزاء عليهما، فإنَّ العرب قد تسمي الجزاء باسم العمل، كما تسمي المؤثر باسم الأثر[(٤)]، ونظيره ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[(٥)] فسمَّى مال اليتيم المأكول ظلمًا نارًا، وهو الجزاء له.[(٦)]

→

ولعل السيد الشهرستاني قد صرف المعنى إلى المجازي بقرينة أنَّ الإنسان إذا كان قد عمل عملاً قبيحًا يحاول أنْ يخفيه عن الآخرين؛ لذلك عبَّر تعالى بـ(الظهر) مقابل اليمين، دون قوله بشماله، وأرى أنَّ في ذلك وجه يمكن القول به من دون تكلُّف.

(١) سورة هود: الآية ١١٩

لم يذكر المفسرون للآية الشريفة سوى المعنى الحقيقي لها، ولا نعلم سبب المجاز في الآية كما يراه السيد الشهرستاني ، ولعله أراد أنَّ(الإملاء) لجهنم هو مبالغة في الكثرة والازدحام بالنسبة للداخلين إلى النار.

(٢) مخطوط التفسير المحيط: ٣

(٣) سورة البقرة: الآية ٩

(٤) ص٥

(٥) سورة النساء: الآية ١٠

(٦) ينظر ما يتعلق بذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٧٤]: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٨٨، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٥/ ٢٠٥

أقول: وهذا عند أهل البيان من المجاز باعتبار ما يكون[١]، وبعلاقة الأَول كما في آية ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٢]، ويأتي تمام القول في آية ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٣]، وآية ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين﴾[٤]، فالمكر من الله الجزاء، ومن العبد العمل، كذلك الخداع.[٥]

❊ المورد الثالث:

قال[٦] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾.[٧]

يتفنن القرآن كأبلغ خطيب في حكاياته وكناياته، وأنواع مجازاته واستعاراته، كما استعار عن استبدال الهدى بالضلالة في لفظة الشراء والتجارة، وإرداف ذلك بمناسباتها من ربح وخسارة[٨] في الاتجار على شاكلة الاستعارة المرشحة، وهي على

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٩

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٦، قال الزمخشري: ((يعني عنبًا، تسمية للعنب بما يؤول إليه)). ٢/ ٤٤٢، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٠١، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٨/ ٤٥٤

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٢، لم يتم الحصول عليه في مخطوطاته.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٤، لم يتم الحصول عليه في مخطوطاته.

(٥) ومن لطيف ما ورد حول هذه الآية الشريفة ما قاله الشيخ العز بن عبد السلام: ((معنى ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يعاملونَـهُ معاملَـةَ الخادع، فهو مجازُ تمثيل؛ إذ أشبهَتْ معاملتهُمُ الربَّ معاملَةَ الخادِع للمخدوع، ومخادعتهُمُ الذين آمنوا حقيقةٌ، فقد جمعَ في ﴿**يُخَادِعُونَ**﴾ بين حقيقةِ المخادعَةِ ومجازِها)). مجاز القرآن: ٢٥٧

(٦) مخطوط التفسير المحيط: ٥ تحت عنوان(وجوه بلاغة الآية)

(٧) سورة البقرة: الآية ١٦

(٨) في الأصل: وخسار.

أقصى حدود البلاغة[١]، ولما كان التاجر جُلَّ أُمنيته في الربح، وكُلُّ أُمنيته في استبقاء رأس المال، قضى ربك على المنافقين بخسارٍ ليس ما دونه خسار، وهو حرمانهم من الأُمنيتين، فلا هنالك ربح يبقى، ولا رأس مال، وهذا مظهر آخر من مظاهر استهزاء الله بالمنافقين الذين أمَّلوا من وراء نفاقهم ازدياد منافعهم المادية والمعنوية، لكنهم خسروا جميعًا، وإسناد الربح إلى التجارة ضرب لطيف من سبك المجاز من المجاز.[٢]

فالتجارة هنا مجاز لفظي، وإسناد الربح إلى التجارة دون التاجر مجاز عقلي، وكلاهما سائغ شائع، حتى قيل: تجارة رابحة، وتجارة لن تبور، [كما قال تعالى:] **﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٣] [وقال تعالى:] **﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**.[٤]

*** المورد الرابع:**

قال[٥] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾**.[٦]

وحقيقة الصم مَنْ لا يسمع شيئًا من بطلان القوة أو الآلة منه[٧]، وقد أوضح ذلك

---

(١) قال الدرويش: ((في هاتين الآيتين [هذه الآية والتي بعدها] من فنون البلاغة ما تضيق عنه الصحف)). ١/ ٥٥

(٢) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٠٧، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢/ ٣١١، الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٥

(٣) سورة النحل: الآية ٦٠

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٥

(٥) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨

(٧) ابن منظور: لسان العرب مادة(صمم).

قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ**﴾(١)، والأبكم مَنْ لا ينطق كذلك فهو أشد من الأخرس، وقيل: مَنْ لا يعقل كالبهائم، والأعمى مَنْ لا يبصر شيئًا، لبطلان قوة العصب، أو بطلان آلة من العين منذ الولادة أو لعارض بعدها، ويستعمل للأصم على سبيل المجاز في مَنْ لا يصغي إلى قول، لعدم ميله إلى فهمه حقًّا كان أو باطلاً، وكذا الأبكم في مَنْ لا يتكلم في مواقع الكلام كالأخرس.

أما الأعمى فيستعمل مجازًا في مَنْ يرى الصواب ولا يعمل به، كالذي لا يبصره، وهذه الآية من المجازات المشهورة في القرآن بداهة أنَّ المشركين لم يكونوا صُمَّ الأذان، ولا خُرْسَ الألسن، ولا عُمْيَ الأبصار، وإنما وصفوا بذلك لعدم ترتيبهم الأثر على ما سمعوه، أو عقلوه، أو أبصروه، فعوملوا معاملة من لا آلة له، كما سبقت الإشارة إليه في آية ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ وكما يأتي في آية أخرى، استعار هذه العيوب لهم لليأس عن أية فائدة لهم في المجتمع.(٢)

- **رابعًا: الكناية.**

لقد ذكر السيد الشهرستاني ما يتعلق بالكناية وأثرها في نظم الآيات القرآنية، وأهمية استعمالها في بيان بلاغة القرآن الكريم، مجاراة لكلام العرب المتضمن للكناية، ونذكر ذلك ضمن موارد(اثني عشر).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩

(٢) ينظر: ابن أبي الإصبع: بديع القرآن ٢/ ٨٦

*** المورد الأول:**

قال[(١)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.[(٢)]

عادة القرآن في إنشاء الكلم على أساليب البلغاء، فلا تحصى مجازاته وكناياته، كما لا تحصى أمثاله وتشبيهاته، فما سبيل آية ﴿**ختم اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾ أو [آية] ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[(٣)] إلا سبيل ما يتلوها من قوله: ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ حين لا ترى غشاوة، أو سبيل قوله: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[(٤)] حينما لم يكن الكافرون صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا في ظاهر الحس، وحقيقة اللفظ أنه[(٥)] جرى القرآن فيهم مجرى البلغاء، الذين يُنَزِّلون مَنْ لا يعمل الحق إذا سمعه منزلة الأصم، ومن لا يجتنب الخطر إذا رآه منزلة الأعمى، ومن لا ينطق بالحق إذا اعتقده منزلة الأبكم[(٦)]، كما يقولون: ((الساكِتُ عن الحَقِّ شيطانٌ أخرسُ))[(٧)]، كذلك القرآن في تسجيل الغباوة على الكافرين، والمبالغة في معارضتهم

---

(١) مخطوط تفسير المحيط أوراق مخطوطة غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٨

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨

(٥) في الأصل: وإنما.

(٦) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٨٩، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١١٢، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١١٥

(٧) هذه مقولة مشهورة وليست بحديث، وقد ذكرت في موارد متعددة، فقد ورد عن النووي بروايته عن أبي القاسم القشيري قوله [أي القشيري]: ((وَسَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ ←

للحق والحقائق، يجري مجرى التنزيل والتشبيه بأنهم كالذين ختم الله على قلوبهم لو صح هناك ختم حِسِّي، أو كالذين طُبِعَ على قلوبهم لو صح على القلب طابع حِسِّي، كما قال في من[1] لا يتذكر من نصائح المصلحين: ﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾[2] حينما لا وقر في أذنيه، ولا فيهم أخرس، أو أصم.[3]

*** المورد الثاني:**

قال[4] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾.[5]

إنَّ هناك تناسبًا[6] بين الصبر والصلاة[7]، فالصبر كناية عن الجهاد[8]،

→

[ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م] يَقُولُ: مَنْ سَكَتَ عَنِ الحَقِّ فَهُوَ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ)). يحيى بن شرف: شرح صحيح مسلم، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، د.ط) ٢/ ٢٠

(١) في الأصل: فيمن.

(٢) سورة لقمان: الآية ٧

(٣) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/ ٤٩٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٧

(٤) مخطوط الحواصل ٥/ ١٤٩

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٥

(٦) في الأصل: تناسب.

(٧) في الأصل: فسر آية (واستعينوا بالصبر والصلاة) والتناسب بينهما أنَّ الصبر.

(٨) إنَّ جميع التفاسير قد ذكرت أنَّ المراد بـ(الصبر) في الآية الشريفة في بعض تفاسيره هو(الصوم)، اعتمادًا على روايات كثيرة وردت في ذلك عن النبي وآله ﷺ، ولم يُذكر فيها الجهاد مطلقًا. ينظر: العياشي: تفسير العياشي ١/ ٦٢، القمي: تفسير القمي ١/ ٤٦، الطبري: جامع البيان ٢/ ١١، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٦٢

أما ما ذكره بأنَّ المراد به(الجهاد) فيمكن ذلك من حيث المصاديق، لا من حيث

←

فهو[(١)] خير آلة للاستفادات الأممية، والصلاة خير وسيلة للاستفادات الروحية.[(٢)]

* **المورد الثالث:**

قال[(٣)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾.[(٤)]

وقعت[(٥)] لكثير من قدماء المفسرين خطيئات في تمييز الحقائق من وجوه المجاز، وضروب الكناية والتمثيل، فأنشأوا من سوء التفسير أباطيل وأضاليل[(٦)]،

→

التفسير للآية، فالجهاد يعد من مصاديق الصبر، بل من أعظم مصاديقه؛ لما فيه من المعاناة الكبيرة وما يحتاج ذلك إلى الصبر على جهاد النفس.

(١) في الأصل: فهي.

(٢) إنَّ هذا بيان مهم منه في الإفادة من العبادات التي وردت في الشريعة المقدسة في حياة الفرد والمجتمع من الناحية العملية؛ لئلا تبقى العبادة لأجل العبادة، بل لبعث روح العمل مع العبادة، فالجهاد عِزٌّ للإسلام كما روي في خطبة الزهراء عليها السلام، فهو عِزٌّ للإسلام والمسلمين سواء أكان الأصغر منه، أم الأكبر، وأما الصلاة فلا يخفى عظمتها في تهذيب الروح للفرد وأثره في بناء المجتمع، ويمكن الاطلاع على الآيات والروايات التي وردت في بيان أثرهما في البناء الإنساني.

(٣) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ١٤١، وهو جواب لسؤال نصه: ((هل صح ما جاء في تفسير [قوله تعالى:] ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [سورة البقرة: الآية ٥٤] من أنَّ بني إسرائيل أمرهم الله أنْ يقتلوا أنفسهم بعضهم بعضًا، وموسى عليه السلام وهارون ينظران إليهم...إلخ، وكيف يجوز في شريعة العقل أنْ يأمر الله أو الأنبياء أممهم أنْ يقتل بعضهم بعضًا، أو يقتل أحدهم نفسه)).

(٤) سورة البقرة: الآية ٥٤

(٥) في الأصل: وقع.

(٦) إنَّ أغلب التفاسير لهذه الآية الشريفة تذكر أنَّ المراد بالقتل هو القتل الحقيقي، من دون

←

في شروح[1] ما أنزل الله بها من سلطان، مَثَلَهُم مثل من أَمَرَهُ سيده أنْ يقطع لسان شاعر قد هجاه، فأخذ سكينًا وذهب ليقطع لحمة اللسان من فمه، ولم يعرف أنَّ قطع اللسان كناية عن الإحسان إليه، فإنَّ الإحسانَ يقطعُ اللسانَ[2]، وبالبرِّ يُستعبدُ الحُرُّ[3]، وخيرُ غطاءٍ للخَطَّاءِ عطاءٌ.[4]

نعم ذاك كهذا المفسر الجاهل سمع أمر الله لبني إسرائيل بقتل أنفسهم فاختلق من نفسه هذه القضية الفظيعة، وبني على أوهامه علالي وقصورًا[5]، ولم يدرِ أنَّ النفس كثيرًا ما تستعمل في إرادة القلب، وشهوة العاطفة، فتقول لِمُحِبِّكَ: (هل لك نفس في

→

المجازي وقد أشارت إلى ذلك التفاسير، فضلاً عن الروايات التي يروونها في أنَّ ذلك توبة لهم، والسؤال الذي يَرِدُ في المقام هل أنَّ عقوبة عبادة العجل هو القتل بالطريقة التي تذكرها الروايات المختلفة، فيكون عدد المقتولين في رواية سبعين ألفًا، وأقلُّها عشرة آلاف، وما في ذلك من سفك للدماء الكثيرة، فالأمر يحتاج إلى تأمل وتدبُّرٍ، وقد فصَّل المفسرون في الآية بما يتعارض مع ما ذُكِر في المتن للسيد الشهرستاني . ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٤٦-٢٤٧، الزمخشري: الكشاف ١/ ١٦٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٢١٨-٢١٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٥١٦-٥١٧، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١/ ١٨٩، السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/ ٢٤٠

(١) في الأصل: شرح.

(٢) البحراني، ميثم بن علي: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تص وتع: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ط، د.مط، د.ت): ١٨٤

(٣) المصدر نفسه: ١٤١

(٤) أظن أنها من كلمات السيد الشهرستاني .

(٥) لا أعلم هل يقصد السيد مفسِّرًا معيَّنًا يوجِّه إليه الانتقاد والتجريح، لكننا قد تتبعنا أغلب التفاسير فكان تفسيرهم للتوبة قائمًا على القتل الحقيقي الواقعي.

شراء هذه))، وقال شاعرهم:

فَبَاتَتْ لـه نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُها   فـنَفْسٌ تُعَزِّيهَا ونفْسٌ تَلُومُها[١]

أي إرادة وإرادة، وقد أمر الله أبناء [بني] إسرائيل أنْ يقتلوا أنفسهم أي إرادات قبيحة لهم، وشهوات عاطفية فيهم كانوا يجنحون إليها، ويتدللون بها على موسى وهارون، فأراد أنْ يسلك بهم سبل الرياضة الباطنية، وتصفية النفس حتى يفوزوا بحظوي[٢] السعادات الباقية، والدرجات الراقية.[٣]

---

(١) في الأصل: فباءَتْ لها نفسانِ شتى همومِها – فنفسٌ تُعَزِّيه وأُخرى تلومُها
البيت لـ المزق العبدي وقيل لـ معقر بن حمار البارقي إذ يقول:

أَلاَ مَنْ لِعَيْنٍ قَدْ نَآهَا حَمِيمُهَا   وَأَرَّقَنِي بَعْدَ المَنَامِ هُمُومُها

فَبَاتَتْ لـه نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُها   فـنَفْسٌ تُعَزِّيهَا ونفْسٌ تَلُومُها

الشريف المرتضى: الأمالي ٢/ ٧

(٢) حظوي أي القرب من الشيء والمنزلة. ٱبن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة(حظوي)

(٣) إنَّنا نحاول –بإيجاز– بيان مسألتين تتعلقان بالآية الشريفة، وإنكار السيد الشهرستاني للقتل بالطريقة المعهودة لإتمام الفائدة للباحثين:

١– إنَّ القاضي عبد الجبار قد أنكر القتل في الآية الشريفة كما نُقِلَ عنه ذلك، قال الآلوسي في تفسيره: ((وأنكر القاضي عبد الجبار أنْ يكونَ اللهُ تعالى أمرَ بني إسرائيلَ بقتلِ أنفسِهم وقال: لا يجوزُ ذلكَ عقلاً إذ الأمرُ لمصلحةِ المكلَّفِ، وليسَ بعد القتلِ حالُ تكليفٍ ليكونَ فيه مصلحةٌ)). روح المعاني ١/ ٢٦٠، وكذلك قد ورد في بعض التفاسير للقتل هو الاستسلام للقتل، وليس القتل الفعلي، قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره: (([في المسألة] ثلاثة أقوال: قتلُ الذينَ عبدوا العجلَ. وقال ٱبن إسحاق: أُمِروا بأنْ يستسلموا للقتلِ، وسُمِّيَ الاستسلام للقتل قتلاً على سبيل المجاز. وقيل: معنى فاقتلوا أنفسكم ذَلِّلوا أهواءَكُم، وقد قدمنا أنَّ التقتيلَ بمعنى التذليل. فتلخَّصَ في قوله: ﴿فَاقْتُلُوا﴾ ثلاثة

←

❊ المورد الرابع:

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾.[٢]

المَنُّ اسم طعام نباتي شهي، كثير الفوائد، والأصناف، والمشهور بين الأطباء وغيرهم أنَّ المَنَّ يتولد على أوراق الشجر[٣] من الذي يقال له: مَنِّ السَّما، وفي اللغات الإفرنجية يطلق عليه اسم(من) أيضًا[٤]، الأمر الذي يزيد قِدم هذا الاسم، وقِدم عهد

→

أقوال: الأول: الأمر بقتل أنفسهم. الثاني: الاستسلام للقتل. والثالث: التذليل للأهواء. والأولُ هو الظاهرُ، وهو الذي نقلَهُ أكثرُ الناسِ)). البحر المحيط ١/ ٣٦٧

٢- هناك قراءات أخرى للآية وردت عن غير القُرَّاء العشرة، ذكر ابن جني أنه رويت عن قتادة قراءة: ((فَاقتالوا أنفسكم)) من الاستقالة، أي يسأل ربه عزوجل أنْ يعفو عن نفسه. ولكن على هذه القراءة يرى ابن جني أنَّ قتادة له وجه في قراءته هذه لو كانت((فاقتالوا لأنفسكم)) أي: استقيلوا لها، واستصفحوا عنها. ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف، (الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ١٩٩٤م، د.ط) ١/ ٨٣-٨٤، وكذلك وردت قراءة ((فأقيلوا أنفسكم))، وقراءة ((فاقَّيَّلوا أنفسكم)). الخطيب: معجم القراءات ١/ ١٠٢

(١) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط خير الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٤٩ وهو جواب لسؤال نصه: ((ما هو المن والسلوى النازل على قوم موسى)).

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٧

(٣) الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٤٩٥(منن)، ابن منظور: لسان العرب مادة(منن)، المعجم الوسيط(المنُّ).

(٤) ينظر: الموقع على الإنترنت www.almaany.com quran

استعماله، وجاء ذكره في العهد القديم[١]، ومن أصنافه ترنجبين وجزنجبين وشيرخشت[٢]، وتعمل منه حلويات لطيفة في أصفهان وإيران والعراق.

وأما السَّلوى فاسم لطير شهي اللحم[٣]، ونزولهما كناية عن الإنعام عليهم بهما[٤]، من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس**﴾[٥]، فليس المراد إنزال الحديد على الأرض من السماوات العُلا[٦]، وإنما الإنزال كناية عن

---

(١) العهد القديم: سفر الخروج، (دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م، د.ط، د.م) الأصحاح السادس عشر: ٨٧

(٢) ذكر المفسرون واللغويون أنَّ منه الترنجبين دون غيرهما من النَّوْعَين الآخرين. ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٩٣، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٧٠، ابن منظور: لسان العرب مادة(منن) وغيرهم.

(٣) السجستاني: غريب القرآن: ١٠٧(السلوى)، الراغب الأصفهاني: المفردات غريب القرآن: ٢٤٩(سلا)، ابن منظور: لسان العرب مادة(سلا)، المعجم الوسيط(السلوى).

(٤) إنَّ المفسرين جميعهم قد ذكروا أنَّ من النِّعَم التي أنعم الله تعالى بها على بني إسرائيل هو(المنُّ) الذي هو نوع من الحلوى، و(السلوى) الذي هو نوع من الطائر، كما ذكرت آيات متعددة ذلك، وهذا ما كان أيام تيه بني إسرائيل، فـ(المنُّ والسلوى) كانا طعامًا أنزله الله تعالى عليهم نزولاً حقيقيًّا، وليس مجازًا، وكلام السيد الشهرستاني يُحتمل فيه أنَّ الله تعالى لم ينزل عليهم ذلك من السماء، وإنما هو موجود بينهم وقد هيَّأه الله لهم، وإنما استعمل لفظ(الإنزال) للعناية والاهتمام بالأمر، فإنْ صَحَّ هذا التوجيه لكلامه أو كان هو ما يقصده، فإنَّه توجيه منه لطيف جدًّا وإنْ لم نطَّلع على مثله للمفسرين؛ لأنَّ(المنَّ) هي الحلوى التي توجد على الأشجار كالعسل فتكون غذاءً، و(السلوى) هو طائر موجود كالطيور الأخرى، ولكنَّ الله سخَّرهما لهم أيام المحنة والشدة إنعامًا عليهم، وليس الإنزال كما يُفهم من الأعلى إلى الأسفل.

(٥) سورة الحديد: الآية ٢٥

(٦) في الأصل: العلى.

الإنعام به على أهل الأرض.[١]

* **المورد الخامس:**

قال[٢] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾.[٣]

[إنَّ الملامسة] كناية عن الجماع بألفاظ مؤدبة[٤]، بقرينة ما جاء في قوله تعالى[٥]: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾[٦]، فإنَّ المَسَّ هنا كناية عن الجماع بالإجماع[٧]، فغلط الشافعي إذ جعل المس واللمس في آية التيمم على معناه

---

(١) إنَّ المفسرين قد ذكروا أنَّ الله تعالى قد أنزل الحديد من السماء ٱعتمادًا على روايات في ذلك، وكذلك ذكروا أنَّه يمكن أنْ يكون المراد من الإنزال هو التهيئة والتنشئة من الأرض وهذا هو الأقرب للمعنى الحقيقي، والذي يرجحه السيد، فاستعمال لفظ(الإنزال) للعناية والاهتمام بالموضوع، لا ٱنطباق المعنى على لفظه حقيقة. للتفصيل في الأقوال ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٤٧٨، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٤٠١

(٢) مخطوط الحواصل ٥/ ١٨

(٣) سورة النساء: الآية ٤٣

(٤) إنَّ فقهاء أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام يذهبون إلى ذلك إجماعًا بلا خلاف، وقد أكَّد ذلك شيخ الطائفة الطوسي بقوله: ((وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ كناية عن الجماع لا غير، بدليل إجماع الفرقة عليه))، وأما غيرهم من المذاهب الأخرى فقد ٱختلفوا في ذلك على أقوال متعددة، وقد فصَّل الشيخ الطوسي ذلك ببيان تامٍّ. ينظر: الخلاف، تح: جماعة من المحققين في مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط) ١/ ١١٢-١١٤

(٥) في الأصل: بقرينة ما جاء في آية النساء.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٣٧

(٧) ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٢٧٢، الزمخشري: الكشاف ١/ ٣١٣، ←

اللغوي، فحكم بنقض الوضوء من لمس امرأة وإنْ كانت من المحارم.[(١)]

*** المورد السادس:**

قال[(٢)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾.[(٣)]

مما أفسد التفاسير القرآنية والحديثية أنهم أخذوا الكنايات العرفية فيها حقائق لغوية، مثل قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ فإنَّ العُرف يُكَنُّون عن فَوَران الغيظ وانتهاء الغضب بقولهم: فار التنُّور، وامتلأ إنائي، وانفجر البركان، وتفطَّر قلبي، وغلغل صدري، فاتخذه المفسرون حقيقة وقالوا: إنَّه كان هناك تَنُّورٌ[(٤)] يفور بالماء.[(٥)]

←

الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ١٢٥، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ١/ ٢٨٠، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١/ ٢٤٩

(١) الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م) ١/ ٢٩ عنوان(الوضوء من الملامسة والغائط).

(٢) أوراق مخطوطة ملحقة بمخطوط حديث مع الدعاة.

(٣) سورة هود: الآية ٤٠

(٤) في الأصل: تنورًا.

(٥) إنَّ أغلب التفاسير تشير إلى أنَّ المراد بـ(التنور) هو التنور المعهود والمعروف للناس، أي يتم تفسيره على الحقيقة، وقد ذكر بعضهم أنَّ المراد بقوله: ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ هو اشتداد الأمر الإلهي من دون ترجيحه على المعنى الأصلي المتقدم، ولكن عند مراجعة الأقوال الواردة في تفسير(التنور) واختلافهم فيه، وغرابة بعضها، نرى أنه يمكن القول: إنَّ ما يذهب إليه السيد الشهرستاني له وجهة راجحة، كما يقال عند الحرب: حمى الوطيس وقد أشار بعض المفسرين لحالة اشتداد المعركة في الحرب. للتفصيل ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٧٨، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ١٠٥، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٧/ ٣٤٦-٣٤٧، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٢/ ٢١٧

ومثل ما جاء في أنه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها [١]، أو جعلنا عاليها سافلها ، أو دمرناهم تدميرًا ، أو نحو ذلك مما يُكَنَّى [٢] به عن حدوث الفوضى في الأمة، وموتها الاجتماعي. [٣]

* **المورد السابع:**

قال [٤] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾**. [٥]

قد عرفت أنَّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا، ففي سورة الإسراء [٦] [قوله تعالى:]

---

(١) إشارة إلى الأحاديث الواردة في وجوب وجود الإمام المعصوم حجة لله على عباده في الأرض، ففي الحديث: ((عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله[الصادق]عليه السلام: أتبقى الأرضُ بغيرِ إمامٍ؟ قال: **لو بقيتِ الأرضُ بغيرِ إمامٍ لساخَتْ** [أي ٱنخسفت بأهلها وذهبت بهم])). الكليني: الكافي ١/ ١٧٩ باب(إنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة) ١٠ وقد ذكر ثلاثة عشر حديثًا في ذلك.

(٢) في الأصل: يكنا.

(٣) تعبير مهم من السيد الشهرستاني بـ(الموت الاجتماعي) وذلك عند حدوث الفوضى في المجتمع على ٱختلاف أشكالها، ومَنْ يقرأ سيرته الإصلاحية يرى معاناته الكبيرة من موت المجتمع، وعدم ٱهتمامه بدعوات المصلحين، وأنَّ لهذا الموت أثرًا بالغًا في التأخر والتقهقر، وهذا مصداق لقوله تعالى لإصلاح الأمة، وبعثها من موتها: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾**. [سورة الرعد: الآية ١١]

(٤) الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط فوائد هبة الدين٥/ ٩٤، الشهرستاني، هبة الدين: مخطوط مختارات هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة): ٣٨

(٥) سورة الإسراء: الآية ٢٩

(٦) في الأصل: سورة إسرائيل. وهو اسم من أسماء السورة، وقد ثبَّتنا ما موجود في المصاحف اليوم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ يؤدِّبُ الله الإنسان على اعتداله في صرف ماله، بحيث لا يبخل بماله في سبيل الخير، ولا يسرف في الصرف[1]؛ إذ عاقبة البخل الذل، فجاءت مغلَّة اليد كناية عن البخل، كما جاءت مبالغة بسط الكف كناية عن السرف في الصرف[2]، وهما معًا مكروهان[3]، ومذكوران لا على سبيل الحقيقة بالإجماع، فليس المنهي عنه بسط إليه، وسبيل هذه الآية سبيل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[4]، فظاهر منها إرادة البخل من مغلة اليد، وكذا الإنعام من بسطها على سبيل التمثيل والكناية.

---

(١) قال الشيخ النراقي: ((البخل هو الإمساك حيث ينبغي البذل. والإسراف هو البذل حيث ينبغي الإمساك. وكلاهما مذمومان، والمحمود الوسط وهو الجود والسخاء)). محمد مهدي: جامع السعادات، تص و تع: السيد محمد كلانتر، تق: الشيخ محمد رضا المظفر، (مط الآداب، النجف، ط٤، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م) ٢/ ١١٢

(٢) في الآية كنايتان، تتمثل الأولى في البخل، والثانية في الإسراف، وفي ذلك صورة بلاغية عظيمة أراد القرآن أنْ يعرض من خلالها حالتين مكروهتين من أحوال الإنسان في تصرفه بالأموال، وهذا ما أشار إليه العلماء والمفسرون في مؤلفاتهم. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ٤٧٠، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٦٢٠ وغيرهما من التفاسير.

(٣) لقد أكدَّت الشريعة المقدسة على كراهة البخل والإسراف، وأنْ يكون حَدُّ اعتدال بين الإفراط وهو البخل والتفريط وهو الإسراف، وقد ناقش ذلك علماء الأخلاق في مؤلفاتهم وما يتعلق بذلك وأثره على النفس وتهذيبها، فضلاً عن الروايات الواردة في ذلك. للتفصيل ينظر: النراقي: جامع السعادات ٢/ ١١٢، الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م) ٢/ ٢٣٧

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤

*** المورد الثامن:**

قال[١] في قوله تعالى: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾.[٢]

ينبغي لتنزيه "مريم" وطهارة مولد ولدها "عيسى"، أنْ يعمد القرآن على أوضح التعابير التي لا يبقى معها أدنى شك، فلو قال: (أحصنت نفسها) أو نحو ذلك، لجاز للمُرتاب أنْ يقول: نعم، هي حفظت نفسها عن الموت، أو الجرح، أو السبِّ، لكنما في التعبير القرآني[٣] مجرَّد عن كُلِّ ريب.

فإنْ قلت: هذا التوجيه وجيه في مريم ولا يتجه في فاطمة ، إذ يقول أبوها[ﷺ]: (**إنَّ مريم ابنة عمران أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريَّتها على النار، وكذلك ابنتي فاطمة أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريَّتها على النار**)[٤]، بينما لم يحم[٥] حول هذه أدنى ريبة، ولا أقلَّ قولة، ولا هذا من امتيازات الزهراء على النساء.[٦]

---

(١) مخطوط مهمات ١١/ ١٢٩ وهو جواب لسؤال نصه: ((كيف يصرِّحُ القرآن باسم الفرج وباب مدخل الرحم، حينما القرآن يستعمل الكنايات البعيدة تأدُّبًا في أمثال هذه الموارد)).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩١

(٣) أي قوله تعالى: ﴿**أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾.

(٤) بعد مراجعتنا لموسوعات الأحاديث الشريفة لم ترد رواية بهذا النص تقارن بين مريم وفاطمةعليهما السلام، وإنما ورد عن النبيﷺ قوله: ((**إنَّ فاطمةَ أحصنَتْ فرجَها فحرَّمَ اللهُ ذُرِّيَتَها على النارِ**)). الشيخ الصدوق: معاني الأخبار، تص: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط): ١٠٦، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٥٢

(٥) هكذا في الأصل. أي: يحوم.

(٦) إنَّ السيد يقصد بعدمية الامتياز من ناحية أنَّ فاطمةعليها السلام كانت قد تزوَّجت فأنجبت بذلك ←

قلت: إنْ صَحَّتِ الرواية[١] فالهدف فيها مجرد المشابهة والمساواة في المقام[٢]، لا في عموم المنزلة.

*** المورد التاسع:**

قال[٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾**.[٤]

إنَّ السجود في الآية الشريفة[٥] كناية عن الخضوع لنواميسه، وإطاعته التكوينية.[٦]

→

ذرية، أما مريم عليها السلام فلم تتزوج مطلقًا ومع ذلك كانت لها ذرية، قال الزمخشري: ((أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا إحصانًا كُليًّا من الحلال والحرام جميعًا كما قالت: **﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾** [سورة مريم: الآية ٢٠])). تفسير الكشاف ٣/ ١٣٤

(١) إنَّ قوله هذا يدل على عدم جزمه بصحة الرواية، ولم يتحقق منها سندًا أو متنًا، وقد ذكرنا فيما تقدم عدم وجود رواية بهذا النص، ولكن مع ذلك فالمضمون متحقق في المقام بينهما.

(٢) والمراد أنَّ التشابه في جوانب متعددة من مقامهما، فـ"مريم" عليها السلام كانت سيدة نساء عالَمِها، وفاطمة عليها السلام هي سيدة نساء العالمين، و مريم كانت وعاءً لحجة الله في الأرض عيسى عليه السلام، وفاطمة كانت وعاءً لحُجَّتَي الله في الأرض الحسن والحسين عليهما السلام، وغير ذلك من تشابه المقامات كما بيَّنت الروايات الشريفة.

(٣) مخطوط الحواصل ٥/ ١١٠

(٤) سورة الحج: الآية ١٨

(٥) في الأصل: فسر في سورة الحج آية (ألم تر أنَّ اللهَ يسجدُ له) إلى قوله (والشجر والدواب إلخ...) فالسجود هذا كناية عن الخضوع لنواميسه وإطاعته التكوينية.

(٦) إنَّ الآية الشريفة تؤكد المعنى اللغوي للسجود، وهو الخضوع والتذلل والتواضع، والاصطلاحي له بوضع الجبهة على الأرض خضوعًا لله تعالى وهو ما يقوم به الإنسان، وقد أكَّد ذلك جميع المفسرين وإنْ لم يذكروا لفظ (الكناية)، ولكنه ظاهر من تفسيرهم،

←

*** المورد العاشر:**

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾.[٢]

إنَّ ﴿**هَوْنًا**﴾ في الآية الشريفة[٣] بمعنى (...)[٤]، كناية عن عُشَّاق السلام العام.[٥]

*** المورد الحادي عشر:**

قال[٦] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا**

←

ولهم فيه تفصيل، فما ذكره السيد وجيه، وفي محله، ولا سيما تعبيره بـ(الطاعة التكوينية) التي تشمل المخلوقات كلها، وإنَّ ٱستعمال القرآن الكريم للفظ(السجود) فيه غاية الدقة في ٱمتثال المخلوقات وخضوعها لخالقها، سواء أكان ذلك ظاهرًا، أم غير ظاهر.

(١) مخطوط الحواصل ٢/ ٢٢٤

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣

(٣) في الأصل: فسر آية (وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً إلخ) بأنَّ هون بمعنى( ) كناية عن عشاق السلام العام.

(٤) كلمة غير معلومة.

(٥) إنَّ الآية الشريفة تذكر صفات فئة خاصة من الناس، وقد أُطلق عليهم (عباد الرحمن) عناية بهم؛ لِما هم عليه من تلك الصفات التسع التي وصفها القرآن الكريم، وكانت أُولاها التذلل والخضوع والسكينة والاطمئنان، كما أشار إليها المفسرون، وبما أنَّ مَنِ ٱتَّصف بهذه الصفات في نفسه والمجتمع فهو ممن يدعو للسلم والأمان، وفي ذلك دعوة للإصلاح والسلام في المجتمع من خلال أولئك، ولَمَّا كانت دعوة القرآن عالمية فيمكن أنْ يكون ذلك تعبيرًا عن السلم والأمان العالمي الذي يدعو إليه الله تعالى البشرية، فالسيد الشهرستاني يرى -وهو الواقع- أنَّ القرآن كتاب إصلاح وهداية للبشرية كلها، وأمن وسلام ويمكن جمع العالم تحت ظله.

(٦) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ٢٧٢ وهو جواب لسؤال نصه: ((ما معنى آية

←

يَسْتَطِيعُونَ﴾.[(١)]

أجمع أهل العلم على أنَّ القرآن يجري مجرى بلغاء العرب، في تحسين كلامه بمزايا الإطناب والإيجاز، وباستعمال التشبيه والكناية والمجاز، والبلاغة العربية تستعمل كشف الساق كناية عن وضوح الأمر تارة، وعن صعوبته أخرى[(٢)]؛ لأنَّ السالك إذا اعترضه طين[في] طريق، أو غمرة ماء استقبل أَوْحَالَهَا بتشمير ثيابه عن ساقيه، حتى تسهل عليه العبرة، ولمَّا كان القرآن قصده تهديد العصاة، ألمع[(٣)] إلى صعوبة مسلكهم في الحياة الأخرى، واعتراضهم الشدائد في عبرتهم.[(٤)]

وكذلك يأتي كشف الساق كناية عن [الـ]وضوح[(٥)]، فإنَّ عرب الحجاز كثيرًا ما

←

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾)).

(١) سورة القلم: الآية ٤٢

(٢) لقد ذكر العلماء أنَّ الآية الشريفة تبين حالة الشدة التي يمر بها الإنسان عمومًا، والكافرون يوم القيامة خصوصًا، بل تعد من الألفاظ التي تستعمل في كلمات العرب ومنها في الحرب لشدتها، وأشعار العرب دليل على ذلك، وليس المراد بها حقيقة الساق وهي الجارحة. ينظر: ٱبن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت): ٨٨، الفراء: معاني القرآن ٣/ ١٧٢، النيسابوري: وجوه القرآن: ٣٢١

(٣) أي أَشار، وقيل: أَشار لِلإِنذار. ٱبن منظور: لسان العرب مادة(لمع).

(٤) قال الشيخ الطوسي في تفسيره: ((فالمعنى يومَ يشتدُّ الأمرُ كما يشتدُّ ما يُحتاجُ فيه إلى أنْ يقومَ على ساقٍ، وفي الدعوةِ للسجودِ توبيخٌ لهم على أنَّ شدةَ الأمرِ وصعوبةَ الحالِ تدعوهُم إلى السجودِ)). التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٨٧

وفي ذلك إيحاء نفسي إلى شدة ذلك الموقف وهوله يوم القيامة، وما فيه من عظمة العذاب، كما وصف الله تعالى ذلك في آيات متعددة منها قوله عزوجل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾. [سورة الفجر: الآيتان ٢٥-٢٦]

(٥) ينظر: المفيد: تصحيح الاعتقاد: ٢

كانوا يساومون البيع على الجواري، فيكشفون عن ساقهنَّ قبل الشراء أو بعده؛ ليعرفوا محاسنها من عيوبها والمساوىء، ولما كان العصاة تتضح لديهم الحقائق في الآخرة، وتُبلى السرائر، وتنجلي عليهم الضمائر، صار استعمال كشف الساق بطبع الحال واقعًا في أحسن مواقعه.

فلا تدل الآية على تجسيم الله تعالى، أو تشبيهه بخلقه في أعضائه، ولا ضرورة للناس أنْ يؤوِّلوا[1] ذلك بالساق المناسب لشأنه، تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.[2]

---

(١) في الأصل: يؤلوا.

(٢) إنَّ السيد يشير إلى تلك الآراء التي تقول بتجسيم الله تعالى، جمودًا على ظواهر بعض الآيات التي تشير إلى الجوارح، فضلاً عن روايات مختلقة في ذلك، بل أدى الافتراء بهم إلى تحديد الساق اليمنى لله تعالى، وهذا ما رواه مقاتل بن سليمان في تفسير الآية في أحد قوليه عن ٱبن مسعود ، إذ قال: ((يعني فيضيءُ نورُ ساقهِ، وذلك قوله: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾ [سورة الزمر: الآية ٦٩] يعني نورَ ساقهِ اليمين)). تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة و تح: الدكتور عبد الله محمود شحاته، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ٤/ ٤٠٩، وقد رَدَّ الزمخشري ذلك بقوله: ((وأما مَنْ شبَّه فلضيقِ عطنهِ، وقِلَّةِ نظرهِ في علمِ البيانِ، والذي غَرَّهُ حديثُ ٱبنِ مسعودٍ: يكشفُ الرحمنُ عن ساقهِ...)). تفسير الكشاف ٤/ ٥٩٨

وكذلك رَدَّ الفخر الرازي ذلك بقوله: ((والقول الرابع: وهو ٱختيارُ المشبهَةِ أنَّهُ ساقُ الله، تعالى اللهُ عنه، روي عن ٱبنِ مسعودٍ عنه عليه الصلاة والسلام..، وٱعلمْ أنَّ هذا القولَ باطِلٌ لوجوهٍ)). التفسير الكبير ٣٠/ ٦١٣-٦١٤

أما الرواية التي ذكرها البخاري في كتابه حول ساق الله تعالى فهي: ((عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ رضى الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه[وآله] وسلم يَقُولُ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)) ٨/ ١٨٢ وذكر مثلها غيره.

* **المورد الثاني عشر:**

قال[١] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.[٢]

قال أهل البيان كما في باب العلم من[كتاب] المطول عدل عن اسمه إلى لقبه للكناية عن أنه جهنمي.[٣]

أقول: يخطر ببالي وجهٌ، ولعله أَوْجُهٌ[٤]، وهو أنَّ اسمه لَمَّا كان عبد العزّى كره الله تعالى أنْ يسميه بذلك الاسم المكروه عند أهل الحق؛ لما فيه من إثبات العبودية للصنم وهو باطل[٥]، أو أنه لاشتهاره بهذه الكنية دون اسمه[٦]، أو بأنَّ ذكر اللهب يناسب في إضرامه نيران الفتن والفساد[٧]، أو أنه يناسب عمل زوجته من إضرامها النار في طريق رسول الله ﷺ[٨]، أو أنه يناسب ما بعده من ذكر الحطب وهو نوع من البديع، أو أنه لملاحظة الرَّوِيِّ في السورة(...)[٩]، والكل محتمل.[١٠]

---

(١) مخطوط نتائج الحلوم: ٦٣

(٢) سورة المسد: الآية ١

(٣) التفتازاني، مسعود بن عمر: المطوَّل، تح: د. عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م): ٢١٧

(٤) وهي أوجه ستة محتملة في الآية الشريفة، منها ما ذكرها المفسرون قبله، ومنها ما لم يذكره أحد، وسوف يبين ذلك.

(٥) ذكر هذا المعنى الطبرسي في أحد الأقوال. مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٤٧٦

(٦) ذكر هذا المعنى الزمخشري و الطبرسي في أحد الأقوال. تفسير الكشاف ٤/ ٨٢٠، مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٤٧٦

(٧) ذكر قريب من هذا المعنى الزمخشري في أحد أقواله. تفسير الكشاف ٤/ ٨٢٠

(٨) إنَّ هذا الوجه الرابع واللذين بعده لم يذكرها أحد من المفسرين على وفق ٱستقرائنا للتفاسير المشهورة.

(٩) كلمة غير معلومة، ولعلها فتأمل .

(١٠) إنَّ المفسرين قد ذكروا أوجه متعددة في ذلك، فذكر الزمخشري ثلاثة أوجه، وذكر ←

المبحث الرابع: علم البديع

المطلب الأول/ المحسنات المعنوية.

● **أولاً: المشاكلة والمقابلة.**[(١)]

إنَّ المشاكلة والمقابلة هما من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمن القرآن الكريم هذين النوعين في نظم آياته؛ للتأكيد على مجاراته وتحديه للغة العرب، والسيد الشهرستاني قد أشار إشارة إجمالية إلى ذلك في مخطوطاته، وقد جمعت في(موردين)، بيَّن فيه أثر هذين النوعين على المتلقي، فضلاً عن ذكر عددٍ من الآيات الشريفة وردت في ذلك.

❊ **المورد الأول:**

قال[(٢)]: جرت محاورات البلغاء على المشاكلة بالمقابلة في الكلمات، وقد تسمى المزاوجة[(٣)]، فيؤتى بلفظ من جنس لفظة قبلها وإنْ لم تكن بمعناها[(٤)] من جميع الجهات، بل

←

الطبرسي ثلاثة أوجه باختلاف واحد عما تقدم، أما الفخر الرازي فذكر كلام الزمخشري كله، وأما غير هؤلاء من المفسرين فقد ذكروا نص هذه الأوجه أو مثلها. الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٨٢٠، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٤٧٦، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٣٢/ ٣٥٠

(١) لقد جمعتُ المشاكلة والمقابلة في عنوان واحد؛ لأنَّ السيد الشهرستاني ذكر ذلك في المورد المراد تحقيقه، وإنْ كانا موضوعَيْنِ منفصلَيْنِ في علوم البلاغة.

(٢) مخطوط جمهرة العلوم القرآنية: ٤٦

(٣) المزاوجة وهو أنْ يساوي بين معنيين في الشرط والجزاء. الخطيب القزويني: الإيضاح في معاني البلاغة: ٢٦٥، وينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٨٢

والعلماء لم يطلقوا على المشاكلة المزاوجة كما ذكر السيد، بل كُلٌّ له تعريفه ونوعه.

(٤) في الأصل: بمهناها.

يقنعون فيها ببعض المناسبات كقولهم: (دِنَّاهُمْ كَمَا دانُوا)[١]، فإنَّ الأولى حقيقة والثانية مجاز[٢]؛ لأنَّ الذين بدؤوا بالسيئة[٣] لم يكونوا قد دانوا إلا بضرب من المجاز[٤]، كذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾[٥]، فإنَّ السيئة الثانية لا تكون إلا بالتجوُّز[٦]، قال[٧] عمرو بن كلثوم:

---

(١) صدر بيت من قصيدة للشاعر شهل بن شيبان المعروف بـ(الفِنْد الزماني) قالها في حرب البسوس ومنها:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذَهْلٍ	**وَقُلْنَا القَوْمُ إِخْوَانُ**
عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يُرْجِعْـ	**ـنَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا**
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ	**فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ**
وَلَمْ يَبْقَ سُوى العُدْوَا	**نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا**

المرزوقي، أحمد بن محمد شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تع: غريد الشيخ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م): ٢٧

(٢) في الأصل: مجازًا.

(٣) في الأصل: الذي بادءوا بالسئة.

(٤) قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي: ((وأما قوله: دِنَّاهم كما دانوا، والأولُ ليسَ بجزاءٍ، فهذا لميلِهِمْ إلى المطابقَةِ والموافَقَةِ، وإخراجِ اللفظِ في معرضِ صاحبِهِ؛ ليعلمَ أنَّهُ جزاؤُهُ على حَدِّهِ وقدرِهِ، أو ٱبتداؤُهُ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ [سورة النساء: الآية ١٤٢] وما أشبهه)). شرح ديوان الحماسة: ٢٩

(٥) سورة الشورى: الآية ٤٠

(٦) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٧/ ٥١٠، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨

(٧) في الأصل: قول.

أَلا لا يَجْهَلَــــنَّ أَحَــــدٌ عَلَيْنــــا فَنَجْهَــلُ فَــوْقَ جَهْــلِ الجَاهِلِينَــا[١]

فإنَّ الجهل هنا بمعنى الاعتداء بلا سبب، ولا يكون الجهل الثاني بهذا المعنى، فهو مجاز.[٢]

وعلى هذا المبنى يُبنى الجواب عن آياتٍ في الكتاب:[٣]

- في [سورة] البقرة ﴿**اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾.[٤]
- وفي [سورة] النساء ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾.[٥]
- وفي [سورة] الأنفال ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾.[٦]

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم: جمع وشرح وتح: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م): ٧٨

وهو من قصيدة يقول فيها:

إذا مَــا الملْــكُ ســامَ النَّــاسَ خَسْــفًا أَبَيْنَــا أَنْ نُقِــرَّ الخَسْــفَ فِينَــا

أَلا لا يَجْهَلَــنْ أَحَــدٌ عَلَيْنــا فَنَجهَــلَ فــوقَ جَهْــلِ الجاهِلينَــا

وَنَعْــدُو حَيْــثُ لا يُعْــدَى عَلَيْنَــا وَنَضْــرِبُ بِــالمواسِي مَــنْ يَلينَــا

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠٨

(٣) إنَّ السيد الشهرستاني ذكر آيات سبع أمثلة على الموضوع، والقرآن فيه آيات كثيرة متعددة.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٨٠، الزمخشري: تفسير الكشاف ١/ ١٠٤

(٥) سورة النساء: الآية ١٤٢، ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣/ ٢٢١، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١١/ ٢٤٨

(٦) سورة الأنفال: الآية ٣٠، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ١٠٩، الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٥/ ٧٨

- وفي [سورة] التوبة ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[(١)]
- وفي [سورة] الرعد ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾.[(٢)]
- وفي [سورة] النمل ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.[(٣)]
- وفي [سورة] الطارق ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.[(٤)]

* **المورد الثاني:**

قال[(٥)] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[(٦)]

القرآن قابل استهزاء المنافقين باستهزاء الله بهم من باب المشاكلة في مقابلة الكلمة بمثلها، وهو ضرب من البلاغة عند الأمم، نحو: كما تُدين تُدان، ودنَّاهم كما دانوا،

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٩، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٦٧، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٩٦

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٢، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ٢٦٧، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٥٣

(٣) سورة النمل: الآية ٥٠، ينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٣٩٢، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٤/ ٥٦١

(٤) سورة الطارق: الآيتان ١٥-١٦، ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٢٧، أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٨/ ٤٥١

(٥) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة تحت عنوان(المشاكلة في الاستهزاء وتوجيه الاستهزاء الإلهي).

(٦) سورة البقرة: الآيتان ١٤-١٥

فالدينونة في الثاني مجاز حسَّنها التشاكل، [وقوله تعالى:] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[(١)]، غير أنَّ الإشكال في نسبة طلب الهزؤ لله المتعال، والجواب عنه وعن أمثاله ما مَرَّ في آية ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[(٢)] أي: إنَّه سبحانه يصنع صنع المستهزىء بهم، فيكشف أسرارهم، ويحطُّ أقدارهم، ويحبط مساعيهم، أو يمهلهم ويمدُّهم في طغيانهم، حتى إذا أَمِنوا عذابه نَكَّل بهم على غَرَّة، وأسقطهم في هُوَّة سحيقة من الذل والبوار، وإلى الدرك الأسفل من النار.

- **ثانيًا: المبالغة.**

إنَّ السيد الشهرستاني قد ذكر ما يتعلق بالمبالغة وأثرها في بلاغة الآيات القرآنية في عدد من مخطوطاته، فهو يرى أنَّ المبالغة من أهم أساليب البلاغة التي تضمنها القرآن الكريم في تَحَدِّيه الآخرين بأنْ يأتوا بمثله، فضلاً عن اشتهاره في كلام العرب، وقد تضمَّنت السُّنَّة الشريفة ذلك أيضًا، فيقول: ((أرى جوازَ المبالغةِ في كتابِ الله وسنةِ نبيهِ وكلماتِ الأئمةِ عليهم السلام، بدليلِ أنَّ المبالغةَ من محسناتِ النظمِ والنثرِ، ومن شواهدِ البلاغةِ، وبدليلِ كثرةِ المجازِ والاستعارةِ في الآياتِ والرواياتِ))[(٣)]، وقد جمعت في موارد(سبعة).

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠ وقد ورد في الأصل: راجع أصول تفسيرنا ص٤٦ ولكن لم نحصل على تفسير يتعلق بالآية الشريفة.

قال الدرويش في بلاغة الآية: ((جناس المزاوجة اللفظي، فإنَّ السيئة الثانية ليست بسيئة، وإنما هي مجازاة عن السيئة، سُمِّيَت باسمها لقصد المزاوجة، وبعضهم يعبِّر عنها بالمشاكلة)). إعراب القرآن الكريم وبيانه ٧/ ٤٧

(٢) سورة البقرة: الآية ٩ قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة في المورد الثاني من المجاز

(٣) مخطوط مهمات ٥/ ٢٢–٢٥ لقد ذكر عددًا من الروايات الشريفة التي يرى أنَّ فيها من أساليب المبالغة، ولم نذكرها لعدم علاقتها بالقرآن الكريم.

المورد الأول:

قال[(١)]: اعتقاد جمهور المفسرين أنه لا توجد في آي القرآن مضامين مبُالغ فيها، زعمًا منهم أنَّ المبالغة نوع من الكذب في كلام الله، [وهو] منزه منه، غير أنهم أخطأوا في عَدِّ المبالغة من أقسام الكذب، ولو عُدَّت من الكذب[(٢)] لكانت المجازات العقلية واللغوية والاستعارات والكنايات [كذلك]، ولو نزلنا عن المبالغة لوجب تنزيهه من كُلِّ هذه، وتجرَّد القرآن عندئذٍ من أثواب[(٣)] البلاغة، وليس شيء من هذه التوالي بصحيح.[(٤)]

إنَّ مَنْ عَدَّوا[(٥)] المبالغة من أقسام الكذب قد بالغوا في تفسير حقيقة الكذب، حتى أخرجوها عن حدودها، وجَرَّدوها عن قيودها، فإنَّ من حدود الكذب كون الكلام دالاً على خلاف الحق[(٦)]، وليس المجاز والمبالغة دالاً على خلاف الحق، [فهي] باقية نحو إيهام، وذلك الإيهام غير خفي على سامعيه، مثاله إنَّ قولك: (جاءني أسد يرمي، أو رأيت أسدًا في الحمام) لو كان مقولاً باعتقاد الحكم على الحيوان المفترس، أو بقصد إفهام ذلك للسامعين، أو مع العلم بأنَّ سامعيه لا يفهمون منه سوى ذلك، كان لعدِّه من الكذب وجهًا، أما علم القائل بأنَّ المتكلم والمخاطب لا يقصدان منه سوى الرجل

---

(١) مخطوط فوائد هبة الدين ٥/ ١٤٤-١٤٦

(٢) في الأصل: ولو عد الكذب.

(٣) أثواب جمع ثوب. الفراهيدي: العين(ثوب).

(٤) في الأصل: بصح.

(٥) في الأصل: عدو.

(٦) قال الجرجاني: ((الصدق هو مطابقة الحكم للواقع، والكذب ضده)). التعريفات: ٥٨، وقال الشيخ النراقي: ((الكذب أي الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه)). جامع السعادات ٢/ ٣٢٨

الشجاع بضميمة تشبيه، أو(...)[1] إلى الحيوان المفترس، فلا تماس بينه وبين الكذب، كذلك المبالغة.

أترى أنَّ الحسين السبط عليه السلام لما قال لولده عن حرب أعدائه: فاضت الأرض بالدماء منا ومنهم، هل قصد حقيقة فيضان الأرض بالدم، أو هل فهم مخاطبه هذا المعنى، لتمنى الكذب على الإمام والعياذ بالله ، كلا بل عرف المخاطب مبالغة المتكلم لتعظيم الخطب، وليس شيوع المبالغات في كلام البلغاء والشعراء والعلماء والأولياء فحسب، بل كثير أيضًا في كلام الأنبياء في كتبهم السماوية، إذن فلا بِدْعَ أنْ أتى القرآن بها، فإنَّ القرآن أبلغ كتاب، وينحو سنن البلاغة، وضربًا من محاسن الكلام.

[ومن تلك الآيات قوله:] ﴿**خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾[2] فسواء كانت (من) بيانية أو(...)[3]، أو غيرهما، فلا يتم، فظاهرها المبالغة في ميل الإنسان إلى استقبال الكمال عن استعجال.

ومنها آية ﴿**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[4]، فإنَّ بلقيس أو ملكة سبأ لم تَكُ مالكة من مخلوقات الله إلا بعضها، ولم تَكُ قد أوتيت كثيرًا من الأشياء، ولكن الكلام مبالغة.[5]

---

(١) كلمة غير معلومة.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧

(٣) كلمة غير معلومة.

(٤) سورة النمل: الآية ٢٣

(٥) ذكر الشيخ الطوسي أنَّ الآية في مقام المبالغة فقال: ((أُعطيَتْ كُلَّ شيءٍ، لفظُهُ لفظُ العمومِ، والمرادُ به المبالغَةُ في كثرةِ ما أُوتيت من نِعَمِ الدنيا، وسعةِ الملكِ، وقيل: إنَّها أُوتيت كُلَّ شيءٍ يُؤتى الملوك)). التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٨٩، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٣٧٦

وفي آية: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[١] هو نظير كـ(فَرْوَتِهم)[٢] باطنها حاجتهم الخشناء، وظاهرها عقيدتهم الحسناء.

*** المورد الثاني:**

قال[٣]: قد فَصَّلْتُ القول في مختاراتي وفي الدلائل[٤] وغيرها أنَّ المبالغة من فنون البلاغة، ويستحسنها بلغاء الأمم عمومًا، وبلغاء العرب خصوصًا، والقرآن يستعمل سنن البلاغة المشروعة لدى البلغاءكخطيب، وقد تعدد في القرآن مورد استعمال المبالغة، كما في[٥] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾[٦]، وقوله تعالى:[٧] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٨]، وقوله تعالى:[٩] ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١٠]، فذلك

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٣

(٢) الفَرْو والفَرْوَةُ الذي يلبس، فإذا كان الفرو ذا الجبة يسمى الفروة. ابن منظور: لسان العرب مادة(فرا).

(٣) مخطوط الدلائل والمسائل ٥/ ٧٠، وهو جواب سؤال نصه: ((هل يشتمل القرآن على المبالغات)).

(٤) إشارة إلى الكتابين المخطوطين (مختارات هبة الدين، والدلائل والمسائل) وهما موجودان في خزانة مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي الشريف.

(٥) في الأصل: كما في آية الأنعام (ثمرات كلشى).

(٦) سورة القصص: الآية ٥٧

(٧) في الأصل: وآية بلقيس (وأوتيت من كلش).

(٨) سورة النمل: الآية ٢٣

(٩) في الأصل: وآية يس.

(١٠) سورة يس: الآية ٣٠

مبالغة، وليس في الحقيقية كُلُّ العباد يستهزؤن بالرسول، ولا كُلُّ رسول نال الاستهزاء من عامة أمته.(١)

*** المورد الثالث:**

قال(٢): يخال البعض عدم وجود المبالغة في آيات الذكر الحكيم(٣)، بزعم أنها ضرب من الكذب، والقرآن منزَّه عنه، وقد دَحَضنا هذه الشبهة وأثبتنا أنَّ سبيل المبالغة في هذا الشأن سبيل الاستعارات والكنايات، فيغتفر فيها من مخالفة الحقيقة طلبًا للبلاغة، وإنَّ قرائن الحال تكفلت بيان الحقيقة.

وإليك بعض الآيات التي تظهر فيها المبالغة في بادىء النظر، ومنها ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾(٤)، في حين أنَّ الآجال قد تتأخر بالصدقة، أو صلة الرحم أو غيرهما.(٥)

---

(١) إنَّ الآية الشريفة ليست في مقام بيان المبالغة بقدر بيان ما يتعلق بطبيعة المجتمعات في تعاملها مع الأنبياء الذين بُعِثوا إليهم، فأغلبهم كانوا يحاربون أنبياءهم ويقتلونهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى عداء الأمم لأنبيائها، وخصوصًا بني إسرائيل، فضلاً عن ذلك فإنَّ إطلاق لفظ ﴿**العِبَاد**﴾ تحتاج إلى بيان ما يتعلق بها، قال الفخر الرازي: ((الألف واللام في ﴿**العِبَاد**﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: للمعهود وهم الذين أخذتهم الصيحة فيا حسرة على أولئك. وثانيهما: لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين)). التفسير الكبير ٢٦/ ٢٦٩ وفي الحالين ينطبق عليهم الاستهزاء ويصدر منهم حقيقة وليست مبالغة.

(٢) مخطوط الحواصل ٥/ ١٠٩

(٣) في الأصل: آية ذكر الحكيم.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣٤

(٥) وفي ذلك إشارة للأحاديث الشريفة الواردة في فضل الصدقة وصلة الرحم، وآثارهما في زيادة العمر، وتغيير الأجل.

←

- ومنها في سورة يوسف ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[(١)]، بينما الحقيقة جرحهنَّ جلود أيديهنَّ.[(٢)]
- ومنها في سورة الحج ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾.[(٣)]
- ومنها آية ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.[(٤)]

→

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((البِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنْفِيَانِ الفَقْرَ، وَيَزِيدَانِ في العُمْرِ، وَيَدْفِعَانِ تِسْعِينَ مِيتَةَ السُّوءِ)). الكليني: الكافي ٤/ ٢ باب (فضل الصدقة) الحديث ٢، وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ((صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الجُوَارِ يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ)). المصدر نفسه ٢/ ١٥٢ باب(صلة الرحم) الحديث ١٤

(١) سورة يوسف: الآية ٣١

(٢) قال الزمخشري: ((أي: جَرَحْنَها، كما تقول: كنتُ أقطعُ اللحمَ فقطعتُ يدي، تريد: جرحتها)). تفسير الكشاف ٢/ ٤٣٨

(٣) سورة الحج: الآية ٢

إنَّ الآية الشريفة بصدد بيان علامات القيامة، ويمكن حملها على الحقيقة لما في ذلك اليوم من هولٍ عظيم، كما تصفه الآيات والروايات، فالخوف مما سيراه الإنسان فيترتب عليه ذلك، على الرغم من العلاقة المادية والمعنوية الوثيقة بين المرضعة ورضيعها، والحامل وحملها، ولكن يمكن حمل الآية على ضرب من ضروب البلاغة في تقريب المعنى العظيم لذلك اليوم وشدته. ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٦/ ٣٢٥، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٧/ ٣٤١

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩

إنَّ في الآية الشريفة إشارة إلى مقام علم الله تعالى المطلق على ما سواه، فهو مطلق غير
←

- ومنها آية ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[(١)]، ثم يقول [تعالى]: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[(٢)]
- ومنها [آية] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(٣)]، مع وجود الشفاعة والتوبة والعفو والرحمة.[(٤)]

→

متناهٍ، والبحر على عظمته فهو محدود بالنسبة له، وحملها على الحقيقة أَولى من حملها على المبالغة، على الرغم من وجود حرف (لو) الذي هو ٱمتناع لوجود.

(١) سورة الأنفال: الآية ٩

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٠

لقد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة، ولكن لا نعلم ما سبب رؤية السيد الشهرستاني أنَّ الآية في بيان ضرب من المبالغة دون الحقيقة، والتفاسير كلها تؤكِّد هذا المعنى الحقيقي في نصر الله تعالى للنبي بالملائكة، فهل يقصد المبالغة في أصل الموضوع من حيث نصر الملائكة للمؤمنين، أم من حيث العدد وهو الألف، فالمفسرون ذكروا ما يتعلق بالموضوع والعدد على وفق الروايات التفسيرية. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ١٩١، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٣٧

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٨

(٤) إنَّ الآية الشريفة في مقام بيان عدم ضياع أي عمل يعمله الإنسان يوم القيامة مهما كان صغيرًا، وهذه حقيقة وليست مبالغة، فالحساب سيكون على وفق ذلك يوم القيامة ٱبتداءً لا ٱنتهاءً، لوجود موارد العفو والرحمة يومذاك، فضلاً عن الشفاعة التي أكَّدت الشريعة المقدسة عليها، أما لو كان السيد يقصد أنَّ الإنسان مع توبته في الدنيا وقبولها فلماذا يرى أعماله السيئة في الآخرة باقية ففي ذلك كلام، ولا أظن أنَ هذا ما يريده وهو المتدبِّر لكلام الله تعالى فيما يتعلق بمحو السيئات في موارد التوبة مطلقًا، وفي تبديلها حسنات في موارد أخرى.

[وذكر السيد آيات أخرى منها]:[١]

- [آية] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.[٢]
- وآية ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾.[٣]
- وآية ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٤]
- وآية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.[٥]

*** المورد الرابع:**

قال[٦]: سبق بيان اختياري استعمال القرآن جميع تفننات البلغاء، وأنه لا يترك من محاسن أساليب البلاغة شيئًا، ومن جملة ما استعمله كافة بلغاء الأمم استعظام بعض الأمور، والمبالغة فيها أحيانًا إذا اقتضى المقام ذلك، فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[٧]، وفي تعميم الثمرات إلى هذه الدرجة مبالغة ظاهرة، إذ ليس النحل يأكل من كل الثمرات.[٨]

---

(١) مخطوط الحواصل ٤/ ١٣٣

(٢) سورة النحل: الآية ٦١

(٣) سورة ق: الآية ٦

(٤) سورة الزخرف: الآية ٧١

(٥) سورة هود: الآية ١٠٧

(٦) مخطوط فوائد هبة الدين ٥/ ٥٣

(٧) سورة النحل: الآيتان ٦٨-٦٩

(٨) إنَّ المفسرين قد اختلفوا على تفسيرين للآية الشريفة، فمنهم مَنْ ذهب إلى القول: إنَّ المراد من ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات التي تشتهيها، وتأكل منها، والقول الثاني: جميع ←

ومن ذلك قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ﴾.[(١)]

*** المورد الخامس:**

قال[(٢)]: إنَّ المبالغة ضرب من الكذب بالدقة الفلسفية[(٣)]، وليست من أنواع الكذب

→

الثمرات فإنها يمكنها أنْ تأكل من أزهارها وأوراقها. ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٥٥٧، الطبرسي: البيان في تفسير القرآن ٦/ ١٧٦، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٠/ ٢٣٧، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٩٢

الشهرستاني، إلا إذا أراد القول بأنَّ النحل لا تأكل من أي ثمرة أو شجرة، بل إنَّ هناك ثمارًا خاصة تأكل منها، فلعل في ذلك وجه.

(١) سورة البقرة: الآية ٣١

إنَّ المبالغة التي يريد أنْ يشير إليها السيد الشهرستاني تكون في قوله تعالى: ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فإنَّ الله تعالى عبَّر بـ﴿كُلَّهَا﴾ للمبالغة لا الحقيقة، وعند الرجوع إلى أقوال المفسرين لم نَرَ أنهم تعرَّضوا إلى ذلك، على الرغم من إسهابهم في تفسير المراد بالأسماء، اعتمادًا على روايات متعددة فيها، وما يتعلق بذلك من حيث إنَّ الإسماء توقيفية من الله تعالى أو لا؟ وإنَّ الملائكة كانت تعلم تلك الأسماء أو لا؟ وإنَّ الله إذا كان قد علَّم آدم ولم يُعَلِّم الملائكة فما هو امتيازه عليها؟ وهل المراد تعليمه الأسماء أو مسميات الأسماء؟ وغير ذلك من الموضوعات، ولكن المستفاد إجمالاً من التفاسير أنه تعالى أراد الحقيقة لا المبالغة كما يرى السيد الشهرستاني. للتفصيل ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ١٥٤- ١٥٥، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٥٢، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢/ ٣٩٧، الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١/ ١١٨، السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/ ١٥٤

(٢) مخطوط خير الدلائل في أجوبة المسائل: ٢٤١، وهو جواب لسؤال نصه: ((بَلَغنا عنكم القول بوجود آيات قرآنية جارية على أسلوب المبالغة مع أنَّ المبالغة ضرب من الكذب فكيف يجوز مثل ذلك في كلام الله؟)).

(٣) أي لو تتبعنا كُلَّ جزء من أجزاء الكلام قياسًا للكل، فإننا نرى وقوع مخالفة في ذلك الجزء للواقع، من حيث الجزئية وليس الكلية.

بالنظرة العرفية[١] كما أنَّ الاستعارة أو الكناية أو ما أشبه ذلك محسوب من أنواع الكذب في نظر الفيلسوف، ولا يعد كذبًا قط في نظر العرف، أَلا ترى الاستعارة في قولك: "زيد أسد"، أو "حبيبتي قمر"، يعده المدققون كذبًا في نظر الحقيقة؛ لأنه خلاف الواقع، ونفس الأمر إذ ليس زيد[٢] أسدًا، بل إنسان، وليس الحبيب قمرًا سماويًّا، بل حَيٌّ أرضيٌّ، ولكن العرف لا يُعِدُّ ذلك كذبًا في نظر المجاز، وكذلك الكنايات وبقية أقسام المجاز.[٣]

ولو جاز تعداد ذلك في خريطة الأكاذيب لزم تعداد القرآن كله كذبًا(وحاشاه)، ولزم تعداد أحاديث النبيﷺ والأئمة من آله وأصحابه في خريطة الأكاذيب؛ لاشتماله على أنواع المجاز والكناية والاستعارة والمبالغة، كقول عليعليه السلام في النهي عن الفُرْقَة: ((**أَلا وَمَنْ دَعَاكُمْ إِلى هَذا الشِّعارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ**))[٤]، فإنَّ ذلك مبالغة صريحة من مجانبة الفُرْقَة، وتشجيع أصحابه على الإِلفة، وليست مقصورة بحقيقة الكَلِم البتة.

---

(١) أي إنَّ المتحدِّث لا يقصد من كلامه مخالفة الواقع؛ ليطلق عليه كذبًا، وإنما يريد إيصال معنًى عامًّا تنطبق أكثر أجزائه في الواقع، وقد تسالم على ذلك العرف والعقلاء، فلم يعدُّوه مخالفًا للواقع، وإنما يريد معنًى آخر غير الواقع المحسوس أو المشهود.

(٢) في الأصل: زيدا.

(٣) نرى أنَّ ما ذكره السيد هو الواقع والصواب؛ لأنَّ كلام العرب قد ٱشتمل على هذه الموضوعات، بل عُدَّ الكلام بليغًا إذا تضمن مثل هذه الفنون البلاغية عندهم، فضلاً عن ٱستعمال القرآن الكريم لذلك، فكان تقريرًا لجواز ذلك وتأييدًا له.

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٢/ ١٢، والمراد بـ(الشعار) وهو شعار الخوارج (لا حُكْمَ إلا لله) الذي عُرِفوا به تضليلاً للناس يوم معركة صفين، عند رفع القاسطين من جيش معاوية بن أبي سفيان المصاحف في أواخر المعركة.

والخلاصة: إنَّ المبالغة سبيلها الاستعارة والكناية، فإنْ كانت من مقولة الكذب فهاتان أيضًا من الكذب[١]، وإنْ كانت من غير الكذب، فالمبالغة أيضًا من غير مقولة الكذب[٢]، كما أنَّ سبيل القرآن سبيل كلام النبي والمعصومين من آله، فإنْ كانت [كذبًا فـ] المبالغة تشين أيضًا سمعة كلام النبي والأئمة إذا اشتملَ على وجه المبالغة، وإلا فلا، إذ لاريب في وجود المبالغة بكثرة في آيات القرآن، وفي أحاديث الرسول ﷺ، وفي كلام الأئمة وأصحابه، وفي كلمات أكثر البشر.

ولا يُعِدُّ العرف العام من كل قوم مبالغات الكلام كذبًا، كما لا يعد الاستعارة والكناية من أقسام الكذب أبدًا، والسر في ذلك وجود القرينة في الكلام، ووجود شواهد الحال والمقام، وهذا هو الذي يصون الكلام من وصمة الكذب، فالقرينة في آية ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا**﴾[٣] تصونه من الكذب وتدخله في[٤] باب الاستعارة[٥]، كذلك القرينة في آية ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[٦] تصونها من الكذب وتدخله في باب المبالغة.[٧]

---

(١) أي الاستعارة والكناية.

(٢) وهما في الحقيقة ليستا من الكذب؛ لكون القرآن الكريم قد ٱشتمل في كثير من الآيات الشريفة عليهما.

(٣) سورة يس: الآية ٣٣

(٤) في الأصل: من.

(٥) إنَّ الأرض عُدَّتْ ميتة؛ لأنها لا يعيش فيها النبات وإحياؤها باخضرارها، فهي من هذا الباب أطلق عليها ٱستعارة الموت والحياة، على طريقة الاستعارة المكنية؛ إذ شبَّه الأرض بإنسان فحذفه، وأبقى لازِمَيْهِ الموت والحياة.

(٦) سورة النمل: الآية ٢٣

(٧) قد تقدم ما يتعلق بالآية الشريفة.

* **المورد السادس:**

قال[1] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَـذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[2]

اعلم أنَّ البُلغاء يتفاضلون في التجوُّز والمبالغة على سبك بديع من سعة التصوُّر، وطيران الفكر في سماء الخيال، فالآية كقول الشاعر:

وَتَحَـدَّثَ المَـاءُ الـزُّلالُ مَـعَ الحَصـَى ... فَسَـرَى النَّسِيمُ عَلَيْـهِ يَسْـمَعُ مَـا جَـرَى[3]

وقال مجنون ليلى:

فَلَـوْ أَنَّ مَـا بي بِالحَصَـا فَلَـقَ الحَصـَى ... وَبِالصَّـخْرَةِ الصَّـمَّاءِ لانْصَـدَعَ الصَّـخْرُ[4]

---

(١) مخطوط المسودات القرآنية: ٦٩

(٢) سورة الحشر: الآية ٢١

(٣) البيت لـأبي الحكم مالك بن المرحل المالقي(ت٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) ويقول بعد ذاك:

فَكَـأَنَّ فَـوْقَ المَـاءِ وَشْـياً ظَـاهِرًا ... وَكَـأَنَّ تَحْـتَ المـاءِ سِرًّا مُضْـمَرًا

الحموي، علي بن عبد الله: خزانة الأدب، تح: عصام شعيتو، (دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م) ١/ ٣٨٦، الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر: ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٦هـ١٩٦٧م، د.م) ١/ ٧٤

(٤) ويقول بعدها في رائعته:

وَلَـوْ أَنَّ مَـا بي بِـالوحوشِ لَمَـا رَعَـتْ ... وَلا سَـاغَهَا المـاءُ النَّمِـيرُ وَلا الزَّهْـرُ

وَلَـوْ أَنَّ مَـا بي بِالبِحَـارِ لَمَـا جَـرَى ... بِأَمْوَاجِهَـا بَحْـرٌ إذا زَخَـرَ البَحْـرُ

قيس بن الملوح: ديوان قيس، دراسة وتع: يسرى عبد الغني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م): ٨٥

وقال عنترة:

شَكَا نَحْرُهَا مِنْ عِقْدِهَا فَتَظَلَّمَتْ فَوَاعَجَبًا مِنْ ذلِكَ العِقْدِ والنَّحْرِ [(١)]

والغرض المبالغة في قسوة القلوب التي نزل[(٢)] عليها القرآن[(٣)]، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.[(٤)]

*** المورد السابع:**

قال[(٥)]: جاء في القرآن ذِكْرُ الأرض في مواقع على وجه المبالغة، فيتوهَّمُ منها الناظر معنى مجموع الكرة الأرضية فيستغرب، كما في آية ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[(٦)]، وفي آية

---

(١) تقدم ما يتعلق به ص٤٢٥

(٢) في الأصل: نزلت.

(٣) لقد أكَّد المفسرون هذا المعنى في أنَّ المراد من الآية الشريفة بيان ما يتعلق بقسوة القلوب التي نزل عليها القرآن مقارنة مع الحجارة، وخضوعها التكويني لله تعالى. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في علوم القرآن ٩/ ٥٧٢، الزمخشري: تفسير الكشاف ٤/ ٥٠٨، الفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٩/ ٥١٢

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٤

(٥) مخطوط فوائد هبة الدين ٥/ ١١٣– ١١٤

(٦) سورة نوح: الآية ٢٦

إنَّ في هذه الآية الشريفة يمكن أنْ يكون المراد من الأرض كلها؛ لأنَّ دعوته كانت لأهل الأرض جميعًا، وقد أشارت بعض التفاسير لهذا، وقد ناقش الآلوسي في تفسيره المراد من الأرض هل يُراد بها كلها، أو قطعة منها. للتفصيل ينظر: الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٩/ ٨٠، الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩/ ٥٠

←

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾(١)، فليس المعنى مجموع كرة الأرض حقيقة، بل إنَّ ذلك ضرب من المبالغة، كما في شعر عنترة العبسي الجاهلي:

مـــلأْتُ الأَرَضَ خوْفًـا مــنْ حُسـامِي   وَخَصْـــمِي لَمْ يَجِـــدْ فيهـــا اتِّسَـــاعا

إِذا الأَبْطـــالُ فَـــرَّتْ خـــوْفَ بَـــأْسِي   تَـــرَى الأَقْطَـــارَ باعًـــا(٢) أَوْ ذِراعـــا(٣)

والقرآن نزل(٤) على لغة العرب وأساليبهم في محاوراتهم، ولكن الوجه عندي في معنى الأرض بهذه الأبيات أنَّ لام التعريف فيها للعهد، ويشير إلى المعهود لدى المخاطب من أقسام الأرض(٥)، كما هو في آية يوسف **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**(٦) أي أرض مصر لا الأرض كلها، وكذلك في آية **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا**

→

ولكن في الحالتين فإنَّ الدعوة على الكافرين بالله تعالى ورسالة الأنبياءعليهم السلام وعدائهم لها مما يستوجب الدعاء عليهم عند إظهار كفرهم وعنادهم، فلا إشكال فيه، وأما ما يتعلق بهذا المورد من دعاء نوحعليه السلام بهذه الدعوة فقد فصَّل المفسرون القول في كيفية علم نوح بأنهم لا يلدوا إلا الفاجر والكافر.

(١) سورة الكهف: الآية ٩٤

(٢) الباع هو قَدْرُ مَدِّ اليدينِ وما بينهما من البدن. ابن منظور: لسان العرب مادة(بوع). والذراع معروف وهو أقصر من الباع وكلاهما يستعمل في قياس الطول.

(٣) شرح ديوان عنترة: ٩٠

(٤) في الأصل: فنزل.

(٥) إنَّ سياق الكلام يحتمل الوجهين للأرض، المكان المعهود لدى الشاعر كما يرى السيد الشهرستاني، ومطلق الأرض للمبالغة فيها وهو الأوجه ظاهرًا؛ لأنَّ الشاعر في مقام بيان شجاعته وكيفية فرار عدوه عند المنازلة، وكأنَّ أي مكان في الأرض كلها لا يمكن لها أنْ تحميه من سيفي وشجاعتي، وهذا ظاهر من قصيدته في هذين البيتين وفي أبياتها الأخرى وتفاخره في إظهار شجاعته، ومثل هذا كثير لدى الشعراء.

(٦) سورة يوسف: الآية ٥٥

لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾[١] أي أرض مصر.[٢]

المطلب الثاني/ المحسنات اللفظية.

- **أولاً: الجناس.**

إنَّ الجناس من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمَّن القرآن الكريم ذلك في نظم آياته، والسيد الشهرستاني قد أشار إشارة إجمالية إلى ذلك في مخطوطاته، وقد جمعت في مورد واحد.

قال[٣] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى عن طالوت: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ﴾.[٤]

فإنها -الآية- لم تراعِ السجع وحده، ولا مناسبات البسطة فقط، بل جناس المعنى أيضًا[٥]؛ إذ العلوم البسيطة تسمن[٦] صاحبها.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٦

(٢) إنَّ هذا ظاهر من سياق الآية الشريفة؛ إذ إنَّ يوسف﵇ في الآية الشريفة يخاطب الملك في أرض مصر، وقد ذكر المفسرون ذلك تصريحًا وتلويحًا. للتفصيل ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٦/ ١٥٧، الزمخشري: تفسير الكشاف ٢/ ٤٥٥، الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٤١٩

(٣) مخطوط مهمات ٩/ ٥٥

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٧

(٥) أي التجانس في الزيادة من حيث الجسم والعلم، وهذا ما بينه المفسرون في تفاسيرهم، قال الشيخ الطبرسي: ((وزاده بسطة أي فضيلة وسعة في العلم والجسم وكانَ أعلمَ بني إسرائيلَ في وقتِهِ، وأجملَهُمْ، وأتمَّهُمْ وأعظَمَهُمْ جسمًا، وأقواهُمْ شجاعَةً)). مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ١٤٢، وينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ٦/ ٥٠٥

(٦) في الأصل: يسمن.

● **ثانيًا: السجع.**

إنَّ السجع من المحاسن البديعية في البلاغة العربية، وقد تضمَّن القرآن الكريم كثيرًا من ذلك، والسيد الشهرستاني قد أشار إلى ذلك في موردين.

❋ **المورد الأول:**

قال[١]:

[**أولاً**]: ليس في القرآن التزام في الأسجاع ولا بعدمها، بل سارت آياته على سيرة التفنُّن، وعدم التقييد بشيء، فترى في بعض آياته نحو آية الوضوء والغسل والتيمم[٢]، لا يلتزم بأيِّ سجع، أو رويٍّ، بينما في ألوف من الآيات تجد فيها الأسجاع العالية.

وثانيًا: إنَّ روحية عصره ومصره، أو بالأحرى طبيعة بلغاء العرب وكهنة(...)[٣] من أبناء الضاد جرت على أسجاع في إنشاء الخطب والكتب.[٤]

---

(١) أوراق مخطوطة: ١١١، وهو جواب لسؤال نصه: ((لماذا يلتزم القرآن بالأسجاع؟)).

(٢) والمراد به قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[سورة المائدة: الآية ٦]

(٣) كلمة غير معلومة.

(٤) إنَّ هناك أمثلة كثيرة من أحاديث النبي وأهل بيته(عليهم السلام) وخطبهم، قد جمعت في كتب السيرة والتأريخ، وما ورد في نهج البلاغة من كلمات أمير المؤمنين(عليه السلام)، فضلاً عن كلام العرب في خطبهم ونثرهم، وقد جمعت بعضها في مؤلفات خاصة، فمثلاً ينظر: صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت)، بل إنَّ للنساء أثرًا في التراث الإسلامي والعربي كذلك فمثلاً ينظر: ابن طيفور، ←

وثالثًا: إنَّ لحسن الأسجاع عذوبتها للطباع ضرورته لا تنكر، بل هي المُحْدِثة لطرب أشهى من أوتار النغم، وموسيقى وقيثارة الكلام.

* **المورد الثاني**:

قال[1] في بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾.[2]

ينتهي السجع في هذه الآيات بالواو والنون تارة[3]، وبالياء والنون أخرى[4]، وبالياء والراء[5]، أو غيرهما أحيانًا[6]، بينما الجمال اللفظي في الشعر يقتضي باتحاد السجع.

والجواب: إنَّ الخاتمة في الآية غير الخاتمة في الكلمة، وهذه غير خاتمة الصوت، فللصوت خاتمة في السمع كخاتمة رنة الجرس، يتطلب مثيله في الصوت، وأحرى به أنْ يسمى (سجعًا)، أما خاتمة الكلمة فهي حرف أو حرفان يتشابهان في المخرج، أو

→

أبو الفضل بن أبي طاهر: بلاغات النساء، (مكتبة بصيرتي، قم، د.ط، د.مط).

(١) مخطوط التفسير المحيط، أوراق غير مرقمة.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٢٣-٢٤

(٣) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الآية ٢١]، و﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الآية ٢٢]، و﴿**وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون**﴾ [الآية ٢٥] وغيرها.

(٤) مثل قوله تعالى في السورة نفسها للآيتين ٢٣، ٢٤ و﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ**﴾ [الآية ٢٦] وغيرها.

(٥) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الآية ٢٠] وغيرها.

(٦) مثل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة ٢٩]، و﴿**إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ [الآية ٣٢]، و﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ [الآية ٣٦] وغيرها.

يتشابهان في الصوت الخارج، فالواو والنون إخوان مع الواو والميم في خارج الفم[١]، وإن اختلفا في مخرج الفم[٢]، وأحرى بهذا أنْ يسمى (رَوِيًّا)، وهناك شيء ثالث جدير بأنْ يسمى (القافية)، وهو الحرف الأخير من كل آية، أو شعر، أو جملة منثورة، وقد جرى الأسلوب في القرآن على رعاية السجع في الغالب، واتحاد رنة الصوت في خارج الفم، فلا تختلف رنة الصوت إذا انتهت الآية بقدير، أو رحيم، أو مؤمنون، أو مهين أو غيرها.[٣]

---

(١) أي يشتركان في الصفة وهي الغنة كما في حَرْفَي النون والميم، وقرب الواو منهما. الجريسي، محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في تجويد القرآن المجيد، تص: عبد الله محمود محمد عمر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م): ٤٠-٤١

(٢) إنَّ مخرج حَرْفَي الواو والميم من الشفتين، ومخرج النون من بين طرف اللسان ومنبت الثنايا. المصدر نفسه.

(٣) إنَّ ما ذكره السيد له علاقة بموضوع الفاصلة القرآنية ودلالتها، وأثرها في النفس، وقد تناولت الدراسات القرآنية هذا بتفصيل؛ لأثره في الصورة الإعجازية لتركيب الجملة في الآيات القرآنية، وتأثير صوت كُلِّ حرف من حروف الفاصلة، والتوافق الصوتي بين الفواصل، وما يحدثه من إيقاعٍ في السجع، فكان أكثر الحروف ٱستعمالاً حرف النون فقد بلغت نسبته حوالي(٥١٪) من آياته، تلاها حرف الميم بحوالي (١٢.٥٪)، تلاها الراء(١١.٠٤٪)... للتفصيل ينظر: الدكتور السيد خضر: الفواصل القرآنية –دراسة بلاغية، كلية المعلمين بالرياض ص٢-٣

الخاتمة:

بعد توفيق الله تعالى في إتمام الكتاب جمعًا ودراسةً وتحقيقًا لجهود السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في علوم القرآن هناك نتائج متعددة قد توصَّل إليها البحث، من أهمها:

- إنَّ علومَ القرآنِ الكريمِ هي من أوائلِ العلومِ التي اعتنى المسلمونَ بها دراسةً وتأليفًا، وقد نشأَتْ منذُ زمنِ نزولِ الوحيِ المبينِ، وكانَتْ منزلةُ أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ تتفاوتُ فيما بينهم في ذلك، حتى اشتهرَتْ مجموعَةٌ منهم في تفسيرِهِ، وتأويلِهِ، ومعرفَةِ أسرارِهِ.
- إنَّ العلومَ الأربعةَ التي تناولتها الدراسَةُ هي من أهَمِّ علومِ القرآنِ الكريمِ؛ لعلاقتِها الوثيقَةِ في صيانةِ النصِّ القرآنيِّ، وإثباتِ صدورِهِ عن الله تعالى، وفَهْمِ أسرارِهِ، واستنباطِ أحكامِهِ، فكانَ التأليفُ فيها مُبَكِّرًا، ومُتَعَدِّدًا على مَرِّ العصورِ إلى يومِنا.
- إنَّ كثيرًا من الاختلافاتِ الواردةِ في فَهْمِ النصِّ القرآنيِّ بين المسلمينَ هي قائِمَةٌ على اختلافِ عقائدِهِمْ ومذاهِبِهِمْ، وخصوصًا ما يتعلَّقُ بمباحِثِ توحيدِ الله تعالى، وتنزيهِهِ عَمَّا لا يليقُ بِهِ، وقد انعكسَ ذلكَ جليًّا على فَهْمِ النصوصِ وتفسيرِها.
- إنَّ القرآنَ الكريمَ هو الكتابُ السماويُّ الخالِدُ، الذي ختمَ اللهُ به الشرائِعَ السابِقَةَ، وتعهَّدَ بصيانَتِهِ وحفظِهِ من التحريفِ وإنِ اختلفَ المسلمونَ في عقائِدِهِمْ، وقَدْ أكَّد ذلكَ العقلُ والنقلُ من خلالِ أدلتِهِما الصريحَةِ الواضِحَةِ، وقد أشارَ السيِّدُ الشهرستانِيُّ إلى أهمِّها في كلماتِهِ.

- حاولَنَا تأكيدَ بيانِ مُرادِ السيِّدِ الشهرستانِيِّ وتوضيحَه في بعضِ الموضوعاتِ متجاوزةً بعضَ قواعِدَ التحقيقِ المعهودَةِ؛ لأهميةِ ما تَمَّ طَرْحُهُ موافقَةً أو مخالَفَةً، من خلالِ التعليقِ والبيانِ ليكونَ الأمرُ جليًّا للباحثينَ، من خلالِ عَرْضِ آراءِ الآخرينَ مقابِلَ رأيِهِ، وفيهِ فائدةٌ كبيرةٌ.
- أهميةُ دراسَةِ آراءِ علمائِنا الأعلامِ الذينَ جمعوا وأجادوا واجتهدوا في علومٍ متعددةٍ لها أثرٌ في فَهْمِ النَّصِّ القرآنِيِّ، ولا سيَّما علومُ الكلامِ، والأصولِ، والعربيةِ، وهذا ما رأيناهُ جليًّا في منهجِ السيِّدِ الشهرستانِيِّ عندَ محاكمَتِهِ لأقوالِ السابقينَ ومناقشتِها، وعَرْضِهِ للرواياتِ الشريفةِ.
- إنَّ السيِّدَ الشهرستانِيَّ يُعَدُّ من علمائِنا الروَّادِ في تفسيرِ النصِّ القرآنِيِّ تفسيرًا يجمعُ بين الموروثِ والعلومِ الحديثَةِ، وهذا ما نلمسُهُ في مباحِثَ متعددةٍ، ومنها آراؤُهُ في المحكمِ والمتشابِهِ، وكيفيةِ فهمِ المتشابِهِ، وحكمتِهِ.
- إنَّ السيِّدَ الشهرستانِيَّ قد انفردَ من بينِ علماءِ المسلمينَ المتأخرينَ بنفيِ المنسوخِ في القرآنِ الكريمِ، ولم يكنْ ذلك تقليدًا أو تأثُّرًا ببعضِ العلماءِ القدماءِ، بل بَعْدَ دِقَّةٍ وتمحيصٍ للآياتِ المباركَةِ، وإنْ كُنَّا لا نوافِقُهُ في كُلِّ آرائِهِ، ولكن تبقى الريادَةُ لَهُ في فتحِ البابِ أمامَ الآخرينَ في المناقشةِ والبحثِ، وقد رأينا بعده مَنْ يقولُ مثل رأيِهِ.
- إنَّ الإحاطةَ بالعلومِ العقليةِ والنقليةِ واضحةٌ في منهجِ السيدِ الشهرستانِيِّ في تعاملِهِ مع آياتِ القرآنِ الكريمِ، وهذا ما كانَ منه في العلومِ الثلاثَةِ الأولى للكتاب: صيانة القرآن، والنسخ، والمحكم والمتشابه، فضلاً عن الشجاعةِ والرأيِ في التصريحِ.
- إنَّ الشخصيَّةَ الإصلاحيَّةَ للسيدِ الشهرستانِيِّ كانت ظاهرةً جليَّةً في تعاملِهِ مع علومِ القرآنِ الكريمِ المختلِفةِ، ومحاولةِ استنطاقِها لأداءِ الرسالةِ الإصلاحيَّةِ العامَّةِ للقرآنِ الكريمِ في المجتمعِ، وكانَ ذلكَ في مواردَ متعددةٍ.

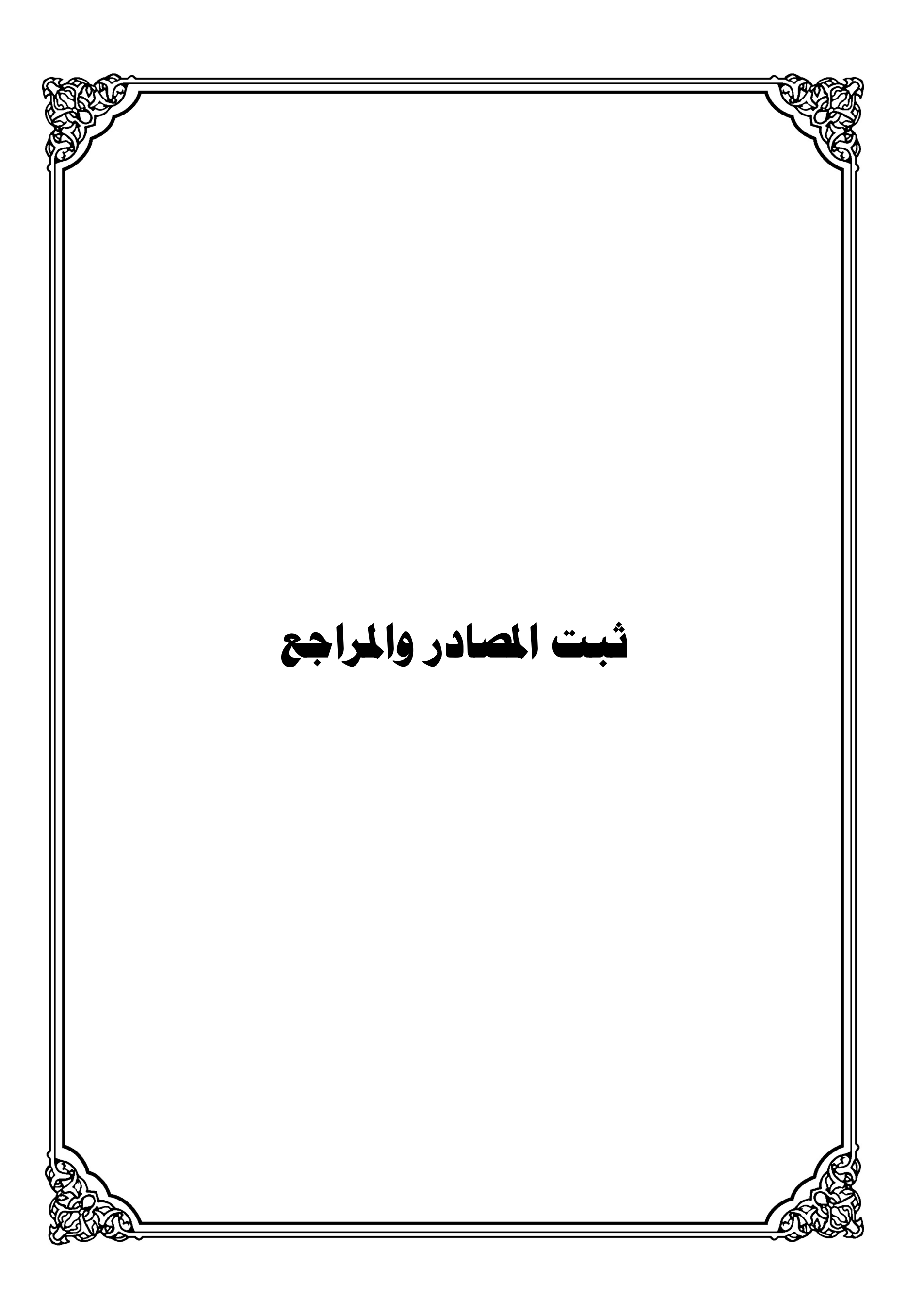
- لقد كانَ السيدُ الشهرستانِيُّ في رؤاهُ وكتاباتِهِ عن علومِ القرآنِ الكريمِ، الناقِدَ تارَةً للجامدينَ على ظواهِرِ اللفظِ، والناصِرَ والمدافِعَ عن القرآنِ عقيدة وتفسيرًا وبيانًا، وكان ذلك جليًّا في مباحِثِ العقيدةِ، وتحدي القرآنِ وإعجازِهِ لخصومِهِ.
- أهميةُ تسخيرِ جميعِ العلومِ في فهمِ النصِّ القرآنيِّ من جوانبهِ المتعددةِ، ومن أهمها علمِ الأصولِ في دراسته للألفاظ وأنواعها، من حيثِ التخصيصِ والعامِّ، والمُقَيَّدِ والمُطْلَقِ وغيرِها، وأثر ذلك في مباحثِ القرآنِ عامَّةً، ومبحثِ الناسخِ والمنسوخِ خاصَّة، وكانَ للسيدِ الشهرستانيِّ إبداعاتٌ علميةٌ فيهِ.

- **ومن أهم التوصيات التي نوصي بها:**

- ضرورةُ تهذيبِ الموسوعاتِ الحديثيةِ من الرواياتِ التي تُسيءُ إلى كتابِ اللهِ تعالى بالقولِ بتحريفِهِ، تصريحًا أو تلويحًا، مثل التي وردَت عن كبارِ الصحابةِ، وعدمِ البحثِ عن مبرراتٍ ومسوغاتٍ لتلكَ الأحاديثِ لتقديسِ قائليها، فإنَّ القرآنَ أعظمُ قدسيَّةً.
- إنَّ فِهْمَ القرآنِ الكريمِ وتفسيرَهُ وبيانَهُ لا يكونُ إلا من خلالِ علومٍ متعددةٍ، وأهمِّها علومِ العقيدةِ الإسلاميةِ، ويجبُ عدمُ فسحِ المجالِ بترويجِ ونشرِ بحوثِ ودراساتِ الذين يخالفونَ القواعِدَ العامَّةَ من خلالِ الإشارةِ إلى تلكِ البحوثِ والدراساتِ ورفضِ نشرِها بين الباحثينَ؛ للحفاظِ على قدسيةِ القرآنِ الكريمِ من التحريفِ المعنويِّ له، ونشوءِ فِرَقٍ منحرفةٍ تكفيريَّةٍ ضالَّةٍ.
- ضرورةُ تكثيفِ الدراساتِ البلاغيةِ الأوليَّةِ في القرآنِ الكريمِ لطلبةِ المرحلةِ المتوسطةِ والإعداديةِ؛ لما في ذلكَ من إدامَةِ خلودِ النصِّ القرآنِيِّ ببلاغتِهِ، وروعَةِ أسلوبِهِ وبيانِهِ، وإنشاءِ جيلٍ يتذوَّقُ اللفظةَ القرآنيةَ، ويعيشُ أجواءَها، ولكننا نرى ضعفًا كبيرًا واضحًا في هذا الجانبِ.

- أهميةُ إقامةِ المؤتمراتِ العلميَّةِ التخصصيَّةِ الدقيقةِ في علومِ القرآنِ الكريمِ، دونَ المؤتمراتِ العامةِ في القرآنِ الكريمِ؛ للإحاطَةِ التفصيليَّةِ في كُلِّ علمٍ من علومِهِ، وما في ذلكَ من ثراءٍ للدراساتِ القرآنيَّةِ، فضلاً عن الموسوعيَّةِ فيها.

- أهميَّةُ اعتناءِ المراكزِ البحثيَّةِ والجامعاتِ العلميةِ بتوجيهِ طلبتِها وباحثيها لنشرِ آثارِ علمائِنا المخطوطةِ بالدراسةِ والتحقيقِ؛ لإحياءِ تلكَ العقولِ؛ ولتكونَ زادًا علميًّا للباحثِينَ والدارسينَ، لئلا تبقى جهودَهُمْ الفكريةُ العظيمةُ أسيرةَ قراطيسَ صفراءَ عند ذويهم، ولعلها تُفْقَدُ يومًا، فتكونَ الخسارةُ أكبرَ.



ثبت المصادر والمراجع

ثبت قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

* المخطوطات:

١ .الشهرستاني، هبة الدين: الإجازة السادسة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢ .أوراق مخطوطة ملحقة بكتاب حديث مع الدعاة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٣.أوراق مخطوطة مع مجموعة رسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٤ .بدون عنوان، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٥ .البندريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٦ .التفسير المحيط، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٧.تنزيه التنزيل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٨.جمهرة العلوم القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٩ .الحائريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٠ .الحواصل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١١ .خير الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٢ .الدلائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٣ .رؤوس الأقلام، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٤. رؤوس الدروس، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٥. الرسائل والمسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٦. الرسالة العرشية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٧. السبع المثاني، (الكاظمية مكتبة الجوادين العامة).

١٨. سرج في ظلمات الحياة، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

١٩. صدف اللآلىء في نسب آل أبي المعالي، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٠. الفوائد الطوسية، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية).

٢١. فوائد هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٢. القرآن إمام الكل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٣. مختارات هبة الدين، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٤. مخزن الدلائل في أجوبة المسائل، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٥. مذكرات النشريات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٦. المسودات القرآنية، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٧. معجم الفقيه، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٨. مهمات، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

٢٩. نتائج الحلوم، (الكاظمية، مكتبة الجوادين العامة).

*** المطبوعات:**

(حرف الهمزة)

١. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود(ت١٢٧٠هـ/ ١٧٩٢م): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٢. آل ياسين، محمد حسن(الشيخ) (ت١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م): نصوص الردة في تاريخ الطبري نقد وتحليل، (مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م).

٣. الإبراهيم، موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، (دار عمار، عمان، ط٣، ١٤١٦هـ١٩٩٦م).

٤. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد(ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، د.ط).

٥. أحمد بن حنبل: مسند أحمد(ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) وبهامشه منتخب كنز العمال، (دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت).

٦. أحمد مطلوب(الدكتور): بحوث بلاغية، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١٧هـ١٩٩٦م، د.ط).

٧. الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة(ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م): معاني القرآن، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م).

٨. ابن إدريس، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١): موسوعة ابن إدريس الحلي/ إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، تح وتق: السيد محمد مهدي الخرسان، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م).

٩. الأشتياني، محمد حسن بن جعفر: بحر الفوائد في شرح الفرائد (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، تح: محمد حسن الموسوي، (مط سليمان زاده، قم، د.ط، د.ت).

١٠. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت٣٢٤هـ/ ٩٣٩م): الإبانة عن أصول الديانة: تق وتح وتع: الدكتورة فوقية حسين محمود، (مط التقدم، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).

١١. الأشعري القمي، أبو خلف سعد بن عبد الله(ت٣٠١هـ/ ٩١٣م): كتاب المقالات والفِرق، تص وتع: الدكتور محمد جواد مشكور(مط حيدري، طهران، ١٩٦٣م، د.ط).

١٢. ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، (نهضة مصر، د.ط، د.ت، د.م).

١٣. الأصبهاني، موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م): دلائل النبوة، تح: محمد محمد الحداد، (دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ).

١٤. الأطرقجي، واجدة مجيد: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، (منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م، د.ط، د.مط).

١٥. امرؤ القيس، حُنْدُج بن حُجْر(ت٥٦٥م): ديوان امرىء القيس، تص: مصطفى عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

١٦. الأميني، عبد الحسين أحمد(الشيخ) (ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م): الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

١٧. الأنصاري، مرتضى(الشيخ)(ت١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م): فرائد الأصول، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأنصاري، (شريعت، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ).

١٨. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد(ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م): المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م).

(حرف الباء)

١٩. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت).

٢٠. الباقلاني: ـــــــــ الانتصار للقرآن، تح: د. محمد عصام القضاة، (الناشر: دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٢١. ـــــــــ: ـــــــــ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

٢٢. البحراني، كمال الدين ميثم بن علي(ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م): أصول البلاغة، تح: الدكتور عبد القادر حسين، (دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.م).

٢٣. ـــــــــ: ـــــــــ شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب‹، تص وتع: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ط، د.مط، د.ت).

٢٤. البحراني، هاشم(السيد) (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م)، البرهان في تفسير القرآن، تح و تع: لجنة من العلماء والمحققين الأصوليين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م).

٢٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م): صحيح البخاري، (دار الفكر، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، د.ط، د.م).

٢٦. أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، (دار الفكر، دمشق، د.ط، د.ت).

٢٧. البروجوردي: مرتضى (الشيخ) (ت١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، مستند العروة الوثقى، (العلمية، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٢٨. البغا و مستو، مصطفى ديب ومحيي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، (دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م).

٢٩. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): الفَرْقُ بين الفِرَق، تع:

الشيخ إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م).

٣٠. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م): الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور حلمي كامل أسعد، (دار العدوي، عمان، د.ط، د.ت).

٣١. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، تع: رضوان محمد رضوان، (المطبعة المصرية، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ١٩٣٢م).

٣٢. البلاغي، محمد جواد (ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م): آلاء الرحمن في تفسير القرآن، (مط العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ١٩٣٣م).

٣٣. ــــــــ: ــــــــالتوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ١٩٩٢م).

٣٤. ــــــــ: ــــــــالرحلة المدرسية، (دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣م).

٣٥. البهادلي، محمد باقر: السيد هبة الدين الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، (مط شركة الحسام، بغداد، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م).

(حرف التاء)

٣٦. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م): المطوَّل، تح: د. عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م).

٣٧. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس(ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م): الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ).

٣٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): شرح العقيدة الأصفهانية، تح: إبراهيم سعيداي، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ).

٣٩. ــــــــ: ــــــــ التدمرية، تح: الدكتور محمد بن عودة السعودي، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م).

(حرف الثاء)

٤٠. الثعالبي، عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م).

(حرف الجيم)

٤١. جَبُّور، عبد النور(الدكتور): المعجم الأدبي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م).

٤٢. الجبوري، يحيى: شعر هُدْبَة بن الخَشرم العُذري، (دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

٤٣. جديدي نزاد، محمد رضا: معجم مصطلحات الرجال والدراية، إشراف: محمد كاظم رحمان ستايش، (مط دار الحديث، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٤٤. الجُدَيْع، عبد الله بن يوسف: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، (الناشر: مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م).

٤٥. الجرجاني، عبد القاهر(ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م): أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، (مط المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩١م).

٤٦. ————: ———— دلائل الإعجاز، تح: د. محمد التنجي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م).

٤٧. الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م).

٤٨. جرير بن عطية (ت١١٤هـ/ ٧٣٢م): ديوان جرير، تع: كرم البستاني، (دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

٤٩. الجريسي، محمد مكي نصر (ت١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م): نهاية القول المفيد في تجويد القرآن المجيد، تص: عبد الله محمود محمد عمر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م).

٥٠. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م): أحكام القرآن، ضبط: عبد السلام محمد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م).

٥١. جعفريان، رسول: أكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة، (مط سبهر، طهران، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م).

٥٢. الجلالي، محمد حسين: دراسة حول القرآن الكريم، تح: علي النجيدي الإحسائي، (دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

٥٣. ابن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم (ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م): عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.مط).

٥٤. ابن جِنِّي، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م): الخصائص، تح: محمد علي النجار، (عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت).

٥٥. ــــــــ: ــــــــ سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن الهنداوي، (دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٥م).

٥٦. ــــــــ: ــــــــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.ط).

٥٧. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م): زاد المسير في علم التفسير، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٥٨. ــــــــ: ــــــــ المدهش، تص و تع: الدكتور مروان قباني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

٥٩. ابن الجوزي: ــــــــــ نواسخ القرآن، تح ودراسة: د. محمد أشرف علي، (ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، د.مط، د.م).

٦٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

(حرف الحاء)

٦١. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح و تع: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ط.مط).

٦٢. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تح: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

٦٣. حبنَّكة الميداني: عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ١٩٩٦م).

٦٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت‰ لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت‰ لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

٦٥. ابن حازم الهمذاني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٩م): الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار، (مط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٥٩هـ).

٦٦. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): المحلى في الفقه، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، (دار الفكر، د.ط، د.مط، د.ت).

٦٧. ــــــــــ: ــــــــــ الناسخ والمنسوخ، تح: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، (دار

الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ه ١٩٨٦م).

٦٨. حامد حسين الهندي اللكهنوي(١٣٠٦هـ/ ١٨٩٩م): استقصاء الإفحام واستيفاء الانتقام، (مط مجمع البحرين، ١٣٢٦هـ، د. ط، د.م)

٦٩. الحسني، عبد الستار: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني حياته ونشاطه العلمي والاجتماعي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٩ه).

٧٠. الحكيم، محسن (السيد) (ت١٣٩١ه/ ١٩٧١م): حقائق الأصول، (ط٥، الغدير، قم، ١٤٠٨ه).

٧١. الحكيم، محمد باقر (السيد) (ت١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م): علوم القرآن، (دار التعارف، بيروت، ط٥، ١٤٣١ه ٢٠١٠م).

٧٢. الحكيم، محمد تقي (السيد) (ت١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م): الأصول العامة للفقه المقارن، (الناشر بيك فدك، ط١، ١٤٢٦ه ٢٠٠٥م، د.م).

٧٣. الحلو، محمد علي: التحريف والمحرفون، (مط برهان، قم، ط١، ١٤٢٦ه).

٧٤. الحمد، غانم قدوري (الدكتور): محاضرات في علوم القرآن، (دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣ه ٢٠٠٣م).

٧٥. الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله: خزانة الأدب (ت٨٣٧ه/ ١٤٣٣م)، تح: عصام شعيتو، (دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

٧٦. ــــــــــ: ــــــــــ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦ه/ ١٢٢٩م): معجم الأدباء، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ط، د.ت).

٧٧. ــــــــــ: ــــــــــ معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩ه ١٩٧٩م، د.ط).

٧٨. الحميري، يزيد بن مفرِّغ(ت٦٩ه/ ٦٨٨م): ديوان يزيد بن مفرِّغ، تح: الدكتور عبد القدوس

أبو صالح، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

٧٩. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م): تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد و الشيخ علي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٣م).

(حرف الخاء)

٨٠. الخراساني، محمد كاظم(الشيخ)(ت١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م): كفاية الأصول، تح: مؤسسة آل البيتﷺ لإحياء التراث، (ط١، مهر، ١٤٠٩هـ، قم).

٨١. الخطاب: رجاء حسين(الدكتورة): عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، (المكتبة العالمية، بغداد، ط١، د.ت).

٨٢. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم(ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م): بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م).

٨٣. الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة بن شداد، تق: مجيد طراد، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩٢م).

٨٤. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حاشيته: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م).

٨٥. الخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات، (دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م).

٨٦. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر(ت٩٧٧هـ/ ١٠٦٩م): ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م، د.م).

٨٧. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: الدكتور إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م).

٨٨. الخليلي، جعفر(ت١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م): موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين بيوتات الكاظمية للدكتور حسين علي محفوظ، (دار التعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٧م).

٨٩. الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر(السيد)(ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م): البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط).

٩٠. الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد(ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م): المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١١هـ).

(حرف الدال)

٩١. الدارابي، علي الموسوي: النص الخالد لم ولن يحرف أبدًا، إشراف: العلامة محمد واعظ زاده الخراساني، (مط العتبة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط١، ١٤٣٣هـ).

٩٢. نصوص في علوم القرآن، (مؤسسة الطباعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٢هـ).

٩٣. الدرويش: محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ).

(حرف الذال)

٩٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(حرف الراء)

٩٥. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

٩٦. رحمت الله الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن(ت١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م): إظهار الحق، دراسة وتح وتع: الدكتور محمد أحمد محمد ملكاوي، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م).

٩٧. رضا مؤدب(الدكتور): إعجاز القرآن، تعريب: قاسم البيضاني، (مط أميران، قم، ط١، ١٤٣٠هـ).

٩٨. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى(ت٣٨٦هـ/ ٩٩٦م): النُكت في إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح و تع: محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م).

٩٩. الرهيمي، علاء حسين، مجلة العلم النجفية، (مط الاعتماد، قم، ط١، ٢٠٠٧م).

(حرف الزاي)

١٠٠. الزبيدي، عمرو بن معدي كرب: شعر عمرو بن معدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

١٠١. الزبيدي، محمد بن محمد(ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، تاج العروس، تح: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

١٠٢. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري(ت٣١١هـ/ ٩٢٣م): إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، القسم الأول، (دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط، د.ت).

١٠٣. ــــــــــ: ــــــــــمعاني القرآن وإعرابه، تع: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م).

١٠٤. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق(٣٣٧هـ/ ٩٢٩م): كتاب حروف المعاني، تح: د. علي توفيق الحمد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م).

١٠٥. زرزور، عدنان محمد(الدكتور): علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

١٠٦. الزرقاني، محمد عبد العظيم(ت١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م): مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٠٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، د.ط).

١٠٨. الزِّرِكْلي، خير الدين بن محمود(ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م): الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م).

١٠٩. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(تفسير الكشاف)، تح: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م).

١١٠. الزنجاني، أبو عبد الله بن نصر الله(ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠م): تاريخ القرآن، تق: أحمد أمين، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م).

١١١. الزيات، أحمد وآخرون: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية في مصر.

١١٢. الزيدي: گاصد ياسر و ابتهال گاصد: علوم القرآن والتفسير، (النماء، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١١٣. زين العابدين، علي بن الحسين(الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

١١٤. الزين، سميح عاطف: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، (دار الكتاب المصري، مصر، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

(حرف السين)

١١٥. السامرائي، إبراهيم(الدكتور): من وحي القرآن، (مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

١١٦. السبحاني، جعفر(الشيخ): الأمثال في القرآن، (مط اعتماد، قم، ط١، ١٤٢٠هـ).

١١٧. ــــــــــ: ــــــــــ بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٧هـ).

١١٨. ــــــــــ: ــــــــــ المناهج التفسيرية في علوم القرآن، (دار الولاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

١١٩. السبزواري، حسن السيادتي(ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م): وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٩هـ)

١٢٠. السبزواري، عبد الأعلى بن علي(السيد)(ت١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م): مواهب الرحمن في تفسير القرآن(مط الديواني، بغداد، د.ط، د.ت).

١٢١. السبكي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م): مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، د.ط).

١٢٢. السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت٣١٦هـ/ ٩٢٨م): كتاب المصاحف، تح: الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م).

١٢٣. السجستاني، محمد بن عزيز(ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م): غريب القرآن، تص وتع: لجنة من العلماء، (مط محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٢هـ١٩٦٣م، د.ط).

١٢٤. السدوسي، أبو الخاطب قتادة بن دعامة(ت١١٧هـ/ ٧٣٥م): الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م).

١٢٥. السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد(ت٤٩٠هـ/ ١٠٩٧): أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م).

١٢٦. السعيدي النجفي، محمد جواد: بحوث حول علوم القرآن الكريم، تق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، (مط الآداب، النجف، د.ط، د.ت).

١٢٧. السكاكي، يوسف بن أبي بكر(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): مفتاح العلوم: تع: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م).

١٢٨. السلامي، عمار عبد الأمير(الدكتور): بنائية الصورة القرآنية، (الناشر: العتبة العلوية المقدسة – الرسائل الجامعية(٨)، د.ط، د.مط، د.ت).

١٢٩. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف(ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخياط، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت).

١٣٠. ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد(ت٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م): سر الفصاحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م).

١٣١. السيد خضر (الدكتور): الفواصل القرآنية -دراسة بلاغية-، كلية المعلمين بالرياض.

١٣٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مط العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط).

١٣٣. ــــــــــــ: ــــــــــــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، (القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.م).

١٣٤. ــــــــــــ: ــــــــــــ طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، (مط الحضارة العربية، فجالة، ط١، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م).

١٣٥. ــــــــــــ: ــــــــــــ معترك الأقران في إعجاز القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م).

(حرف الشين)

١٣٦. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م): الأم، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م).

١٣٧. شرف، حفني محمد(الدكتور): إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، د.مط، د.م، د.ط).

١٣٨. الشريف الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م): التعريفات، (الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ).

١٣٩. الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م): تلخيص البيان في مجازات القرآن، (مط المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، د.ط).

١٤٠. ــــــــــــ: ــــــــــــ حقائق التأويل في متشابه التنزيل، شرح: العلامة محمد رضا آل

كاشف الغطاء، (دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

١٤١. الشريف الرضي: ———— نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

١٤٢. الشريف المرتضى علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م): الآيات الناسخة والمنسوخة، تح: علي جهاد الحساني، (مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠م).

١٤٣. ————: ———— أمالي السيد المرتضى، تص: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ، د.مط).

١٤٤. ————: ———— الذريعة إلى أصول الشيعة، (دانشكاه، طهران، ١٣٤٦ش، د.ط).

١٤٥. ————: ———— رسائل الشريف المرتضى(المجموعة الأولى/ جوابات المسائل الرازية)، تق: السيد أحمد الحسيني، (مط سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ، د.ط).

١٤٦. ————: ———— تنزيه الأنبياء، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١٤٧. ————: ———— من رسائل الشريف المرتضى(مجموعة في فنون من علم الكلام)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (مط دار الكفيل، كربلاء، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

١٤٨. ————: ———— رسالة المحكم والمتشابه، تح و تق: السيد عبد الحسين الغريفي(مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

١٤٩. ————: ———— الموضح عن جهة إعجاز القرآن(الصرفة)، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (مط الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

١٥٠. الشريفي، محمود: أسطورة التحريف دراسة في مسألة التحريف عند الشيعة والسنة، إشراف: الشيخ محمد هادي معرفة، (د.مط، د.م، د.ط، د.ت).

١٥١. ابن شهاب الزهري، أبو بكر محمد بن مسلم(ت١٤٢هـ/ ٧٥٩م): الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: مصطفى محمود الأزهري، (دار ابن القيم، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨).

١٥٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي(ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢): متشابه القرآن ومختلفه، تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، (مط أمير، قم، ط٣، ١٤١٩هـ).

١٥٣. ــــــــــ: ــــــــــ مناقب آل أبي طالب، تص: لجنة من أساتذة النجف، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، د.ط).

١٥٤. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨ه/ ١١٥٣م): الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).

١٥٥. الشهرستاني، محمد علي(الدكتور)(ت١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م): مدخل إلى علم الفقه، (دار النصر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

١٥٦. الشهرستاني، هبة الدين(السيد)(ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م): حلال مشكلات، (مط النجاح، بغداد، ١٣٧٣هـ، د.ط).

١٥٧. ــــــــــ: ــــــــــ المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط).

١٥٨. ــــــــــ: ــــــــــ معركة الشعيبة أسرار الخيبة من فتح الشعيبة ١٩١٤-١٩١٥، تح: الأستاذ الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور إسماعيل الجابري، (الناشر: مؤسسة السيد الشهرستاني للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط).

١٥٩. ــــــــــ: ــــــــــ نهضة الحسين، (مط النعمان، النجف، ١٩٥٨م، د.ط).

١٦٠. ــــــــــ: ــــــــــ الهيأة والإسلام، تق: السيد أحمد الحسيني، (الآداب، النجف، ١٣٨١هـ ١٩٦١م، د.ط).

١٦١. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي(ت٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م): الرعاية في علم الدراية، تح و تع:

عبد الحسين محمد علي البقال، (مط بهمن، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ).

١٦٢. الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٦٣. ــــــــــ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

(حرف الصاد)

١٦٤. الصالح، صبحي(الدكتور): مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م).

١٦٥. الصدر، محمد باقر(السيد) (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م): المدرسة القرآنية، تح: لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، (شريعت، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ).

١٦٦. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي(الشيخ) (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م): الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ).

١٦٧. ــــــــــ: معاني الأخبار، تص: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، د.ط).

١٦٨. ــــــــــ: من لا يحضره الفقيه، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ط٢، د.مط، د.ت).

١٦٩. الصغير، محمد حسين (الدكتور): أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

١٧٠. ــــــــــ: المستشرقون والدراسات القرآنية، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

١٧١. ـــــــــــ: ـــــــــــ نظرات معاصرة في القرآن الكريم، (دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

١٧٢. صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت).

(حرف الضاد)

١٧٣. الضامن، حاتم صالح(الدكتور): عشرة شعراء مُقِلُّون، (الناشر: جامعة بغداد، بغداد، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، د.ت).

١٧٤. ضومط، جبر(ت١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م): الخواطر الحسان في المعاني والبيان، (مط الهلال، مصر، ١٨٩٦م، د.ط).

(حرف الطاء)

١٧٥. ابن طاوس، علي بن موسى(ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م): الملهوف على قتلى الطفوف، تح و تق: الشيخ فارس الحسون، (مط أسوة، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ).

١٧٦. الطباطبائي، علي(السيد) (ت١٢٣١هـ/ ١٨١٦م): رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٧٧. الطباطبائي، محمد حسين بن محمد(السيد)(ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

١٧٨. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(الشيخ)(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، تق: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٧٩. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): الاحتجاج، تع: السيد محمد باقر الخرسان، (دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، د.ط).

١٨٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٩٢م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، تح و تع: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م).

١٨١. ـــــــــ: ـــــــــ تاريخ الأمم والملوك، (مط الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧هـ ١٩٣٩م، د.ط).

١٨٢. طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، د.ط).

١٨٣. الطريحي، فخر الدين بن محمد علي(ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م): مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني(الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ).

١٨٤. الطهراني، محمد محسن(الشيخ آقا بزرك)(ت١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: علي نقي منزوي، (مط الآداب، النجف، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).

١٨٥. ـــــــــ: ـــــــــ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

١٨٦. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(الشيخ)(ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م): الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط).

١٨٧. ـــــــــ: ـــــــــ التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

١٨٨. ـــــــــ: ـــــــــ تهذيب الأحكام، تص وتع: علي أكبر الغفاري، (مكتبة الصدوق،

طهران، ط١، ١٤١٨هـ).

١٨٩. ـــــــ: ـــــــ الخلاف، تح: جماعة من المحققين في مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط).

١٩٠. ـــــــ: ـــــــ العدة في أصول الفقه، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، (ستارة، قم، ط١، ١٤١٧هـ).

١٩١. ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر(ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): بلاغات النساء، (مكتبة بصيرتي، قم، د.ط، د.مط).

(حرف العين)

١٩٢. العاتي، إبراهيم(الدكتور): آفاق التجديد الإسلامي أعلام وتيارات، (دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م).

١٩٣. العاملي، جعفر مرتضى: حقائق هامة عن القرآن الكريم، (مط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، د.ت).

١٩٤. العاملي، حسن محمد مكي: الإلهيات(محاضرات الشيخ جعفر السبحاني)، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ).

١٩٥. أبو عبيدة، معمر بن المثنى(ت٢١٠هـ/ ٨٢٥م): مجاز القرآن، تع: الدكتور محمد فؤاد سزكين، (مط دار غريب، مصر، ١٩٨٨م، د.ط).

١٩٦. ابن العتائقي الحلي، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد(ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م): الناسخ والمنسوخ، دراسة وتح: الدكتور ثامر كاظم الخفاجي، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م).

١٩٧. عتر، نور الدين: علوم القرآن الكريم، (الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

١٩٨. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله(ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م): أحكام القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٩٢هـ١٩٧٢، د.م).

١٩٩. العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م): مجاز القرآن، تح: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، تق: أحمد زكي يماني، (مؤسسة الفرقان للتراث، لندن، ١٤١٩هـ١٩٩٩م، د.ط).

٢٠٠. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله(ت٣٨٢هـ/ ٩٩٢م): المصون في الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، (مط حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م).

٢٠١. العسكري، مرتضى بن محمد إسماعيل(السيد): القرآن الكريم وروايات المدرستين، (إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.مط).

٢٠٢. العسكري، نجم الدين: حديث الثقلين، (مط الآداب، النجف الأشرف، ط٤، د.ت).

٢٠٣. العطار، داود(الدكتور)(ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): موجز علوم القرآن، (مط الزهراء، بغداد، ط١، ١٣٩٣هـ١٩٧٣م).

٢٠٤. العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م): إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (مط أمير، الناشر: مؤسسة الصادق، ط٣، د.ت).

٢٠٥. ــــــــــــ: التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٦م، د.ط).

٢٠٦. العكيلي، عهود عبد الواحد(الدكتورة): السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية، (دار الفكر، عمّان، ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٩م).

٢٠٧. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): أجوبة المسائل المهناوية، (مط الخيام، قم، ١٤٠١هـ، د.ط)

٢٠٨. ــــــــ: ــــــــ تذكرة الفقهاء، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٢٠٩. ــــــــ: ــــــــ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تق و تع: الشيخ جعفر السبحاني، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط٢، قم، ١٣٨٢هـ ش).

٢١٠. ــــــــ: ــــــــ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تح: حسين الدركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣).

٢١١. علقمة بن عبدة(ت٦٠٣م): شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تق: الدكتور حنا نصر الحتي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٢١٢. العلوي، محمد مهدي(ت١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م): نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، تص: حسين هاشم، (مط الآداب، بغداد، ١٩٢٩م، د.ط).

٢١٣. العلوي، يحيى بن حمزة(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): الطراز، (مط المقتطف، مصر، ١٣٢٢هـ ١٩١٤م).

٢١٤. عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، (دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت).

٢١٥. عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم: جمع وشرح وتح: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م).

٢١٦. العهد القديم: سفر الخروج، (دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م، د.ط، د.م).

٢١٧. العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود(ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، تفسير العياشي، تص و تع: السيد

هاشم الرسولي المحلاتي، (المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت).

(حرف الغين)

٢١٨. الغروي، محمد(السيد): فقه السنة وفقه الشيعة، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٢١٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ/ ١١١١م): المستصفى في علم الأصول، تص: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، د.ط).

٢٢٠. الغفاري: عبد الرسول: المحكم والمتشابه، (مط زلال كوثر، الناشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ).

٢٢١. ـــــــــ: ـــــــــ النسخ بين المفسرين والأصوليين، (مط زلال كوثر، الناشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر، قم، ط١، ١٤٣١هـ).

(حرف الفاء)

٢٢٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد(ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٢٣. الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن(ت١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م): كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، د.م).

٢٢٤. فتح الله، أحمد(الدكتور): معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٢٥. أبو الفتوح الرازي، حسين بن علي(ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م): روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تص: الدكتور محمدد جعفر ياحقي والدكتور محمد مهدي ناصح(المكتبة

الرضوية، مشهد، ١٤٠٨هـ، د.ط).

٢٢٦. الفحام، عباس علي(الدكتور): الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، (مط الفجر، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م).

٢٢٧. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٢٢٨. ــــــــــ: ــــــــــ المحصول في علم الأصول، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٢٢٩. فدا، هيفاء عثمان(الدكتورة): زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، (دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

٢٣٠. الفَرَّاء، يحيى بن زياد(ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م): معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (مط أمير، الناشر: ناصر خسرو، ط١، قم، د.ت).

٢٣١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م): العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيّب(مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

٢٣٢. الفرزدق، همام بن غالب(ت١١٤هـ/ ٧٣٣م): ديوان الفرزدق، شرح وضبط و تق: علي فاعور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م)

٢٣٣. الفضلي، عبد الهادي(الدكتور)(ت١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م): أصول الحديث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٢٣٤. الفيض الكاشاني، محمد محسن(ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م): التفسير الصافي، تص و تع و تق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(حرف القاف)

٢٣٥. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م، د.ط).

٢٣٦. ابن قتيبة الدينوري، محمد بن عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/ ٨٩٩م): تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

٢٣٧. ــــــــــ: ــــــــــ الشعر والشعراء، والشعراء، تح: أحمد محمود شاكر، (دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت).

٢٣٨. ابن قدامة: عبد الله بن محمد: ذم التأويل، تح: بدر بن عبد الله البندر، (دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٤م، د.م).

٢٣٩. القطَّان، منَّاع: مباحث في علوم القرآن، (الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م).

٢٤٠. القلقشندي: أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: د. يوسف علي طويل، (دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م).

٢٤١. قلقيلة، عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٢٤٢. القمي، أبو القاسم(ت١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م): قوانين الأصول، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت).

٢٤٣. القمي، علي بن إبراهيم(ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م): تفسير القمي، تص وتع وتق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ).

٢٤٤. القيرواني، الحسن بن رشيق(٤٦٣هـ/ ١٠٧١م): العمدة في صناعة الشعر ونقده، تص: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، (مط السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٥هـ١٩٠٧م).

٢٤٥. قيس بن الملوح: ديوان قيس، دراسة و تع: يسرى عبد الغني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م).

٢٤٦. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م): الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، تح: الدكتور أحمد حسن فرحات، (دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

٢٤٧. ــــــــ: ــــــــ مشكل إعراب القرآن، تح: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ).

٢٤٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب(ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م): الأمثال في القرآن الكريم، تح: إبراهيم بن محمد، (مكتبة الصحابة، طنطا، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م).

(حرف الكاف)

٢٤٩. كاشف الغطاء، محمد حسين(ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م): أصل الشيعة وأصولها، تح: علاء آل جعفر، (ستاره، قم، ط١، ١٤١٥هـ).

٢٥٠. الكاظمي، عماد: فهرس مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، (مكتبة الجوادين العامة، الكاظمية، ط١، ٢٠١٠م).

٢٥١. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٥٢. الكرباسي، محمد جعفر بن إبراهيم(الشيخ): إعراب القرآن، (دار الهلال، بيروت، ٢٠١٠م، د.ط).

٢٥٣. الكعبي، علي موسى: سلامة القرآن من التحريف، (ستارة، قم، الناشر: مركز الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٢٥٤. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م): الكافي، تص و تع: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ).

(حرف اللام)

٢٥٥. لاشين، عبد الفتاح(الدكتور): البيان في ضوء أساليب القرآن، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٨٨م).

(حرف الميم)

٢٥٦. ابن ماجة القزويني، محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن ابن ماجه، تح و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٥٧. ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، (دار الكتاب للبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٤م).

٢٥٨. مالك: أنس(ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م):الموطأ، تص و تع: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م).

٢٥٩. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد(ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، أعلام النبوة، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).

٢٦٠. المُبَرَّد: أبو العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.م).

٢٦١. المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٢٦٢. المحقق الحلي، نجم الدين أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن(ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م): شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تع: السيد صادق الشيرازي، (دار القارىء، بيروت، ط١١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٢٦٣. ــــــــــ: ــــــــــ معارج الأصول، تح: محمد حسين الرضوي، (مط سيد الشهداء عليه السلام، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٠٣هـ).

٢٦٤. محمد أبو سليمان، صابر حسن: مورد الضمآن في علوم القرآن، (الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

٢٦٥. محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م): تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار)، (دار المنار، مصر، ط٣، ١٣٦٧هـ).

٢٦٦. محمد هادي معرفة(الشيخ)(ت١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م): التمهيد في علوم القرآن، (مط ستاره، الناشر: مؤسسة التمهيد، قم، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م).

٢٦٧. المرزوقي، أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تع: غريد الشيخ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م).

٢٦٨. المرعشي النجفي، شهاب الدين(السيد)(ت١٤١١هـ/ ١٩٩٠م): القول الفاصل في الرد على مدعي التحريف، تح: محمد رضا جديدي نزاد، (مط ستاره، قم، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م).

٢٦٩. المرعشي، محمود: المسلسلات في إجازات السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، (مط حافظ، قم، ١٤١٦هـ، د.ط).

٢٧٠. مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م): الجامع الصحيح، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٧١. مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، (دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٢٧٢. المظفر، محمد رضا(الشيخ)(ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): أصول الفقه، (دار النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م).

٢٧٣. ــــــــــ: ــــــــــ المنطق، (مط النعمان، النجف، ط٤، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م).

٢٧٤. ابن المعتز، أبو العباس عبد الله(ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) كتاب البديع، تع: إغناطيوس

كراتشقوفسكي، (دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

٢٧٥. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله(ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، ديوان سقط الزند، (دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، د.ط).

٢٧٦. ابن معصوم المدني، علي صدر الدين(ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م): أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، (مط النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م).

٢٧٧. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ) (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م): أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تع: الشيخ فضل الله الزنجاني، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ).

٢٧٨. ــــــــــ: ــــــــــ تصحيح الاعتقاد، تح و تق: السيد هبة الدين الشهرستاني، تص و تع: عباس قلي، (مط رضائي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ).

٢٧٩. ــــــــــ: ــــــــــ مصنفات الشيخ المفيد/ المسائل السرورية، تح: صائب عبد الحميد، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٣هـ).

٢٨٠. مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، دراسة و تح: الدكتور عبد الله محمود شحاته، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٢٨١. ابن المقفع، عبد الله(ت١٤٢هـ/ ٧٥٩م): كليلة ودمنة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

٢٨٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم(ت٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٢٨٣. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م): مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٨٤. مير محمدي، أبو الفضل: بحوث في تأريخ القرآن الكريم وعلومه، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، د.ط).

٢٨٥. الميلاني، علي بن نور الدين الحسيني(السيد): استخراج المرام من استقصاء الإفحام، (مط وفا، قم، ط٢، ١٤٣٢هـ).

٢٨٦. ــــــــــ: ـــــــــ التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، (مط ظهور، قم، ط٣، ١٤٢٦هـ).

٢٨٧. ــــــــــ: ـــــــــ حديث الثقلين، (الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ).

(حرف النون)

٢٨٨. ابن ناقيا البغدادي، أبو القاسم عبد الله بن محمد(ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م): الجمان في تشبيهات القرآن، تح: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، (دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، د.ط).

٢٨٩. النجفي، محمد حسن(ت١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م): جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تص وتح وتع: محمود القوجاني، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٣ش).

٢٩٠. النحاس، أبو جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل(ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م): إعراب القرآن، (دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٢٩١. ــــــــــ: ـــــــــ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، (المكتبة العلامية، مصر، د.ط، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م).

٢٩٢. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م): الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، د.ط).

٢٩٣. النراقي، أحمد بن محمد مهدي(ت١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م): مستند الشيعة في أحكام الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٥هـ).

٢٩٤. النراقي، محمد مهدي(١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م): جامع السعادات، تص و تع: السيد محمد كلانتر، تق: الشيخ محمد رضا المظفر، (مط الآداب، النجف، ط٤، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).

٢٩٥. النوري، حسين(الميرزا)(ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م): فصل الخطاب في تحريف الكتاب، (طهران، ١٢٩٨هـ، د.م، د.ط).

٢٩٦. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م): شرح صحيح مسلم، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، د.ط).

٢٩٧. النيسابوري، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد(ت٤٣١هـ/ ١٠٣٩م): وجوه القرآن، تح وتع: د. نجف عرشي، (مؤسسة الطباعة في الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).

(حرف الهاء)

٢٩٨. الهذلي، أبو ذؤيب: ديوان الهذليين(أبي ذؤيب و ساعدة بن جؤية)، تح: أحمد الزين و محمود أبو الوفا، (دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، د.ط).

٢٩٩. ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف(ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (مط المدني، القاهرة، د.ط، د.ت).

٣٠٠. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل(ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (مط محمود بك، الأستانة، ط١، ١٣٢٠هـ).

٣٠١. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، د.ط).

(حرف الياء)

٣٠٢. اليزدي، محمد باقر: وسيلة الوسائل في شرح الرسائل، (طبعة حجرية، د.ط، د.م، د.ت).

٣٠٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب(ت بعد٢٩٢هـ/ ٩٠٥م): تاريخ اليعقوبي، (شريعت، قم، ط١، ١٤٢٥هـ).

* الرسائل الجامعية:

- الجبوري، محمد عباس نعمان: تأويل المتشابه عند المفسرين، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م).

- حيدر هادي أحمد: البحث البلاغي في تفسير الميزان، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية / كلية التربية، ٢٠٠٧م).

- الشمري، رباح صعصع عنان: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين –جون جلكريست إنموذجًا، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة/ كلية الفقه ٢٠١٤م).

- عماد موسى محمود، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني وجهوده في علوم القرآن –القراءات القرآنية دراسة وتحقيق-، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن فرع العراق، ٢٠١٢م).

- الغزالي، شعيب بن أحمد: مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، (أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ).

- الفرطوسي، سعد وحيد عيسى: متشابه القرآن الكريم في كتاب حقائق التأويل للشريف الرضي دراسة لغوية دلالية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة / كلية الآداب، ٢٠١٠م).

- المسعودي، محمد عبد حسن درويش: مَثَل ومِثْل وكاف التشبيه في القرآن الكريم دراسة لغوية، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، ٢٠٠٥م).

*** البحوث غير المنشورة:**

- الكاظمي، عماد: الجهود العلمية للسيد الشريف المرتضى في علوم القرآن، المؤتمر العلمي الدولي السادس في العتبة الكاظمية المقدسة، غير منشور(١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م).

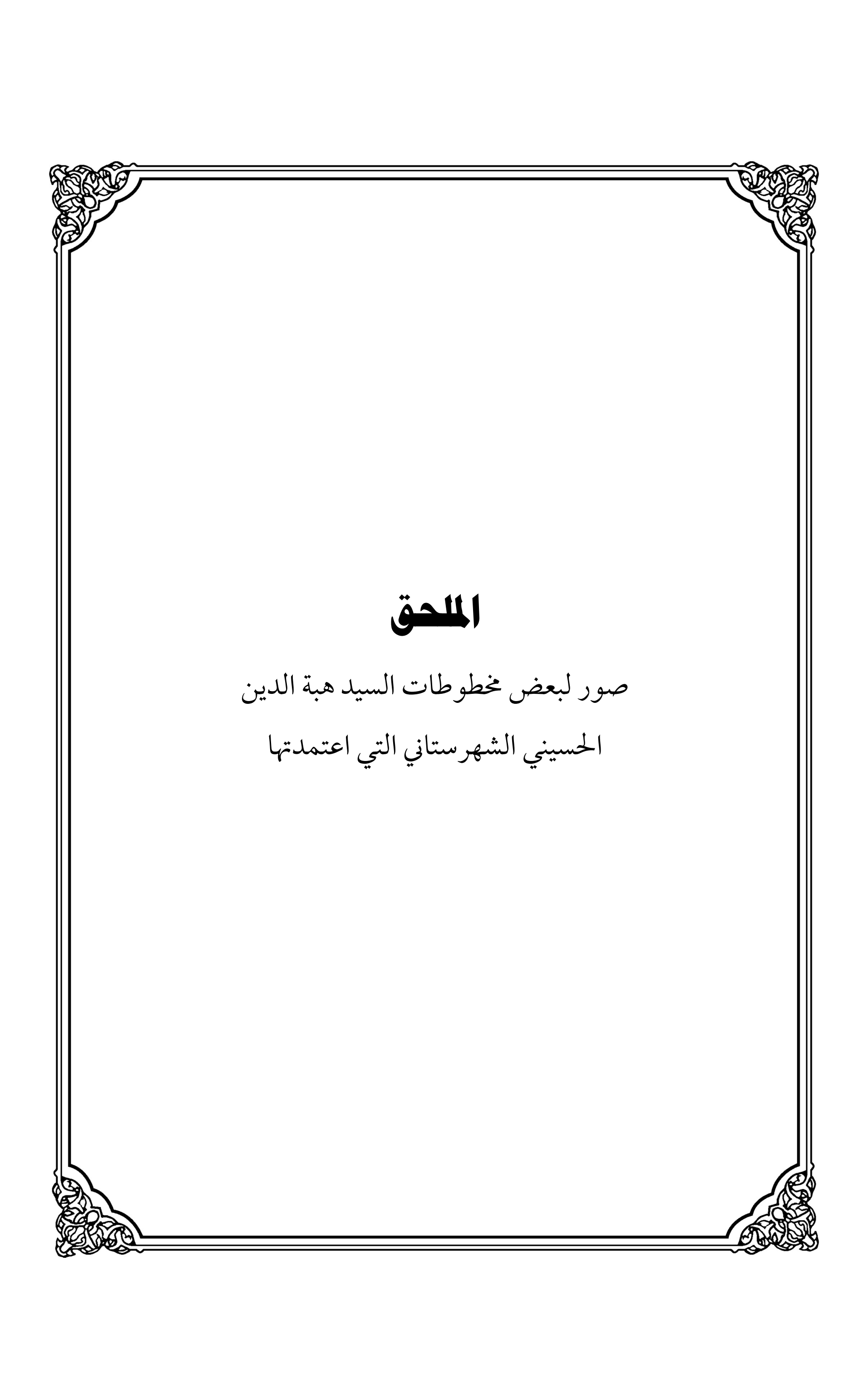
*** الدوريات**

- مجلة المرشد السنة الثالثة، العدد الأول، بغداد، (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م).

*** المواقع الإلكترونية**

- www.almaany.com
- www.almaany.com quran
- www.forunm.brg٨.com

المحتويات



الملحق

صور لبعض مخطوطات السيد هبة الدين

الحسيني الشهرستاني التي اعتمدتها

(١)

- **المخطوط**: المسودات القرآنية
- **عدد الأوراق**: ٣٤٠ ورقة
- **عدد الأسطر**: ٢٠ سطرًا
- **الطول**: ٢١ ونصف سم
- **العرض**: ١٣ سم
- **أوله**: في سورة الفرقان ٥٢ ولقد صرفنا بينهم ليذكروا....
- **آخره**: سؤال عن قوله تعالى(ولو كانَ مِنْ عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا).

قال تعالى في النحل (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) الخ

او لم يكن قرائة (النعم) بمعنى الابل

اقول لو لم تكن قرائة بطونها في الآية فلابد من الجواب عن الاشكال الوارد فيها باحد [illegible] نقول

~~فمنها ان الانعام صيغة ترد مفردا تارة وجمعا اخرى كاسمال [illegible]~~

والانعام جمع النعم بالفتحتين كالاوساخ جمع الوسخ والاصنام جمع الصنم وهي اولا كانت اسما للابل

عن سيبويه [illegible] لسبب نعومة اوبارها وبه سميت النعامة نعامة او من جهة النعم التي تظهر لصاحب الابل من

ومنها ان الجمع باعتبار [illegible] من البانها واوبارها واسمانها ولحومها وحملها الاثقال فهي اظهر افراد

الحيوانات المفيدة كالنخل في النباتات وقد خصصها الله بالعرب منة عليهم وتشمل البقر والغنم كوبل

وخلاصة الجواب اننا في مبحث الالتفات قد احرزنا توسعة دائرة الالتفات الى مطلق

اسلوب الكلام من وضعية الى وضعية اخرى واستنبطنا لذلك اسبابا ومزايا خصوصية تحسن ذلك

التحويل او توجبه وقد كان مما حسبناه مرجحا للتحول والالتفات ان يصاغ الاسلوب الاول

على وجه توهم المخاطب معنى غير مقصود المتكلم فيغير المتكلم وضعية كلامه الى الوجه الذي

يفهم السامع نفس ما يريده مثلا

مثاله ان الله سبحانه يقول في (هل اتى) (انا خلقنا الانسان من نطفة) فيوهم افراد النطفة ان

الانسان مخلوق من ماء واحد بسيط اعني به ماء الرجل غير مختلط بشيء هذا هو

مفهوم الكلام من اسلوبه لكن الله سبحانه غير بعد ذلك اسلوب كلامه من صوغ الافراد الى صوغ الجمع فقال

(امشاج) ليدفع الوهم الاول ويفهم ان الجنين انما يتكون من مواد مختلطة مختلفة بعضها

من الرجل وبعضها من المرأة كما حققته في رسالة (تكوين الجنين)

وكذلك قوله تعالى في النور ٣١ (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) فان العدول عن صوغ

في الطفل الى صوغ الجمع في الذين لم يظهروا حكمته دفع وهم الوحدة المفهومة اولا وايهام ان

الطفل بجميع اصنافه محكوم بهذا الحكم حتى لا يقتصر احد في الحكم على القدر المتيقن ويخرج بقية

(٢)

- **المخطوط**: جمهرة العلوم القرآنية
- **عدد الأوراق**: ٢٤١ ورقة
- **عدد الأسطر**: ٢٨ سطرًا
- **الطول**: ٣٣ ونصف سم
- **العرض**: ٢١ ونصف سم
- **أوله**: بعد الفهرست تمهيد البحث عنوان حول فقه القرآن بعد الحمد عن فقه المذهب...
- **آخره**: وأما شياطين الجن أي المؤثرات المستورة التي لا تبصر ...

قصص تمثيلية او عبرة

يستعمل بلغاء الامم وخطباء العرب
والعجم في منشآتهم روايات تمثيلية
~~قصص~~ [عن الحيوانات والجماد] ولسان حال يعينه في اقناع
الجماهير ولا غرو فان المحاورات
ثلاثة ارباعها مجازات وكنايات
و~~تشبيهات~~ وروايات
ففي امثال العجم بشر كفتند چرا بول توازپس [illegible]
خيالية .. والقرآن الحكيم من
فرط رغبته في اقناع المخاطبين
وافهام طبقات الجماهير كان
احرص على بلوغ الهدف المطلوب
فاستعمل الامثال والتشابيه
في اياته حتى قال [illegible] لقد

(٣)

- **المخطوط**: تنزيه التنزيل
- **عدد الأوراق**: ٩٥ ورقة
- **عدد الأسطر**: ٢٠ سطرًا
- **الطول**: ٥،١٩ سم
- **العرض**: ٥،١٩ سم
- **أوله**: بعد الفهرس، المحاضرة الأولى في الإعجاز القرآني، ألقيت محاضرتي في تفسير فاتحة الكتاب ....
- آخره: وهذه النظريات العالية التي حدت بنا أنْ نجعل الجذبات الروحية ملاك الإعجاز

~~القرآن امام الكل~~

ذلك الكتاب لا ريب فيه [عصمة القرآن]

يصرّح القرآن بانّه كتاب لا ريب فيه وجدير بمثله ان يكون

كذلك بما انه حجّة تامه ووسيلةُ الهدايه العامّه والمرجعُ

الأعلى والامامُ المبين فيجب ان يكون كما وصف نفسه

بنفسه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وهدىً ونورٌ ورحمةٌ وذكرى للعالمين وكلّ الدلايل من

معقولة ومنقولة ممّا ذكرنا لم يذكر تما صدرت على تسديد

القرآن من ناحيتين مهمّتين فيه للقرآن المجيد ناحية نسبته

الى الله سبحانه وناحية هدايته الناس الى ما فيه

(٤)

- **المخطوط**: فوائد هبة الدين
- **عدد الأوراق**: ٣١٥ ورقة
- **عدد الأسطر**: ١٦ سطرًا
- **الطول**: ٢١ سم
- **العرض**: ١٣ ونصف سم
- **أوله**: بعد الفهرس، (بين القديم والجديد) دبَّ الخلاف بين القديم والجديد دبيبه في بلادنا ....
- آخره: (نزول هل أتى في علي) إنَّ نزول هل أتى في علي أشهر من(قفا نبكي)، وله قصة مشهورة

العلم بان المتكلم والمخاطب لا يقصدان منه سوى الرجل الشجاع بفخيمه
تشبيهه او تعبيانه الى الحيوان المفترس فلا تماس بينه وبين الكذب
كذلك المبالغة

اترى ان الحسين ع السبط ع لما قال لولده عن حرب اعدائه
(فاضت الارض بالدماء منا ومنهم) هل قصد حقيقة فيضان
الارض بالدم او هل فهم مخاطبه هذا المعنى لتنمى الكذب على الامام
(والعياذ بالله) كلا بل عرف المخاطب مبالغة المتكلم لتعظيم الخطب
وليس شيوع المبالغات في كلام البلغاء والشعراء والعلماء والادباء
فحسب بل كثيرا ايضا في كلام الانبياء وفي كتبهم السماوية اذن فلا بدع
ان اتى القرآن بها فان القرآن ابلغ كتاب وينحو سنن البلاغة
والبلغاء وفيه ايضا جمة محمولة على المبالغة بما ان المبالغة من فنون
البلاغة وضربا من محاسن الكلام (منها) آية (خلق الانسان
من عجل) فسواء كانت (من بها نبيا او نشويه او غيرها فلا يتم
فظاهرها المبالغة في ميل الانسان الى استقبال الكمال عن استعجال
(ومنها) آية (واوتيت من كل شيء) فان بلقيس اوملكة

(٥)

- **المخطوط**: سرج في ظلمات الحياة
- **عدد الأوراق**: ١٣٤ ورقة
- **عدد الأسطر**: ١٨ سطرًا
- **الطول**: ١٦ سم
- **العرض**: ١٠ سم
- **أوله**: قال الفاضل الأديب السيد محمد طاهر السعيد الموسوي ....
- **آخره**: وفي هذا المقام يتمسك بإطلاق الكلام بل نتوجه إلى ما يعينه ....

السلسلة قائمة بتوالى الارقام العددية ومن كثرة الاستعمال صار ت (النمرة)

والمراد من النمرة الوسطى القسم المتوسط فى سير الركب او القطار وجرت

العادة بحكم الطبيعة ان الركب اذا دهمه حادث فى الطريق وقف قسمه الاوسط

عن الحركة ليلحق به المتأخر ويرجع اليه المتقدم فيتمركز قوام جميعا فى الوسط

لدفاع ما دهمهم وعلاج ما الم بهم وغرض الامام من هذه الكناية واضح

وهو الامر بالاعتدال دون التفريط او التفرط فكما ان التوسط فى الركب هو مستوجب

لراحته فى وقوفه وحركته طرفيه اليه لتمركز قوامهم كذلك المعتدل فى مسلكه مستريح

اكثر من المتطرف الذى تجبره الطبيعة غالبا الى عدوله نحو المعتدل

وتجد هذا الامر واضحا فى خطوات لو قاس فانه لا يتمكن من الثبات يمنة ويسرة

لكن الثبات فى الوسط يا تيه بلا ثمن

حول متشابه القران

(١) المتشابه والمحكم صفتان متقابلتان لآى القران ثبوتهما على سبيل التباد لا ثبوت على وجه التناوب الانفصال الحقيقى ويسمى متشابه التسابق المعانى

(٢) يا أسفا لغيور اذا وجد الائمة القران مختلفين فى فهم معانيها وترجمة ما خوافيه هذا الاختلاف وليت شعري اذا اختلف الائمة

فاعسى ان تصنع الامة وليت شعري ان لم تتفق اراء ائمة القران

فى فهم كلام ربهم فلعلهم اى كلام يتفقون . تراهم يختلفون فى تفسير المتشابه

والمحكم اختلافا يخرجهما عن فصحة الوضوح من ميادين الوضوح

الوضاءة والوضاحة

(٦)

- المخطوط: القرآن إمام الكل
- **عدد الأوراق:** ١٣٠ ورقة
- **عدد الأسطر:** ١٥ سطرًا
- **الطول:** ١٧ ونصف سم
- **العرض:** ١٥ سم
- **أوله:** أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ليس أدنى غلو أو مبالغة في نعت القرآن ....
- **آخره:** المعاد ودلائل ثبوته دلت آيات كثيرة على المعاد والدينونة.

النسخ اى رفع اتفق الأصوليون من الشيعة والمعتزلة والزيدية والأشاعرة ظاهراً على أن النسخ في اصطلاحهم خلاف الأصل والظاهر، ومعناه رفع حكم السابق بدليل لاحق لولاه لثبت الأول وشروط البناء على النسخ عشرة لخصناها من كتاب عدة الأصول لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ شيخ الطائفة الشيعة الأمامية، ومن كتاب اظهار الحق للمولوى رحمة الله شيخ طوائف الهند ~~المذ~~ السنيين

١- ان لا يكون الحكم عقلياً فلسفياً او لغوياً كأصول العقائد واحكام الأجسام او النحو ونحوه ولا من قبيل القصص والتواريخ والمواعظ والأخلاق فهذه امور لا يطرأ عليها الناسخ والمنسوخ

~~٢-~~ ان لا يكون مورده من المسائل الحسية ~~كضوء النهار وسواد الفحم~~ والعوارض النفسية ولا الاكتسابية.

(٧)

- **المخطوط**: الحواصل
- **عدد الأوراق**: ٣٢٠ ورقة
- **عدد الأسطر**: ٢٠ سطرًا
- **الطول**: ٢٠،٥ سم
- العرض: ١٦ سم
- **أوله**: طالب من الدكتور شفائي دستوره في حفظ صحتي، تجديد نظام مكتبة الجوادين ....
- **آخره**: ويكاد يكون الإمام علي الوحيد يوم ذاك الذي أوصى لولديه وحاشيته بنقله من مسجده في الكوفة إثر مقتله إلى ظاهر الغري في جنح الليل؛ ليدفن في محل بعيد عن أنظاره وأعدائه ....

المبالغة في ظواهر الآيات القرآنية

- يقال البعض عدم وجود المبالغة في آية ذكر الحكيم بزعم انها ضرب من الكذب والقرآن منزه عنه وقد دحضنا هذه الشبهة واثبتنا ان سبيل المبالغة في هذا الشأن سبيل الاستعارات والكنايات فيغتفر فيهن مخالفة الحقيقة طلباً للبلاغة وان قرائن الحال تكفلت بيان الحقيقة.

واليك بعض الآيات التي تظهر فيها المبالغة في بادئ النظر. راجع كتابي ص

(ومنها) (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) في حين ان الآجال قد تتأخر بالصدقة او صلة الرحم او غيرهما.

(ومنها) في سورة يوسف (وقطعن ايديهن) الخ... بينما الحقيقة جرحن جلود ايديهن.

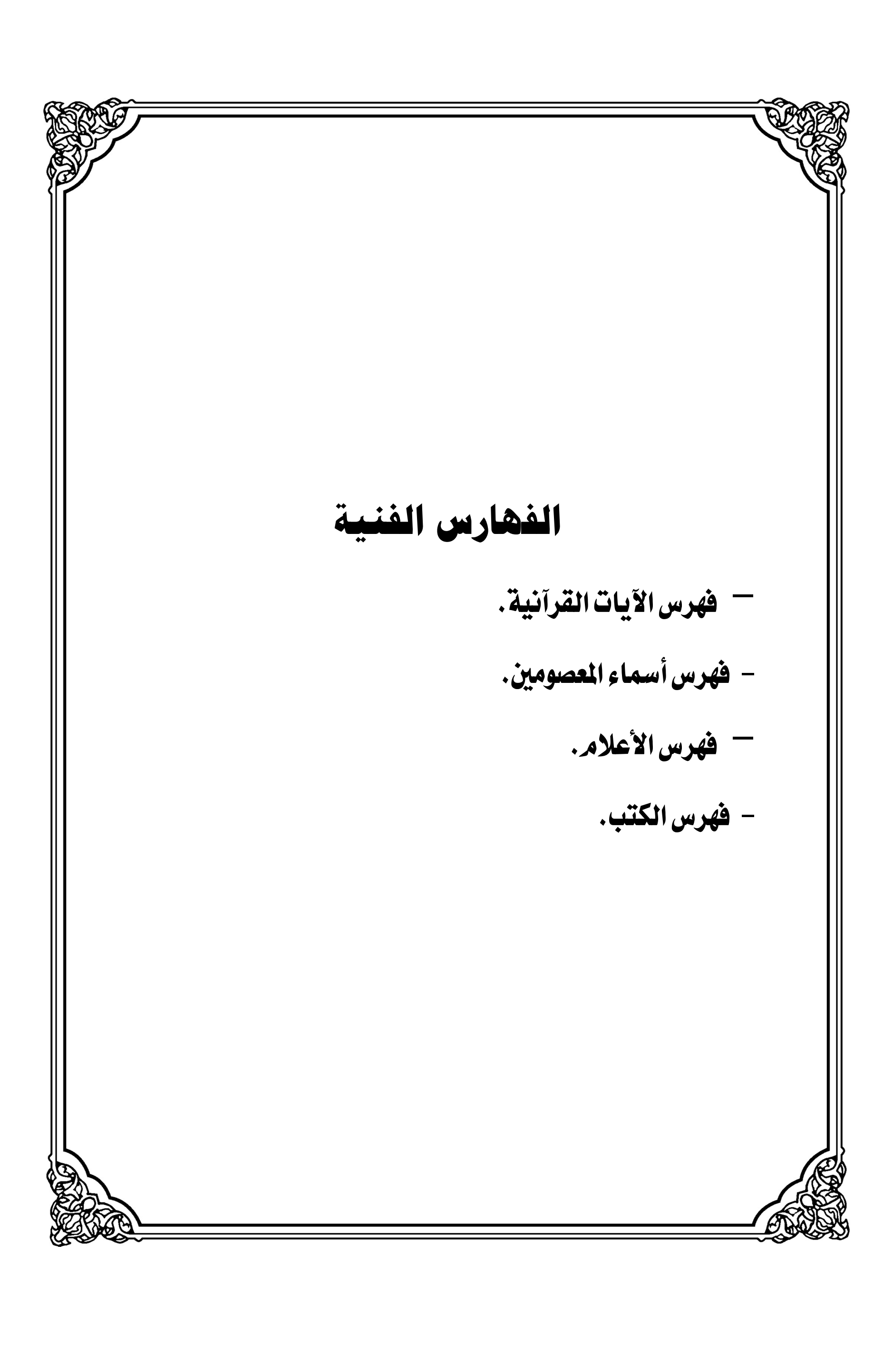
(ومنها) في سورة الحج (ان زلزلة الساعة شيء عظيم وتذهل كل مرضعة الخ... (ومنها) آية (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي الخ...)

(ومنها) آية (ويمدكم بالف من الملائكة مردفين)

ثم يقول جعلنا ما [illegible] لكم ولتطمئن قلوبكم.

(ومنها) فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره. مع وجود الشفاعة والتوبة والعفو والرحمة.

فسر.



الفهارس الفنية

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس أسماء المعصومين.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الكتب.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين﴾	الفاتحة	٢	٢٦٠، ٢٧٥.
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	الفاتحة	٥	٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٤.
﴿اهْدِنَا الصِّـرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة	٦	٣٩٤.
﴿ألم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	١-٢	١٧٣، ١٨١، ١٨٨، ١٩٦، ١٧١.
﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ...﴾	البقرة	٧	٤٠٣، ٤٠٤.
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ وَباليَوْم الآخِرِ...﴾	البقرة	٨	٣٢٩.
﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ...﴾	البقرة	٩	٤٠٠، ٤٢٥.
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...﴾	البقرة	١٤	٤٢٤.
﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	البقرة	١٥	٤٢٣، ٤٢٤.
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ...﴾	البقرة	١٦	٣٥٥، ٣٩٥، ٤٠١.
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ...﴾	البقرة	١٧	٣٢٩، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٦١.
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	البقرة	١٨	٣٥٤، ٤٠٢، ٤٠٤.
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ...﴾	البقرة	١٩	٣٥٤.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾	البقرة	٢٠	٣٥٥.
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾	البقرة	٢١	٣٣٠.
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ...﴾	البقرة	٢٣	٦٣، ١٢٩، ١٧٠، ٣١٠، ٤٤١.
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ...﴾	البقرة	٢٤	٦٣، ٣٠٨، ٤٤١.
﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا...﴾	البقرة	٢٥	٩٠.
﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ﴾	البقرة	٢٦	٤٤١.
﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	٢٩	٤٤١.
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ...﴾	البقرة	٣٠	٢٦٣، ٣٤٢، ٣٦٨.
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ...﴾	البقرة	٣١	٤٣٣.
﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾	البقرة	٣٢	٤٤١.
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾	البقرة	٣٤	٣٤٢.
﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ...﴾	البقرة	٣٦	٤٤١.
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ...﴾	البقرة	٤٥	٤٠٥.
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾	البقرة	٥٤	٤٠٦.
﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ...﴾	البقرة	٥٧	٤٠٩.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ...﴾	المائدة	٦	٢٥٣.
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾	المائدة	١٣	٤٢، ٤٤.
﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْض لِيُرِيَهُ...﴾	المائدة	٣١	٣٥١.
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْس وَالعَيْنَ بالعَيْنِ...﴾	المائدة	٤٥	٢٣٢، ٢٣٣.
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾	المائدة	٥٥	٢٥٥.
﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ...﴾	المائدة	٦٤	٤١٤.
﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	المائدة	١١٦	١٥٢.
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا...﴾	الأنعام	٣٤	٢٢٠.
﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا.... وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين﴾	الأنعام	٧٦-٧٩	٣٤٤.
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ...﴾	الأنعام	٩٠	١٧١.
﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ...﴾	الأنعام	١٠٣	٢٨٩.
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً...﴾	الأنعام	١١٥	٢٢٠.
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ...﴾	الأنعام	١٤١	٢٥٩.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ...﴾	الأنفال	١٠	٤٣١.
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	الأنفال	٣٠	٤٢٣.
﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا...﴾	الأنفال	٦٦	٢٤٥.
﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾	التوبة	٢	١١٩.
﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾	التوبة	٦٩	٣٦٠، ٣٦١.
﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ...﴾	التوبة	٧٩	٤٢٤.
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾	التوبة	٨٢	١٥١.
﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	التوبة	١١٠	٣٨٣.
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ...﴾	يونس	١٥	٣١١.
﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ...﴾	يونس	١٦	٣١١.
﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	يونس	٢٢	٣٢٤، ٣٣١.
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾	يونس	٢٤	٣٤١.
﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ...﴾	يونس	٣٧	٣١١.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ...﴾	الإسراء	٨٨	١٢٨، ٢٣٦، ٣٠٦، ٣١٣.
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَل﴾	الإسراء	٨٩	٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠.
﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ...﴾	الكهف	١٩	٣٢٢.
﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا...﴾	الكهف	٦١	٣٢٧.
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا... مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	الكهف	٦٥-٨٢	٣٤٥.
﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾	الكهف	٩٤	٤٣٨.
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ...﴾	الكهف	١٠٩	٤٣٠.
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	مريم	٦٤	٢٣٧.
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	طه	٥	٢٦٠، ٢٧٥، ٣٧٣.
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾	طه	١٧	٢٩.
﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي...﴾	طه	١٨	٣٢٠.
﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ... لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى﴾	طه	٢١-٢٣	٣٢٧.
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	طه	٣٩	٣٧٤.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾	طه	٥٣	٢٧٨.
﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِي﴾	طه	٨٥	٢٥٤، ٢٥٦.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ...﴾	الأنبياء	٢٥	٣٢٨.
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً...﴾	الأنبياء	٣٥	٣٢٣.
﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾	الأنبياء	٣٧	٤٢٧.
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ... قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ...﴾	الأنبياء	٥٢-٦٣	٣٤٤.
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾	الأنبياء	٦٩	٣٤٦.
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...﴾	الأنبياء	٩١	٤١٥.
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾	الحج	٢	٤٣٠.
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾	الحج	١٨	٤١٦.
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا...﴾	الحج	٥١	١١٩.
﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ... صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾	المؤمنون	٩٩-١٠٠	٣٢٩.
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾	النور	٤	٢٤٤.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ... لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾	النور	٣١	٣٢٧.
﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ...﴾	النور	٣٥	٣٤١، ٣٤٢، ٣٧٠.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ...﴾	النور	٣٩	١٤١.
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾	النور	٤١	٣٥١، ٣٧٠.
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا...﴾	الفرقان	٦٣	٤١٧.
﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾	الشعراء	١٩٢-١٩٥	٩٤.
﴿طس تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ... وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	النمل	١-٢	٩٣.
﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	النمل	٦	١٧٧.
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾	النمل	١٦	٣٤٨.
﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...﴾	النمل	١٨	٣٤٧.
﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ... اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا...﴾	النمل	٢٠-٢٨	٣٤٨.
﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...﴾	النمل	٢٣	٤٢٧، ٤٣٥.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	النمل	٥٠	٤٢٤.
﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ...﴾	النمل	٨٠	٣٥٣.
﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾	النمل	٨٨	٢٧٨.
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾	القصص	٧	٣١٩.
﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ...﴾	القصص	٣١	٣٢٣.
﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ...﴾	القصص	٥٧	٤٢٨.
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ...﴾	العنكبوت	١٤	٢٥٤.
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾	العنكبوت	٦٩	١٠٧.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾	الروم	٢٠	٢٢٥.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾	الروم	٢١	٢٢٣.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ...﴾	الروم	٢٥	٢٢٥.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ...﴾	الروم	٤٦	٢٢٣.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	الروم	٥٥	١٥٦.
﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾	لقمان	٧	٤٠٥.
﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْس وَاحِدَةٍ...﴾	لقمان	٢٨	٣٦١.
﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	السجدة	٢	٢٣٦.
﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾	الأحزاب	١٩	٣٦١.
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ... وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ...﴾	الأحزاب	٥٠	٣٢٤.
﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾	الأحزاب	٦٢	٢٢١.
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...﴾	سبأ	١٠	٣٤٧.
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْض﴾	سبأ	١٤	٣٥١.
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ... لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آَمِنِينَ﴾	سبأ	١٥-١٨	٣٢٣.
﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾	فاطر	٣	٣٦٣.
﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ...﴾	فاطر	٩	٣٢٥.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ...﴾	الزمر	٢٣	٢٦٣، ٢٦٧.
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَل...﴾	الزمر	٢٧	٣٤١.
﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا...﴾	الزمر	٥٦	٢٩٥، ٣٧٤.
﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾	الزمر	٦٧	٣٧٤.
﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بنُورِ رَبِّهَا﴾	الزمر	٦٩	٤١٩.
﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾	الزمر	٧٣	٣٦٣.
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	غافر	٢٨	٣٠٧.
﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ...﴾	غافر	٤٩	٣٩٧.
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ...﴾	غافر	٦٧	٣٢٨.
﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْم يَعْلَمُونَ﴾	فصلت	٣	١٣٢.
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْض...﴾	فصلت	١١	٣٤٣، ٣٦٩، ٣٨٤.
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾	فصلت	١٧	٣٩٦.
﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ...﴾	فصلت	٢١	٣٤٧، ٣٨٩، ٣٨٠.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾	محمد	١٥	٣٤٢.
﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا﴾	محمد	٢٤	٣٥٣.
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ...﴾	الفتح	١٠	٣٩٩.
﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾	الحجرات	١٥	٩٩.
﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...﴾	ق	٦	٤٣٢.
﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بظَلام لِلْعَبِيدِ﴾	ق	٢٩	٢٢١.
﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	ق	٣٠	٣٤٣.
﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا... فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾	الذاريات	١-٤	٣٠٨.
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	الذاريات	٤٧	٣٨٩.
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾	الطور	٣٤	١٢١.
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	الطور	٤٨	٣٩١.
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى...عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾	النجم	٣-٥	١٧٨.

الآية	السورة	رقمها	ص
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	الزلزلة	٨	٤٣١.
﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	العاديات	٧–٨	١٥٦.
﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	العصر	٢	٣٣٠.
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	الكوثر	١–٢	٣٢٦، ٣٣٦، ٤٢٠.
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	المسد	١	٤٢٠.
﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص	١	١٣٤، ٢٥٤.

فهرس اسماء المعصومين

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف الياء

فهرس الكتب

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس الأماكن

إصداراتنا

١. فهرس الوثائق الكربلائية في الأرشيف العثماني(أربعة أجزاء).

٢. محاسن المجالس في كربلاء.

٣. قرآنيو كربلاء المقدسة(الجزء الأول).

٤. الخط و الخطاطون في كربلاء(الجزء الأول).

٥. ندوات مركز تراث كربلاء التراثية.

٦. القرآءات القرآنية في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

٧. علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

٨. أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

٩. العباس قمر بني هاشم عليه السلام.

١٠. كربلاء في عهد العباسيين.

١١. مجلة تراث كربلاء - فصلية محكّمة.

١٢. مجلة الغاضرية - فصلية ثقافية.

١٣. دليل معرض مركز تراث كربلاء السنوي الأول.

١٤. دليل معرض مركز تراث كربلاء السنوي الثاني.

١٥. دليل معرض مركز تراث كربلاء السنوي الثالث.

١٦. كربلاء في مذكرات الرحّالة.

١٧. صحافة العتبات المقدسة.

قيد الإنجاز

١. قرآنيو كربلاء المقدسة(الجزء الثاني).
٢. علماء مدينة كربلاء المقدسة.
٣. كربلاء في مجلة العرفان.
٤. موسوعة تراث كربلاء المصورة.
٥. تراث العتبة الحسينية المقدسة.
٦. تراث العتبة العباسية المقدسة.
٧. الخط و الخطاطون في كربلاء(الجزء الثاني).
٨. كربلاء في الشعر اللبناني.
٩. حديث مع الدعاة البروتستانيين.
١٠. مفتاح الجنان في حل رموز القرآن.
١١. الرسالة المحمدية في احكام الميراث الابدية.
١٢. الشمعة في حال ذي الدمعة.
١٣. علم الهداية في غياهب الظلمات.
١٤. تحفة الفضلاء في تراجم علماء كربلاء.


منشورات
مركز تراث كربلاء
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
العتبة العباسية المقدسة